تاريخ النجف الأشرف

تأليف

الشيخ محمد حسين بن علي بن محمد حرز الدين

المسلمي العقيلي

(١٣٢٣-١٤١٨هـ)

هذّبه وزاد عليه

عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين

الجزء الأول

تاريخ النجف الأشرف

تأليف

الشيخ محمد حسين بن علي بن محمد حرز الدين

المسلمي العقيلي

(١٣٣٣-١٤١٨هـ)

هذّبه وزاد عليه

عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين

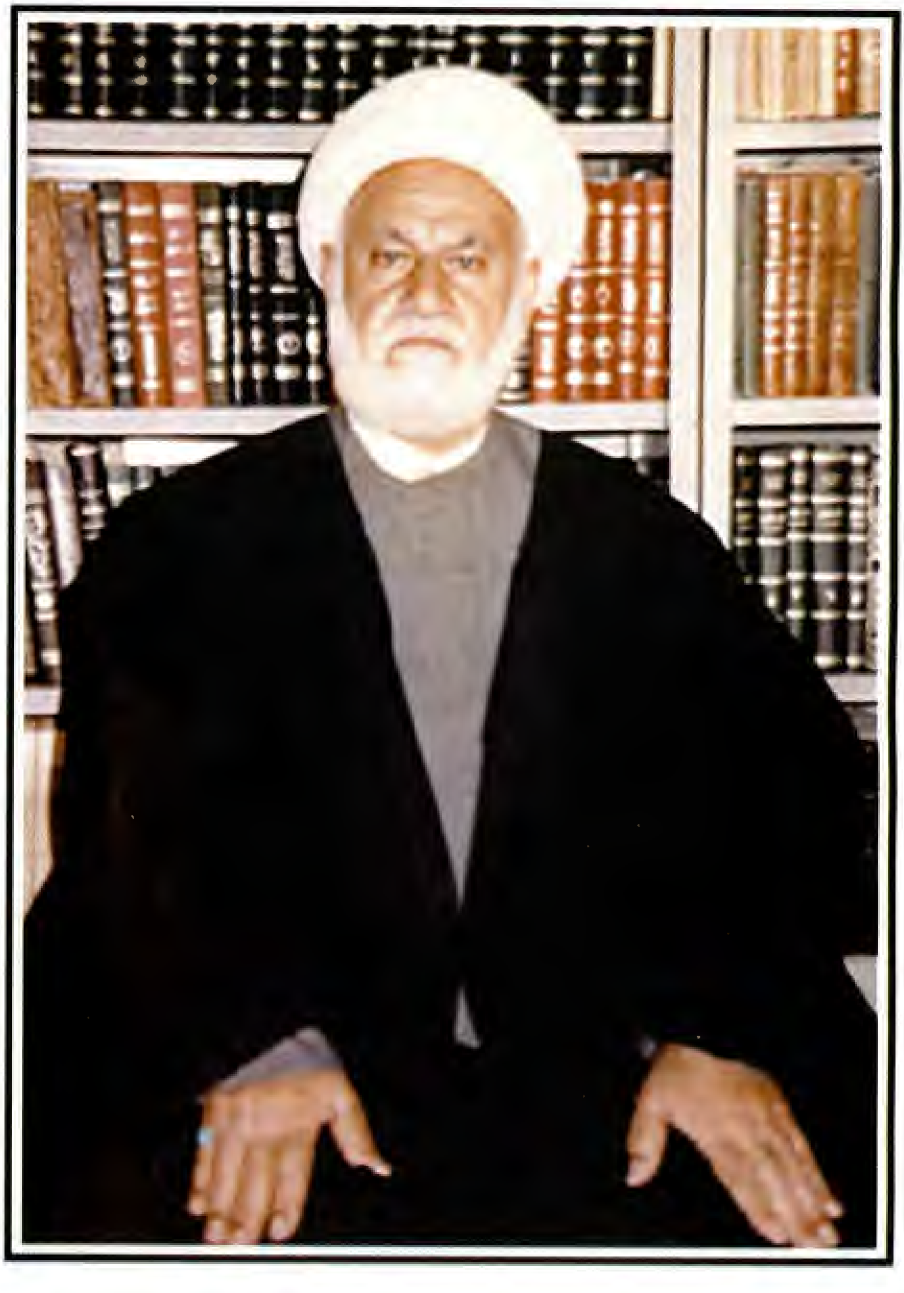
الجزء الأول

▼
تاريخ النجف الاشرف الجزء الأول
الشيخ محمّد حسين بن علي بن محمّد حرزالدّين المسلمی العقیلی(١٣٣٣ ـ ١٤١٨ هـ)
هذّبه و زاد علیه : عبدالرزاق محمّد حسين حرزالدّين
منشورات دليلما
الطبعة الاوّل : ١٤٢٧ هـ.ق ـ ١٣٨٥ هـ.ش.
طبع في ١٥٠٠ نسخة
المطبعة : نگارش
سعر الدّورة في ثلاث مُجلّدات ١٢/٠٠٠ توماناً
شابک (ردمک) المجلد الأول : ٤ ـ ٢٣٦ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ISBN
شابک (ردمک) الدورة في ثلاث مجلدات : ٦ ـ ٢٣٥ ـ ٧٩٩٠ ـ ٩٦٤ ISBN
العنوان : ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس : ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.ir
info@Dalilema.ir

انتشارات دلیل ما

مركز التوزيع :
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليلما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليلما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣

سرشناسه	: حرزالدين، محمد حسين، ١٩١٤ ـ ١٩٩٧ م.
عنوان و پدیدآور	: تاريخ النجف الاشرف تاليف محمد حسين بن علی محمد حرزالدين المسلمی العقیلی؛ هذبه و زاد علیه عبدالرزاق محمد حسين حرزالدين.
مشخصات نشر	: قم : دلیل ما، ١٣٨٥.
مشخصات ظاهری	: ٣ج
شابک	: (١.ج) 4 - 236 - 397 - 964؛ (٢.ج) 964 - 397 - 233 - x؛ (٣.ج) 8 - 234 - 397 - 964؛ (دوره) 6 - 235 - 397 - 964
یادداشت	: فیپا
موضوع	: نجف ــ تاريخ.
شناسه افزوده	: حرزالدين، عبدالرزاق محمد حسین، ١٣٤٠ ـ
رده بندی کنگره	: ٤ ح ٣ ن / ٩ / DS ٧٩
رده بندی دیویی	: ٩٥٦/٧٥
شماره کتابخانه ملی	: ٣١١٢٧ ـ ٨٥ م



الإهـــداء

إلى جدّنا العلاّمة الشيخ محمد حرز الدين .

وإلى حفيده البحّاثة شيخنا الوالد محمد حسين حرز الدين .

أهدي مجهودي رجاء أن يكون فيه من الله تعالى أجرَ صدقةٍ جاريةٍ وعلمٍ يُنتفع به .

عبد الرزّاق حرز الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .

منذ ظهور المرقد المطهّر فجر طلوع الدولة العبّاسية صارت أفئدة كثير من العارفين تهوى إليه وتختار مجاورة ذلك الجثمان المقدّس لتحظى بشرف جواره . ولم يمض وقت طويل حتى نشأت مدينة النجف الأشرف وعرف المسلمون أنّها من البيوت التي أذن الله أن ترفع ، فأصبحت تُشَدّ إليها رواحل العظماء من العلماء والأتقياء والصلحاء وتبعهم الخلفاء والملوك والوزراء ، وبهذا دخلت النجف التاريخ من أوسع أبوابه .

وقد اهتمّ شيخنا الوالد رحمه الله مُذ أدركته أشدّ اهتمام بتاريخ هذه المدينة المقدّسة ، فلم يزل ينقّب عن آثارها ويبحث في صحائف تاريخها زمناً طويلاً في جهود متواصلة حتى أمكنه الله تعالى بفضله وكرمه من تصنيف كتاب حول تاريخها وإنجاز ما كان يصبو إليه ، مع قسوة الزمان وطوارق الحدثان .

إلاّ أنّه لم يجد رحمه الله إلى طبع الكتاب سبيلاً ، فقد منعت الرقابة الرسمية مكرّراً طبعه بدعوى خدمته الطائفة وأمم مجاورة للعراق ، مع أنّه ليس فيه إلاّ الحقائق التاريخية المجرّدة والتي ليس إلى إنكارها أو تجاوزها سبيل .

وبقي الكتاب في غياهب الإهمال حتى عودتي إلى الوطن من أرض المهجر بعد أربعة عشر عاماً ، لأجد نسخة الكتاب ما هي إلاّ مسوّدات أوراق مضطربة مختلطة ، لفقدان النسخة الأصل ، فتطلّب الأمر مزيد جهد أدّى إلى تهذيب وزيادة كثير من المواد التاريخية ، وإرجاع النصوص المعتمدة إلى مصادر محقّقة بعد أن كانت تعزى إلى نسخ مخطوطة .

والمرجو ممّن عثر على زلّة أو هفوة في الكتاب أن يغفرها ، لأنّي شرعت فيه بعد شهرين من هجوم دول الحلف الأمريكي على عراقنا العزيز ، ولم يتسنَّ لي إتمام هذا الكتاب إلاّ بعد عظيم جهد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

النجف الأشرف

عبد الرزّاق بن محمد حسين حرز الدين .

الجمعة ٢٨ / ٤ / ١٤٢٧هـ ، الموافق ٢٦ / ٥ /٢٠٠٦هـ

ترجمة المؤلّف

نسبه

الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حمد الله بن الشيخ محمود حرز الدين المُسْلمي ، نسبة إلى القبيلة الفراتية بني مُسْلِم .(١)

---

(١) أبو المكارم شرف الدولة مُسْلِم بن قريش بن الأمير بدران بن حسام الدولة المقلّد بن المسيّب بن رافع بن المقلّد بن جعفر بن عمرو بن مهنّد (مهنّا) بن عبد الرحمان بن بُرَيْد - بالتصغير - بن عبد الله بن زيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

كان شرف الدولة مسلم بن قريش أمير دولة العرب العُقَيْليين ومن كبارهم ، وكان عادلاً حسن السيرة عظيم السياسة . خلف أباه قريش بن بدران أميراً على الموصل سنة ٤٣٤هـ- ١٠٤٢م . ناصر الفاطميين ، وتحالف مع ألب أرسلان سنة ٤٥٩هـ- ١٠٦٦م ، ثمّ مع ابنه ملك شاه . احتلّ حلب سنة ٤٧٢هـ- ١٠٧٩م ، وملك كثير من البلاد الفراتية كهيت والأنبار وديار بكر والجزيرة بأسرها وعدّة مدن في سورية ولبنان منها بعلبك . قُتِل شرف الدولة مسلم في معركة مع سليمان السلجوقي بالقرب من أنطاكيا سنة ٤٧٨هـ- ١٠٨٥م .

قال ابن كثير : كان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له في كلّ قرية والٍ وقاضٍ وصاحب خبر .

وقال الذهبي : كان مسلم محبّباً إلى الرعية مهيباً ، وكان يصرف جميع الجزية إلى الطالبيّين .

خلفه في الإمارة ولده الأمير علي بن شرف الدولة مسلم أميراً على الموصل . وفي سنة ٤٨٩هـ اشتدّ الحصار بالأمير علي في مدينة الموصل من قبل كربوقا السلجوقي إلى تسعة أشهر ، فخرج الأمير علي من الموصل ولحق بالأمير سيف الدولة صدقة بن مزيد الأسدي بالحلّة ، وأقطعه أرضين واسعة ، وهي لاتزال بيد أحفاده غربي الكفل . أعقب أولاداً وأحفاداً كثيرة في

ولادته

ولد الشيخ محمد حسين في النجف الأشرف في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٣٣هـ ، ونشأ بها في أسرة علمية عريقة في تاريخها العلمي ، فوالده الشيخ علي عالم فاضل ، وجدّه الشيخ محمد علاّمة مجتهد ، كما أخرجت هذه الأسرة جملة من العلماء الأعلام .

تحصيله العلمي وأساتذته

قرأ مبادئ العلوم كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان في النجف الأشرف على عدد من الأساتذه منهم والده الشيخ علي حرز الدين .

وقرأ الفقه على عدّة من أهل الفضل ، فقرأ كتاب "شرايع الإسلام" على الشيخ خليل ياسين العاملي ، وكتاب "شرح اللمعة الدمشقية" على السيّد مولى البعّاج والشيخ حسن الحمزاوي والشيخ علي سماكة .

وفي الأصول قرأ كتاب "القوانين" على الشيخ محمد أمين زين الدين البصري ، ورسائل الشيخ الأنصاري على السيّد محمد باقر الشخص الأحسائي والشيخ علي سماكة ، وكتاب "الكفاية" على السيّد محمد باقر الشخص والشيخ إبراهيم الكرباسي .

حضر الفقه خارجاً تحت عنوان "شرح تبصرة العلاّمة الحلّي" على أستاذه السيّد الشخص ، كما حضر الأصول خارجاً على الشيخ إبراهيم الكرباسي . ثمّ حضر أبحاث

المنطقة الفراتية الوسطى وأصبح أبا قبيلة اشتهرت باسم أبيه وتعرف "بنو مسلم" لشهرة أبيه شرف الدولة مسلم عند العرب والأمراء وسمو مكانته ونفوذه في الإمارة وضرب السكّة باسمه . وعرب شرف الدولة اليوم حوالي "حديثة" في محافظة الرمادي (الأنبار) ذوو سطوة ومناعة . (البداية والنهاية : ١٥٤/١٢ . سير أعلام النبلاء : ٦٣٤/١٧ . تاريخ الإسلام : ٣٢/٣٢ . الروضتين في أخبار الدولتين : ٩٤/١)

الخارج للمراجع العليا ، فحضر الفقه على آية الله السيّد حسين الحمّامي ، وعلى آية الله العظمى السيّد ميرزا عبد الهادي الشيرازي ، وحضر بحث "شرح العروة الوثقى" على زعيم الطائفة السيّد محسن الطباطبائي الحكيم .

كما حضر بحث الأصول في دورته الثانية ، وبحث الفقه "شرح العروة الوثقى" في الدورة الثالثة على زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي .

آثاره العلمية

بعد أن قطع شيخنا رحمه الله المراحل العلمية العالية وكتابة تقريرات دروس أساتذته في الفقه والأصول اتّجه إلى الإفادة والتحقيق والتأليف ، واهتمّ بإخراج بعض مؤلّفات جدّه العلاّمة الأكبر الشيخ محمد حرز الدين التي لم تزل مخطوطة ، كما سعى في جمع مواد وقصاصات لمؤلّفات كان ينوي تصنيفها ، إلاّ أنّ الأحداث التي مرّ بها القطر العراقي في السنوات الثلاثين الأخيرة والحوزة العلمية في النجف الأشرف بالخصوص حالت دون تحقيق كلّ ما كان يصبو إليه . فمن الآثار المخطوطة لجدّه الشيخ محمد حرز الدين والتي قام بتحقيقها :

١- كتاب "معارف الرجال" في تراجم العلماء والأدباء ، بثلاثة مجلّدات ، وطبع في النجف الأشرف سنة ١٣٨٣هـ .

٢- كتاب "مراقد المعارف" في تعيين مراقد العلويين والصحابة والتابعين والعلماء والأدباء ، يقع في جزأين . وكان عمله في هذا الكتاب عبارة عن تحقيق تاريخي ومسح جغرافي للقبور التي وردت فيه ، بتعيين أماكنها ، ووصف بقاعها وبنائها ، وتصويرها فوتوغرافياً ، مع التعليق عليها في هامش الكتاب . وتجشّم في سبيل ذلك مشاق الأسفار في المدن والأرياف . وطبع الكتاب في النجف الأشرف سنة ١٣٨٩هـ .

٣- كتاب الغَيْبة ، وهو في غَيْبة الإمام محمد بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه ، وعصر ظهوره . والكتاب لم يزل مخطوطاً .

أمّا مؤلّفاته فهي :

١- كتاب "مستدرك مراقد المعارف" ، استدرك فيه جملة من القبور التي لم يذكرها الشيخ جدّه رحمه الله ، مع تحقيق أماكن تلك القبور ونسبتها إلى أصحابها ، وتراجم وافية لهم . والكتاب لم يزل مخطوطاً .

٢- كتاب "مشجّر الأنساب" وهو كتاب كبير في أنساب العلويين والطالبيين .

٣- العُقَيْليّون : نسبهم وأحوالهم .

٤- الحوادث والتاريخ ، ستّة أجزاء (مخطوط) .

٥- مجموعة الأدعية والأحراز .

٦- تاريخ النجف الأشرف : وهو الكتاب الذي بين يديك .

ما قيل فيه

ترجم له الشيخ محمد هادي الأميني ، وقال : عالم فاضل أديب جليل متتبّع ، من أفاضل الطلاّب والفضلاء .[١]

وقال الفتلاوي في وصفه : عالم مؤرّخ . كان ولعاً بالبحث والتنقيب والتاريخ والأنساب ، وكتب في ذلك كتباً قيّمة لم تبرز إلى عالم الطبع ، ومجداً في تحقيق آثار آبائه ونشرها .[٢]

وكتب زميله السيّد أحمد الحسيني في ترجمته ما نصّه : امتاز شيخنا - قدّس الله نفسه الزكيّة - بحسن الخلُق وصفاء السيرة والسريرة ، والتزام الوقار في القول والعمل ، فكان لطيف المعشر مع حفظ الاتزان . يراعي حقوق الأخوان ، ويحترم جليسه ، ويحافظ جانب الأدب . لا يتسرّع إلى الكلام فيما لا يعنيه بل يقتصد فيه ويقول مايراه حقّاً .[٣]

---

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف : ٤٠٧/١ .

(٢) المنتخب من أعلام الفكر والأدب : ٤٦٦ .

(٣) أحسن الأثر في أعلام القرن الخامس عشر (مخطوط) .

وقال السيّد عبد الحسين بن السيّد محمد رضا القزويني : لقد كان زميلنا وصديقنا المرحوم العلاّمة البحّاثة الشيخ محمد حسين حرز الدين طاب ثراه ، مستقيم الحال لم تؤثّر عليه التيّارات والأهواء ، وهو من أهل التحقيق والتنقيب وقد أفنى عمره في سبيل ذلك .

وقال الشيخ محمد رضا النعماني : عرفته شيخاً وقوراً هادئاً سمحاً دمث الأخلاق حسن السيرة محبّاً لأهل البيت عليهم السلام .

نشاطه الديني والإجتماعي

كان شيخنا الفقيد متتبّعاً لشؤون مجتمعه مراقباً للأحداث التي تجري على الساحة العراقية دون الإنتماء إلى حزب سياسي أو فئة معيّنة ، وكان مضطلعاً بدوره في الدفاع عن الحوزة العلمية باعتبارها مصدر الحركة الفكرية والجهادية في هذه المدينة المقدّسة .

حدّثني الأستاذ الشيخ محمد حسين الصغير ، قائلاً : كان شيخنا الفقيد رحمه الله متميّز الحضور في المشكلات السياسية والدينية والإجتماعية . فحينما تشكّلت جماعة العلماء في النجف الأشرف برئاسة آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين أصدرت منشورات أسبوعية موجّهة إلى الشعب العراقي للإلتزام بالدين والسير في شريعة سيّد المرسلين والتحذير من الضلال والإنحراف في التيّارات الهدّامة الوافدة ، ممّا لاقى صدىً عظيماً في العراق أدّى إلى امتعاض الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، فتشكّل وفد من النجف الأشرف برئاسة آية الله السيّد محمد جمال الهاشمي وعضوية الشيخ محمد حسين حرز الدين والسيّد محمد صالح الخرسان وآخرين ، فالتقى هذا الوفد بالزعيم الركن لإيقافه على أهداف هذه الجماعة .

وكتب السيّد محمد علي نجل المرجع الديني السيّد عبد الله الشيرازي : كان شيخنا العلاّمة محمد حسين حرز الدين أحد الأيادي الفعّالة والسواعد المهمّة للحوزة العلمية والمرجعية الدينية إلى جانب عناصر أخرى من شخصيّات الحوزة ووجوهها البارزة . فقد كان يقوم بدور بارز من النشاط أيام المد الأحمر الشيوعي مع كلّ من أصحاب

الفضيلة الشيخ هادي شريف القرشي والشيخ باقر شريف القرشي والسيّد عزيز الحلّي . فهؤلاء كانوا حلقة وصل بين الحوزة والمرجعيّة ، فكانوا يلتقون بكلّ من سماحة المرجع الديني الأعلى للطائفة الإمام السيّد محسن الحكيم قدس سره بصفته زعيم الطائفة آنذاك ، وسماحة المرجع الديني السيّد عبد الله الشيرازي قدس سره بصفته المرجع الديني الذي كان يحمل لواء المعارضة بوجه الأحكام الغاشمة في العراق ، وكان للشيخ محمد حسين حرز الدين وزملائه رحمهم الله الدور المشرّف في إيصال التصميمات والقرارات السرّية والعلنية التي كان يتّخذها المراجع العظام إلى الأوساط الحوزوية أساتذتها وطلاّبها .

وفي وقت لاحق داهم رجال السلطة منزل شيخنا الفقيد رحمه الله في محلّة العمارة وصادروا عدّة مئات من كتابه المحقّق "معارف الرجال" لما أورد في ترجمة مرجع الطائفة الإمام السيّد محسن الحكيم فتواه الخالدة بأنّ " الشيوعية كفر وإلحاد وترويج للإلحاد " .

وحدّثني السيّد محمد صالح بن السيّد عبد الرسول الخرسان ، قال : حينما اغتيل في النجف الأشرف السيد مصطفى نجل الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره على أيدي رجال جهاز الأمن السرّي الإيراني المعروف بالسافاك ، كان شيخنا رحمه الله أوّل من بادر لزيارة الإمام من الطلبة العرب ، للوقوف على حقيقة الأمر ، وتقديم التعازي له بذلك ، معلناً استنكاره لهذا التعدّي على أحد رموز الحوزة العلمية ورجالها النشطين . ثمّ تصدّى شيخنا رحمه الله إلى إقامة مجلس الفاتحة على روح الفقيد باسم الحوزة العلمية العربية . وإثر ذلك أرسل سماحة الإمام قدس سره مجموعة من رجال العلم يتقدّمهم نجله المرحوم السيد أحمد إلى المجلس العام الذي كان يعقده شيخنا رحمه الله في داره في محلّة العمارة لتقديم الشكر والإمتنان .

ونترك الحديث للشيخ محمد رضا النعماني ليبيّن لنا طبيعة العلاقة التي كانت تربط شيخنا الفقيد رحمه الله بالشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره ، قال : كان شيخنا

محمد حسين حرز الدين - طيّب الله رمسه - من المقرّبين من السيّد الشهيد الصدر قدس سره وكان الشهيد يهتم به غاية الاهتمام ، يقرّب مجلسه منه ويوليه الكثير من الاحترام والتبجيل . وكنت أشعر أنّ للفقيد رحمه الله مكانة خاصة في قلب الشهيد الصدر ، فهو يتفقّده ويسأل عنه ويزوره في بيته كلّما سنحت له الفرصة . ورغم الخطورة البالغة التي كان يتعرّض لها كلّ من يتّصل بالسيّد الشهيد الصدر قدس سره من قبل رجال أمن النظام الحاكم إلاّ أنّ الشيخ الفقيد رحمه الله كان بإيمانه وشجاعته لايمتنع من التردّد على مجلس الشهيد الصدر وزيارته ودعم مرجعيّته مع علمه أنّ شيبته وكبر سنّه ومكانته الدينية والإجتماعية لن تشفع له من بطش النظام وانتقامه . وقد كان رحمه الله أحد رجال العلم المعدودين الذين زاروا الشهيد الصدر في الأيام الأخيرة التي خفّف فيها الحصار المضروب على داره وسبقت تنفيذ حكم الإعدام بحقّه بفترة قليلة ، وإثر انتهاء هذه الزيارة وخروجه من دار السيّد الشهيد الصدر أوقف من قبل رجال الأمن السرّي لاستجوابه والتحقيق معه .

وفاته

توفي شيخنا الفقيد محمد حسين حرز الدين رحمه الله عند غروب الشمس ١٨ محرّم عام ١٤١٨هـ، ورثاه عدد من الشعراء وأرّخوا وفاته .

لا ينقضي الحُزْنُ على راحلٍ   قد كان صافي النفس أوّابا
محمد الحسين لمّا مضى   أرّختُ (حِرْزُ الدّين قد غابا)

عبد الرزّاق حرز الدين

تقديم المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللّهم على ما أرشدتنا إلى صراطك المستقيم ، وهديتنا إلى سبيلك بنبيّك الكريم ، وغرست في قلوبنا محبّة العترة الطاهرة ، صلواتك على نبيّك وعليهم أجمعين .

وبعد ، فإنّ الأمم السالفة والحاضرة تفخر بآثارها وبقاعها المقدّسة كالتي عُبدَ الله تعالى عليها ، أو التي احتضنت رمْسَ نبيّ مرسل أنقذ أمّته من الجهل وعبادة الأوثان ، أو ضمّت وصيَّ نبيّ سلك بقومه المحجّة البيضاء ، أو عالماً أنار الطريق لبلده بعلمه وتعاليمه القيِّمة ، أو مصلحاً حرَّرَ شعبه من التخلّف والتبعيّة والاستعباد . وكان من هذه البقاع المقدّسة مدينة النجف الأشرف التي ضمَّت عظام نبيِّ الله آدم أبي البشر ، وبدن نوح النبيّ عليهما السلام ، ثمّ سَعُدت وتشرّفت باحتضان جثمان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

هذا وقد طلب منّي الزعيم الديني المطاع ومن يهمّه أمر النجف الأشرف أن أكتب عن هذا البلد المقدّس ما يليق بشأنه ، فرأيتُني أقصر باعاً عن تأدية ما يجب أن يُرسم عنه . وما عسى أن أكتب عن بلدٍ دوّى صداه في الخافقين . ورأيت حينها أن يُرسل رجال خبراء إلى مكتبات تركيا وإيران لسبق صراع الدولتين طيلة قرون مضت على حكم العراق بصورة عامة وعلى النجف الأشرف بصورة خاصة ، كي يقتطفوا منها ما يناسب المقام ففيها الشيء الكثير عمّا نحن بصدده ، ولم أجد لهذا الطلب اهتماماً ، وأُهمل الأمر . إلاّ أنّه قد استوعبت منّي هذه الفكرة جميع مشاعري ، فاستعنت الله تعالى فأعانني لأشرع مستقلاً بهذا الموضوع الخطير ، فعكفت حفنة من السنين باذلاً قصارى جهدي باحثاً في خزائن المخطوطات التي حفلت بها مكتباتنا العامة والخاصة بالإضافة إلى الكتب المطبوعة .

على أنّني لم أقتصر في هذا البحث على تاريخ مدينة النجف الأشرف بالخصوص بل تعدّاه إلى تاريخ موضع النجف العام والذي اشتقّ منه اسم المدينة وعُرفت به ، مع أنّ الهدف الأساس كان تاريخ هذه المدينة المقدّسة .

وقد قمت بهذه الخدمة وفاءً لبلدي العزيز ومسقط رأسي ، بلد البطولات والتضحيات ، مشهد الإمام أمير المؤمنين علي عليه‌السلام .

وإنّي لأرجو من العليّ القدير أن يتقبّل منّي هذه الخدمة ، وينفع بها الناس جميعاً ، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

النجف الأشرف

محمد حسين حرز الدين المُسْلمي العُقَيْلي

٥ رمضان المبارك ، سنة ١٣٩٨ هـ

الفصل الأول

النجف في اللغة

سبب تسمية النجف

أسماء النجف

عروبة النجف

النجف في اللغة

"النَجَف" و"النَجَفَة" بالتحريك ، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ، والجمع : نجاف . والنجاف أيضاً : العتبة ، وهي أسكفة الباب .[٥]

و"النَجَف" بالتحريك ، هو بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها .[٦]

و"النَجَفَة" بالتحريك ، تكون في بطن الوادي شبه جدار ليس بعريض له طول منقاد من بين معوج ومستقيم لا يعلوها الماء وقد يكون في بطن الارض . وقد يقال لأبط الكثيب : نجفة الكثيب ، وهو الموضع الذي تصفقه الرياح فتنجفه فيصير كأنّه جرف منخرق .[٧]

وقال ابن سيده : "النجف" و"النجاف" شيء يكون في بطن الوادي شبيه بنجاف الغبيط جدّاً ، وليس بحدّ عريض ، له طول منقاد من بين معوجّ ومستقيم الماء . و"النجفة" شبه التل .[٨]

وكان ظهر الكوفة يقال له "اللّسان" وفي قول العرب : "أدلع البرّ لسانه في الرّيف" ، فما كان يلي الفرات فهو "الملطاط" وما كان يلي الظهر فهو "النِّجاف" .[٩]

---

(٥) الصحاح : ١٤٢٩/٤ .

(٦) معجم البلدان : ٢٧١/٥ .

(٧) معجم البلدان : ٢٧١/٥ .

(٨) المخصص : ٢٥/١٤ .

(٩) عيون الأخبار : ٢١٨/١ .

وقال ابن شميل : "النجاف" الذي يقال له الدوارة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى الأسكفة ، والنجاف : العتبة ، وهي أسكفة الباب . وفي الحديث : "فيقول : أي رب ، قدّمني إلى باب الجنّة فأكون تحت نجاف الجنّة" . قيل : هو أسكفة الباب .[١٠]

وقال الأندلسي : و"النجف" - بلا هاء - موضع معروف بالكوفة . قال الكميت :

فياليت شعري هل أبصِرنّ بالنجف الدهر حُضّارها[١١]

سبب تسمية النجف

بعد استقصائنا للمصادر وجدنا أنّ هناك ثلاثة أقوال منقولة في سبب تسمية هذه البقعة من الأرض بالنجف ، وسنعرض لرأيين آخرين :

١- روى الشيخ الصدوق - بسند واه - عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام ، قال :

إنّ النجف كان جبلاً عظيماً وهو الذي قال ابن نوح : ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[١٢] ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه ، فأوحى الله عز وجل إليه : "ياجبل أيعتصم بك منّي" ، فتقطّع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام ، وصار رملاً دقيقاً ، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً . وكان يسمى ذلك البحر بحر "ني" ثمّ جفّ بعد ذلك فقيل : "ني جف" فسمّي بـ"نيجف" ثمّ صار بعد ذلك يسمونه "نجف" لأنّه كان أخفّ على ألسنتهم .[١٣]

وقال العاصمي في قوله تعالى : ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يعني به النجف جبلاً لم يكن على وجه الأرض أعظم منه ارتفاعاً ، فأوحى الله إليه أيعتصم بك منّي فتقطّع الجبل وصار رملاً دقيقاً وانخفض مكانه ، فصار بعد أن نضب الماء بحراً فسمّي ذلك البحر "ني" ثمّ جفّ بعد ذلك فقيل "ني جف" فخفّفه الناس "نجف" .[١٤]

---

(١٠) لسان العرب : ٣٢٣/٩.

(١١) معجم ما استعجم : ٤/ ١٢٩٩ .

(١٢) سورة هود : الآية ٤٣ .

(١٣) علل الشرايع : ٣١/١ .

(١٤) سمط النجوم العوالي : ١٤٩/١ .

وقد أشار الدكتور مصطفى جواد إلى هذه الرواية بقوله : وهناك من الأخبار التي توردها بعض الكتب الدينية والتي يتناقلها الناس عن بحر النجف وهو أنّه كان يسمّى بـ"بحر النّي" فلمّا جفّ "النّي" على حدّ قولهم ، قالوا : "النّي جف" ثمّ مالبثت الياء أن سقطت في الاستعمال تخفيفاً فصارت "نجفاً" ومن هنا جاء اسم "النجف" .

ثمّ قال : ومثل هذا الخبر والرواية التي أوردتها بعض الكتب تفتقر إلى كثير من الأدلّة لتصبح مقبولة .[١]

أقول : إنّ وجه تسمية النجف بهذا المعنى أو ما يقاربه لم ينحصر بالكتب الدينية ، فقد ذكر العلاّمة أبو المظفر سبط ابن الجوزي عند وصف الفرات مايعضده - وهو القول الثاني في سبب التسمية .

٢- عن سبط ابن الجوزي : يقال إنّ اسم هذا المكان "نج" وكانت الحيرة يستقون منه الماء . فأصبحت امرأة لتستقي فرأته يابساً ، فقالت : "نج جف" . ثمّ خفّفوه ، فقيل : "نجف" .[٢]

٣- قال ابن شهر آشوب : زعم أهل العراق في حديث النجف إنّه كانت بحيرة تسمّى "إن جف" من كثرة خريرها ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : "أن جف" ، فسمّي النجف .[٣]

٤- والمرجّح أنّ أحد المعاني اللغوية العربية لكلمة "النجف" هو المرجع في تسمية النجف بهذا الاسم ، وذلك لشكل أرض النجف الطبيعي المرتفع عمّا حولها والمطل على ساحل بحر النجف القديم ، وقد ذكرت كتب اللغة أنّ النجف : مكان لايعلوه الماء مستطيل منقاد .[٤] أو هو : علوّ من الأرض وغلظ .[٥] والنجف : غلظ في الأرض مرتفع وبه سمي هذا الموضع .[٦]

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ١٢/١ .

(٢) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : ١/ ٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ١٥٧/٢ .

(٤) الصحاح : ١٤٢٩/٤ . المخصّص : ٢٥/١٤.

(٥) الجبال والأمكنة والمياه : ١٤٤ .

(٦) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ٤٥٣/١ .

٥- وقد يظهر أنّ السبب في هذه التسمية هو معنى آخر من المعاني اللغوية لكلمة النجف ، وذلك لموقع أرض النجف الجغرافي بين السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية ، والذي يشبه في موقعه إلى حدّ كبير عَتَبَة الباب كحدّ فاصل بين مكانين خارجي وداخلي ، وقد ورد في اللغة أنّ النجف أو النجاف تعني "أسكفة الباب" أي عَتَبَة الباب العليا[١] فالنجف تعني "عَتَبَة الصحراء" أو "عَتَبَة أرض العراق" ، ولعلو موقع النجف اختصّ بهذا الاسم تمييزاً له عن غيره من المنافذ المؤدّية من وإلى أرض العراق .

ويدعم هذا المعنى ما ورد في نصوص تاريخية لاتحصى أنّ أرض النجف كانت محلاّ لتلقّي الركبان حين ورودها أرض العراق ، ولتوديع المسافر والحاج .

قال الطبري في أحداث سنة ٢٣٦هـ : وفيها حجّ محمد المنتصر وحجّت معه جدّته شجاع أمّ المتوكّل فشيّعها المتوكّل إلى النجف .[٢]

أخرج الخطيب البغدادي : عن بشر بن الحارث ، قال : كان أبو جعفر الرازي صديقاً لسفيان الثوري ، وكان له معه بضاعة ، وكان يكثر الحج ، فكان إذا قدم الكوفة تلقّاه سفيان إلى القنطرة ، وإذا خرج إلى مكة شيّعه إلى النجف .[٣]

وأخرج ابن أبي شيبة : عن إبراهيم ، قال : كان علقمة إذا خرج حاجّاً أحرم من النجف ، وقصّر .[٤]

وأخرج محمد بن الحسن الشيباني : عن إبراهيم ، أنّ ابن مسعود رضي الله عنه ردّ المتوفى عنهنّ أزواجهن من ظهر النجف . كنّ خرجن حجّاجاً في عدّتهن .[٥]

وستأتي الكثير من الشواهد على هذا المعنى في طيّات كتابنا .

---

(١) لسان العرب ، والقاموس المحيط : مادة (نجف) .

(٢) تاريخ الطبري : ٣٦٦/٧ .

(٣) تاريخ بغداد : ١٤٧/١١ .

(٤) المصنف : ٣٣٤/٢ .

(٥) كتاب الآثار : ١٤٢/١ .

أسماء النجف

ورد في التاريخ والأثر أنّ للنجف أسماء كثيرة ، منها ما تعمّ موضعه ، ومنها أسماء تندرج فيه لمواضع خاصة منه ، وهي :

١- النجف

تقدّم الكلام عن معنى النجف في اللغة ، وسبب تسميتها بهذا الاسم .

٢- الغـري

الغريّان بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش أحد ملوك الحيرة ، كما سيأتي الكلام عنهما في المواضع العامة في النجف . وإنّما ذكروا الغري مفرداً ، أو كنّوا عن التثنية بالواحد ، لأسباب :

الأول : إنّ التسمية جاءت من هدم أحد الغريين ، فقد ورد أنّ المنصور الدوانيقي أمر بهدم أحد الغريَّين لكنز توهّم أنّه تحتهما فلم يجد شيئاً .[1]

ومرَّ معن بن زائدة الشيباني بالغريَّين فرأى أحدهما وقد شعث وهدم ، فأنشأ يقول :

لو كان شيء له أن لا يبيد على ... طول الزمان لما باد الغريّان

ففرّق الدهر والأيّام بينهما ... وكلّ إلفٍ إلى بَينٍ وهجران[2]

الثاني : طلباً للخفّة ، ومن ذلك قول عزّ الدين بن أبي الحديد المعتزلي في عينيّته :

يا برق إن جئت الغري فقل له ... أتراك تعلم من بأرضك مُودع

فيك ابن عمران الكليم وبعده ... عيسى يقفّيه وأحمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال وإسـ ... ـرافيل والملأ المقدّس أجمع

بل فيك نور الله جلّ جلاله ... لذوي البصائر يستشفّ ويلمع

---

(١) نهاية الإرب في فنون الأدب : ٣٧٤/١.

(٢) معجم البلدان : ٢٠٠/٤ .

الثالث : إنّما قيل للنجف "الغري" لحُسنه لأنّ الغري في اللغة هو الحَسن من كلّ شيء حتى قالت العرب : "هذا رجل غَريّ الوجه" إذا كان حسناً مليحاً .(١) وللسبب ذاته كانت العرب تسمّي النجف في الجاهلية "خدّ العذراء" لأنّه يُنبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق التي حماها النعمان بن المنذر فنسبت إليه .(٢)

٣- المشهد

"الـمَشْهَد" : الـمَجْمَعُ من الناس ، و"الـمَشْهَد" : مَـحْضَر الناس . و"مَشَاهِد مكّة" : الـمواطن التـي يجتمعون بها .(٣)

و"الـمَشْهَد" من أسماء النجف الأشرف ، لاجتماع الناس عند مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وغير خفي أنّ مراقد الأئمة المعصومين عليهم السلام كلّها مشاهد لهم ، يحضر فيها الزائرون من جميع الأقطار القريبة والبعيدة . إلاّ أنّ استعمال المشهد في حرم علي عليه السلام أكثر وأشهر وأظهر الأفراد من أقدم العصور . ومن قال باختصاص المشهد في الحرم العلوي فهو غير حايد عن العرف العام .

قال علي بن أبي بكر العلوي الشهير بالسائح الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ : باطنة النجف به مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .(٤)

وقال في موضع آخر : باطنة النجف مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعنده جماعة من العلويين والأشراف .(٥)

وقال الحسن بن محمد الديلمي : كان لمشهد علي في النجف أهمية تفوق أهمية بقية المشاهد الشريفة عند الشيعة الإمامية .(٦)

---

(١) معجم البلدان : ١٩٦/٤ .

(٢) فتوح البلدان : ٢٧٧/١ . الأغاني : ١٥٦/١٢ .

(٣) لسان العرب : مادة (شهد) .

(٤) الإشارات إلى معرفة الزيارات : ٨٤ .

(٥) نفس المصدر : ٧٧ .

(٦) إرشاد القلوب : ٢٣١/٢ .

وقد ورد تسميته بمشهد علي عليه السلام قبل ظهور المرقد المطهّر إلى الملأ كما هي بعد ظهوره وتشييده . فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عند زيارته لمرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ومعه صفوان الجمّال ، فقال لصفوان : "ها هنا والله مشهد أمير المؤمنين عليه السلام" . ثمّ خطّ تخطيطاً ، فقلت : يا بن رسول الله ما منع الأبرار من أهل بيته من إظهار مشهده ؟!. قال : "حذراً من بني مروان والخوارج أن تحتال في أذاه" .(١)

٤- الظَّهْر

الظَّهْرُ من الأَرض : ما غلظ وارتفع ، والبطن ما لانَ منها وسَهُلَ ورَقَّ واطْمَأنّ .(٢) وسمّيت النجف بهذا الاسم لارتفاع أرضها عمّا حولها . وطول هذا الظهر بمقدار طول البحر ، وعرضه ما بين السدير والثويّة .(٣)

روى السيّد ابن طاووس ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث حدّث به : أنّه كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام : "أن أخرجوني إلى الظَّهْر فإذا تصوّبت أقدامكم فاستقبلتكم ريح فادفنوني ، وهو أوّل طور سيناء ففعلوا ذلك" .(٤)

وأخرج أبو الفرج الأصفهاني ، عن الحسن بن علي الخلاّل ، عن جدّه ، قال : قلت للحسن بن علي : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟ قال : خرجنا به ليلاً حتى مررنا على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا إلى الظَّهْر بجنب الغري .(٥)

٥- ظهر الكوفة

قال الأزهري : والنجفة التي بظهر الكوفة ، هي كالمسنّاة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها .(٦)

---

(١) فرحة الغري : ٧٦..

(٢) لسان العرب : مادة (ظهر) .

(٣) تاريخ نجف وحيرة (فارسي) : ١٦٠ .

(٤) فرحة الغري : ٣٩.

(٥) مقاتل الطالبيين : ٢٦ .

(٦) لسان العرب: مادة (نجف) .

وأخرج الديلمي ، عن أحمد بن جابر ، قال : نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظهر الكوفة ، فقال : "ما أحسن منظركِ وأطيب قعركِ ، اللّهمّ اجعل قبري بها" .[١]

٦- ظهر الحيرة

أخرج أبو الفرج الأصفهاني ، عن الشرقي بن القطامي ، قال : كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد أحدهما خالد بن المضلّل والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يحفر لكلّ واحد حفيرة بظهر الحيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمّه . ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريّين عليهما .[٢]

وقال الطبري في سبب بناء قصر الخورنق : إنّ يزدجرد الأثيم بن بهرام كرمان شاه ابن سابور ذي الأكتاف كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل بريء مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدلّ على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكناً له وأنزله إيّاه .[٣]

٧- نجف الكوفة

أخرج أبو العباس عبد الله الحميري ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، قال : سألت الرضا عليه السلام عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : "ما سمعت من أشياخك" ؟. فقلت له : حدّثنا صفوان بن مهران عن جدّك ، أنّه دفن بنجف الكوفة .[٤]

وأخرج الشيخ الصدوق ، عن محمد بن عثمان العمري ، قال : سمعت أبي يقول : سئل أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام :

---

(١) إرشاد القلوب : ٢/ ٢٣٨.

(٢) الأغاني : ٩١/٢٢.

(٣) تاريخ الطبري : ٤٩٩/١ .

(٤) قرب الإسناد : ٣٦٧.

"إنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة ، وإنّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" ، فقال عليه السلام : "إن هذا حق كما أنّ النهار حق" ، فقيل له : يا ابن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك ؟ فقال ابني محمد ، هو الإمام والحجّة بعدي ، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المبطلون ، ويكذب فيها الوقّاتون ، ثمّ يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة .[1]

وأخرج الشيخ الصدوق ، عن أبان بن تغلب ، قال : حدّثني أبو حمزة الثمالي ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : كأنّي أنظر إلى القائم عليه السلام قد ظهر على نجف الكوفة ، فإذا ظهر على النجف نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله .[2]

٨- نجف الحيرة

قال خليفة بن خياط : ولد علي بمكّة في شعب بني عبد المطلب ، وقتل بالكوفة وصلّى عليه الحسن ابنه ، ودفن في رحبة الكوفة ، ويقال : بنجف الحيرة .[3]

وقال المزي في ترجمة أمير المؤمنين علي عليه السلام : واختلف في موضع دفنه ، فقيل : دفن في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل : دفن في رحبة الكوفة ، وقيل : دفن بنجف الحيرة موضع بطريق الحيرة .[4]

وقال ابن حجر في ترجمته عليه السلام : وقيل : دفن في قصر الإمارة ، وقيل : في رحبة الكوفة ، وقيل : بنجف الحيرة .[5]

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة : ٤٠٩ .

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة : ٦٧٢ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط : ١٥٢ .

(٤) تهذيب الكمال : ٤٨٨/٢٠ .

(٥) تهذيب التهذيب : ٢٩٧/٧ .

وأخرج ابن قولويه ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إنّي لمّا كنت بالحيرة عند أبي العباس كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً وهو بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعمان ، فأصلّي عنده صلاة الليل وأنصرف قبل الفجر .[١]

٩- النجفة

النجفة : شبه التل . قال الأزهري : والنجفة التي بظهر الكوفة ، وهي كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها .[٢]

وقال العبدري : لمّا قدم خالد بن الوليد العراق نزل بالجرعة ، بين النجفة والحيرة .[٣]

١٠- الملطاط

قال الأصمعي : "الملطاط" ساحل البحر ، وأنشد لرؤبة :

نحـــن جمعنـــا النـــاس بالملطـــاط   فأصـــبحوا فـــي ورطـــة الأوراط

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "هذا الملطاط طريق بقيّة المؤمنين هراباً من الدجّال" .[٤]

وقال الجوهري : "الملطاط" حافّة الوادي وشفيره ، وساحل البحر .[٥]

وقال ابن الأثير : في حديث ابن مسعود "هذا الملطاط طريق بقيّة المؤمنين" هو ساحل البحر . ذكره الهروي في اللام ، وجعل ميمه زائدة . وذكره أبو موسى في الميم ، وجعل ميمه أصليّة .[٦] قال عدي بن زيد :

هَـــيّج الـــداء فـــي فـــوادك حـــور   ناعمـــات بجانـــب الملطـــاطِ

---

(١) كامل الزيارات : ٨٧.

(٢) لسان العرب : مادة (نجف) .

(٣) معجم البلدان : ١٢٨/٢ .

(٤) غريب الحديث : ٢٩/٢ .

(٥) الصحاح : ١١٥٦/٣ .

(٦) النهاية في غريب الحديث : ٣٥٧/٤.

آنسات الحديث في غير فُحشٍ — رافعات جوانب الفسطاط
ثانياتٌ قطائف الخزّ والديباج — فوق الخدور والأنماط
موقراتٌ من اللحوم وفيها — لُطفٌ في البنان والأقساط
شدَّ ما ساءنا حُداة تولّوا — حين حثوا نعالها بالسياط
فرّق الله بينهم من حُداةٍ — واستفادوا حُمّيً مكان النشاط
مثل ما هيّجوا فؤادي فأمسى — هائماً بعد نعمةٍ واغتباط

وقال عاصم بن عمرو في أيام خالد بن الوليد لمّا فتح السواد وملك الحيرة :

جلبنا الخيل والإبل المهارى — إلى الأعراض أعراض السواد
ولم تر مثلنا كرماً ومجداً — ولم تر مثلنا شنخاب هاد
شَحنّا جانب الملطاط منّا — بجمع لا يزول عن البعاد
لزمنا جانب الملطاط حتى — رأينا الزرع يُقمع بالحصاد
لنأتي معشراً أَلَبُوا علينا — إلى الأنبار أنبار العباد[1]

١١- اللّسان

قال ابن قتيبة : إنّ ظهر الكوفة كان يقال له "اللسان" . وفي قول العرب : "أدلع البرّ لسانه في الرّيف" .[2]

ونقل ياقوت الحموي عن ابن النجار في "كتاب الكوفة" ، قال : وكان يقال لظهر الكوفة : "اللّسان" .[3]

وقال الحموي : في "كتاب الفتوح" كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح بشهرين ، ثمّ قدم زهرة بن حوية إلى العراق واللّسان لسان البرّ الذي أدلعه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم . قالوا : ولمّا أراد سعد تمصير الكوفة أشار عليه من رأى العراق

---

(١) معجم البلدان : ١٤٩/٨ .

(٢) عيون الأخبار : ٢١٨/١ .

(٣) معجم البلدان : ١٩٢/٥ .

من وجوه العرب باللّسان ، وظهر الكوفة يقال له "اللّسان" وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الجراء . وكانت العرب تقول : "أدلع البرّ لسانه في الريف" .

قال عدي بن زيد :

ويـــح أمّ دار حَلَلْنـــا بهـــا ... بيـــن الثويّـــة والمردمـــه

بريـــة غرســـت فـــي الســـواد ... غـــرس المـــضيغة فـــي اللهزمـــه

لـــسان لعربـــة ذو ولغـــة ... تولـــغ فـــي الريـــف بالهندمـــه[1]

١٢- خـدّ العذراء (العذارى)

ذكره البلاذري ، وقال : حدّثني حفص بن عمر العمري ، قال : حدّثني الهيثم بن عدي الطائي ، قال :

أقام المسلمون بالمدائن واختطّوها وبنوا المساجد فيها ثمّ إنّ المسلمين استوخموها واستوبؤها ، فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غريباً ، فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها ، فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى "خدّ العذراء" يُنبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطّوها .[2]

وأخرج المتّقي الهندي ، عن الشعبي : أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص أن اتّخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ، فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالناس فخطّ مسجدها وخطّ فيها الخطط . قال الشعبي : وكان ظهر الكوفة يُنبت الخزامى والشيح والأقحوان وشقائق النعمان ، وكانت العرب تسمّيه في الجاهلية "خدّ العذارى" ، فارتادوا فكتبوا إلى عمر بن الخطاب ، فكتب أن أنزلوه ، فتحوّل الناس إلى الكوفة .[3]

---

(١) معجم البلدان : ٥/١٦ .

(٢) فتوح البلدان : ١/٢٧٧ .

(٣) كنز العمال : ١٤/١٧٠ .

١٣- الرحى

ذكره الخليل الفراهيدي ، قال : "الرحى" قطعة من النجف تعظم من نحو ميل مشرفة على ما حولها .(١)

١٤- بانِقيا

هي أرض بالنجف دون الكوفة . كذا ذكرها الأندلسي ، وأنشد للأعشى :

فما نيل مصر إذ تسامى عُبابُه ... ولا بحر بانقيا إذا راحَ مفعما

وقال أيضاً :

قد طفت ما بين بانقيا إلى عدن ... وطال في العجم ترحالي وتسياري

وقال أحمد بن يحيى ثعلب في شرحه لشعر الأعشى ، عند ذكر هذا البيت : سبب بانقيا الذى سمّيت به ، أنّ إبراهيم ولوطاً عليهما السلام مرّا بها ، يريدان بيت المقدس مهاجرين ، فنزلا بها ، وكانت تزلزل في كلّ ليلة ، وكانت ضخمة جدّاً ، فراسخ ، فلمّاً باتا بها لم تزلزل ، فمشى بعضهم إلى بعض ، تعجّبا من عافيتهم في ليلتهم . فقال صاحب منزل إبراهيم : ما دفع عنكم إلا بشيخ بات عندي ، كان يصلّي ليله ويبكى ، فاجتمعوا إليه ، فسألوه المقام عندهم ، على أن يجمعوا له من أموالهم ، فيكون أكثرهم مالاً ، فقال : لم أومر بذلك ، وإنّما أُمرت بالهجرة . فخرج حتى أتى النجف ، فلمّا رآه رجع أدراجه ، فتباشروا برجوعه ، وظنّوا أنّه رغب فيما عندهم ، فقال : لمن تلك الأرض - يعني النجف ؟. قالوا : لنا . قال : فتبيعونيها ؟. قالوا : هي لك ، فوالله ما تُنبت شيئاً . فقال : لا أُحبّ إلاّ أن تكون شراء ، فدفع إليهم غنيمات كنّ معه ، والغنم بالنبطية يقال لها : "نقيا" . وذكر إبراهيم عليه السلام إنّه يُحشر من ولده من ذلك الظهر سبعون ألف شهيد . فاليهود تنقل موتاها إلى بانقيا ، لمكان هذا الحديث .(٢)

---

(١) كتاب العين : مادة (رحى) .

(٢) معجم ما استعجم : ٢٢٢/١ .

ولم تزل "بانقيا" باقية من عهد إبراهيم عليه السلام حتى عصر خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان أكثر سكّانها من اليهود . كما سيأتي اعتقاد اليهود في فضل دفن الموتى بالنجف لأخبار يجدونها في كتبهم واحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك .

قال ابن أبي الحديد : وسخط علي عليه السلام مرّة على شريح القاضي فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ، وأمره بالمقام ببانقيا - وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر سكّانها اليهود - فأقام بها مدّة ، حتى رضي عنه وأعاده إلى الكوفة .[١]

وكان سخط أمير المؤمنين عليه السلام على شريح بسبب ما قضاه في قصّة الدرع .

أخرج أبو نعيم ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، قال : وجد علي بن أبي طالب درعاً له عند يهودي التقطها فعرفها ، فقال : درعي سقطت عن جمل لي أورق . فقال اليهودي : درعي وفي يدي . ثمّ قال له اليهودي : بيني وبينك قاضي المسلمين فأتوا شريحاً فلمّا رأى علياً قد أقبل تحرّف عن موضعه وجلس علي فيه . ثمّ قال علي : لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس ولكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

" لا تساووهم في المجلس والجؤوهم إلى أضيق الطرق فإن سبّوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم" . ثمّ قال شريح : ما تشاء يا أمير المؤمنين ، قال : درعي سقطت عن جمل لي أورق والتقطها هذا اليهودي . فقال شريح : ما تقول يا يهودي ؟. قال : درعي ، وفي يدي . فقال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين إنّها لدرعك ، ولكن لا بدّ من شاهدين فدعى قنبراً مولاه والحسن بن علي وشهدا أنّها لدرعه . فقال شريح : أمّا شهادة مولاك فقد أجزناها وأمّا شهادة ابنك لك فلا نجيزها . فقال علي : ثكلتك أمّك أما سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة" . قال : اللّهم نعم . قال : أفلا تجيز شهادة

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٩/١٤ .

سيّد شباب أهل الجنّة ، والله لأوجّهنك إلى بانقيا تقضي بين أهلها أربعين يوماً . ثمّ قال لليهودي : خُذ الدرع . فقال اليهودي : أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه ورضي ! . صدقت والله يا أمير المؤمنين إنّها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها . أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله . فوهبها له علي وأجازه بتسعمئة ، وقتل معه يوم صفين .(١)

وروى الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، قال : قال علي عليه السلام لشريح ، وقد قضى قضيّة نقم عليه أمرها : والله لأنفينّك إلى بانقيا شهرين تقضي بين اليهود ، قال : ثمّ قتل علي عليه السلام ومضى دهر ، فلمّا قام المختار بن أبي عبيد الثقفي ، قال لشريح : ما قال لك أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا ؟ قال : أنّه قال لي كذا ، قال : فلا والله لا تقعد ، حتى تخرج إلى بانقيا تقضي بين اليهود . فسيّره إليها فقضى بين اليهود شهرين .(٢)

وأخرج الكليني ، عن مهاجر ، عن رجل من ثقيف ، قال : استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بانقيا وسواد من سواد الكوفة ، فقال لي والناس حضور : اُنظر خراجك فجد فيه ولا تترك منه درهماً فإذا أردت أن تتوجّه إلى عملك فمر بي ، قال : فأتيته ، فقال لي : إنّ الذي سمعت منّي خدعة !! . إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهوديّاً أو نصرانيّاً في درهم خراج أو تبيع دابّة عمل في درهم ، فإنّما اُمرنا أن نأخذ منهم العفو .(٣)

١٥- دُومة الكوفة

قال البكري الأندلسي : و"دُومة الكوفة" هي النجف بعينه . قال حنين العبادي المغنّي :

أنـــا حنـــينٌ وداري النجــــف   ومـــا نـــديمي إلاّ الفتـــى القـــصف(٤)

---

(١) حلية الأولياء : ١٣٩/٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٩٨/٤ .

(٣) الكافي : ٥٤٠/٣ .

(٤) معجم ما استعجم : ٥٦٦/٢ .

١٦- دُومة (دوما)

قال عبد الرحمان السهيلي : "دُومة" هي عند الحيرة ، ويقال لما حولها النجف .(١)

وقال ياقوت الحموي : "دوما" بالكوفة ، والنجف محلّة منها . ويقال : اسمها "دومة" .(٢)

١٧- دُومة الحيرة

قال ياقوت الحموي : وقد روي أنّ أكيدر كان منزله أولاً بدومة الحيرة وهي كانت منازله ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب وإنّه لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدّمة لم يبق إلاّ حيطانها وهي مبنيّة بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسمّوها "دومة الجندل" تفرقة بينها وبين "دومة الحيرة" ، وكان أكيدر يتردّد بينها وبين دومة الحيرة .(٣)

قال لويس ماسينيون عند وصفه النجف : كان اسم النجف يطلق قديماً على الجزء المطل على البحيرة المالحة من ذلك اللّسان الذي تقع الكوفة في النقطة الشمالية الشرقية منه في جهة الفرات ، وهذه الذروة صارت في عصر اللّخميّين تسمّى بالغري حيث كان الأمير ماء السماء قد نصب عليها عمودين (الغريّين) وعلى مقربة منها تأسّست القرية المسيحيّة التي سمّيت بدومة الحيرة .(٤)

١٨- الجرف

الجُرْف : عُرْضُ الجبل الأمْلَس . والجَرْف : هو الخِصْبُ والكَلأ المُلْتَفّ ، وأجْرَفَ الرجلُ إذا رَعى إبلَه في "الجَرْف" .(٥)

---

(١) الروض الأنف : ٣١٩/٢. الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٤٥ .

(٢) معجم البلدان : ٤٨٦/٢ .

(٣) معجم البلدان : ٤٨٨/٢ .

(٤) خطط الكوفة وشرح خريطتها : ١٣٠ .

(٥) لسان العرب : مادة (جرف) .

وكان موضع النجف يطلق عليه اسم "الجرف".

قال ياقوت الحموي : "الجرف" موضع بالحيرة كانت به منازل المنذر.[١]

وفي حديث أخرجه الشيخ الطوسي ، بإسناده ، عن مبارك الخبّاز ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : أسرجوا البغل والحمار - في وقت ما قدم وهو في الحيرة - قال : فركب وركبت حتى دخل "الجرف" ، ثمّ نزل فصلّى ركعتين ، ثم تقدّم قليلاً آخر فصلّى ركعتين ، ثمّ تقدّم قليلاً آخر فصلّى ركعتين ، ثمّ ركب ورجع ، فقلت له : جعلت فداك ما الأولتين والثانيتين والثالثتين ؟ قال : الركعتين الأولتين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام ، والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام.[٢]

١٩- الطَّف

الطَّف : ساحل البحر ، وفناء الدار . والطَّف : سفح الجبل أيضاً . والطفوف : جمع طَف ، وهو ساحل البحر وجانب البر.[٣] وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق ، قال الأصمعي : وإنّما سمّي طفّاً لأنّه دانٍ من الريف ، من قولهم : خُذ ما طَفَّ لك واسْتَطَفّ ، أي ما دنا وأمكن . وقال أبو سعيد : سمّي الطَّف لأنه مشرف على العراق ، من أطَفَّ بمعنى أطلّ.[٤]

والطَّفّ : أرض بادية قريبة من الريف فيها عدّة عيون ماء جارية ، منها : عين صيد والقُطْقُطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها[٥] ، وهي عيون كانت للموكّلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب.[٦]

---

(١) معجم البلدان : ١٢٨/٢ .

(٢) تهذيب الأحكام : ٣٤/٦ .

(٣) لسان العرب : مادة (طفف) .

(٤) معجم البلدان : ٣٥/٤ .

(٥) سيأتي الحديث عن هذه العيون ضمن موضوع "عيون النجف" .

(٦) معجم البلدان : ٣٥/٤ .

٢٠- المجاز

جزت الطريق وجاز الموضع جوزاً وجوازاً : سار فيه وسلكه .[١] وقد ورد أنّ المجاز من أسماء موضع مرقد أمير المؤمنين عليه السلام .

أخرج السيّد عبد الكريم بن طاووس بإسناده ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : مضى أبي علي بن الحسين إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام بالمجاز وهو من ناحية الكوفة ، فوقف عليه ثمّ بكى وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده ... .[٢]

٢١- الرّبوة

الرَّبْوَةُ والرُّبْوةُ والرِّبْوة : كلُّ ما ارْتَفَع من الأرض .[٣] وهي من أسماء النجف .

أخرج ابن قولويه ، بإسناده ، عن سليمان بن نهيك ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [٤] قال : "الربوة" نجف الكوفة ، و"المعين" الفرات .[٥]

وأخرج ابن عساكر ، عن محمد بن مسلم ، قال : سألت الصادق عن قول الله عزّ وجلّ :﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال : "الرّبوة" النجف ، و"القرار" المسجد ، و"المعين" الفرات ... .[٦]

٢٢- طور سيناء

"الطور" هو : الجبل . وقد ورد أنّ من أسماء النجف "طور سيناء" .

---

(١) لسان العرب : مادة (جوز) .

(٢) فرحة الغري : ٧٠ . بحار الأنوار : ٢٦٨/٩٧ .

(٣) لسان العرب : مادة (ربا) .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ٥٠ .

(٥) كامل الزيارات : ١٠٧ .

(٦) تاريخ مدينة دمشق : ٢١٣/١ .

روى السيّد ابن طاووس ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث حدّث به : إنّه كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام : "أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوّبت أقدامكم فاستقبلتكم ريح فادفنوني ، وهو أوّل طور سيناء ففعلوا ذلك" .[1]

٢٣- الجودي

هو اسم للجبل وضعت عليه سفينة نوح عليه السلام .

قال ابن رستة عند ذكر بابل : ويقال أنّ منها تفرّق ولد نوح عليه السلام ، وهذه قرينة أنّ الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام في النجف الأشرف كما ذكر أهل الحديث والتواريخ ، لأنّ النجف عن بابل سبعة فراسخ ، ففيه نزلت أولاد نوح ، ومنه تفرّقت .[2]

وقال العلاّمة المجلسي : ويظهر من بعض الأخبار أنّ الجودي كان بقرب الكوفة ، وربّما أشعر بعضها بأنّه الغري .[3]

وذكر الشيخ محمد بن طاهر السماوي في أرجوزته أنّ النجف كانت من الجودي .

وإنّها كانت من الجودي   أو هو هي في خبرٍ مروي[4]

٢٤- شاطئ البحر

٢٥- الجبل الأحمر

أخرج نصر بن مزاحم المنقري ، عن عمر بن سعد ، قال : حدّثني سعد ابن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال :

"ما يقول الناس في هذا القبر" ؟ - وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله .

فقال الحسن بن علي عليه السلام : يقولون هذا قبر هود النبي لمّا أن عصاه قومه جاء فمات ها هنا .

قال عليه السلام : "كذبوا لأنا أعلم به منهم ، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن

---

(١) فرحة الغري : ٣٩.

(٢) الأعلاق النفيسة : ١٠٨ .

(٣) بحار الأنوار : ٣٣٩/١١.

(٤) عنوان الشرف في وشي النجف : ٦ .

إبراهيم ، بِكر يعقوب" .

ثمّ قال : "ههنا أحد من مهرة"[(١)] ؟ قال : فأتي بشيخ كبير ، فقال له : "أين منزلك" ؟.

قال : على شاطيء البحر .

قال : "أين أنت من الجبل الأحمر" ؟.

قال : أنا قريب منه .

قال : "فما يقول قومك فيه" ؟.

قال : يقولون قبر ساحر .

قال : "كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب بِكره" .[(٢)]

أقول : والجبل الأحمر هو النجف بعينه ، ولم يزل قبر هود عليه السلام من الآثار المعروفة في النجف ، كما سيأتي الحديث عنه في المواضع الإسلامية في النجف .

٢٦- ساحل بحر الملح

قال اليعقوبي عند ذكره الكوفة : والحيرة منها على ثلاثة أميال ، والحيرة على النجف ، والنجف كان ساحل بحر الملح .[(٣)]

٢٧- وادي السلام

ورد في أخبار كثيرة أنّ "وادي السلام" هو اسم موضع في النجف في ظهر الكوفة ، منها مارواه الشيخ الطوسي ، بإسناده ، عن مروان بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

قلت له : إنّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت فيها ، قال : ما تبالي حيث ما مات أما إنّه لا يبقى أحد في شرق الأرض ولا في غربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السلام . قال : قلت : جعلت فداك وأين وادي السلام . ؟ قال : ظهر الكوفة ، أما إنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون .[(٤)]

---

(١) مَهَرة ، بالفتح ، ابن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهم حيّ من اليمن .

(٢) وقعة صفين : ١٢٦ .

(٣) كتاب البلدان : ٧٣.

(٤) تهذيب الأحكام : ٤٦٦/١ .

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يأتي النجف ويقول: "وادي السلام ومجتمع أرواح المؤمنين، ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان". وكان يقول: "اللّهم اجعل قبري بها".[(١)]

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "ما من مؤمن يموت في شرق الأرض أو غربها إلاّ وحشر الله روحه إلى وادي السلام". قيل أين وادي السلام؟ قال: "بين وادي النجف والكوفة".[(٢)]

وأخرج الحاكم النيساوري، عن قيس بن أبي حازم، قال: خرج حذيفة بن اليمان بظهر الكوفة ومعه رجل، فالتفت إلى جانب الفرات، فقال لصاحبه: كيف أنتم يوم تراهم يخرجون أو يخرجون منها لا يذوقون منها قطرة. قال رجل: وتظن ذاك يا أبا عبد الله؟. قال: ما أظنّه ولكن أعلمه.[(٣)]

وروى الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام".[(٤)]

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في صفة القائم عليه السلام: "كأنّني به قد عبر من وادي السلام إلى مسجد السهلة، على فرس محجّل، له شمراخ، يزهو ويدعو ...".[(٥)]

٢٧- مقبرة براثا

أخرج جعفر بن قولويه، عن أبي الحسن الحذّاء، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ إلى جانبكم مقبرة يقال لها: براثا، يُحشر منها عشرون ومئة ألف شهيد كشهداء بدر.[(٦)]

---

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها: ٧٨.

(٢) إرشاد القلوب: ٢/٢٣١.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٤/٥٤٦.

(٤) الكافي: ٣/١٣١.

(٥) دلائل الإمامة: ٤٥٨.

(٦) كامل الزيارات: ٥٤٦.

ويظهر من العلاّمة المجلسي أنّه فهم منها مقبرة النجف[(١)] ، وهو ما أشار له أيضاً العلاّمة صاحب الجواهر في باب استحباب نقل الموتى إلى المشاهد المشرّفة .[(٢)]

٢٨- الـثـويّـة

الثَّوِيَّةُ أو الثُّوَيَّةُ : موضع إلى جانب الكوفة كان أهل البدو يأتونه أيام الربيع ، وفيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم ، وفيه ماء .[(٣)]

وقال الفيروزآبادي : "الغريّان" هما بناءان مشهوران بالكوفة عند الثويَّة حيث قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .[(٤)]

وهي في لسان البَر الذي أدلعه في الريف ، قال عدي بن زيد :

ويـــــح أمّ دار حَلَلْنـــــا بهـــــا ... بيـــــن الثويّـــــة والمـردمـــــه

بريـــــة غرســـــت فـــي الـــسواد ... غـــرس المـــضيغة فـــي اللهزمـــه

لـــــسان لعربـــــة ذو ولغـــــة ... تولـــغ فـــي الريـــف بالهندمـــه[(٥)]

وقال الحموي : الثويَّة موضع قريب من الكوفة ، وقيل بالكوفة ، وقيل خريبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها ، ذكر العلماء أنّها كانت سجناً للنعمان بن المنذر ، كان يحبس بها من أراد قتله ، فكان يقال لمن حبس بها ثوى أي أقام ، فسمّيت الثوية بذلك .

قال عقال يذكر الثويّة :

ســـقينا عقـــالاً بالثويّـــة شـــربة ... فمـــالَ بلـــبٍّ الكـــاهليٍّ عقـــال

وذكرها أبو بكر محمد بن عمر العنبرى ، بقوله :

سل الركب عن ليل الثويّة من سرى ... أمـامهم يحـدو بهـم وبهـم حـادي[(٦)]

---

(١) بحار الأنوار : ٢٣٢/٩٧ .

(٢) جواهر الكلام : ٣٤٨/٤.

(٣) الجبال والأمكنة والمياه : ٣٠. وفيات الأعيان : ٥٠٦/٢ .

(٤) القاموس المحيط : مادة (غرا) .

(٥) معجم البلدان : ١٦/٥ .

(٦) معجم البلدان : ٨٧/٢.

وقال البكري الأندلسي : "الثَوِيَّة" موضع من وراء الحيرة ، قريب من الكوفة ، وكان سجناً بناه تُبَّع ، فكان إذا حبس فيه إنساناً ثوى فيه ، قال عدي بن زيد :

وبـــتن لـــدى الثويّـــة ملجمـــات وصـــبّحن العبـــاد وهـــنّ شـــيب

يعني : من النقع . ويروى : "الثُوَيَّة" ، على لفظ التصغير ، والأول أثبت في الرواية . وحكى أبو زيد أنّ الحجارة التي توضع حول البيت ، يأوي إليها المال ليلاً ، يقال لها : "الثاية" و"الثويَّة" معاً ، فقد يكون هذا الموضع المعروف يسمَّى بهذا .[١]

وسيأتي ذكر من دفن بالثوية في "المواضع الإسلامية في النجف" .

عـــروبة النجـــف

يندرج موضع النجف ضمن المناطق الشمالية الشرقية من جزيرة العرب أو بلاد العرب . فحدود جزيرة العرب - كما نقله الحمْيَري : ممّا يلي الشمال في الخط الذي يخرج من ساحل أيلة[٢] فيمر مستقبل الشرق في أرض مدين إلى تبوك ودومة الجندل إلى البلقاء وتيماء ومآب ، وهي كلّها من الشام ، ويمضي في وادي شيبان وتغلب وبكر ، ويتّصل بالكوفة والنجف والقادسية والحيرة ، وعن يمين هذا الخط ممّا يلي الجنوب أرض الحجر ووادي القرى وهي أرض ثمود وما دونها إلى الأغوار والتهائم والنجود إلى أن يصل إلى ساحل حضرموت . كلّ ذلك أرض العرب .[٣]

وتدلّ أحداث الحرب التي دارت بين جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد وبين أهل الحيرة ، أنّ النجف كانت عربية قبل بزوغ الإسلام ، وأنّ معظم أهلها كانوا من العرب وأنّ لغتهم العربية فقط . فعندما استولى المسلمون على قصور النجف عهدَ خالد ابن الوليد إلى أمرائه أن يدعو أهلها إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، الجزية ، المنابذة ، فاختاروا المنابذة . فلمّا دارت الدائرة على أهل القصور وأكثر المسلمون فيهم القتل نادى القسّيسون والرّهبان : يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم .

---

(١) معجم ما استعجم : ١/٣٥٠.

(٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) وهي آخر الحجاز وأول الشام . (معجم البلدان : ١/٢٩٢)

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار : ١٦٤ .

فنادى أهل القصور : يا معشرالعرب قد قبلنا واحدة من ثلاث ، فادعوا بنا وكفّوا عنّا حتى تبلغونا خالداً . فأرسلهم الرؤساء إلى خالد مع كلّ رجل منهم ثقة ليصالح عليه أهل الحصن ، فخلا خالد بأهل كلّ قصر منهم دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدي بن عدي ، وقال :

ويحكم ما أنتم ، أعرب ، فما تنقمون من العرب ، أو عجم ، فما تنقمون من الإنصاف والعدل ؟.

فقال له عدي : بل عرب عاربة ، وأُخرى متعرِّبة .

فقال : لو كنتم كما تقولون لما تحادّونا وتكرهون أمرنا .

فقال له عدي : ليَدلّك على مانقول إنّه ليس لنا لسان إلاّ العربيّة .

فقال : صدقت .(١)

وفي حديث آخر لخالد بن الوليد لمّا نزل بالنجف .

قال خالد : ابعثوا إليّ رجل من عقلائكم ، فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن حسّان بن بقيلة الغسّاني .

... قال خالد : أعَرَب أنتم أم نبط ؟. قال : نبط استعربنا وعرب استنبطنا ، قال : بحرب أم سِلْم ؟، قال : بل سِلْم ... .(٢)

والنبط قوم من جبلّة العرب وإن تبرّأ العرب منهم وعيّروا بهم وأبعدوا أنفسهم عنهم وعابوا عليهم لهجتهم حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم . وسبب ذلك هو أنّهم كانوا قد تثقّفوا بثقافة بني إرم وكتبوا بكتابتهم وتأثّروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرميّة عليهم ، ولأنّهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة والرعي وباحترافهم للحِرَف والصناعات اليدوية .(٣)

---

(١) تاريخ الطبري : ٣ / ٣٦٠ - ٣٦٢.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب : ٣١٥١/٧. تاريخ مدينة دمشق : ٣٦٥/٣٧ .

(٣) المفصّل في تاريخ العرب : ٥/٣ .

الفصل الثاني

موقع النجف الجغرافي ومساحته

نشوء النجف وتطوّر البناء فيه

أ/ النجف قبل ظهور المرقد المطهّر

ب/ النجف بعد ظهور المرقد المطهّر

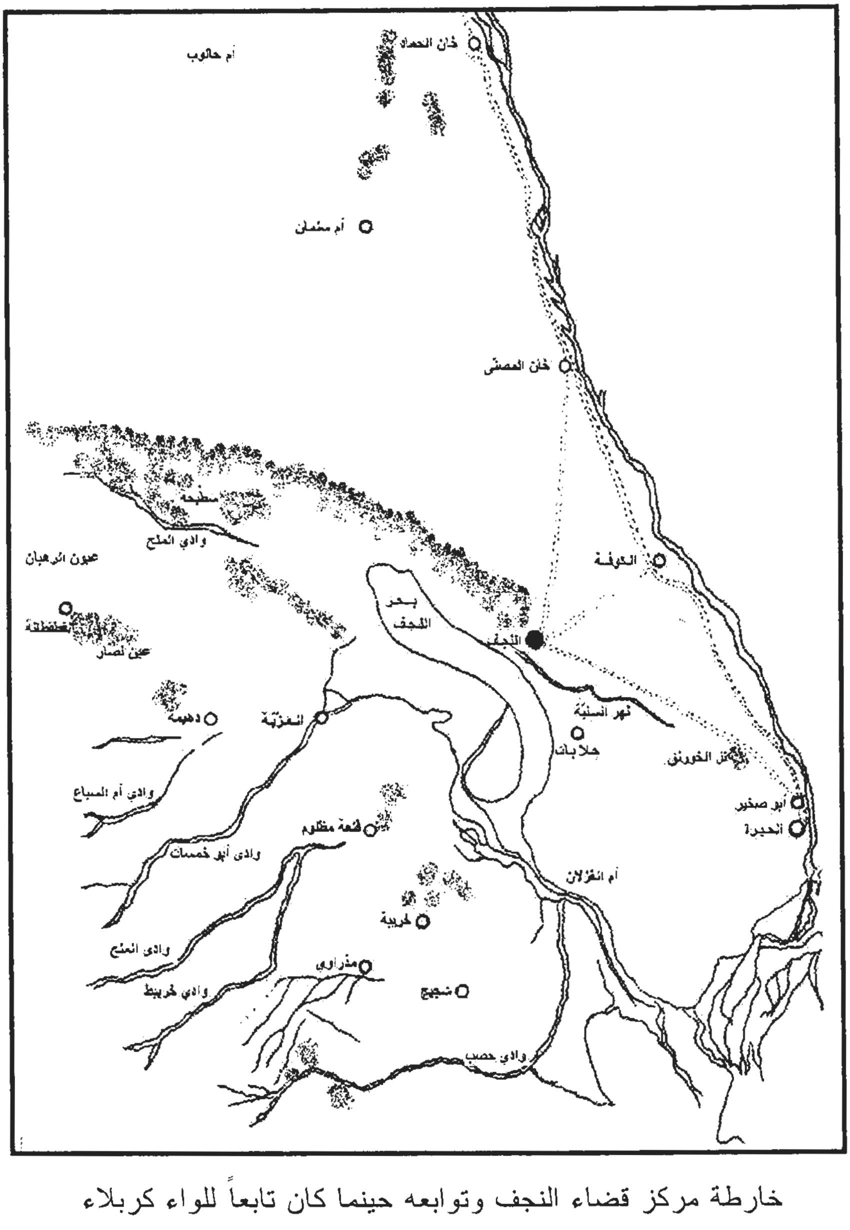
موقع النجف الجغرافي ومساحته

يقع موضع النجف العام في الجزء الجنوبي الغربي من وسط العراق ، غربي نهر الفرات . ويمكن تحديد موقعه في وقتنا الحاضر بين دائرتي عرض (٣١,٣٠ - ٣٢,١٠) شمالاً ، وخطّي طول (٤٣,٣٠ - ٤٤,٣٠) شرقاً . وتبلغ مساحته حوالي (٦,٧٦٠) كيلو متراً مربّعاً ، بضمنها مساحة منخفض بحر النجف التي تبلغ (٣٦٤) كيلو متراً مربّعاً . على أنّ البحر قد تغيّرت مساحته وساحله باستمرار ، وأنّ مساحته في القديم كانت أكبر من ذلك بكثير ، وبالتالي قد دخلت الكثير من المواقع الأثرية في موضع النجف العام ، فلاحظ .

وتقوم مدينة النجف الأشرف على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة ترتفع عن سطح البحر حوالي ٧٠ متراً .

وتقع النجف قديماً على الطريق البرّي بين بغداد ومكّة المكرّمة . بمسافة ٢٦٠ فرسخاً عن بغداد ، كما ذكره المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٥٠هـ .[١] وتبعد النجف اليوم عن جسر الكوفة ٩ كيلومترات ، وعن كربلاء ٨٥ كيلومتراً .

(١) نزهة القلوب (فارسي) : ٩ .



خارطة مركز قضاء النجف وتوابعه حينما كان تابعاً للواء كربلاء

نشوء النجف وتطوّر البناء فيه

أ / النجف قبل ظهور المرقد المطهّر

لعلّ أوّل عمارة أُنشأت في أرض النجف كانت في زمن الملك البابلي بختنصر حينما غزا العرب بحدود خمسة قرون ونصف قبل ولادة المسيح عليه السلام ، فبنى لمن ظفر به منهم بناءً على النجف ، ولمّا أطلقهم بختنصراتّخذوا ذلك البناء منزلاً لهم في حياته ، ثمّ هجروه بعد وفاته وأصبح البناء خراباً .

قال الطبري : حُدِّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم فيها واتّخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً فيما ذكر لنا والله أعلم ، أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا بن زربابل بن يهوذا أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بي واتّخاذهم الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي .

قال : فأقبل برخيا من نجران حتى قدم على بختنصر ببابل ، وهو نبوخذ نصر فعرّبته العرب ، وأخبره بما أوحى الله إليه وقصّ عليه ما أمره به ، وذلك في زمان معد بن عدنان . قال فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجّار العرب ، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات من عندهم الحبّ والتمر والثياب وغيرها . فجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حَيْراً[١] على النجف وحصّنه ثمّ ضمّهم فيه ، ووكّل بهم حرساً وحفظة . ثمّ نادى في الناس بالغزو فتأهّبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين ، فاستشار بختنصر فيهم برخيا ، فقال : إنّ خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه فاقبل منهم ، فأحسن إليهم .

---

(١) الحَيْر : شبه الحظيرة أو الحِمى . (لسان العرب)

قال : فأنزلهم على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد فسمّوه الأنبار . قال : وخلّى عن أهل الحيرة فاتّخذوها منزلاً حياة بختنصر ، فلمّا مات انضمّوا إلى أهل الأنبار وبقي ذلك الحَيْر خراباً .[١]

وبعد خراب الحيرة هذا عمّرت الأنبار خمسمئة وخمسين سنة ، ثمّ عمّرت الحيرة في زمن عمرو بن عدي باتّخاذه إيّاها مسكناً فعمّرت الحيرة خمسمئة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن عمّرت الكوفة ونزلها المسلمون .[٢]

وكانت أرض النجف في أيام ملوك الحيرة أرضاً خضراء مأهولة . وتدلّ الآثار والأبنية المنتشرة على الضفّة الشرقية لبحر النجف أنّها كانت مسكونة في الفترة الواقعة من العصر الساساني المتأخر إلى القرن الثالث الهجري تقريباً .

قال اليعقوبي عند ذكره الكوفة : والحيرة منها على ثلاثة أميال ، والحيرة على النجف ، والنجف كان ساحل بحر الملح ، وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل آل بُقَيْلَة وغيرهم ، وبها كانت منازل ملوك بني نصر من لخم وهم آل النعمان ابن المنذر .[٣]

وقال ياقوت الحموي : وأمّا ظاهر الكوفة فإنّها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغريّان وما هناك من المتنزهات والأديرة الكبيرة .[٤]

ويظهر هذا المعنى من بعض الروايات والقصص والأشعار التي دارت أحداثها في هذا المكان .

روى أبو عبد الله الحِميَري حديثاً دار بين خالد بن الوليد وعبد المسيح بن بُقَيْلَة الغسّاني ، جاء فيه : قال خالد : فما أدركت ؟.

---

(١) تاريخ الطبري : ١/٣٩٨ .

(٢) معجم البلدان : ٢/٣٣٠ .

(٣) كتاب البلدان : ٧٣ .

(٤) معجم البلدان : ٤/٤٩٣ .

قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدمك ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لاتزوّد إلاّ رغيفاً ، فلا تزال في قرىً عامرة وعمائر متّصلة وأشجار مثمرة ومياه عذبة حتى ترد الشام ، وتراها اليوم قد أصبحت يباباً ، وكذلك دأب الله تعالى في العباد والبلاد .[1]

أمّا بعد تمصير الكوفة سنة ١٧هـ وفي خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فالمنطقة مأهولة بالأعراب ترعى فيها أنعامها ، وكان هناك من يسكن على ساحل بحر النجف .

وروى ابن حزم ، عن أبي راشد السلماني ، قال : كنت في منايح[2] لأهلي بظهر الكوفة أرعاها فتردّى بعير منها فنحرته من قبل شاكلته ، فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقال : "إهد لي عجزه" .[3]

وأخرج نصر بن مزاحم المنقري ، عن عمر بن سعد ، قال : حدّثني سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال : "ما يقول الناس في هذا القبر"؟ ، وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله . فقال الحسن بن علي عليه السلام : يقولون هذا قبر هود النبي عليه السلام لمّا أن عصاه قومه جاء فمات ها هنا . قال عليه السلام : "كذبوا لأنا أعلم به منهم ، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بكر يعقوب" ، ثمّ قال : "ههنا أحد من مهرة"[4] ؟. قال : فأتي بشيخ كبير ، فقال له : "أين منزلك" ؟. قال : على شاطيء البحر ، قال : "أين أنت من الجبل الأحمر" ؟. قال : أنا قريب منه . قال : "فما يقول قومك فيه" ؟. قال : يقولون قبر ساحر ، قال : "كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب بكره" .[5]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٩ .

(٢) جمع منيحة ، وهي منحة اللبن ، كالناقة والشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك . (الصحاح : مادة "منح")

(٣) المحلّى : ٤٤٧/٧ .

(٤) مَهَرة ، بالفتح ، ابن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهم حيّ من اليمن .

(٥) وقعة صفين : ١٢٦ .

أقول : ومراده من شاطئ البحر هو النجف بعينه ، وقبر هود عليه السلام معروف في النجف حتى يومنا هذا . وسيأتي الحديث عن قبره في المواضع الأسلامية في النجف .

قال أحد شعراء الكوفة في أهل النجف :

وبــالنجف الجــاري إذا زُرْت أهلــه　　　مهــاً مهمــلات مــا علــيهن ســائس
خــرجن بحــبّ اللهــو فــي غيــر ريبــة　　　عفــائف بــاغي اللهــو مــنهن آيــس[1]

ثمّ أصبحت ناحية من أرض النجف بعد دفن الصحابي الجليل خبّاب بن الأرت فيها سنة ٣٧ هـ مقبرة لأهل الكوفة - كما سيأتي في موضع الثوية - ودفن فيها بعد ذلك العديد من الصحابة .

أخرج الحاكم النيسابوري ، بإسناده ، عن عبد الله بن خبّاب بن الأرت ، قال : كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة حتى جاء خباباً سهم ، فلمّا ثقل قال لي : يا بني ، ادفنّي بالظَّهْر[2] فإنّك لو دفنتني بالظهر قيل دُفن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا مات خبّاب دفن بالظَّهْر ، فكان أوّل مدفون دفن بالظهر فدفن الناس موتاهم بالظهر .[3]

وقال ابن سلام : روي عن بيان ، قال : كنت أمشي مع الشعبي [١٩ - ١٠٣هـ] بظهر الكوفة فالتفت إلى بيوت الكوفة ، فقال : هذه كفات الأحياء ، ثمّ التفت إلى المقبرة ، فقال : وهذه كفات الأموات . يريد تأويل قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاء وَأَمْوَاتًا﴾[4] أي تضمّهم إليها ماداموا أحياء على ظهرها ، فإذا ماتوا ضمّتهم إليها في بطنها .[5]

---

(١) معجم البلدان : ٢٧٢/٥ .

(٢) الظَّهْر : من أسماء موضع النجف كما تقدّم .

(٣)المستدرك على الصحيحين : ٣٨٢/٣ ..

(٤) سورة المرسلات : الآية ٢٥-٢٦ .

(٥) غريب الحديث : ٢٤٠/١ .

وقد يلجأ إلى هذه المقابر بعض المنقطعين من أهل الكوفة .

أخرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في ترجمة عطوان بن عمرو التميمي : إنّه كان رجلاً منقطعاً ، وكان يلزم الجبان بظهر الكوفة ، فأتاه قوم يسلّمون عليه فوجدوه مغشيّاً عليه بين القبور ، فلم يزالوا عنده حتى أفاق فاستحيا منهم ، فجعل يقول لهم كهيئة المعتذر : ربّما غلب عليّ النوم وربّما أصابني الأعياء فألقي نفسي هكذا .[1]

ولم تزل أرض النجف غير خالية من السكان في العهد الأموي . عن المدائني ، قال : حجّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي ، فوقف له حُنَيْن بظهر الكوفة ومعه عوده وزامرٍ له وعليه قلنسية طويلة ، فلمّا مرّ به هشام عرض له ، فقال : مَن هذا ؟. فقيل : حُنَيْن ، فأمر به فَحُمِل في مَحمل على جمل ، وعديله زامره ، وسيّر به أمامه وهو يتغنّى :

أمـــن ســـلمى بظهـــر الكـــو ... فـــة الآيـــات والطَّلَـــل

يلـــوح كمـــا تلـــوح علـــى ... جفـــون الـــصيقل الخلَـــل

قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف ، فأمر له بمئتي دينار وللزامر بمئة . وحُنَيْن هو القائل يصف النجف ومنزله بها :

أنـــا حنـــين ومنزلـــي النجـــف ... ومـــا نـــديمي إلاّ الفتـــى القـــصف[2]

وفي حدود منتصف القرن الثاني للهجرة بنى المنصور العباسي مدينة في أرض النجف سمّاها "الرصافة"[3] وذلك قبل بنائه مدينة بغداد . وهي تقع على مقربة من قصر الخورنق ، كما يظهر ذلك من شعر الحسين بن السري الكوفي ، قال :

ولقـــد نظـــرت إلـــى الرصـــا ... فـــة فالثنيّـــة فـــالخورنق

جَـــرَّ الـــبلى أذيـالـــه فيـــــ ... ـــــها فأدرســـــها وأخلـــق[4]

---

(١) صفة الصفوة : ١٢٦/٣ .

(٢) الأغاني : ٣٣٤/٢.

(٣) تاريخ الطبري : ٢٣٤/٦ .

(٤) معجم البلدان : ٤٩/٣ .

وأشارت المصادر التاريخية إلى أنّ في هذه الآونة كانت هناك قرية يشار إليها في موضع النجف ، وهو ما يظهر من حديث عبد الله بن الحسن بن علي عليهما السلام لمّا قدم به وأهله مقيّدين إلى المنصور العباسي في الهاشمية ، ولمّا أشرف بهم على النجف ، قال لأهله : "أما ترون في هذه القرية من يمنعنا من هذا الطاغية ... " .[1]

كما أنّ الرشيد العباسي لمّا أظهر مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في سنة ١٧٥هـ في قصّته المعروفة ووجد وحوشاً تستأنس بذلك المحل وتقرّ إليه إلتجاءً من أهل الصيد ، سأل عن سبب ذلك من أهل قرية قريبة هناك فأخبره شيخ من القرية بأن فيه قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام مع قبر نوح عليه السلام ، كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصّلاً في أحداث السنة المذكورة في الجزء الثاني من كتابنا .

ب / النجف بعد ظهور المرقد المطهّر

بظهور المرقد المطهّر سنة ١٧٥هـ - ٧٩١م على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد أصبح هذا المشهد نواة لسكنى عدد من الشيعة والعلويين وقد اطمأنّوا من خليفة عصرهم بعد ظهور القبر المطهّر على يده ، فبنوا بيوتاً حول القبر الشريف وأقاموا فيها . وبقيت المجاورة للمرقد المطهّر بين الوجود والعدم حتى قيام بإنشاء عمارة على المرقد المطهّر حوالي سنة ٢٨٣هـ في عهد المعتضد العباسي ، فاستمرّت المجاورة بعد هذه السنة دون انقطاع حتى يومنا هذا .

فقد ورد أنّ المتوكّل بن المعتصم بن هارون الرشيد أمر بهدم قبر أمير المؤمنين وقبر الحسين عليهما السلام سنة ٢٣٦هـ وهرب المجاورون من سطوته .[2]

---

(١) تاريخ الطبري : ١٧٩/٦ .

(٢) النجوم الزاهرة : ٢٨٣/٢-٢٨٤ . تاريخ طبرستان (فارسي) : ٩٥/١ .

كما أنّ الخلفاء العباسيّين الذين أتوا بعد المتوكّل ورثوا منه العداء والنصب لعترة الرسول ﷺ سوى ولده المنتصر الذي أمر الناس سنة ٢٤٨هـ بزيارة قبر أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام لكنّه لم يدم أكثر من ستّة أشهر .[(١)]

أمّا المستعين العباسي المتوفى سنة ٢٥٢هـ فقد كان مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام حتى أنّه أودع الإمام الحسن العسكري عليه السلام السجن مدّة من الزمن ، وكذلك فعله المعتز بن المتوكّل المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، ثمّ حكم المهتدي المتوفى سنة ٢٥٦هـ وهو كآبائه على أشدّ البغض والنصب لآل النبي ﷺ ، وبعده جاء المعتمد وهو أيضاً على سيرة المتقدّمين عليه وقد امتدّت خلافته حتى سنة ٢٧٩هـ .

وممّا يدعم بقاء المرقد المطهّر دون مجاورة في خلافة المعتمد وأنّ زيارة المرقد كانت محظورة في عهده ، مارواه السيّد ابن طاووس ، عن محمد بن علي بن رحيم ، قال : مضيت أنا ووالدي علي بن رحيم ، وعمّي حسين بن رحيم ، وأنا صبيّ صغير سنة نيّف وستّين ومئتين بالليل ، ومعنا جماعة متخفّين إلى الغري ، لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا جئنا إلى القبر وكان يومئذ قبر حوله حجارة مسندة ولا بناء عنده ، وليس في طريقه غير قائم الغري ... .[(٢)]

وتسلّم المعتضد العباسي زمام الأمر بعد وفاة المعتمد سنة ٢٧٩هـ ، فقرّب آل أبي طالب ولم يتعرّض لزائري المرقد الشريف لرؤيا رآها في المنام .

أخرج القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤هـ في كتابه "الفرج بعد الشدّة" ، قال : رأى المعتضد وهو في حبس أبيه كأنّ شيخاً جالساً على دجلة يمدّ يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجفّ دجلة ، ثم يردّه من يده فتعود دجلة كما كانت ، فسألت عنه ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ١٤٨/٦- ١٤٩ .

(٢) فرحة الغري : ١٦٤ .

فقيل لي هذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقمت إليه فسلّمت عليه ، فقال لي يا أحمد : إنّ هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرّض لولدي وَصُنْهُم ولا تُؤذِهم . فقلت : السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين .[١] وسيأتي في أحداث سنة ٢٨٢هـ في الجزء الثاني من كتابنا رؤيا أخرى للمعتضد العباسي برواية الطبري .

وفي خلافة المعتضد حوالي سنة ٢٨٣هـ أحدث ملك طبرستان محمد بن زيد ، المعروف بالداعي الصغير ، عمارة على المرقد المطهّر تتكون من قبّة وحائط وحصن فيه سبعون طاقاً .

وهذه هي أول عمارة بعد البناء الذي أمر به هارون الرشيد ، ولم يكن قبلها القبر إلاّ أرضاً خالية ، فابتدأت المجاورة بعد هذا التاريخ من جديد دون انقطاع ، ولم تمض الأيام حتى أصبحت النجف مأوى للشيعة وعلمائهم .

وممّا يؤيّد ذلك ماقاله أبو الغنائم النرسي[٢] ، وهو أحد أعلام الكوفة قرب ذلك العهد ، قال : ولم يكن إذ ذاك القبر وما كان إلاّ الأرض حتى جاء محمد بن زيد الداعي وأظهر القبر .[٣]

وأصبحت النجف ذات شأن بعد ثلاث عشرة سنة من عودة الإقامة والمجاورة للمرقد المطهّر ، كما يظهر ذلك من رحلة الشيخ الحسين بن روح النائب الثالث للإمام محمد بن الحسن عليه السلام إلى النجف وإقامته فيها سنة ٢٩٦هـ ، ويظهر أيضاً أنّها لم تكن خالية من رجال علم مقيمين بها حين قدومه رضي الله عنه ، وسيأتي توضيح ذلك في موضوع "تاريخ الحركة العلمية في النجف" .

---

(١) الفرج بعد الشدّة : ١٥٤/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في الجزء الثاني سنة ٥١٠هـ.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ١٨٩/٩ .

ولمّا جاء السلطان عضد الدولة البويهي لزيارة المرقد المطهّر سنة ٣٧١هـ وجد المدينة عامرة بالسكان ، ويدلّ على ذلك كثرة ما بذله عضد الدولة البويهي على المقيمين في زيارته .

وبعد التقدّم العمراني الذي حصل للنجف في العهد البويهي أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة تنتقل إليها وتقطنها ويقصدها طلاب العلوم والمعرفة . ففي سنة ٣٠٨هـ إنتقل إلى النجف الأشرف وأقام فيه النقيب السيّد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة .

ولم تزل مدينة النجف بين الإهمال الذي يؤول إلى خراب بنائها ، والاعتناء بعمرانها ونموّه وتطوّره بإنشاء الدور والعمارات المتتالية للمرقد المطهر وإجراء الأنهر من الفرات حتى أصبحت مساحة مدينة النجف سنة ٧٤٠هـ ألفين وخمسمئة خطوة ، ما حدّدها حمد الله المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٥٠هـ.[(١)]

وحكى الرحّالة البرتغالي تكسيرا أنّ مدينة النجف اتّسعت في عهد الشاه طهماسب المتوفى سنة ٩٨٤ هـ ، فكانت تضم ستّة آلاف إلى سبعة آلاف دار مبنيّة بإتقان .[(٢)]

ويشير المؤرّخون إلى طلب كان قد رفعه والي بغداد سنان باشا سنة ٩٩٩هـ- ١٥٩٠م إلى السلطان مراد الثالث ، وممّا ذكره الوالي سنان باشا في طلبه أنّه كان في النجف ثلاثة الآف دار عامرة لم يبق منها إلاّ عُشرها بسبب ما يقاسيه أهل النجف من قلّة الماء ، ما جعلهم يضطرّون إلى الجلاء عن مدينتهم .[(٣)]

ثمّ انحسرت بيوتها فأصبحت عام ١٠١٣هـ لاتزيد على الستمئة ، كما ذكره الرحّالة البرتغالي تكسيرا حين وروده النجف في السنة المذكورة .[(٤)]

---

(١) نزهة القلوب (فارسي) : ٣٢.

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٠٢/١ .

(٣) وادي الفرات ومشروع سدّة الهندية : ٢٦١/٢- ٢٦٣ .

(٤) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٠٢/١ .

وجاء في رحلة السيّد محمد بن أحمد الحسيني المنشئ البغدادي ودخوله النجف عام ١٢٣٧هـ: أنّ بيوت النجف نحو ألفي بيت من العرب والعجم.[١]

كما قدّر المؤرّخ زين العابدين الشيرواني عدد دور النجف في هذه السنة ١٢٣٧هـ، بين ألفين إلى ثلاثة آلاف دار في غاية الجودة، وهي كلّها محيطة بالحرم المطهّر.[٢]

وورد في رسالة بعث بها إلى الأستانة محمد نامق باشا الوالي العثماني في بغداد ومشير جيش الحجاز والعراق بتاريخ ٩/ ذي القعدة / ١٢٦٨هـ: أنّ النجف يسكنها عدد كبير من التبعيّة الأجنبية، وهي مدينة معظّمة تحتوي على عشرين ألف بيت.[٣]

ومع ما يبدو في هذه الرسالة من مبالغة في عدد الدور التي تضمّها مدينة النجف الأشرف، إلاّ أنّها تظهر مدى التطوّر العمراني السريع فيها.

وأصبحت النجف مدينة مزدهرة، يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين والثلاثين ألف نسمة، على حد قول جون بيترز خبير الآثار الأمريكي، الذي زار النجف سنة١٣٠٨هـ- ١٨٩٠م.[٤]

ولم تزل مدينة النجف الأشرف في نمو مستمر حتى أصبح عدد نفوسها سنة١٣٣٩هـ-١٩٢٠م بما يقدّر بستّين ألف نسمة، وهي السنة التي زحف الجيش البريطاني المحتل على النجف الأشرف وأصدر الأمر إلى الأهلين بالدخول إلى المدينة وأغلقت أبواب السور على السكان - كما سيأتي في أحداث السنة المذكورة.[٥]

---

(١) رحلة المنشي البغدادي: ٩١.

(٢) رياض السياحة (فارسي): ٧٨٣.

(٣) سيأتي نص الرسالة ضمن أحداث السنة المذكورة في الجزء الثاني من الكتاب.

(٤) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف): ١/ ٢٤٠- ٢٤٣.

(٥) الثورة العراقية الكبرى: ٣١٩.

الفصل الثالث

مـــناخ النجف

أ/ مناخ النجف قبل جفاف البحر

ب/ مناخ النجف بعد جفاف البحر

مــناخ النجف

تأثّر مناخ النجف تأثّراً كبيراً بعد جفاف بحر النجف سنة ١٢٩٣هـ-١٨٧٦م عمّا هو عليه قبل هذا التاريخ ، وفيما يلي عرض للحالين :

أ / مناخ النجف قبل جفاف البحر

عُرف موضع النجف العام منذ أقدم العصور بصفاء هوائه وطيبه ، لإشرافه على البحر القديم وتأثّره به . وذكر المؤرّخون ومصنّفو معاجم البلدان أنّ بلاد الحيرة - وهي ضمن موضع النجف الجغرافي - من أطيب البلاد وأرقّه هواءً وأخفّه ماءً وأعذاه تربةً وأصفاه جوّاً حتى قيل فيها : يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة .[(١)]

وقال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : يومٌ وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين .[(٢)]

وكانت العرب تقول : لبيتة ليلة بالحيرة أنفع من تناول شربة "ثادريطوس" . ويقال إنّه لم يمت بالحيرة من الملوك أحد إلاّ قابوس بن المنذر ، وإنّما ماتوا في غزواتهم ومتصيّدهم وتغرّبهم ، وقالوا : وذلك لصحّة هواء الحيرة .[(٣)]

وقد اعتبرت مملكة الحيرة في عهدها القديم مستوصفاً يقصده من مرض وضعف ، كما اتّخذها الملوك الساسانيين والمناذرة والعبّاسيّين محلاً لنزهتهم .

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٧.

(٢) كتاب البلدان : ٢٦٢.

(٣) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ٧٥.

قال الحموي : كان مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس قد جسا[١٥٠] فخرج إلى الحيرة ليتداوى .[١٥١]

وكان النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة إذا مرض حُمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ينزّهونه ، وأشار لذلك النابغة في قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويذكر مرضه ، ويعتذر إليه ممّا كان اتّهم به ، وقذفه به أعداؤه ، مطلعها :

كتمتك ليلاً بالجمومين[١٥٢] ساهرا ... وهمّين همّاً مستكنّاً وظاهرا
أحاديث نفسٍ تشتكي ما يريبها ... وورد همومٍ لو يجدن مصادرا
تكلّفني أن يغفل الدهر همّها ... وهل وجدت قبلي على الدهر ناصرا
ألم ترَ خير الناس أصبح نعشه ... على فتية قد جاوز الحي سائرا[١٥٣]

ويحكى أنّ النعمان بن المنذر خرج يوماً إلى النجف متنزّهاً ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازّينت بالشقائق ، فاستحسنها وقال : احموها ، فحميت وسمّيت شقائق النعمان بالنسبة إليه .[١٥٤]

---

(١٥٠) جسا الشيخ : بلغ غاية السن ، وضعف . (لسان العرب : مادة "جسا")

(١٥١) معجم البلدان : ٣٩٠/٥ .

(١٥٢) الجَمُوم : بلد من أرض بني سليم وماء آخر في ديار بني غطفان ، وقد ثناه النابغة . (معجم ما استعجم : ٣٩٤/٢)

(١٥٣) شرح نهج البلاغة : ١٦٦/٢٠ .

(١٥٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ١٨٣/١ .

وقال بعض أهل اللغة : النعمان ، اسم من أسماء الدم نسبت الشقائق إليه تشبيهاً به ، كما قال الشاعر :

كأنّ شقائق النعمان فيها ... ثيابٌ قد روين من الدماء

ولصفاء هواء النجف كان الناس يلجأون إلى أرضه عند حلول الأوبئة وانتشار الأمراض المعدية .

قال ابن الجعد : حدّثنا علي ، أخبرنا شعبة ، عن الحكم ، قال : خرج شُريح إلى النجف فرأى فساطيط ورأى ناساً قد برزوا قد فرّوا من الطاعون ، فقال : إنّا وإيّاهم على بساط واحد وإنّهم من ذي حاجة لقريب .[(١)]

وقال الجاحظ : هرب رجل من الطاعون إلى النجف أيام شُريح فكتب إليه شريح : أمّا بعد ، فإنّ الفرار لن يُبعّد أجلاً ، ولن يكثّر رزقاً ، وإنّ المقام لن يقرّب أجلاً ولن يقلّل رزقاً ، وإنّ النجف من ذي قدرة لقريب .[(٢)]

قال الدكتور مصطفى جواد بعد إيراده قول الجاحظ : كان هذا فضولاً من شُريح ، فلو اتُّبِعَ قولُه لم يستشف مريض ، ولا استوصف الأطبّاء ، ولاشرب الدواء لدفع الأدواء ، ولا أحسن السكن والغذاء .[(٣)]

ولصفاء هواء النجف وطيبه اتّخذ الملوك الساسانيين والمناذرة والعبّاسيّين موضع النجف مكاناً لبناء قصورهم ، فبنى المناذرة قصرهم المشهور الخورنق ، وبنى المنصور العباسي مدينته المعروفة بالرصافة بظهر الكوفة قبل بنائه مدينة بغداد .

قال ابن الكلبي : صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف ، وذلك أنّ يزدجرد كان لايبقى له ولد ، وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره علّه تشبه الاستسقاء ، فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام ليبعث بهرام إليه من العلّة ، فأشار عليه أطبّاؤه أن يخرجه من بلده إلى أرض العرب ، ويسقى

---

(١) البيان والتبيين : ٣١٧/١ .

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٤/١ .

أبوال الأبل وألبانها ، فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبنى له قصراً مثله على شكل بناء الخورنق ، فبناه وأنزله إيّاه وعالجه حتى برأ من مرضه ، ثمّ استأذن أباه في المقام عند النعمان فأذن له ، فلم يزل عنده نازلاً قصر الخورنق حتى صار رجلاً .(١)

وكان اعتدال مناخ موضع النجف من العوامل المساعدة على انتشار الأديرة فيه .

قال الشابشتي في "دير ابن المزعوق" : وهذا الدير بالحيرة ، في وسطها ، قرب دير الحريق . وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، أحد المتنزّهات المقصودة والأماكن الموصوفة .(٢)

قال محمد بن عبد الرحمن الثرواني :

قلــت لـــه والنجــوم طالعـــة ... فـــي ليلـــة الفـصـح أول الـــسحر
هــل لـــك فـــي مـــار فـــايثون ... وفـي ديـر ابـن مزعـوق غيـر مقتـصر
يقـتص منـه النـسيم عـن طـرق الــ ... ــشام وريـح النـدى عـن المـدر
ونـــسأل الأرض عـــن بـــشاشتها ... وعهـــدها بـــالربيع والمطـــر(٣)

وذكر الشعراء النجف في أشعارهم ، ووصفوا متنزّهاته وطيب هوائه وعذاوته ، فقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥هـ من قصيدة يمدح بها الواثق الخليفة العباسي مطلعها :

يـا راكـب العـيس لاتعجـل بنـا وقـف ... نحــيٍّ داراً لــسُعدى ثــمّ ننــصرف
وابـك المعاهـد مـن سُعدى وحارتهـا ... ففـي البكـاء شـفاءَ الهـائم الـدنف
أشـكو إلـى الله يـا سُعدى جـوى كبـدٍ ... حرّى عليك متـى مـا تـذكري تجـف
أهـيم وجـداً بـسُعدى وهـي تـصرمني ... هــذا لعمــرك شـكلٌ غيـر مؤتلـف

(١) مسند ابن الجعد : ٤٥/١ .

(٢) الديارات : ١٤٩ .

(٣) معجم البلدان : ٥٣٧/٢ .

دع عنك سُعدى فسعدى عنك نازحة ... واكفف هواك وعدّ القول في لطف
ما إن أرى الناس في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أعذى من النجف
كأنّ تربته مسكٌ يفوح به ... أو عنبر دافه العطار في صدف
حفّت ببرٍّ وبحرٍ من جوانبها ... فالبرّ في طرف والبحر في طرف
وبين ذاك بساتين يسيح بها ... نهر يجيش بجاري سيله القصف
وما يزال نسيمٌ من أيامنه ... يأتيك منه بريّاً روضة أنف
تلقاك منه قُبيل الصبح رائحة ... تشفي السقيم وقد أشفى على التلف
لو حلّه مدنفٌ يرجو الشفاء به ... إذاً شفاه من الأسقام والدنف
يؤتى الخليفة منه كلّما طلعت ... شمس النهار بأنواع من التحف
والصيد منه قريب إن هممت به ... يأتيك مؤتلفاً في زيّ مختلف(١)

وقال علي بن محمد العلوي الحمّاني الكوفي المتوفى سنة ٢٦٠هـ يصف رياض النجف ومتنزهاته :

فيا أسفي على النجف المعرّى ... وأودية منوّرة الأقاحي
وما بسط الخورنق من رياض ... مفجّرة بأفنية فساح
ووا أسفاً على القنّاص تغدو ... خرائطها على مجرى الوشاح(٢)

---

(١) معجم البلدان : ٢٧١/٥.

وقد أضاف العلاّمة الأديب الشيخ جعفر نقدي إلى شعر الموصلي بيتين على روي قصيدته ، فوصف النجف بمعناه الروحي لما ضمّ تربته جدث المسلم الأوّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال :

أعدّه الله مثوى للوصي كما ... أعدّ يثرب للمختار ذي شرف
في حصن ظاهره الأبصار حائرة ... لكنّ معناه عن غير المحبّ خفي

(نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين : ٢١٤)

(٢) معجم البلدان : ٢٧٢/٥

وقال أبو دواد :

ودارٌ يقـــول لهـــا الرائـــدو ... ن ويـــل أمّ دار الحُـــذاقي دارا[١]
فلمّـــا وضـــعنا بهـــا بيتنـــا ... نتجنـــا حُـــواراً وصِـــدْنا حمـــارا[٢]
وبـــات الظلـــيم[٣] مكـــان الفـــصيل ... يُـــسمع منـــه بليـــلٍ عـــرارا[٤]

وسيأتي في موضوع "طيب هواء الحيرة وخصب أرضها" ما له صلة بالموضوع .

ب / مناخ النجف بعد جفاف البحر

كان سبب جفاف بحر النجف سدّ نهر الفرات عند جنوب البحر جانب القرنة (الـگـرنة) والمدلـگ على يد علي أفندي ، أحد وكلاء الدولة العثمانية لأجل زراعة المنطقة وإصلاح أراضيها . وقد تأثّر مناخ مدينة النجف بدرجة كبيرة بعد جفاف البحر سنة ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م .

قال شيخنا محمد حرز الدين في جفاف بحر النجف وقد عاصره : ولجفاف بحر النجف شؤون من حيث تغيّر الهواء النقي في النجف ، وانقطاع جملة من الأقوات والمكاسب ، وتبدّل كثير من المنافع بالمضار كحدوث الأمراض والأوبئة في النجف .[٥]

فمدينة النجف اليوم تختلف عن حالها قبل جفاف البحر ذلك أنّها محاطة بأطرافها الأربعة بالرمال التي تكتسب الحرارة بسرعة وتنشرها بسرعة ، وهي أحرّ من المدن المحاطة بالجبال الصخرية . فهواء النجف في الصيف حار وجاف ، وأحياناً تصل درجة الحرارة إلى ٤٥٫٥ في المقياس المئوي أو أكثر . كما تصل البرودة في الشتاء إلى الصفر المئوي أو تحت الصفر . ومعدل ما ينزل من الأمطار سنويّاً في النجف من واحد إلى خمس قطرات في كلّ عقدة .

---

(١) نسبة إلى حُذاقة بن زهر ، وهم بطن من إياد ، نزلوا في هذا الموضع .
(٢) الحوار : ولد الناقة ، ولايزال حواراً حتى يفصل ، فإذا فصل عن أمّه فهو فصيل . (الصحاح : مادة "حور")
(٣) الظليم : ذكر النعام .
(٤) معجم ما استعجم : ٤٧٩/١ .
(٥) وشي البرود : ٧٠٦ .

الفصل الرابع

النجف في الحديث والأثر

أ/ قُدسيّة أرض النجف

ب/ التختّم بحصباء النجف

ج/ خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النجف

د/ شراء أمير المؤمنين عليه السلام أرض النجف

هـ/ دفن أمير المؤمنين عليه السلام في النجف

و/ فضل زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام

ز/ فضيلة دفن الموتى في النجف

ح/ عقيدة اليهود بالدفن في النجف

ط/ أخبار ظهور المهدي عليه السلام في النجف وفتن آخر الزمان

النجف في الحديث والأثر

أ / قُدسيّة أرض النجف

وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام في قدسيّة أرض النجف وحرمتها ، منها ما رواه الشريف محمد بن علي البطحاني[1] ، قال :

حدّثنا محمد ، قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الجعفي قراءة ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا يحيى بن زكريا بن شيبان ، قال : أخبرنا إبراهيم بن الحكم ، قال : حدّثنا محمد بن عبد السلمي ، عن جابر ، قال : سمعت أبا جعفر يقول :

قال رسول الله ﷺ : "أخصاص من هذه الأمّة بين الحيرة ووادي كوفان يدافع الله عنها كدفاعه عن حرمي ، ما أرادها جبّار بسوء إلاّ قصمه الله" .[2]

وقال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد ، قال : أخبرنا الحسين بن علي بن بزيع ، قال : حدّثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدّثنا

---

(١) هو السيّد الشريف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمان بن القاسم بن محمد البطحاني بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، العلوي الحسني الشجري الكوفي ، المتوفى سنة ٤٤٥هـ.

قال الحافظ الذهبي في ترجمته : الإمام المحدّث الثقة العالم الفقيه ، مُسند الكوفة . انتقى عليه الحافظ أبو عبد الله الصوري ، وغيره . ونقل الذهبي عن ابن النرسي ، قوله : ما رأيت من كان يفهم فقه الحديث مثله . (سير أعلام النبلاء : ٦٣٦/١٧)

(٢) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٥ .

عمرو ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال :

"أخصاص بين الحيرة ووادي كوفان يدافع الله عنها كدفاعه عن حرمي ، لايريدها جبّار بمارقة إلاّ قصمه الله كأنّي بجنبه [كأنّي أنظر إلى جبابرتهم][١] صرعى تسفي الرياح في مسامعهم ، فبعداً لأهل النار" .

ثم قال أبو جعفر [عليه السلام] : "يا جابر وبها مضاجع قوم من أهل بيتي يحبّهم الله وأحبّهم ، منهم علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي ، وما لم أُسمٍّ لك يا جابر ممّا يكون بها العجب أكثر ، وكأنّ قد كان" .[٢]

وأخبرنا محمد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله قراءة ، قال : [حدّثنا] أحمد بن محمد بن سعيد ، قال : حدّثني عبيد بن محمد الرؤاسي ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إسحاق ، قال : حدّثنا يحي بن سالم ، عن عمرو ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "أكواخ من أُمّتي بين الحيرة ووادي كوفان يدافع الله عنهم كدفاعه عن حرمي ، لايريدهم جبّار بكارثة إلاّ قصمه الله ، كأنّي أنظر إلى جبابرتهم بين الحيرة ووادي كوفان متشحّطين تسفي الرياح في مسامعهم وأبصارهم ، كأنّهم أعجاز نخل منقعر فتعساً لأهل النار" .[٣]

وأخبرنا محمد ، قال : حدّثنا علي بن محمد بن الفضل المؤدّب ، قال : حدّثنا محمد بن علي السمين ، قال : حدّثنا محمد بن زيد الرطّاب ، قال : حدّثنا إبراهيم بن محمد الثقفي ، قال : حدّثني المسعودي يوسف بن كليب ، قال : حدّثنا يحيى بن سالم ، عن جابر ، عن محمد بن علي [الباقر عليه السلام] قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "ألا أنّه كأنّي أنظر إلى أجنادهم بين الحيرة والكوفة" .[٤]

---

(١) ما بين المعقوفتين أثبتناها من الحديث اللاحق لاقتضاء السياق ذلك .

(٢) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٦ .

(٣) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٧ .

(٤) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٨ .

ب/ التختّم بحصباء النجف

أخرج الشيخ الطوسي : عن محمد بن أحمد بن داود ، عن محمد بن همام ، قال : حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك ، قال : حدّثني محمد بن شهاب ، عن عبد الله بن يونس السبيعي ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

أحبّ لكلّ مؤمن أن يتختّم بخمسة خواتيم : بالياقوت وهو أفخرها ، وبالعقيق وهو أخلصها لله ولنا ، وبالفيروزج وهو نزهة الناظر من المؤمنين والمؤمنات ، وهو يقوّي البصر ويوسع الصدر ويزيد في قوة القلب ، وبالحديد الصيني وما أحبّ التختم به ولا أكره لبسه عند لقاء أهل الشر ليطفي شرّهم ، وأحبّ اتّخاذه فإنّه يشرد المردة من الجن والإنس ، وما يظهره الله بالذكوات البيض بالغريّين ، قلت : يا مولاي وما فيه من الفضل؟. قال : من تختّم به وينظر إليه كتب الله له بكلّ نظرة زورة أجرها أجر النبيّين والصالحين ، ولولا رحمة الله لشيعتنا لبلغ الفص منه ما لا يوجد بالثمن ، ولكن الله رخصه عليهم ليتختّم به غنيّهم وفقيرهم .[1]

ج / خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النجف

دأب أمير المؤمنين عليه السلام في مدّة خلافته على الخروج من الكوفة إلى أرض النجف للخلوة بنفسه ، وقد يصحبه أو يلحق به بعض خواصّه من أصحابه ، كرُشَيْد الهجري ، والأصبغ بن نُباتة ، وحبّة العرني ، وكميل بن زياد النخعي ، وقنبر مولاه ، فيحدّثهم ، ويعظهم ، ويملي عليهم من علومه .

روى الفتّال النيسابوري : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج يوماً إلى بستان البري (البرني) ، موضع في ظهر الكوفة ومعه أصحابه فجلس تحت نخلة ، ثمّ أمر بنخلة فلقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم . فقال رُشَيْد الهجري يا أمير المؤمنين : ما أطيب هذا الرطب ؟. فقال عليه السلام : يا رُشَيْد أما إنّك تُصلب على جذعها . قال رُشَيْد :

---

(١) تهذيب الأحكام : ٣٧/٦.

فكنت أختلف إليها طرَفي النهار أسقيها ، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام . قال رُشَيْد : فجئتها يوماً وقد قطعت وذهب نصفها ، قلت : اقترب أجلي ، ثمّ جئت يوماً فجاء العريف ، فقال : أجب الأمير فأتيته ، فلمّا دخلت القصر إذا بخشب ملقى ، ثمّ جئت يوماً آخر فإذا النصف الآخر قد جعل زرنوقاً[1] يستقى الماء عليه ، فقلت : ما كذبني خليلي ، فأتاني العريف فقال : أجب الأمير فأتيته ، فلمّا دخلت القصر إذا الخشب ملقى وإذا فيه الزُّرْنوق فجئت حتى ضربت الزُّرْنوق برجلي ، ثمّ قلت : إليك أعدت وإليك أتيت ، ثمّ أُدخلت على عبيد الله بن زياد ، فقال : هات من كذب صاحبك ، قلت : والله ما أنا بكذّاب ولقد أخبرني أنّك تقطع يدي ورجلي ولساني ، فقال إذاً نكذبه ، إقطع يده ورجله وأخرجوه ، فلمّا حُمل إلى أهله أقبل يحدّث الناس بالعظائم وهو يقول : سلوني فإنّ للقوم عندي طلبة لم يقضوها ، فدخل رجل على ابن زياد ، فقال له : ما صنعت ، قطعت يده ورجله وهو يحدّث الناس بالعظائم . قال : فأرسل إليه ، فردّوه وقد انتهى إلى بابه فردّوه ، فأمر بقطع لسانه ويديه ورجليه ، وأمر بصلبه .[2]

وأخرج فرات الكوفي ، قال : حدّثني عبيد بن كثير مُعَنْعَناً : عن رُشَيْد الهجري ، قال : كنت أسير مع مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الظَّهْر ، فالتفت إليّ ، فقال : أنا والله يا رُشَيْد صالح المؤمنين .[3]

وروى السيّد علي بن عبد الحميد في "كتاب الغيبة" بإسناده إلى الفضل بن شاذان من أصل كتابه بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة ، قال : خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظهر الكوفة ، فلحقناه ، فقال : "سلوني قبل أن تفقدوني فقد مُلِئت الجوانح منّي علماً ، كنت

---

(١) الزُّرْنوق : ظرف يستقى به الماء . (لسان العرب)

(٢) روضة الواعظين : ٢٨٧ .

(٣) تفسير فرات الكوفي : ٤٩١ . ما ورد في قوله تعالى : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم : ٤)

إذا سألت أعطيت ، وإذا سكتّ ابتديت ، ثمّ مسح بيده على بطنه ، وقال : أعلاه علم وأسفله ثفل" . ثمّ مرّ حتى أتى الغريّين ، فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب ، فقال له قنبر : يا أمير المؤمنين ألا أبسط تحتك ثوبي ؟. قال : "لا ، هل هي إلاّ تربة مؤمن ومن أحمته في مجلسه" . فقال الأصبغ : تربة المؤمن قد عرفناها كانت أو تكون ، فما من أحمته بمجلسه ؟. فقال : "يا ابن نباتة لو كُشف لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذه حلقاً حلقاً يتزاورن ويتّحدثون . إنّ في هذا الظهر روح كلّ مؤمن ، وبوادي برهوت روح كلّ كافر" . ثمّ ركب بغله وانتهى إلى المسجد فنظر إليه وكان بخزف ودنان وطين ، فقال : "ويلٌ لمن هدمك وويل لمن يستهدمك ، وويلٌ لبانيك بالمطبوخ ، المغيّر قبلة نوح ، وطوبى لمن شهد هدمه مع القائم من أهل بيتي ، أولئك خير الأمّة مع أبرار العترة" .[١]

وأخرج الكليني ، عن علي بن محمد ، عن علي بن الحسن ، عن الحسين بن راشد ، عن المرتجل بن معمر ، عن ذريح المحاربي ، عن عبادة الأسدي ، عن حبّة العرني ، قال : خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام الى الظَّهْر فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام . فقمت بقيامه حتى أعييت ، ثمّ جلست حتّى مللت ، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أولاً ، ثمّ جلست حتّى مللت ، ثمّ قمت وجمعت ردائي ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه ، فقال لي : "يا حبّة إنْ هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته" ، قلت : يا أمير المؤمنين ، وإنّهم لكذلك ؟. قال : "نعم ، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون" ، فقلت : أجسام أم أرواح ؟. فقال : "أرواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه : الحقي بوادي السلام . وإنّها لبقعة من جنّة عدن" .[٢]

---

(١) بحار الأنوار : ٢٣٤/٩٧ .

(٢) الكافي : ٢٤٣/٣ .

وروى الحافظ البرسي ، عن الأصبغ بن نباتة : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يوماً جالساً في نجف الكوفة .... إلى أن قال : فقدم بعير وجنازة مشدودة عليه ورجلان معه ، فسلمّا على الجماعة ، فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حيّاهم : من أنتم ومن أين أقبلتم ومن هذه الجنازة ولماذا قدمتم ؟ فقالوا : نحن من اليمن ، وأمّا الميّت فأبونا وإنّه عند الموت أوصى إلينا فقال : إذا غسّلتموني وكفّنتموني وصلّيتم عليّ فاحملوني على بعيري هذا إلى العراق فادفنوني هناك بنجف الكوفة ، فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام : هل سألتماه لماذا ؟ فقالا : أجل قد سألناه فقال : يدفن هناك رجل لو شفع يوم القيامة لأهل الموقف لشفع ، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال : صدق ، أنا والله ذلك الرجل .[1]

وستأتي القصّة برواية الديلمي بنحو آخر في حديث جنازة اليماني .

وروى الشيخ الصدوق ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن عبد الرحمان بن جندب ، عن كميل بن زياد النخعي ، قال : أخذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيدي فأخرجني إلى ظهر الكوفة فلمّا أصحر تنفّس ، ثمّ قال :

"يا كميل إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها . إحفظ عنّي ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق ، يميلون مع كلّ ريح ، لم يتسضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق .

يا كميل محبّة العلم دين يدان به ، يكسب الإنسان به الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، وصنيع المال يزول بزواله .

يا كميل مات خزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، هاه إنّ ههنا - وأشار بيده إلى صدره - لعلماً

---

(١) مشارق أنوار اليقين : ١٤٥ .

جمّاً لو أصبتُ له حَمَلَةً ، بل أصبت لقناً غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بحجج الله عزّوجلّ على خلقه ، وبنعمه على أوليائه ليتّخذه الضعفاء وليجة دون وليّ الحق . أو منقاداً لحملة العلم لا بصيرة له في أحنائه ينقدح الشك في قلبه بأوّل عارض من شبهة ، ألا ، لا ذا ولا ذاك . أو منهوماً باللّذات ، سلس القياد للشهوات . أو مغرماً بالجمع والإدّخار ، ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم بحجة ، إمّا ظاهر مشهور أو خاف مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيّناته ، وكم ذا وأين أولئك ، أولئك والله الأقلّون عدداً ، والأعظمون خطراً بهم يحفظ الله حججه وبيّناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقائق الأمور ، وباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى .

يا كميل أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولكم" .[١]

وروى قطب الدين الراوندي ، عن جابر الجعفي ، عن الباقر عليه السلام قال : خرج علي عليه السلام بأصحابه إلى ظهر الكوفة ، فقال : "أرأيتم إن قلت لكم : لا تذهب الأيّام حتى يحفر هاهنا نهر يجري فيه الماء والسفن ، ما قلتم ، أكنتم مصدّقي فيما قلت" ؟. قالوا : يا أمير المؤمنين ويكون هذا ؟. قال : "إي والله ، لكأنّي أنظر إلى نهر في هذا الموضع ، وقد جرى فيه الماء وجرت فيه السفن ، تكون عذاباً على أهل هذه القرية أوّلاً ، ورحمة عليهم آخراً" .

قال : فلم تذهب الأيّام حتى حفر نهر الكوفة ، فكان عذاباً على أهل الكوفة أوّلاً ورحمة عليهم آخراً ، فكان فيه الماء ، وانتفع به ، وكان كما قال عليه السلام .[٢]

---

(١) إكمال الدين : ٢٩٠.

(٢) الخرائج والجرائح : ٧٥٤/٢.

د / شراء أمير المؤمنين عليه السلام أرض النجف

ورد في بعض الأخبار أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شرى أرض النجف لما انتهى إليه علمه بأنّ قبره وقبور شيعته ستكون بها ، ورغبته أن يُحشروا من ملكه .

أخرج الشريف محمد بن علي البطحاني في كتابه "فضل الكوفة وفضل أهلها" ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثنا محمد بن عبد الله الجعفي ، قال : حدّثنا إسحاق بن محمد المقري مولى بني هاشم ، قال : حدّثنا إسحاق بن يحيى العنزي ، قال : حدّثنا الحسن بن موسى الخشّاب ، قال : حدّثنا العباس بن عامر ، عن أبي عبد الرحمان اليشكري ، عن عقبة بن علقمة أبي الجنوب ، قال :

اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين ، وأشهد على شراه ، فقلنا : يا أمير المؤمنين لم تشتري هذا وليس ينبت فيه خضر ؟. فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : "كوفان ، كوفان ، ترد أوّلها على آخرها يُحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ، واشتهيت أن يُحشروا من ملكي" .

وبإسناده عن أبي الجنوب : اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم وأشهد على شرائه ، فقيل في ذلك ، فقال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله" ... الحديث .[(١)]

هـ / دفن أمير المؤمنين عليه السلام في النجف

حرص أبناء الإمام علي عليه السلام على إخفاء قبر أبيهم ، خشية تعدّي أعدائه عليه والمُثلة به . وقد بقي قبره الشريف سرّاً بين أبناء الإمام لم يطلعوا عليه أحداً إلاّ الخواص من أصحابهم . وكان الذي تنبّأوا به ، فقد ورد أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي أمر بنبش ثلاثة آلاف من قبور النجف الأشرف في طلب جثّة أمير المؤمنين عليه السلام فلم يظفر بذلك .[(٢)]

---

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) روضات الجنّات : ٥٣/٢ .

نعرض باختصار ما ورد من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في دفنه وموضع قبره :

١- ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله

أخرج الكليني ، عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن عمّار بن مروان ، قال : حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : "أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام" .[(١)]

وقال السيّد عبد الكريم بن طاووس : رأيت في كتاب ، عن الحسن بن الحسين ابن طحال المقدادي ، قال : روى الخلف عن السلف ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي :

"يا علي إنّ الله عرض مودّتنا أهل البيت على السماوات والأرض ، فأوّل من أجاب منها السماء السابعة فزيّنها بالعرش والكرسي ، ثمّ السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور ، ثمّ سماء الدنيا فزيّنها بالنجوم ، ثمّ أرض الحجاز فشرّفها بالبيت الحرام ، ثمّ أرض الشام فشرّفها ببيت المقدس ، ثمّ أرض طيبة فشرّفها بقبري ، ثمّ أرض كوفان فشرّفها بقبرك يا علي" ، فقال له : أُقبر بكوفان العراق ؟. فقال له : "نعم ، تُقبر بظاهرها قتلاً بين الغريّين والذكوات البيض ، يقتلك شقي هذه الأمّة عبد الرحمان بن ملجم ، فوالذي بعثني بالحق نبيّاً ما عاقر ناقة صالح بأعظم عقاباً منه ، يا علي ينصرك من العراق مئة ألف سيف" .[(٢)]

٢- ما ورد عن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام

أخرج أبو الفرج الأصفهاني ، عن الحسن بن علي الخلاّل ، عن جدّه ، قال : قلت

---

(١) الكافي : ١٣١/٣ .

(٢) فرحة الغري : ٥٧ .

للحسن بن علي : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟. قال : خرجنا به ليلاً حتى مررنا على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا إلى الظهر بجنب الغري .(١)

وأخرج الفضل بن الحسن الطبرسي ، عن حبان بن علي العنزي ، قال : حدّثنا مولى لعلي بن أبي طالب ، قال : لمّا حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين عليهما السلام : إذا أنا متّ فاحملاني على سريري ثمّ أخرجاني واحملا مؤخّر السرير فإنّكما تكفيان مقدّمه ، ثمّ ائتيا بي الغريّين فإنّكما ستريان صخرة بيضاء فاحتفرا فيها فإنّكما ستجدان فيها ساجة فادفناني فيها ، فلمّا مات عليه السلام أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخر السرير ونكفى مقدّمه وجعلنا نسمع دويا وحفيفاً حتى أتينا الغريين فإذا صخرة بيضاء تلمع فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها : "هذا ما ادّخره نوح عليه السلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام" . فدفنّاه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام ... .(٢)

٣- ما ورد عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام

قال السيّد عبد الكريم بن طاووس : وذكر الحسن بن الحسين بن طحال المقدادي : إنّ علي بن الحسين عليهما السلام قال - في حديث - لأبي حمزة الثمالي : هل لك أن تزور معي قبر جدّي علي بن أبي طالب ؟. قلت : أجل ، فسرت في ظل ناقته يحدّثني حتى أتينا الغريّين ، وهي بقعة بيضاء تلمع نوراً ، فنزل عن ناقته ومرّغ خدّيه عليها ، وقال : يا أبا حمزة ، هذا قبر جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثمّ زاره بزيارة أوّلها : "السلام على اسم الله الرضي ونور وجهه المضي" . ثمّ ودّعه ومضى إلى المدينة ، ورجعت أنا إلى الكوفة .(٣)

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٦.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٣٩٤/١.

(٣) فرحة الغري : ٧٧.

وروى السيّد ابن طاووس من كتاب مزار ابن أبي قرّة ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ، قال : كان أبي علي بن الحسين عليهما السلام قد اتّخذ منزلاً من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي عليهما السلام بيتاً من شعر وأقام بالبادية ، فلبث بها عدّة سنين كراهية لمخالطته الناس وملابستهم ، وكان يسير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجدّه عليهما السلام ، ولا يشعر بذلك من فعله .

قال محمد بن علي عليه السلام : فخرج سلام الله عليه متوجّهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وأنا معه ، وليس معنا ذو روح إلاّ الناقتين ، فلمّا انتهى إلى النجف من بلاد الكوفة ، وصار إلى مكانه منه ، فبكا حتى اخضلّت لحيته بدموعه ، ثمّ قال : "السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته ، أشهد لقد جاهدت يا أمير المؤمنين في الله حقّ جهاده ، وعملت بكتابه ، واتّبعت سنن نبيه صلى الله عليه وآله" ...[1]

٤- ما ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

أخرج الشيخ الطوسي ، عن محمد بن أحمد بن داود ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني الحسن بن علي بن فضّال ، قال : حدّثنا عمرو بن إبراهيم ، عن خلف بن حمّاد ، عبد الله بن حسّان ، عن الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث حدّث به :

كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام ، أن أخرجوني إلى الظهر ، فإذا تصوّبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفنوني وهو أوّل طور سيناء ، ففعلوا ذلك .[2]

٥- ما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

روى الشيخ الصدوق ، عن صفوان بن مهران الجمّال ، عن الصادق جعفر بن

---

(١) إقبال الأعمال : ٢٧٣/٢ .

(٢) تهذيب الأحكام : ٣٤/٦ .

محمد عليه السلام ، قال : سار وأنا معه في القادسية حتى أشرف على النجف ، فقال :
"هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدّي نوح عليه السلام ، فقال : ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ (١) فأوحى الله عزّ وجل إليه : يا جبل أيعتصم بك منّي أحد ، فغار في الأرض وتقطّع إلى الشام" .

ثمّ قال عليه السلام : إعدل بنا ، قال : فعدلت به ، فلم يزل سائراً حتى أتى الغري ، فوقف على القبر ، فساق السلام من آدم على نبيّ نبيّ عليهم السلام وأنا أسوق السلام معه حتى وصل السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله ، ثمّ خرّ على القبر فسلّم عليه وعلا نحيبه ، ثمّ قام فصلّى أربع ركعات - وفي خبر آخر ست ركعات - وصلّيت معه ، وقلت له : يا ابن رسول الله ، ما هذا القبر ؟ قال : "هذا القبر قبر جدّي علي بن أبي طالب عليه السلام" . (٢)

وأخرج ابن قولويه ، عن عبد الله بن سنان ، قال : أتاني عمر بن يزيد ، فقال لي : إركب ، فركبت معه ، فمضينا حتى نزلنا منزل حفص الكناسي ، فاستخرجه فركب معنا ، فمضينا حتى أتينا الغري ، فانتهينا إلى قبر ، فقال : انزلوا هذا القبر قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، فقلنا له : من أين عرفت هذا ، قال : أتيته مع أبي عبد الله عليه السلام حيث كان في الحيرة غير مرّة ، وخبّرني أنّه قبره . (٣)

وأخرج ابن قولويه : حدّثني أبي ، عن سعد بن عبد الله ، عن الحسن بن موسى الخشّاب ، عن علي بن أسباط ، رفعه ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام :
"إنّك إذا أتيت الغري رأيت قبرين قبراً كبيراً وقبراً صغيراً ، فأمّا الكبير فقبر أمير المؤمنين ، وأمّا الصغير فرأس الحسين بن علي عليهما السلام" . (٤)

---

(١) سورة هود : الآية ٤٣ .

(٢) من لايحضره الفقيه : ٢/٥٨٦ .

(٣) كامل الزيارات : ٨٢ .

(٤) كامل الزيارات : ٨٤ .

وأخرج الكليني : عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن يحيى بن زكريّا ، عن يزيد ابن عمر بن طلحة ، قال :

قال لي أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة : "أما تريد ما وعدتك" ؟. قلت : بلى - يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه - قال : فركب وركب إسماعيل وركبت معهما حتى إذا جاز الثويّة وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما ، فصلّى وصلّى إسماعيل وصلّيت ، فقال لإسماعيل : قُمْ فسلّم على جدّك الحسين عليه السلام ، فقلت : جعلت فداك أليس الحسين بكربلا ؟ فقال : "نعم ، ولكن لمّا حمل رأسه إلى الشام سرقه مولىً لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام" .[1]

وأخرج الشيخ الطوسي ، عن محمد بن أحمد بن داود ، عن محمد بن همام ، قال : أخبرنا محمد بن محمد ، عن علي بن محمد ، قال : حدّثني أحمد بن ميثم الطلحي ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه :

عن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أين دُفن أمير المؤمنين عليه السلام ؟. قال : "دُفن في قبر أبيه نوح عليه السلام" ، قلت : وأين قبر نوح ؟. الناس يقولون إنّه في المسجد ، قال : "لا ، ذاك في ظهر الكوفة" .[2]

وأخرج السيّد عبد الكريم بن طاووس ، عن المعلى بن خنيس ، قال : كنت مع أبي عبد الله بالحيرة ، فقال لهم : أفرشوا لي في الصحراء وافرشوا لمعلّى عند رأسي ، فجاء فرمى برأسه عند صدر فراشه ، وجئت إلى رأسه فرأيت إنّه قد نام ، فقال : يا معلّى ، قلت : لبّيك ، قال : أما ترى النجوم ما أحسنها ! قلت : ما أحسنها ! فقال : "أما إنّها أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاء أهل السماء ما يوعدون ، ونحن أمان لأهل الأرض فإذا

---

(١) الكافي : ٥٧١/٤ .

(٢) تهذيب الأحكام : ٣٤/٦ .

ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون" ، قل لهم : يسرجوا على البغل والحمار ، وقال : إركب البغل ، قلت : أركب البغل ، قال : أقول لك إركب البغل وتقول لي أركب البغل ، قال : فركبت البغل وركب الحمار ، فقال لي : أمامك فجئنا حتى صرنا الى الغريّين ، فقال لي : هما ، قلت : نعم ، قال : خذ يسرة . قال : فمضينا حتى انتهينا إلى موضع ، فقال لي : إنزل ونزل ، وقال لي : هذا قبر أمير المؤمنين ، فصلّى وصلّيت .(١)

وعن صفوان الجمّال ، قال : كنت أنا وعامر بن عبد الله بن خزاعة الأزدي عند أبي عبد الله عليه السلام ، قال : فقال له عامر : إنّ الناس يزعمون أنّ أمير المؤمنين دُفن بالرحبة ، قال : لا ، قال : فأين دفن ؟ قال : إنّه لمّا مات احتمله الحسن فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف ، يسرة عن الغري ، يمنة عن الحيرة ، فدفنه بين ذكوات بيض ، فلمّا كان بعد أيام ذهبت إلى الموضع فتوهّمت موضعاً منه ، ثمّ أتيته فأخبرته ، فقال لي : أصبت رحمك الله ، ثلاث مرّات .(٢)

وأخرج ابن قولويه ، عن إسحاق بن جرير عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إنّي لمّا كنت بالحيرة عند أبي العباس كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً وهو بناحية نجف الحيرة إلى جانب غريّ النعمان ، فأُصلّي عنده صلاة الليل وأنصرف قبل الفجر .(٣)

وأخرج ابن قولويه ، عن المفضّل بن عمر ، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت : إنّي أشتاق إلى الغري ، قال : فما شوقك إليه ؟. قلت له : إنّي أُحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : فهل تعرف فضل زيارته ؟. قلت : لا يابن رسول الله ، فعرّفني ذلك ، قال : "إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام"... .(٤)

---

(١) فرحة الغري : ٩٠.

(٢) فرحة الغري : ٩٢.

(٣) كامل الزيارات : ٨٧.

(٤) كامل الزيارات : ٨٩.

وروى السيّد ابن طاووس ، عن محمد بن معد الموسوي ، قال : رأيت في بعض الكتب الحديثية ، حدّثنا أبو جعفر محمد بن عبد العزيز بن عامر الدهّان ، قال : حدّثنا علي بن عبد الله الأنباري ، قال : حدّثنا محمد بن أحمد بن عيسى ابن أخي الحسين بن يحيى ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الجعفري ، قال : وجدت في كتاب أبي : حدّثتني أُمّي عن أُمّها ، أنّ جعفر بن محمد عليه السلام حدّثها :

أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور في أربع مواضع : في المسجد ، وفي الغري ، وفي دار جعدة بن هبيرة ، وفي الرحبة ، وإنّما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره .(١)

٦- ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

أخرج ابن قولويه ، عن الحسن بن الجهم بن بكير ، قال : ذكرت لأبي الحسن عليه السلام يحيى بن موسى وتعرّضه لمن يأتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنّه كان ينزل موضعاً كان يقال له الثويّة يتنزّه إليه ، ألا وقبر أمير المؤمنين عليه السلام فوق ذلك قليلا ، وهو الموضع الذي روى صفوان الجمّال أنّ أبا عبد الله وصفه له ، قال له فيما ذكر : "إذا انتهيت إلى الغري ظهر الكوفة ، فاجعله خلف ظهرك وتوجّه إلى نحو النجف ، وتيامن قليلاً ، فإذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنيّة أمامه فذلك قبر أمير المؤمنين عليه السلام" . وأنا أتيته كثيراً ، ومن أصحابنا من لا يرى ذلك ويقول : هو في المسجد ، وبعضهم يقول : هو في القصر ، فأردّ عليهم بأنّ الله لم يكن ليجعل قبر أمير المؤمنين عليه السلام في القصر في منازل الظالمين ، ولم يكن يُدفن في المسجد وهم يريدون ستره ، فأيّنا أصوب ، قال : "أنت أصوب منهم ، أخذت بقول جعفر بن محمد عليهما السلام" .

قال : ثمّ قال لي : يا أبا محمد ما أرى أحداً من أصحابنا يقول بقولك ولا يذهب

---

(١) فرحة الغري : ١٠٠ .

مذهبك ، فقلت له : جعلت فداك أما ذلك شيء من الله ، قال : أجل ، إنّ الله يوفّق من يشاء ويؤمن عليه ، فقل ذلك بتوفيق الله واحمده عليه .(١)

وقال السيّد ابن طاووس : قرأت بخط السيّد الشريف أبي يعلى الجعفري (صهر الشيخ المفيد) في كتابه ما صورته : روى أصحابنا :

عن أيّوب بن نوح ، قال : كتبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : إنّ أصحابنا قد اختلفوا في زيارة قبر أمير المومنين عليه السلام ، فقال بعضهم : بالرحبة ، وقال بعضهم : بالغري . فكتب : زُرْه بالغري .(٢)

٧- ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

روى ابن قولويه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، قال : سألت الرضا عليه السلام ، فقلت : أين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : الغري ، فقلت له : جعلت فداك إنّ بعض الناس يقولون : دُفن في الرحبة ، قال : لا ، ولكنّ بعض الناس يقول : دفن بالمسجد .(٣)

٨- ما ورد عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

نقل السيّد عبد الكريم بن طاووس عن أبي علي بن همام في "كتاب الأنوار" أنّ الإمام محمد بن علي عليه السلام أحد الأئمة الذين دلّوا على مشهده ، وأشار إلى هذا الموضع الذي يزار الآن .(٤)

---

(١) كامل الزيارات : ٨٤.

(٢) فرحة الغري : ١٢٩ .

(٣) كامل الزيارات : ٨٨.

(٤) فرحة الغري : ١٣٤ .

٩- ما ورد عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

وأخرج السيّد ابن طاووس ، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ، قال : تقول : "السلام عليك ياوليّ الله أنت أوّل مظلوم ، وأوّل من غصب حقه ، صبرت واحتسبت حتى أتاك اليقين ... " إلى آخر الزيارة .

وأخرج عن الحسن بن علي العسكري ، عن أبيه عليه السلام ، إنّه زار بها يوم الغدير في السنة التي أشخصه فيها المعتصم ، وهي : "السلام على رسول الله خاتم النبيّين " .. إلى آخرها .[(١)]

١٠- ما ورد عن الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

ونقل السيّد ابن طاووس عن أبي علي بن همام في "كتاب الأنوار" ، أنّ الإمام الحسن بن علي عليه السلام أحد الأئمّة الذين دلّوا على مشهده ، وأشار إلى هذا الموضع الذي يزار الآن .[(٢)]

١١- ما ورد عن زيد بن علي عليه السلام

وأخرج السيّد ابن طاووس ، عن أبي قرّة ، قال : انطلقت أنا وزيد بن علي نحو الجبانة ، فصلّى ليلاً طويلاً ، ثمّ قال : يا أبا قرّة ، أتدري أي موضع هذا ؟. قال : قلت : لا ، قال : نحن قرب قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، يا أبا قرّة نحن في روضة من رياض الجنّة .[(٣)]

و / فضل زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام

وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام أحاديث كثيرة في فضل زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، مبثوثة في كتب الزيارات والأدعية ، وفيما يلي بعضها :

---

(١) فرحة الغري : ١٣٥ .

(٢) فرحة الغري : ١٣٦ .

(٣) فرحة الغري : ١٣٨ .

١- الشيخ الطوسي : أخبرنا محمد بن محمد ، قال : أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن محمد بن مسلم :

عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : "من زار أمير المؤمنين عارفا بحقّه ، غير متجبّر ، ولا متكبّر ، كتب الله له أجر مئة ألف شهيد ، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ، وبعث من الآمنين ، وهوّن عليه الحساب واستقبلته الملائكة ، فإذا انصرف شيّعته إلى منزله ، فإن مرض عادوه ، وإن مات تبعوه بالإستغفار إلى قبره .

قال : ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله له ثواب ألف حجّة مقبولة وألف عمرة مقبولة ، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر" .[(١)]

٢- ابن قولويه : حدّثني علي بن الحسين ، عن علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن عثمان بن عيسى ، عن المعلّى بن أبي شهاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

قال الحسن لرسول الله صلى الله عليه وآله : "يا أبه ، ما جزاء من زارك" ؟. قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "بني من زارني حيّاً أو ميّتاً ، أو زار أباك ، كان حقّاً على الله عزّ وجل أن أزوره يوم القيامة فأخلصه من ذنوبه ."[(٢)]

٣- وقال ابن قولويه : حدّثني محمد بن الحسن ، عن محمد بن الحسن الصفّار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي بن فضّال ، عن مفضل بن صالح ، عن محمد بن علي الحلبي :

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : "إنّ الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلاّ أهل الكوفة ، وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلّي عنده أربع ركعات إلاّ رجعه الله مسروراً بقضاء حاجته ."[(٣)]

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٢١٥.

(٢) كامل الزيارات : ٩١.

(٣) كامل الزيارات : ٣١٣.

٤- المفيد : أخبرني أبو بكر محمد بن عمر الجعابي ، قال : حدّثنا أبو العباس أحمد ابن محمد بن سعيد الهمداني ، قال : حدّثنا الحسن بن علي بن الحسن ، قال : حدّثنا محمد بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن عبيد الله القصباني :

عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد ﷺ ، يقول : "إنّ ولايتنا ولاية الله عزّ وجل التي لم يبعث نبيّ قط إلاّ بها ، إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجبال والأمصار ، فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ، وإنّ إلى جانبهم لقبراً ما لقاه مكروب إلاّ نفّس الله كُربته ، وأجاب دعوته ، وقَلَبَهُ إلى أهله مسروراً ."(١)

٥- ابن طاووس : وبالإسناد ، عن الشيخ المفيد ، عن محمد بن أحمد بن داود ، عن علي بن محمد ، عن عمّه ، قال : حدّثني أحمد بن محمد ، عن أحمد بن الفضل الخزاعي ، عن عثمان بن سعيد ، عن رجل :

عن أبي عبد الله ﷺ ، قال : "إنّ إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قط فصلّى عنده ركعتين أو أربع ركعات إلاّ نفّس الله عنه كربته وقضى حاجته" .(٢)

٦- وقال ابن طاووس : وبالإسناد إلى محمد بن أحمد بن داود ، قال : حدّثنا محمد ابن الحسن الرازي ، عن الحسين بن إسماعيل الصيمري :

عن أبي عبد الله ، قال : "من زار قبر أمير المؤمنين ﷺ ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّة وعمرة ، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة حجّتين وعمرتين" .(٣)

٧- قال : وأخبرني الفقيه المقتدى نجيب الدين يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي البركات بن إبراهيم الصنعاني ، عن الحسين بن رطبة ، عن أبي علي الطوسي ، عن

---

(١) كامل الزيارات : ٣١٣.

(٢) فرحة الغري : ٩٤.

(٣) فرحة الغري : ١٠٢ .

المفيد ، عن محمد بن أحمد بن داود ، عن أبي الحسين أحمد بن محمد الرازي المجاور ، قال : حدّثنا أبو محمد بن المغيرة الكوفي ، قال : حدّثنا الحسن بن محمد بن مالك ، عن أخيه جعفر :

عن رجاله يرفعه ، قال : كنت عند الصادق عليه السلام ، وقد ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : "يا ابن مارد ، من زار جدّي عارفاً بحقّه ، كتب الله له بكلّ خطوة حجّة مقبولة وعمرة مبرورة . والله يا ابن مارد ، ما يطعم الله النار قدماً تغبّرت في زيارة أمير المؤمنين ماشياً كان أو راكباً . يا ابن مارد ، اكتب هذا الحديث بماء الذهب ."[١]

٨- قال : وبالإسناد ، عن محمد بن أحمد بن داود ، قال : حدّثنا ابن تمام ، قال : حدّثنا محمد بن محمد بن رباح ، قال : حدّثنا أبو القاسم علي بن محمد بن رباح ، قال : حدّثني أحمد بن حماد بن زهير القرشي ، عن يزيد بن إسحاق ، عن أبي السحيف الأرحبي ، قال :

حدّثني عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي ، عن أبيه ، قال : دخلت على أبي عبد الله ، فقال : "يا عبد الله بن طلحة ، أما تأتون قبر أبي الحسين" ؟. قلت : بلى جعلت فداك إنّا لنأتيه ، قال : "تأتونه كلّ جمعة" ؟. قلت : لا ، قال : "فتأتونه في كلّ شهر" ؟. قلت : لا ، قال : "ما أجفاكم !. إنّ زيارته تعدل حجّة وعمرة ، وزيارة أبي علي عليه السلام تعدل حجّتين وعمرتين ."[٢]

٩- قال : وبالإسناد ، عن محمد بن أحمد بن داود ، قال : أخبرنا أحمد بن محمد ابن سعيد ، قال : حدّثنا حمّاد بن يعلى ، قال :

أخبرني حسّان بن مهران الجمّال ، قال : قال لي جعفر بن محمد : "يا حسّان أتزور قبور الشهداء قبلكم" ؟. قلت : أيّ الشهداء ؟. قال : "علي وحسين" ، قلت : إنّا نزورهما فنكثر ،

---

(١) فرحة الغري : ١٠٣ .

(٢) فرحة الغري : ١٠٦ .

قال : "أولئك الشهداء المرزوقين ، فزوروهم وافزعوا عندهم بحوائجكم ، فلو يكونون منّا كموضعهم منكم لاتّخذناهم هجرة" .(١)

١٠- قال : أخبرني الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي البركات الصنعاني ، عن الحسين بن رطبة ، عن أبي علي الطوسي نقلاً من خطّه من "التهذيب" ، عن المفيد ، عن محمد بن أحمد ، عن أبيه ، قال : حدّثنا الحسن بن علي بن فضّال ، قال : حدّثنا عمرو بن إبراهيم ، عن خلف بن حمّاد ، عن إسماعيل :

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : "نحن نقول : بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلاّ شفاه الله" .(٢)

١١- قال : أخبرني الوزير السعيد نصير الدين ، عن والده ، عن السيّد فضل الله ، عن ذي الفقار ، عن الطوسي ، عن المفيد ، عن محمد بن أحمد ، قال : أخبرنا محمد بن بكران النقّاش ، قال : حدّثنا الحسين بن محمد المالكي ، قال : حدّثنا أحمد بن هلال ، قال :

حدّثنا أبو شعيب الخراساني ، قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : أيّما أفضل زيارة قبر أمير المؤمنين ، أو زيارة الحسين رحمه الله ؟. قال : "إنّ الحسين قتل مكروباً ، فحقّاً على الله جلّ ذكره أن لا يأتيه مكروب إلاّ فرّج الله كربه ، وفضل زيارة أمير المؤمنين على زيارة قبر الحسين كفضل أمير المؤمنين عليه السلام على الحسين" .(٣)

ز / فضيلة دفن الموتى في النجف

تضافر النقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ هذه البقعة الشريفة من أرض النجف هي تربة يُدفن فيها المؤمنون . وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام في أيام خلافته بالكوفة يخرج إلى النجف ويشتغل بالعبادة هناك ، وربّما كان يخرج إليها مع الخواص من أصحابه يحدّثهم بفضل الدفن في تلك الأرض المقدّسة .

---

(١) فرحة الغري : ١٠٦ .

(٢) فرحة الغري : ١١٧ .

(٣) فرحة الغري : ١٣٠ .

أخرج ابن عساكر، قال: أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن الحسني قراءة عليه، أنبأنا محمد بن عبد الله الجعفي، حدّثنا الحسين بن محمد بن الفرزدق الفزاري، حدّثنا جعفر بن عبد الله المحمدي، قال: سمعت محمد بن أبي عمير يذكر:

عن محمد بن مسلم قال: سألت الصادق عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[١] قال: "الربوة النجف، والقرار المسجد، والمعين الفرات. ثمّ قال: إنّ نفقة بالكوفة الدرهم الواحد يعدل بمئة درهم في غيرها، والركعة بمئة ركعة، ومن أحبّ أن يتوضّأ من ماء الجنّة ويشرب من ماء الجنّة ويغتسل بماء الجنّة فعليه بماء الفرات فإنّ فيه شعبتين من الجنّة، وينزل من الجنّة كلّ ليلة مثقالان من مسك في الفرات. وكان أمير المؤمنين علي يأتي النجف ويقول: وادي السلام ومجمع أرواح المؤمنين ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان، وكان يقول: اللهم اجعل قبري بها".[٢]

وروى الحسن بن سليمان الحلّي، عن الفضل بن شاذان في "كتاب القائم"، عن سعد بن طريف:

عن الأصبغ بن نباتة في حديث طويل يذكر فيه أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه خرج من الكوفة ومرّ حتى أتى الغريّين، فجازه فلحقناه وهو مستلق على الأرض بجسده ليس تحته ثوب، فقال له قنبر: يا أمير المؤمنين ألا أبسط ثوبي تحتك، قال عليه السلام: "لا، هل هي إلاّ تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه"، قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين تربة مؤمن قد عرفناها كانت أو تكون فما مزاحمته في مجلسه، فقال عليه السلام: "يابن نباتة

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢١٣/١.

لو كشف لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذا الظهر حلقاً يتزاورون ويتحدّثون . إنّ في هذا الظهر روح كلّ مؤمن ، وفي وادي برهوت نسمة كلّ كافر" .[١]

ح / عقيدة اليهود بالدفن في النجف

اعتقد اليهود بفضل دفن الموتى في أرض النجف لما أشارت إليه كتبهم أن سيبعث من هذه الأرض سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب . وقد تقدّمت الإشارة - في أسماء موضع النجف - أنّ "بانقيا" أرض بالنجف دون الكوفة لم يزل اليهود يسكنونها عصر الخلافة الراشدة .

أخرج السيّد الشريف محمد بن علي العلوي الحسني البطحاني ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثنا محمد بن الحسين القرشي ، قال : حدّثنا زيد ابن محمد العلوي ، قال : حدّثنا الحسين بن الحكم ، قال : حدّثنا إسماعيل ابن صبيح ، قال :

حدّثنا الحسين بن كثير ، عن أبيه ، قال : كنّا في الرحبة جلوساً عند علي عليه السلام فأرسل إلى رأس الجالوت فقال له : "يا رأس الجالوت" ، فقال : لبّيك يا أمير المؤمنين ، فقال : "مابال موتاكم يُجاء بهم من أطراف الأرض حتى يدفنوا بظهر الكوفة" ؟. قال : إنّا نجد في كتاب موسى أنّه يبعث من ظهر الكوفة سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب ، قال : "يا رأس الجالوت أولئك منّا وليسوا منكم أولئك قوم لايسترقون ولا يكنزون ولا يتطيَّرون وعلى ربّهم يتوكّلون أولئك منّا وليسوا منكم" .[٢]

وأخرج أسلم بن سهل الواسطي في تاريخه ، قال : حدّثنا محمد بن حرب ، قال : حدّثنا علي بن عاصم ، عن حصين ، قال :

سمعت عمرو بن حريث يقول : قالت اليهود أعداء الله : يُبعث منّا من هذا المكان -

---

(١) المحتضر : ٤ .

(٢) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ٣.

يعني ظهر الكوفة – سبعون ألفاً يدخلون الجنّة لا حساب عليهم . قال عمرو بن حريث : كذبوا والله إنّا لنرجو أن نكون نحن هم .(١)

ط / أخبار ظهور المهدي عليه السلام في النجف ، وفتن آخر الزمان

أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ، قال : أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي ، أنبأنا محمد بن علي الحسني ، حدّثنا محمد بن العباس الحذّاء ، حدّثنا علي بن عبد الرحمن ابن عيسى بن ماني ، حدّثنا محمد بن إبراهيم العامري ، حدّثنا محمد بن راشد الحبّال ، حدّثنا عيسى بن عبد الله ، عن أبيه ، وحسين بن زيد ، عن أبيه :

عن عبد الملك بن أبي ذر الغفاري ، قال : أمرني أبي بصحبة سلمان الفارسي ، فصحبته إلى الشام ، فرابطنا بها حتى إذا انقضى رباطنا أقبلنا نريد الكوفة ، فلمّا أتينا إلى النجف قال لي سلمان : "أهيَ هيَ" ، قال : قلت : لا ، وكانت أبيات الحيرة . قال : فسرنا حتى بدت لنا أبيات الكوفة ، فقال لي : "أهيَ هيَ" ، قال : قلت : نعم . فقال : "واهاً لكِ أرض البليّة وأرض التقيّة . والذي نفس سلمان بيده إنّي لأعلم أنّ لكِ زمانا لا يبقى تحت أديم السماء مؤمن إلاّ وهو فيك أو يحنّ إليكِ .

والذي نفس سلمان بيده كأنّي أنظر إلى البلاء يصبّ عليك صبّاً ثمّ يكشفه عنكِ قاصم الجبّارين .

والذي نفس سلمان بيده ما أعلم أنّه تحت أديم السماء أبيات يدفع الله عنها من البلاء والحزن إلاّ دون ما يدفع عنكِ إلاّ أبياتاً أحاطت ببيت الله الحرام أو بقبر نبيّه ﷺ .

والذي نفس سلمان بيده كأنّي أنظر إلى المهدي قد خرج منكِ في إثني عشر ألف عنان لا يرفع له راية إلاّ أكبّها الله لوجهها حتى يفتح مدينة القسطنطينية" .(٢)

---

(١) تاريخ واسط : ٩٨/١ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٥/٣٧ .

وروى الشريف محمد بن علي البطحاني بإسناده ، عن الأصبغ :

عن سلمان ، قال : لمّا عاد سلمان من النجف تراءت له الحيرة فقال : "هذه كوفان" ؟. قالوا : لا يا أبا عبد الله ولكن هذه الحيرة . ثمّ سار حتى أشرف على الكوفة ، فقالوا : يا أبا عبد الله هذه كوفان ، فقال : "هذه كوفان" ؟. ثمّ قال : "واهاً لك يا بلدة ما من بلد يدفع ما يدفع عنها إلاّ أخبية كانت مع محمد ﷺ ، وليأتينّ عليها زمان يُبنى ما بين النهرين إلى النهرين حتى أنّ الرجل ليغدو على البغلة السفر يريد الجمعة فما يقدر عليها إلاّ أن يعجّل قبل ذلك بيوم ، وحتى لايبقى في الأرض مؤمن إلاّ وهو بها ، أو هواه فيها يحنّ إليها ، وحتى يباع مجال الفرس فيها بألف دينار" .[١]

وبإسناده ، عن جندب الأزدي ، قال : قدمنا مع سلمان الفارسي فلمّا علا على النجف قال : "هيَ هيَ" ؟ قلنا : لا ، قال : ثمّ مضى حتى أشرف على الكوفة ، فقال : "قبّة الإسلام ، مرّتين ، أما أنّه لايبقى مؤمن إلاّ بها ، أو يحنّ قلبه إليها ، ما أعلم ، إلاّ أنّه سيمتلئ ما بين النهرين وعقدت سهل ثلاثة عشر فرسخاً" .[٢]

---

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٤١ .

(٢) فضل الكوفة وفضل أهلها : الحديث ١٣١ .

الفصل الخامس

تاريخ الحركة العلمية في النجف

هجرة الشيخ الطوسي للنجف وتأسيس الجامعة الكبرى

فتور الحركة العلمية في النجف

بروز الحركة العلمية في الحلّة

رجوع النشاط للحركة العلمية في النجف

دور التكامل في الفقه الشيعي

نشوء المدارس العلمية في النجف

تاريخ الحركة العلمية في النجف

تقدّم في موضوع "نشوء النجف بعد ظهور المرقد المطهّر" أنّ المجاورة للمرقد الشريف عادت من جديد واستقرّت مع تسلّم المعتضد العباسي زمام الخلافة سنة ٢٧٩هـ فانتقل بعض محدّثي الكوفة وطالبي علوم أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة الناشئة، واقترن بذلك نشوء الحركة العلمية في النجف، لتصبح هذه الحركة امتداداً لمدرسة الكوفة التي ظهرت في أواسط القرن الثاني في حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام واستمرت حتى الربع الأول من القرن الرابع الهجري، كما اتّسمت بسماتها وأسلوبها بطابع فكري قديم خاص بها. ولم تمض الأيام حتى أصبحت النجف مأوى لعلماء الشيعة.

فقد ورد أنّ في سنة ٢٩٦هـ زار مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف الحسين ابن أحمد بن عبد الله المعروف عند الإسماعيلية بالمستور أو المكتوم، واتّصل في النجف بأبي القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر[1] أحد الشيعة الإمامية المعروفين الذين كانوا على اتصال دائم بالإمام الحسن العسكري عليه السلام، واتّصل في النجف أيضاً بعلي بن الفضل.[2]

ويفهم من قوله: "واتّصل في النجف بأبي القاسم وعلي بن الفضل" أنّهما لم يكونا زائرين للنجف بل كانا مقيمين فيه، والحسين بن روح هو النوبختي المتوفى سنة ٣٢٦هـ

---

(١) في المصدر: "الحسن بن فرح بن حوشب"، وهو تصحيف للترجمة عن الإنكليزية، والصواب ماأثبتناه.

(٢) عن كتاب "شيعة الهند"، كما في "موسوعة العتبات المقدّسة" (قسم النجف): ١/١٩٤.

وهو النائب الثالث للإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ، وعلي بن الفضل كأنّه ابن العباس البغدادي المعروف بأبي الحسن الحنوطي أحد مشايخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ. على أنّ إقامة أحد النوّاب الأربعة في النجف ولو لفترة يكشف عن أنّها أصبحت مركزاً للمرجعية الشيعية في ذلك العصر ، فهم رضي الله عنهم سفراء الإمام الغائب عليه السلام ، ومفزع الناس للإجابة عن استفتاءاتهم وقبض حقوقهم الشرعية لإيصالها إلى مستحقّيها ودفع الشبه ونفي البدع عن المذهب . ويلازم ذلك وجود أصحاب للنوبختي من أهل العلم في رحلته إلى النجف ، كما يظهر من هذه الرحلة أنّ النجف لم تكن خالية من رجال علم مقيمين بها حين قدومه رحمه الله ، إذ لم يكن لمرجع ديني أن يهاجر لأرض جرداء من العلم .

ويدعم إقامة الحسين بن روح في النجف ، مع ماعُرف عنه إقامته في بغداد ، ما ورد من أحداث متوالية مرّت بها مدينة بغداد سنة ٢٩٦هـ، كما أوردها ابن الأثير ، منها :

اجتماع جماعة من القوّاد والجند والأمراء على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز الخلافة ، ومحاولة الفتك بالمقتدر في دار الخلافة ، وما تبع ذلك من وقوع النهب في البلد والهرج والمرج ، ثمّ إعادة المقتدر إلى الخلافة - بما يشبه الأحداث التي مرّت بها بغداد في عهد الأمين وأخيه المأمون - والمقتدر هو ثاني خليفة يعاد إلى الخلافة بعد الأمين . وسقوط ثلج عظيم ببغداد في هذه السنة حتى اجتمع على الأسطح منه نحو من أربعة أصابع وهذا غريب في بغداد جدّاً ، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس يستسقون لأجل تأخّر المطر عن وقته .(١)

وفي سنة ٣٠٨هـ أقام في النجف الأشرف النقيب السيّد شريف الدين محمد المعروف بابن السدرة ، وكان قد نازع أبا الحسين زيداً الأسود بن الحسين بن كتيلة

(١) البداية والنهاية : ١٢١/١١.

فضيّق عليه ابن كتيلة وغلبه في النقابة وصار هو النقيب . فسافر إلى المشهد الغروي في النجف الأشرف وأقام فيه حتى توفي ، وخلف من الذكور سبعة ومن الإناث خمسة ، وكثروا وانتشروا واشتهروا ببني السدرة .(١)

وغير خفي أنّ النقابة في ذلك الوقت لم تكن إلاّ بيد علماء أجلاّء ، ولم يكن لينتقل إلى النجف إلاّ بعد أن وجد فيها بيئة صالحة للتوطّن وبث العلم .

ومن شواهد وجود الحركة العلمية في أوائل القرن الرابع الهجري ما ذكره النجاشي في ترجمة أبي الحسن إسحاق بن الحسن بن بكران العقراني (العقرائي) التمّار ، قال : رأيته بالكوفة وهو مجاور ، وكان يروي كتاب الكليني عنه . له كتاب "الرد على الغلاة" ، وكتاب "نفي السهو عن النبي ﷺ" ، وكتاب "عدد الأئمة" .(٢)

ومن المعلوم أنّ وفاة الشيخ الكليني كانت سنة ٣٢٩هـ فتكون ولادة العقراني حدود سنة ٣٠٠هـ . و"المجاور" يطلق على المقيم في الأماكن المشرّفة ، فيقال : مجاور مكّة المعظمة ، ومجاور المدينة المنوّرة . والمراد هنا مجاور الغري بظهر الكوفة ، ومراده أنّه لم يكن زائراً للنجف بل كان مقيماً بها .(٣)

وفي سنة ٣٧١هـ كانت زيارة السلطان عضد الدولة البويهي للنجف .

قال السيّد عبد الكريم بن طاووس : نقلت من خطّ السيّد علي بن عزام الحسيني رحمه الله ما صورته : حدّثنا يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، أنّه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله بن محمد بن السري المعروف بابن البرسي رحمه الله ، بمشهد الغري سلام الله على صاحبه ، على ظهر كتاب بخطّه ، قال :

---

(١) تاريخ الكوفة : ٢٠٣.

(٢) رجال النجاشي : ٧٤.

(٣) الذريعة : ٢١٣/١٠.

كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة أحدى وسبعين وثلاثمئة ... وتوجّه الى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرّخ ، ودخلها . وتوجّه إلى المشهد الغروي يوم الإثنين ، ثاني يوم وروده وزار الحرم الشريف ، وطرح في الصندوق دراهم ، فأصاب بكلّ واحد منهم أحدى وعشرون درهماً ، وكان عدد العلويّين ألفاً وسبعمئة اسم ، وفرّق على المجاورين خمسة آلاف درهم وعلى المتردّدين خمسة آلاف درهم ، وعلى القرّاء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتّبين والخازن والنوّاب على يد أبي الحسن العلوي ، وعلى يد أبي القاسم بن أبي العابد ، وأبي بكر بن سيار رحمه الله .[(١)]

ويظهر من النص الذي أورده ابن طاووس أنّ السلطان عضد الدولة البويهي عندما جاء لزيارة المرقد المطهّر وجد المدينة عامرة بالسكان ، وأنّ هناك عدداً كبيراً من الفقهاء المقيمين فيها . ويدلّ على وفرة طلاّب العلم في النجف كثرة ما بذله عضد الدولة البويهي على القرّاء والفقهاء في زيارته .

يقول الدكتور عبد الله فياض : إنّ المراد من "المتردّدين" ، تعني الأفراد غير المقيمين بصورة دائمة في مدينة النجف ، وقد يكون من بين هؤلاء عدد من العلماء والطلبة الذين وردوا لزيارة مرقد الإمام عليه السلام للدرس والتدريس في الوقت نفسه . وممّا يرجّح وجود عدد من المشتغلين بطلب العلم بين المتردّدين هو التقليد المعروف بين المربّين المسلمين بما فيهم الشيعة الإمامية بالرحلة في طلب العلم الذي كان من مقتضياته أن يرحل الطلبة إلى لقاء الأساتذة ، والشيوخ لرواية الحديث عن أهل البيت عليهم السلام .[(٢)]

---

(١) فرحة الغري : ١٥٤ .

(٢) تاريخ التربية عند الامامية : ٢٧٤ .

ويؤيّد ما ذهب إليه الدكتور فياض ما ورد في زيارة العلاّمة الرجالي الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي النجف الأشرف عام ٤٠٠هـ ولقائه بجماعة من علماء الشيعة في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير ، فالتقى بالمحدّث الجليل الشيخ أبي نصر هبة الله بن أحمد بن محمد الكاتب المعروف بابن بُرينة [١] كما التقى بشيخه أبي عبد الله بن الخمري ، الذي أجاز له في المشهد أن يروي عن الحسين بن أحمد بن المغيرة أبي عبد الله البوشنجي .[٢]

وبعد التقدّم العمراني الذي حصل لمدينة النجف في العهد البويهي أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة وغيرها تنتقل إليها وتقطنها ويقصدها طلاب العلوم والمعرفة .

وكما ترى ممّا تقدّم فإنّ النجف قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها عام ٤٤٨هـ كانت مأوى للعلماء ولم تخل من حركة علمية لعلماء مقيمين فيها ، وإنّما لا يرقى إلى وجود جامعة علمية حتى هجرته المباركة ، فانتظم الوضع الدراسي وتشكّلت الحلقات العلمية كما يتّضح ممّا كان يمليه الشيخ على تلامذته في كتابه "الأمالي" .

هجرة الشيخ الطوسي للنجف وتأسيس الجامعة الكبرى

استطاع الشيخ الطوسي قبل هجرته إلى النجف أن يؤسّس في بغداد مركزاً علمياً مهمّاً يرتاده الخاص والعام . ونتيجة لقدراته العلمية وقابليّاته المتميّزة منحه الخليفة القائم بأمر الله كرسي الكلام والذي لم يكن يمنحه إلاّ لفطاحل العلماء الذين يتمتعون بشهرة علمية واسعة . وقد رفعته جلالته ومهابته وجهوده العلمية المثمرة ومؤلّفاته الكثيرة في مختلف العلوم الإسلامية أن يصبح زعيماً ومرجعاً للشيعة في بغداد تأوي إليه في مختلف شؤونها منذ وفاة أستاذه السيد المرتضى عام ٤٣٦هـ.

---

(١) رجال النجاشي : ٤٤٠ .

(٢) رجال النجاشي : ٦٨ .

ولم تزل حوادث الفتن الطائفية في بغداد تتّسع بعد ورود السلاجقة وأميرهم طغرل بك إليها عام ٤٤٧هـ ، حتى أمر طغرل بك بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي ، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها ، وكانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة كما وصفها ياقوت الحموي .(١)

وقد أدّى تطوّر الأحداث في بغداد عام ٤٤٨هـ إلى هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف بعد أن نهبت داره فيها وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسي كان يجلس عليه للكلام ، وأخرج إلى الكرخ وأضيف إليه ثلاث سناجيق بيض كان الزوّار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع . وبذا انهارت الحوزة الشيعية في بغداد وتفرّق رجالها .

وما أن نزل الشيخ الطوسي بالنجف وجاور المشهد المقدّس حتى بدأ بسعي حثيث لتشكيل حلقات علمية صيّرها بعد اثني عشر عاماً جامعة علمية كبرى للشيعة الإمامية ، ومركزاً علمياً تشدّ إليه الرحال ، ومهبطاً لرجال العلم ومهوى أفئدتهم ، فاستحقّ الشيخ الطوسي بجدارة أن يلقّب "مؤسّس حوزة النجف العلمية" ، ثمّ استحق أن يلقّب بشيخ الطائفة ، حتى انصرف هذا اللقب إليه عرفاناً بعظيم جهوده وسعة علومه وكثير مؤلّفاته . فعلى صعيد مؤلّفاته له كتاب "التهذيب" وكتاب "الاستبصار" اللذين هما أهم كتبه الحديثية التي عليها مدار استنباط الأحكام الشرعية عند الفقهاء الاثني عشرية منذ عصر مؤلّفه حتى اليوم . واستطاع الشيخ الطوسي بكتبه الفقهية وتنوّع أنماطها أن يسدّ كلّ ناحية من نواحي الفقه ، فألّف كتاب "النهاية" وهو أهمها على نهج المسائل المنصوصة . ثمّ ألّف كتاب "المبسوط" على طريقة - تفريع الفروع وتبيين أحكامها ، وهي - الإستفادة من أدلّة الكتاب والسنّة مع التحفّظ على أصول الشيعة بالاجتهاد ، لينفي

---

(١) لاحظ : معجم البلدان : ١/٥٣٤.

التهمة الموجهة لفقهاء الشيعة أنّهم غير قادرين على ذلك لعدم اعتمادهم القياس والاستحسان . ثمّ ألّف كتاب "الخلاف" ، ويعد هذا الكتاب من أنفس الكتب التي ألّفت في الفقه المقارن . وكتاب "الجمل والعقود" وهو ممّا اخترعه الشيخ الطوسي في التأليف ، أدرج فيه أصول المسائل الفقهية بعبارات سهلة قصيرة ، ليسهل على من يريد حفظها ولا يصعب تناولها ، ويفزع إليه الحافظ عند تذكره والطالب عند تدبّره ، على حدّ قوله في مقدّمة الكتاب . وللشيخ الطوسي مؤلّفات كثيرة وفي مختلف العلوم كالتفسير وأصول الفقه والرجال والكلام وغير ذلك ، وسيأتي في أحداث سنة ٤٤٨هـ في الجزء الثاني من كتابنا ثبت بمؤلّفاته .

فتور الحركة العلمية في النجف وأسباب ذلك

بعد رحيل الشيخ الطوسي إلى بارئه عام ٤٦٠هـ أصيبت الحوزة العلمية بفتور في حركتها العلمية بعد أن كانت تسير بخطوات ثابتة نحو الرقي ، وبقي ذلك الوضع لما يقرب من قرن من الزمان .

فقد خلف الشيخ الطوسي نجله الشيخ أبو علي الحسن بن محمد المتوفى بعيد سنة ٥١٢ هـ ، وقام مقامه في زعامة الحوزة العلمية في النجف لما يقرب من ستّين سنة ، وهو شيخ جليل فقيه ثقة عين ، قرأ على والده جميع تصانيفه ، كما وصفه الشيخ منتجب الدين بن بابويه .[(١)]

وذكره ابن حجر العسقلاني ، وقال : صار فقيه الشيعة وإمامهم بمشهد علي عليه السلام ، وهو في نفسه صدوق ، وكان متديّناً كافّاً عن السَّب .[(٢)] وقد عرف بالمفيد الثاني بعد المفيد الأول الشيخ محمد بن محمد بن النعمان .

---

(١) الفهرست : ٤٦ .

(٢) لسان الميزان : ٢/٢٥٠ .

إلاّ أنّ الشيخ أبا علي لم يخرج عن دائرة شرح آراء والده الشيخ الطوسي ، ولم يعرف له أثر علمي غير شرح كتابه "النهاية" .

وبعد وفاته خلفه نجله الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسن بن محمد ، وصار مرجعاً للشيعة إلى أن توفي سنة ٥٤٠هـ.

وهو كما ترجمه أبو فلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي : شيخ الشيعة وعالمهم ، وابن شيخهم وعالمهم . رحلت إليه طوائف الشيعة من كلّ جانب إلى العراق وحملوا إليه الأموال ، وكان ورعاً عالماً كثير الزهد . وأثنى عليه السمعاني ، وقال العماد الطبري : لو جازت على غير الأنبياء صلاة لصلّيت عليه .(١)

ومع كلّ ذلك فقد بقيت الحوزة العلمية في النجف تدور غالباً في أفكار الشيخ المؤسّس حتى وصفت بالجمود في مسيرتها العلمية التي ابتدأها الشيخ .

قال السيّد رضي الدين بن طاووس في كتابه "كشف المحجّة لثمرة المهجة : "أخبرني جدّي ورّام بن أبي فراس : أنّ الحمصي حدّثه أنّه لم يبق للإمامية مفتٍ على التحقيق ، بل كلّهم حاك .

ثمّ قال : وكان ذلك الزمان فيه جماعة من أصناف العلماء وليس في وقتنا الآن من يقاربهم ، والآن فقد ظهر أنّ الذي يفتى به ويجاب على سبيل ما حفظ من كلام المتقدّمين .(٢)

وقال الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين الجبعي : وأكثر ما يوجد مشهوراً في كلامهم حدث بعد زمان الشيخ الطوسي ، كما نبّه عليه والدي رحمه الله في كتاب "الرعاية" الذي ألّفه في دراية الحديث مبيّناً لوجهه ، وهو : أنّ أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له ، لكثرة اعتقادهم فيه وحسن ظنّهم به .

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ١٢٦/٤ .

(٢) كشف المحجّة لثمرة المهجة : ١٢٧ .

فلمّا جاء المتأخّرون وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ ومتابعوه ، فحسبوها شهرة بين العلماء ، وما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ ، وأنّ الشهرة إنّما حصلت بمتابعته . وممّن اطّلع على هذا الذي بيّنته وتحقّقته من غير تقليد ، الشيخ الفاضل المحقّق سديد الدين محمود الحمصي ، والسيّد رضي الدين بن طاووس ، وجماعة .(١)

ومع ما يظهر من كلام السيّد ابن طاووس من مبالغة وإنّه غير تام على هذا الإطلاق ، وكذا ما يظهر من تعسّف في القول بأنّ كلّ مشهور بين العلماء بعد زمان الشيخ الطوسي هو ما عمل به الشيخ ومتابعوه ، إلاّ أنّه يكشف عن مدى بطء المسيرة العلمية التي أعقبت رحيل الشيخ الطوسي . ويمكن إرجاع هذا البطء في مسيرة النجف العلمية إلى ما يلي :

١- إنّ الحوزة العلمية في النجف كانت قصيرة العمر العلمي ، إذ يبلغ عمرها اثني عشر عاماً ، وهي المدّة ما بين هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف عام ٤٤٨هـ حتى رحيله عام ٤٦٠هـ ، وفي مثل هذه الفترة القصيرة لم يكن لدى طلبة الحوزة من النضوج الفكري الذي يؤهّلهم لتمحيص ونقد آراء أستاذهم الشيخ ، فكان هناك بوناً شاسعاً بين ما وصل إليه الشيخ المؤسّس من مستوى علمي ومستوى طلبته في هذه الحوزة ، وقد بقيت هذه الحالة لفترة طويلة من الزمن بعد وفاته .

٢- ما وصل إليه الشيخ الطوسي من منزلة علمية جعلت منه مهاباً ومعظّماً كلّ التعظيم لدى طلبة الحوزة النجفية ، وقد طغى هذا الجانب الروحي على الجانب العلمي فلم يجرؤ أحد منهم على مناقشة آرائه بعد رحيله إجلالاً له .

٣- إنعزال مدينة النجف عن توطّن علماء المذاهب الإسلامية الأخرى ممّا جعل من الشيخ الطوسي في فترة إقامته في النجف في انقطاع عن المناظرة والمذاكرة العلمية مع علماء باقي المذاهب . وغير خفي أنّ في المناظرة والمذاكرة حياة العلم ، وبها يستبين

---

(١) معالم الدين وملاذ المجتهدين : ١٧٦ .

قوي الحجّة من غيره ، كما أنّها رياضة علمية تجعل ممّن يزاولها قوي الفكر سديد القول . وقد استطاع الشيخ الطوسي خلال إقامته في بغداد أن يستثمر تلك المناظرات والمذاكرات على أتمّ وجه فألّف كتابيه "الخلاف" و"المبسوط" . وبهجرة الشيخ الطوسي إلى النجف انعدمت تلك المناظرات فأثّرت سلباً على حوزة النجف الفتيّة .

بروز الحركة العلمية في الحلّة

بقيت الحركة العلمية لدى الشيعة تعيش التبعيّة الفكرية لآراء مؤسّس حوزة النجف الشيخ الطوسي حتى ظهور الشيخ محمد بن إدريس العجلي في الحلّة المولود سنة ٥٤٣هـ ، والمتوفى سنة ٥٩٨هـ ، فقد فتح باب النظر في آراء الشيخ الطوسي وتابعيه ، وبذل جهوداً كبيرة في كتابه "السرائر" بحث فيه المسائل مستعرضاً أدلّتها وبيان رأيه فيها . واستمرّت حركة الحلّة بظهور الشيخ جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقّق الحلّي ، ومن ثمّ تلميذه الشيخ حسن بن يوسف بن المطهّر المعروف بالعلاّمة الحلّي ، والتزم كلاهما غالباً جانب الدفاع عن آراء الشيخ الطوسي ، وبذا فتح باب المناقشة والنقد . واستمرت حركة العلم في الحلّة حتى آلت إلى خمود شعلتها العلمية بهجرة آخر فقهائها الشيخ أحمد بن محمد بن فهد الأسدي مؤلّف كتاب "المهذّب البارع" إلى مدينة كربلاء ووفاته فيها سنة ٨٤١هـ .

رجوع النشاط للحركة العلمية في النجف

ومع أنّ الحلّة قد برزت في حركتها العلمية لفترة ليست بالقصيرة إلاّ أنّ ذلك لم يُخرج النجف عن كونها بلد هجرة لطلبة العلم ومأوى للعلماء ، وكانت النجف يومذاك مليئة بالعلماء والمدرسين . وممّا يستدلّ به على ذلك ما ذكره الرحّالة ابن بطوطة في زيارته للنجف الأشرف سنة ٧٢٦هـ ، قال : ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفيّة من الشيعة .[1]

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ١٩٨-٢٠٤ .

وما أن ظهر المقدّس الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٢هـ حتى عاد للنجف رقيّها العلمي وأمسكت بزمام قيادة الحركة العلمية لدى الشيعة .

والمقدّس الأردبيلي هو أحمد بن محمد الأردبيلي مؤلّف كتاب "مجمع الفائدة والبرهان" وهو شرح لكتاب العلاّمة الحلّي "إرشاد الأذهان" .

قال الشيخ الحر العاملي في ترجمته : المولى الأجل الأكمل ، أحمد بن محمد الأردبيلي ، كان عالماً فاضلاً مدقّقاً عابداً ثقةً ورعاً ، عظيم الشأن ، جليل القدر ، معاصراً لشيخنا البهائي .(١)

وذكره السيّد محمد باقر الخوانساري بقوله : أمره في الثقة والجلالة ، والفضل والنبالة ، والزهد والديانة ، والورع والأمانة ، أشهر من أن نؤدي مكانه ، أو نتصدى بيانه ، كيف ! وقدسية ذاته ، وملكية صفاته ممّا يضرب به الأمثال في العالم ، كالخلق الجميل من النبي ﷺ ، وشجاعة الوصي الولي عليه السلام ، وسماحة الحاتم .(٢)

ومع أنّ المقدّس الأردبيلي لم يكن ذا تجديد خاص به إلاّ أنّه كانت له طريقته الخاصة في الاستدلال الفقهي إذ يعتمد في استدلاله على إعمال الفكر وإجتهاده التحليلي دون النظر إلى آراء بقية العلماء . وكان لمدرسته أتباع من العلماء ، من أبرزهم :

تلميذه السيّد محمد بن علي الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٠٠٩هـ مؤلف كتاب "مدارك الأحكام في شرح شرايع الإسلام" .

وتلميذه الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين العاملي المتوفى سنة ١٠١١هـ ، مؤلف كتاب "معالم الدين وملاذ المجتهدين" و كتاب "منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان" .

---

(١) أمل الآمل : ٢٣/٢ .

(٢) روضات الجنّات : ٧٩/١.

والشيخ محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواري المتوفى سنة ١٠٩٠هـ مؤلف كتاب "كفاية الأحكام" و كتاب "ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد".

والمولى محمد محسن الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ مؤلف كتاب "الوافي" وكتاب "مفاتيح الشرائع".

كما أنّ العلاّمة المجلسي المتوفى سنة ١١١١هـ ممّن تأثّر بمنهج المقدّس الأردبيلي.

على أنّ الحركة العلمية في النجف في هذه الفترة لم تنحصر في مجالي الفقه وأصوله، مع أنّ علم الفقه احتلّ موقعاً رفيعاً بين العلوم الإسلامية، وخصّص له علماء النجف أكبر قدر من جهودهم، فقد كانت هناك أنشطة لعماء مبدعين في مجالات علمية شتّى وظهرت لهم العديد من المؤلّفات، منها:

١- "شرح حاشية التهذيب": في المنطق، للعلامة المحقّق المدقّق المولى عبد الله بن شهاب الدين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١هـ، وهو كتاب فريد في شروحه وتحقيقاته، حتى أصبح من الكتب الدراسية حتى وقت متأخر.

٢- "مجمع البحرين ومطلع النيّرين": للشيخ فخر الدين بن طريح النجفي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، جمع فيه لغات غريب القرآن والأحاديث.

٣- "تنبيه الأريب وتذكرة اللبيب في إيضاح رجال التهذيب": في شرح أسانيد كتاب الشيخ الطوسي "التهذيب" وبيان أحوال رجاله، للعلاّمة السيّد هاشم بن سليمان ابن إسماعيل البحراني المتوفى سنة ١١٠٧هـ، وهو نسيج وحده في جودة السرد وحسن البيان.

٤- "قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر": للشيخ أحمد بن إسماعيل بن عبد النبي الجزائري المتوفى سنة ١١٥١هـ، وهو من أجلّ الكتب وأنفع ما كتب في هذا الباب وأبسطه، وفرغ منه في النجف في شهر رجب من سنة ١١٣٨هـ.

دور التكامل في الفقه الشيعي

في أوائل القرن الثالث عشر ظهر ما يسمى بدور التكامل أو الدور الأصولي الذي بلغ فيه الفقه الشيعي درجة عالية من الضبط والدقّة وجودة الاستنباط . وكان الشيخ محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني هو الذي حمل لواء خط التجديد هذا من مدينته بهبهان إلى كربلاء وواجه الأخباريين فيهما وفي النجف ، وسار بالفقه الشيعي على الطريقة الأصولية حتى وفاته في كربلاء عام ١٢٠٨هـ .

ولم تزل جميع مدارس الفقه الشيعي في عصرنا الحاضر تابعة لهذا الدور وتستمد آراءها وفكرها من آراء وفكر الوحيد البهبهاني باني أركان المدرسة الأصولية .

وكان للوحيد البهبهاني الفضل في تخرّج المئات من كبار العلماء كالشيخ جعفر الكبير صاحب "كشف الغطاء" ، والسيّد علي الطباطبائي صاحب كتاب "رياض المسائل" ، والسيد محمد مهدي بحر العلوم ، والسيد محمد مهدي الشهرستاني ، والشيخ محمد مهدي النراقي ، والشيخ محمد مهدي الفتوني ، والشيخ شريف العلماء ، والشيخ محمد حسين الأصفهاني ، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب "جواهر الكلام" ، والشيخ مرتضى الأنصاري ، وفقيه العراق الشيخ راضي النجفي ، والحاج ميرزا حسين الخليلي ، والسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، والسيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني ، والسيّد محسن الطباطبائي الحكيم ، والفقيه الأستاذ السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، وغيرهم ممّن يصعب حصرهم رحمهم الله جميعاً .

تلك هي النجف منهل العلماء عبر القرون ، وقد تخرّج من جامعتها الآلاف منهم ، ولم تزل مجالسها لا تهدأ عن المذاكرات العلمية والفروع الفقهية ، فكلّ من لديه مسألة عويصة أو فرع مغلق يأتي لمجلس منها ليعثر على ضالّته ، بل حتّى المجالس العامة للسواد إذا حضرها أهل العلم لا تسمع إلاّ المذاكرات العلمية بينهم ، وناهيك بالمساجد والصحن الغروي المقدّس يسمع أصوات أهل العلم في المذاكرات من خارج سور النجف ، ولا زالت الحركة العلمية فيها تنمو ويخرج منها في كلّ سنة عدد كبير من دعاة الدين ورجال الفضل والعلم الغزير .

الزعامة الدينية في هذا الدور

استطاع علماء العراق عامة والنجف خاصة في هذا الدور أن يمسكوا بزمام الأمور برعايتهم للدين والدنيا ، وأن يصبحوا المرجع الأول بين علماء الأمصار الشيعية ، ولهم القول الفصل فيما يصدر من أحكام وما تظهر من آراء وما يتّخذ من أعمال دينية كانت أم اجتماعية أم مدنية أو سياسية ، ويمكن توضيح أبرز أسباب ذلك بما يلي :

١- حرصهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما كان لهم إلى ذلك سبيلا .
فكان موقف شيخ الطائفة جعفر صاحب "كشف الغطاء" المتوفى سنة ١٢٢٧هـ مع أرباب المعامل التي تصنع الخمور في شيراز ومنعه عملها وبيعها وما أعقب ذلك من آثار رادعة ، قد جعل ذلك قصّة مشهورة تتغنّى بها الركبان .

ومن إنكاره المنكر وإرشاداته الثمينة كتابه إلى أهل خوي في إيران لمّا توسّعت دعوة الصوفية فيهم ، وكان فيه توبيخ وتهديد وتحذير واستعطاف ، وممّا ورد فيه : "إلى الإخوان الكرام والأجلاّء العظام أعاظم أهل خوي وأعيانها ... اللّهم إنّي نصحت فلا تؤاخذني بذنوب أهل خوي وأمثالهم يا أرحم الراحمين" .[١]

وكانت فتوى السيّد المجدّد الميرزا محمد حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢هـ بتحريم شرب التنباك على شعب إيران ، إثر بيع حكومة السلطان ناصر الدين شاه بعض المعادن والتنباك في إيران على بعض الساسة الإنكليز بتسويل بعض أرباب مملكته برشى تقدّمت إليهم ، فترتب على هذه الفتوى الأثر الكبير ، ونزل الإنكليز عن ضمانهم .

٢- دأبهم على محاربة الفرق والجماعات الضالّة وإصدار فتاوى تحرّم الإنتماء إليها .
فقد رفض علماء النجف سنة ١٢٦٠هـ استقبال ممثّل "البابية" محمد بن شبل والمرأة "قرّة العين" ومرافقيه البالغ عددهم نحو خمسين أو ستّين رجلاً - كما سيأتي ذلك في

---

(١) معارف الرجال : ١/١٥٤ .

أحداث السنة المذكورة في الجزء الثالث من كتابنا - وأصدر بعض العلماء كتباً في الرد عليهم ، ككتاب "نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلماً وصار بابيّاً" للعلاّمة الشيخ محمد جواد البلاغي ، حاول فيه إثبات أنّ البابية خرجوا عن كونهم شيعة . وأصدر المرجع الديني الأعلى الإمام السيّد محسن الحكيم فتواه الخالدة بأنّ الشيوعية كفر وإلحاد وترويج للإلحاد .

٢- إحساسهم بآلام الشعوب الإسلامية حينما تتعرّض لكوارث وحوادث جسيمة كاحتلال بلدانهم من قبل الدول الأجنبية ، وما قاموا به إزاء ذلك من إصدار فتاوى توجب مساعدتهم والذب عنهم ، كما حصل ذلك حين تعرّضت إيران والبلدان العربية كالجزائر وليبيا وفلسطين لغزو من قبل الدول الإستعمارية ، وستأتي شواهد عديدة على ذلك في الجزء الثالث من كتابنا .

٣- سعيهم للإصلاح بين الدول والجماعات والعشائر والطوائف الإسلامية فيما يظهر من تناحر في بعض الأنحاء . فكانت لشيخ الطائفة جعفر الكبير صاحب "كشف الغطاء" مع ملوك عصره مواقف مشهودة ، فقد تشفّع في الأسرى الأتراك عند السلطان الإيراني فتح علي شاه ، فشفعه وأطلق سراحهم ، وشفاعته بالقائد التركي الكهيا سليمان باشا الكرجي عند السلطان المذكور . واشتهر الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء في العراق وإيران بالمصلح بين الدولتين الإيرانية والعثمانية ، نتيجة لما بذله من مساعٍ للإصلاح بين الدولتين المسلمتين ، كما سيأتي في أحداث سنة ١٢٣٨هـ .

٤- استنكار علماء النجف وتحريمهم حوادث القتل لأسباب طائفية أو عرقيّة ودون مبرّر شرعي ، كالحوادث التي جرت في پاكستان وكردستان العراق.

نشوء المدارس العلمية في النجف

من المعلوم أنّ أوّل تشكيلة للحوزة العلمية في النجف الأشرف كانت في العصر البويهي في القرن الرابع الهجري ، حيث أقام عضد الدولة للحرم العلوي صحناً فيه الغرف والإيوانات ، وأنشأ داراً للضيافة ، وبذل الطعام للزائرين وأجرى الجرايات ، وبثّ العطاء للذين ينوون الإقامة في النجف الأشرف والمجاورة لمرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام . وكان مقرّ طلاّب العلوم الدينية الذين يفدون على النجف والمدرسة التي يدرسون فيها هو هذا الصحن الغروي الشريف .

ولمّا توالت عمارات سلاطين الشيعة في القرون اللاّحقة للحرم العلوي والصحن الغروي ، ونظّمت الغرف والأواوين فيه ، أصبح الصحن مدرسة عظيمة ، فكثر روّاد العلم والفضيلة على النجف الأشرف . وإليه يشير الرحالة ابن بطوطة عند زيارته إلى النجف سنة ٧٢٥هـ ، بقوله :

ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ، ولكلّ وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرّتين في اليوم ، ومن تلك المدرسة يدخل باب القبّة .[(١)]

فالصحن هو أول مدرسة في النجف الأشرف ، تخرّج منها آلاف المجتهدين من الشيعة في عدّة قرون ، وسنعرض فيما يلي أشهر المدارس الدينية في النجف الأشرف :

مدرسة المقداد السيوري

هي المدرسة الثانية في النجف . أشادها الشيخ أبو عبد الله جمال الدين المقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد الأسدي السيوري الحلّي المتوفى ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٨٢٦هـ . تقع في سوق محلّة المشراق إحدى محلاّت النجف . ولمّا خربت أشادها سليم خان واشتهرت بالمدرسة السليميّة نسبة إليه .

المدرسة الغرويّة

تعدّ من المدارس القديمة في النجف أيضاً ، يُعزى تأسيسها - كما هو المعروف

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ١/١٩٨.

والمشهور عند بعض المشايخ النجفيين - مع الصحن الشريف الماثل اليوم إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري الذي خطّه الشاه عباس الصفوي الأول المتوفى سنة ١٠٣٧هـ . تقع في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن الشريف ، مدخلها من الإيوان الشمالي الثالث ، وهي مدرسة صغيرة ذات طابقين من الغرف أمامها الأواوين .

ويظهر أنّ هذه المدرسة كانت ذا حركة علمية نشطة ، كما أقام فيها وجوه من العلماء وأهل الفضل لقربها من الحرم الأقدس .

ففي إجازة للشيخ عبد علي بن محمد الخمايسي النجفي للشيخ يوسف بن عبد الحسين الصفّار الشهير بالصلنباوي ، كتبها له بخطّه في شوال سنة ١٠٦٩هـ على ظهر نسخة من كتاب أصول الكافي في المدرسة الغرويّة وفرغ منه في رجب سنة ١٠٦٩هـ.[(١)]

وقال شيخنا محمد حرز الدين في ترجمة الشيخ زين العابدين بن إسماعيل بن زين العابدين التبريزي المرندي النجفي : وقد أقام في مدرسة الصحن الغروي الأقدس ، وكان شريكنا في المدرسة يوم أقمنا فيها سنين متطاولة في ظلال أخي الحجّة الشيخ حسن حرز الدين المتوفى سنة ١٣٠٤هـ.[(٢)]

وكان لهذه المدرسة شأن عظيم في أيام الحكومة التركيّة بعد إجراء قانون التجنيد الإجباري سنة ١٢٨٦هـ ، فقد قامت الحكومة التركيّة العثمانية بتعيين مدرّساً خاصّاً لها في هذه المدرسة ، وانتسب لها كثير من حملة العلم ، إذ أنّ الحكومة سنّت قانوناً خاصّاً يسمح لطلبة العلم الذين يؤدّون الإمتحان بعدم الإنخراط في سلك الجنديّة ، وجعلت في بعض الألوية والأقضية مدارس ، فكانت هذه المدرسة هي إحدى المدارس الرسمية في النجف ، ولم تزل على ذلك حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري فتهدّمت حجراتها وسُدّ بابها .

وفي سنة ١٣٥٠هـ أشادها بناية للزائرين - بعد خرابها - رجل الخير السيّد هاشم زيني النجفي ، وقد أرّخ عمارتها الجديدة شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي ، قوله :

---

(١) الذريعة : ٢٠٣/١ .

(٢) معارف الرجال : ٣٣٤/١ .

حُـزْت يـا هاشـم زينـي رُتبـة　　لـم يَحُزْهـا أبـداً مـن قـد سـلف
دارك الخلـد غـداً إذ أرّخـوا　　(شـدْت للـزوّار داراً بـالنجف)

وأرّخها الخطيب الشاعر السيّد مهدي الأعرجي النجفي بقوله:

رئـيس نحـاة النـدى هاشـم　　ألـم تَـرَ إعرابـه مـستبينا
فمُـذْ شـاد أرّخـت (دار النـوال　　بناهـا علـى الفـتح للزائرينـا)[1]

مدرسة الصدر

هي مدرسة واسعة تقع في محلّة المشراق، على يمين الداخل إلى السوق الكبير من الطرف الشرقي. بناها الصدر الأعظم محمد حسين خان الأصفهاني وزير فتح علي شاه القاجاري المتوفى سنة ١٢٣٩هـ والمدفون في ناحية من المدرسة، وكان الإبتداء في بنائها سنة ١٢٢٦هـ، وقد أوقف لها أوقاف كثيرة، منها: الخان المعروف بـ"سيف بيت بلال"، ودكاكين مجاورة لها.

مدرسة كاشف الغطاء

بنيت هذه المدرسة الواقعة في محلّة العمارة على يد الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، المعروف بالمصلح بين الدولتين المتوفى سنة ١٢٤٣هـ، بأموال بعث بها معتمد الدولة عباس قلي خان وزير محمد شاه القاجاري. ثمّ أشادها بعد خرابها الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ولم تزل عامرة حتّى اليوم.

مدرسة الشيخ مهدي كاشف الغطاء

هي مدرسة واسعة تقابل مرقد ومسجد شيخ الطائفة الطوسي من جهة الغرب. تعرف بالمدرسة المهديّة نسبة لمؤسّسها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، بأموال بعثت له من آذربيجان عام ١٢٨٤هـ. وكان قد سبقها عام ١٢٨١هـ بتعمير مقبرة جدّه الشيخ جعفر الكبير وقبور أعمامه ووالده، وبنى عليهم قباباً هي ظاهرة حتى اليوم. وقد أعيد تعمير هذه المدرسة في عهد المرجع

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١٢٧/١.

الديني السيّد أبو الحسن الأصفهاني .

مدرسة القوام

تعرف أيضاً بالمدرسة الفتحيّة نسبة إلى مؤسّسها قوام الملك فتح علي خان الشيرازي عام ١٣٠٠هـ . وهي مدرسة معروفة واسعة تجاور المدرسة المهديّة وتقابل مرقد شيخ الطائفة الطوسي .

مدرسة الفاضل الإيرواني

نسبة إلى الشيخ ملاّ محمد بن محمد باقر ، الشهير بالفاضل الإيرواني ، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ والمدفون بها . وهي مدرسة عامرة تقع في محلّة العمارة جنب دار المرجع الديني الأعلى السيّد أبو الحسن الأصفهاني . ابتدئ في بنائها عام ١٣٠٥هـ.

مدرسة الميرزا حسين الخليلي الكبرى

تقع في محلّة العمارة عند الطرف الشرقي لشارع السلام ، وانتهاء سوق العمارة ، وقد اكتمل بناؤها عام ١٣١٦هـ .

مدرسة الفاضل الشربياني

تقع في أحد الأزقّة المتفرّعة من سوق محلّة الحويش والذي فيه مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي ، وكان الإبتداء في بنائها عام ١٣٢٠هـ .

مدرسة الآخوند الكبرى

تقع في آخر سوق محلّة الحويش . أسّسها الشيخ ملاّ محمد كاظم الآخوند الخراساني سنة ١٣٢١هـ كما يحكيه بيت الشعر الذي يعلو بابها :

مدرســـة الكـــاظم قـــد أرّخـــوا (أساســـها علـــى التقـــى والرشـــاد)

مدرسة الميرزا حسين الخليلي الصغرى

تقع في محلّة العمارة في الشارع الموازي لشارع السلام من جهة الشمال ، وكان تأسيسها عام ١٣٢٢هـ .

مدرسة القزويني

تقع على مقربة من الصحن الشريف على المرتفع المعروف بالطمّة . أسّسها محمد أغا الكروري القزويني عام ١٣٢٤هـ .

مدرسة البادكوبي

تقع في محلّة المشراق عند الطرف الشمالي لمدرسة الصدر . بناها الحاج علي نقي البادكوبي عام ١٣٢٥هـ .

مدرسة الآخوند الوسطى

تقع في محلّة البراق في شارع آل الأعسم ، قام بتأسيسها الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني عام ١٣٢٦هـ كما يظهر من بيتي الشعر على بابها :

هـذي مدينـة علـم ... وبـاب سـرّ العـوالم
للعلـم شـيدت فـأرّخ ... (لمعـدن العلـم كـاظم)

مدرسة السيّد محمد كاظم اليزدي

هي من أهم المدارس الدينية في النجف لسعتها وفخامتها . تقع في أحد الأزقة المتفرّعة من سوق محلّة الحويش والذي فيه مدرسة الفاضل الشربياني . تمّ بناؤها عام ١٣٢٧هـ كما تحكيه أبيات الشعر التي تعلو بابها :

قـد أبهـج المـصطفى وعترتـه ... بـذا وقـالوا شـيّدت دعائمنـا
ياطـالبي فقهنـا وحكمتنـا ... دونكـم هـذه معالمنـا
مـدارس الـدين أرّخـوا (لكـم ... جـدّد للعلـوم كاظمنـا)

مدرسة الآخوند الصغرى

تقع في محلّة البراق . تمّ بناؤها عام ١٣٢٨هـ .

مدرسة البخارائي

تقع في محلّة الحويش مجاورة لمدرسة الشيخ الآخوند الكبرى ، وقد تمّ بناؤها عام ١٣٢٩هـ .

الفصل السادس

تاريخ الحركة الأدبية في النجف

مراحل تطوّر الأدب في النجف

أوّل احتفال أدبي في النجف

تأثّر الأدب النجفي بالآداب الأخرى

من أقسام الأدب النجفي

أماكن يرتادها الأدباء والعلماء

المعارك والنوادي الأدبية

الجمعيات الأدبية

المجلّات والجرائد التي عنيت بالأدب

المغتربون والحنين إلى النجف

تاريخ الحركة الأدبية في النجف

بالنظر لوقوع الحيرة والكوفة ضمن موضع النجف العام ، وانتقال الأسر العلمية الشيعية من الكوفة لمجاورة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام عند نشوء مدينة النجف ، فقد استمدّت نهضة النجف الأدبية والعلمية من رافدي مملكة الحيرة في العهد الجاهلي وكوفة العراق أيام الأمويين والعباسيين ، واتّسم تاريخ النجف الأدبي بسماتهما وأسلوبهما وكان له صلة أكيدة بهما .

والمعروف أنّ مملكة الحيرة التي قامت في العهد الجاهلي كانت ملتقى فحول شعراء نجد والحجاز كالنابغة الذبياني وهو الحكم في شعر الشعراء في سوق عكاظ وصاحب المعلّقة والاعتذارات المشهورة ، وحسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وآله ، هذا عدا من نبغ من الشعراء والخطباء الذين أنجبتهم قبائل الحيرة المعروفة أو سكنوا الحيرة ، كأعشى قيس ويقال له أعشى بكر بن وائل ، سكن الحيرة ، وكان كثير الوفود على الملوك من العرب والفُرس ، وعدي بن زيد المعروف بالعبادي ، كان يسكن الحيرة ، وأرسله ملكها إلى ملك الروم بهدية ودخل دمشق وذكرها في شعره .[1]

---

(١) لتجنّب كثرة الهوامش في هذا الفصل فقد أعرضنا عن الإشارة إلى أسماء المصادر إلاّ ما مسّت الحاجة إليه ، وقد اعتمدنا في الأساس على المراجع التالية حسب أهميتها : شعراء الغري ، معارف الرجال ، كتاب النوادر ، معجم المطبوعات النجفية ، خطباء المنبر الحسيني ، هكذا عرفتهم .

وقد سعى النعمان بن المنذر ملك الحيرة للاحتفاظ بآداب اللغة العربية وأشعارها ، ومن أجل ذلك فقد أمر النعمان فنُسخت له أشعار العرب في الطُّنوج - يعني الكراريس - فَكُتِبَتْ له ثمّ دَفَنها في قصره الأبيض ، فلمّا كان المختار بن أبي عبيد الثقفي ، قيل له : إنّ تحت القصر كنزاً ، فاحتفره فأخرج تلك الأشعار ، فمن ثَمّ أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة .[1] وبذلك فقد سبقت الحيرة بلاد العرب بإنشاء أول مجمع للأدب الجاهلي .

وعزّز المكانة الأدبية لمملكة الحيرة أنّها كانت مصدر انتشار الكتابة العربية إلى أنحاء جزيرة العرب .

قال المدايني : بلغنا أنّ أوّل من كتب بالعربية مُرامِر بن مروة من أهل الأنبار ، ويقال من أهل الحيرة . و مُرامِر اسم رجل .

قال شَرْقي بن القطامي : إنّ أوّل من وضع خطّنا هذا رجال من طيء منهم مُرامِر ابن مُرّة . قال الشاعر :

تَعَلَّمْتُ باجادٍ وآلَ مُرامِرٍ وسَوَّدْتُ أثوابي ولستُ بكاتبِ

قال : وإنّما قال : وآل مرامر ، لأنّه كان قد سمّى كلّ واحد من أولاده بكلمة من أبجد وهي ثمانية .

قال ابن بري : الذي ذكره ابن النحّاس وغيره عن المدايني أنّه مُرامِر بن مَرْوَة ، قال : وقال سمرة بن جندب : نظرت في كتاب العربية فإذا هو قد مَرَّ بالأنبار قبل أن يَمُرّ بالحيرة . ويقال إنّه سُئل المهاجرون : من أين تَعَلَّمْتُم الخط؟ فقالوا : من الحيرة ، وسُئل أهل الحيرة : من أيّ تَعَلَّمْتُم الخط؟ فقالوا : من الأنبار .[2]

---

(١) لسان العرب : مادة (طنج)

(٢) لسان العرب : مادة (مرر) .

مراحل تطوّر الأدب في النجف

المعروف أنّ الأدب في العراق خلال العصر العثماني كان وليد الدراسات الدينية ورجالها لا رجال السلطان والدولة ، ولذا فقد كانت النجف أكثر اهتماماً بالأدب من مركز الحكم بغداد ومن بقية المدن العراقية . وقد كانت نظرة رجال الدين إلى الأدب والشعر في قرون الفترة المظلمة - كما يعبّر عنها - نظرة ازدراء واستخفاف لكون رجال الدين في الغالب هم من غير العرب ، وقد ولّوا وجوههم شطر الفلسفة والمحاكمات الجدلية ، يستعينون بها على استصدار الأحكام الفقهية والقواعد الأصولية ، ولا يجدون مبرّراً لصرف أوقاتهم في أدب لا يتوفّرون عليه ، ولذلك كان العمل الأدبي مرغوباً عنه من قبلهم ، وبالتالي مرغوباً عنه من قبل أتباعهم ومشايعيهم من الفقهاء العرب . أمّا الذين يمارسون الشعر وكتابة الرسائل فهم من طبقة غالبها لا حظّ لها من علم ولا مقام من منزلة اجتماعية ، كما أنّ شعراء هذه الفترة نظموا على الطريقة التقليدية فمالوا إلى تكرار اللفظ والمعنى والتمسّك بالبديع وابتعدوا عن الابداع والشعور .

ولم يدم الأمر على ذلك ، ففي نهايات القرن الثاني عشر الهجري وبعد أن كان الأدب في النجف مزدرى فيه من قبل أعلام رجال الدين عاد الأدب من صناعتهم التي يعتزّون بها ويندبون الناس لها ، فقد أدرك هؤلاء وقد استحوذت علهم العُجمة وحالت بينهم وبين تذوّق النصوص القرآنية والحديثية أنّ فهم هذه النصوص يستدعي فهماً أدبياً عالياً . فالنهضة التي قادها الزعيم الديني الشيخ محمد باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني وسار بالفقه الشيعي على الطريقة الأصولية حتى وفاته في كربلاء سنة ١٢٠٨هـ ، حسّست طائفة من أعلام أهل العلم وأكابر الفقهاء وعلى رأسهم تلامذة الوحيد البهبهاني ، كالعلاّمة السيّد محمد مهدي بحر العلوم ، والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ، والشيخ محمد محيي الدين العاملي ، بأنّ الدين والفقه الذي يضحّي المرء من أجلهما أنفس شيء أصبحا غير مفهومين لخلو الطبقة المفقهة من الأدب الحارس لحقيقة العلم ، وأصبح كلّ واحد من هؤلاء الأعلام يرى بعقيدة أنّ الإجتهاد

في فهم النصوص يتطلّب فهماً أدبيّاً عالياً ، والرواية التي يرويها الثقاة من أصحاب الإمام الصادق والباقر عليهما السلام لا تتبيّن كما هي ولا يعرف القصد منها بجلاء إلاّ من أوتي موهبة الأدب ، والخاطرة الدينية لا تصل إلى الذهن إلاّ بواسطة الأدب ، فترى الجميع اتّجهوا بهذا الدافع لحراسة هذا الفن القيّم وأخذوا يسعون لإحيائه ونشره بشتّى الصور وبمختلف الأساليب . فشعر هؤلاء النفر وكلّ منهم يشار إليه إلى ضرورة إسعاف الأدب العربي الذي أنهكته السلطة التركية بسياسة التتريك من جهة ، وبعض مؤلّفات غير العرب من جهة أخرى ، حتى أصبحت لغة التأليف يابسة إلى حد فقدت روح الفصاحة والبلاغة ، وأماتت المرن من القول وانتشر التفاخر بين طبقات الفقهاء بالمعقّد من الأسلوب والمفكّك من الجمل ، ودخلوا في تنازع حول كشف المعنى من اللفظ ، وعود الضمير على أي جملة تكون من الموضوع حتى لو كان البعد بينهما إلى صفحة كاملة فلا مانع من عود الضمير عليها ، ومن الأمثلة على ذلك كتاب "شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام" للمولى عبد الرزّاق اللاهيجي المتوفى سنة ١٠٥١هـ ، وكتاب "الضوابط" في الأصول ، للسيّد إبراهيم بن السيّد محمد باقر القزويني الحائري المتوفى سنة ١٢٦٤هـ ، وكتاب "القوانين" في الأصول ، للميرزا أبو القاسم ابن محمد حسين القمّي المتوفى سنة ١٢٣١هـ ، وآخرها كتاب "الكفاية" في علم الأصول ، للشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ، والتي تعدّ نتيجة واضحة لتلك المقدّمات .

بهذا العامل ونحوه حبّذ فريق من الفقهاء وأعلام الدين اعتناق الأدب والإعلان عنه بتكريس وقت خاص له يتساجلون فيه ويتطارحون ، وبهذا نشأت المعركة الأدبية الكبيرة المسمّاة بمعركة الخميس - كما ستأتي - فكانت نواة وبداية للنهضة الأدبية في النجف بل والعراق عامة . وقد اتّصلت هذه الحركة في نهايتها بالنهضة الأدبية أبان العهد الوطني ، ولا يخفى ما بين الدورين من فروق وتفاوت في التفكير والذوق

والتوجيه ، فالأديب أخذ يشعر بشعور الوقت ومتطلّبات الزمن ويفيض في هذا الدور وطنيّة وحماساً وفتوّة وبطولة .

وبعدما كانت النجف تنبذ من وصم بالشعر أصبحت بفضل هذه المعركة تعرف بأنّها تخلق الشعراء ، بل استطاع بعض الأمّيّين والكسبة في النجف ممّن رزقه الله القريحة القويمة والسليقة المستقيمة أن يلحق بركب الشعراء ، نتيجة لاحتكاكه بهم ومعاشرته لهم ، ومن هؤلاء :

الشيخ محمد النقّاش المتوفى سنة ١٢٩٥هـ ، وقد أصبح مرموقاً بين أعلام الأدب مع كونه أميّاً لم ينل أي حظ من العربية والدرس سوى ما كان يسمعه من جلاّسه الفضلاء الذين يحوطونه كلّ يوم في إيوانه في طرف القبلة من الصحن الشريف ينقش الخواتيم لأربابها ليتعيش من هذا الكسب .

والشيخ علي شرارة الكتبي الذي كان حيّاً سنة ١٣٣٥هـ ، فقد كان شبه أمّي لكنّه استطاع أن يكون من الأدباء المعروفين باستماعه لحديث الحبّوبي والحلّي والطباطبائي والشبيبي وأمثالهم ممّن يجلسون معه كلّ يوم وليلة .

والشيخ عبّود بن الشيخ سالم الطريحي المتوفى سنة ١٣٢٨هـ ، وهو أديب ظريف ، وفكه معروف ، كان مشغولاً بالتكسّب إلاّ أنّه كان يتّصل بمجموعة من أدباء النجف وأهل الفضل حتى عدّ منهم ، من شعره :

كساد السوق أنحلني وحالي ... كحال الميت في ضيق اللحود

وعلى قاعدة : "إنّ الأديب يُدرس من أدبه" ، فإنّ ضياع الكثير من الآثار الأدبية ودواوين شعراء النجف أدّى إلى عدم معرفة المكانة الأدبية لهؤلاء ، وبالتالي ساهم في عدم وضوح الحركة الأدبية في مراحل من مسيرتها . وكان ضياع دواوينهم لأسباب عديدة : فمنهم من ذهب شعره في الطواعين التي مرّت بالنجف ، أو بسبب الأنظمة الجائرة وحوادث النزاع الداخلي ، أو في التنقّل وعدم الاستقرار في مكان معيّن ،

وهناك من سرق ديوانه فانتحله السارق لنفسه ، ومن شعراء النجف من لم يكتب هو شعره ، أو لم يتتبّع أحد من آله آثاره وبذلك فُقد غالب شعره ونثره ، ومنهم من بيعت آثاره الأدبية والعلمية على الأجانب من تجّار الكتب المخطوطة . وإليك ما وقفنا عليه من هؤلاء :

الشيخ محيي الدين بن الشيخ محمود بن أحمد الطريحي المتوفى سنة ١١٣٠هـ ، وهو عالم فاضل محقّق ، وأديب شاعر ، له ديوان كتب بتاريخ عام ١١٠٦هـ ، كان عند بعض أسرته وقد فُقد .

والشيخ محيي الدين بن كمال الدين الطريحي المتوفى سنة ١١٤٨هـ ، وهو عالم فاضل ، وشاعر ناثر ، وأديب فذ ، ساجل فريقاً من أعلام عصره أمثال الشيخ أحمد النحوي ، والشيخ محمد علي بشارة الخاقاني ، والسيّد نصر الله الحائري ، وقد فقد ديوانه .

وممّن ضاع ديوان شعره الشيخ علي بن محمد بن زين الدين النجفي الكاظمي المعروف بزيني المتوفى سنة ١٢١٥هـ . قال السيّد جواد سياه پوش في كتابه "دوحة الأنوار" بأنّه لم يظفر بديوانه مع شدّة البحث عنه .

والشيخ محمد بن الشيخ يوسف بن جعفر محيي الدين الجامعي المتوفى سنة ١٢١٩هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب متضلّع ، وشاعر اعترف له أكابر الأدباء بمنزلة سامية ، وقد ذهب أكثر شعره ولم يبق منه إلاّ نزر يسير .

والشيخ محمد بن حسين بن محمد علي الأعسم الذي كان حيّاً سنة ١٢٣٤هـ ، وهو أحد مشاهير أسرته بالعلم والأدب ، وقد ذهب شعره في الحوادث والطواعين التي مرّت على النجف .

والشيخ صالح بن الشيخ قاسم بن محمد الزابي الحويزي المعروف بحجّي المتوفى سنة ١٢٧٥هـ ، وهو أديب فاضل ، وشاعر معروف ، وكان مكثراً لو جمع شعره لكان ديواناً ، ولكن تلف أغلبه ولم يبق منه إلاّ القليل في أيدي الناس .

ونظام الدولة علي محمد خان بن أمين الدولة عبد الله خان المتوفى سنة ١٢٧٧هـ ، فقد تلف مجموع كبير لشعره .

والشيخ طاهر بن الشيخ عبد علي بن عبد الرسول المالكي الحجامي المتوفى سنة ١٢٧٩هـ ، وهو أحد أعلام عصره في الفقه والورع والفتيا ، وأديب شاعر ، ضاع أكثر شعره عندما سرقت داره في السوق ، ولم يبق إلاّ أراجيز في المنطق والنحو والحج .

والشيخ مهدي بن قاسم بن محمد الزابي الحويزي المعروف بحجّي المتوفى سنة ١٢٩٨هـ ، وهو شاعر فاضل ، وأديب كامل ، وقد جمع له ولده الشيخ صالح ديواناً يقرب من خمسة آلاف بيت ، لكنّه تلف ولم يبق له أثر .

والسيّد راضي بن صالح القزويني المتوفى سنة ١٢٨٥هـ ، وهو أديب كبير ، وشاعر شهير فُقد ديوانه ، غير أنّ أخاه السيّد حسّون جمع ما عثر عليه من شعر أخيه عام ١٣٤١هـ .

والشيخ صادق بن الشيخ محسن الأعسم المتوفى سنة ١٣٠١هـ ، ضاع شعره ، وهو شاعر فاضل ، وأديب كامل .

والسيّد كاظم الحيدري اليزدي الشهير بالواعظ المتوفى سنة ١٣٠٢هـ ، وهو عالم مؤرّخ شاعر ، نظم ما يقرب من سبعين ألف بيت من الشعر ولم يكتبه ، لكنّه كان يحفظه جميعاً .

والشيخ محسن بن محمد بن موسى الخضري المتوفى سنة ١٣٠٢هـ ، وهو من أشهر مشاهير أدباء وشعراء عصره ، وكان كثير الشعر ولكنّه لم يعتن بجمعه وتلف أغلبه ، وقد تصدّى لجمعه ولده الشيخ جواد فلم ينل منه إلاّ غيضاً من فيض وقطرة من بحر . ولم يعثر عليه الأستاذ الشيخ عبد الغني الخضري ناشر ديوانه رغم الجهد الذي بذله والاستقصاء الذي عاناه ، ولو قدّر أن يجمع شعره لكان ديوانه في طليعة الآثار الأدبية ذات الشأن .

والسيّد حسين بن رضا بن السيّد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٠٦هـ ، عالم جهبذ ، وشاعر كبير ، له شعر كثير لم يتصدّ أحد في وقته إلى جمعه ، فذهب أكثره إلاّ ماكان محفوظاً على الألسنة ، أو وجد في المجاميع المخطوطة .

والسيّد ميرزا بن السيّد عبد الله بن أحمد الطالقاني المتوفى سنة ١٣١٥هـ ، وهو علاّمة كبير ، وأديب بارع ، وشاعر له نظم كثير فُقد إثر فقدان من يهمّه إحياءه وجمعه ، ولم يبق منه إلاّ المتناثر في بعض المجاميع النجفية .

والشيخ محسن بن الشيخ أحمد بن عبد الله الدجيلي المتوفى سنة ١٣٢١هـ ، وهو أحد أعلام عصره ، ومن الأدباء المشهورين ، فقد ذهب أكثر شعره ولم يعثر منه إلاّ ما كان في مجموعة ولده الشيخ حسن .

والشيخ محمد علي بن الشيخ جاسم بن محمد الجابري المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو خطيب معروف ، وشاعر مقبول ، ذهب شعره بذهاب مجاميعه وآثاره ، ولم يبق إلاّ مقاطيع في مجموعة الشيخ حسين القاري المتوفى سنة ١٣٣٩هـ .

والشيخ طاهر بن حسن بن بندر الكندي السوداني المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب شاعر ، كان قد جمع شعره في ديوان ضمّ أكثر من ستّة آلاف بيت غير أنّه تلف منه في أسفاره .

والشيخ كاظم بن محمد الخضري المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو أديب معروف وشاعر رقيق ، كان مكثراً من النظم ، لكنّ شعره لم يجمع على كثرته .

والشيخ محمد بن الشيخ عيسى بن محمد آل حيدر المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو فقيه أديب ، وشاعر لبيب ، احترق ديوانه مع باقي مكتبته في ناحية الخضر عند إعلان الثورة العراقية سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م .

والشيخ موسى بن الشيخ محمد بن درويش القرملي المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب كامل ، ضاع شعره ولم يبق منه إلاّ ما هو محفوظ على ألسن أصدقائه .

والشيخ محمد بن علي بن ميرزا خليل الرازي الطهراني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، وهو في طليعة طلاّب العلم ومن فضلاء أدبائهم ، وقد ذهب معظم شعره .

والشيخ حمزة بن الشيخ مهدي قفطان المتوفى سنة ١٣٤٢هـ ، وهو شاعر أديب ،

وفاضل أريب ، ضاع ديوانه في قصّة طويلة ساقها الشيخ علي الخاقاني ومحاولاته للعثور عليه .

والسيّد مهدي بن رضا بن أحمد الطالقاني المتوفى سنة ١٣٤٣هـ، وهو فاضل أديب ، وشاعر رقيق ، له مجموع يضم نماذج كثيرة من شعره ، وقد فُقد .

والشيخ موسى بن الشيخ طاهر بن حسن الكندي السوداني المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ، وهو أديب فاضل ، وشاعر مطبوع ، له ديوان كبير اشتمل على ستّة آلاف بيت سرقه شخص كان يتّصل به ، وقيل استعاره منه قبل أن يموت فضنّ به ، وألحّ عليه بإرجاعه فلم يفد ، وأخيراً انتحله لنفسه .

والشيخ عبد الحسين بن قاعد الواسطي الشهير بالحيّاوي المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب فاضل ، وشاعر مطبوع بيعت وضاعت آثاره ومجاميع شعره .

والشيخ جواد بن الشيخ محمد بن شبيب الشبيبي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ، وهو عالم جليل ، وأديب فذ ، وشاعر خالد ، بلغ ما نظمه أكثر من أربعين ألف بيت ، لم يبق منها إلاّ عشرة آلاف بيت ، جمعها السيّد محمود بن حسين الحبوبي .

والشيخ محمد حسين بن الشيخ يونس آل المظفّر المتوفى سنة ١٣٧١هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب شهير ، وشاعر مطبوع ، له ولع بأدب التاريخ ، ومساجلات كثيرة بينه وبين أعلام عصره ، إلاّ أنّه لم يتتبع أحد من آله آثاره ، وبذلك فقد غالب شعره ونثره .

والشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد بن عبد الله المظفّر المتوفى سنة ١٣٨٤هـ ، علاّمة كبير ، وكاتب قدير ، وشاعر مجيد نظم أكثر من ألفي بيت ، غير أنّه لم يحتفظ بأكثره .

والشيخ عبد الرحيم بن إبراهيم السوداني المولود سنة ١٣٠١هـ ، وهو عالم فاضل ، وشاعر بارع له شعر كثير لم يجمع .

والشيخ كاظم بن الشيخ موسى بن محمد رضا كاشف الغطاء المولود سنة ١٣٠٤هـ ، وهو عالم جليل ، وأديب رقيق ، وشاعر نظم الكثير غير أنّه فقد منه مع باقي آثاره .

والشيخ حميد بن الشيخ أحمد آل عبد الرسول السماوي المولود سنة ١٣١٥هـ ، وهو عالم جليل ، وأديب فذ ، وأحد أعلام الشعراء في العالم العربي ، كان له ثلاثة دواوين ، وقد ضاع الأول وسرق الثاني ، والأخير لم يزل محفوظاً .

أوّل احتفال أدبي في النجف

لعلّ أول احتفال أدبي كبير عقد في النجف هو الذي أقامه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه الديلمي بعد إتمامه عمارة الحرم المطهّر لقبر علي أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٦٦هـ - ٩٧٦م ، وقد أنشأ عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه متأدباً لقضاء الحوائج ، وفي هذا البهو وتحت الرواق عقدت الحفلة وحضرها الأمراء والنقباء والعلماء ، وهناك ألقى الشاعر الشهير الحسين بن الحجّاج (١)

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجّاج النيلي البغدادي الشهير بابن الحجّاج .

قال العلاّمة الأميني في ترجمته : هو أحد العُمُد والأعيان من علماء الطائفة ، وعبقري من عباقرة حملة العلم والأدب ، وقد عدّه صاحب "رياض العلماء" من كبراء العلماء ، كما عدّه ابن خلّكان وأبو الفداء من كبار الشيعة ، وياقوت الحموي في "معجم الأدباء" من كبار شعراء الشيعة ، وآخر من فحول الكتّاب ، فالشعر كان أحد فنونه ، كما أنّ الكتابة إحدى محاسنه الجمّة . ينمّ عن مقامه الرفيع في العلوم الدينية وتضلّعه فيها وشهرته في عصره بها تولّيه "الحُسبة" مرّة بعد أُخرى في عاصمة العالم في ذلك اليوم بغداد وهي من المناصب الرفيعة العلمية التي كانت تخصّ تولّيها في العصور المتقادمة بأئمة الدين وزعماء الإسلام وكبراء الأمّة . وكان ابن الحجّاج كما قال الثعالبي : على طول عمره يتحكّم على وزراء الوقت ورؤساء العصر تحكّم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ويستثمر نعمة صافية ضافية .

أمّا أدبه ، وهو كما أوعزنا إليه أحد نوابغ شعراء الشيعة ، والمقدّم بين كتّابها ، حتى قيل : إنّه كامرئ القيس في الشعر لم يكن بينهما من يضاهيهما ، و يقع ديوانه في عشر مجلّدات ، والغالب عليه العذوبة والانسجام ، وتأتي المعاني البديعة في طريقته إلى ألفاظ سهلة ، وأسلوب حسن ، وسبك

قصيدته الفائيّة الشهيرة :

يا صاحب القبّة البيضاء في النجف   من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي لعلّكم   تحظون بالأجر والإقبال والزُلف
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن   يَزُرْه بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
إذا وصلْت فأحرم قبل تدخله   ملبّياً واسْع سعياً حوله وطف
حتى إذا طفت سبعاً حول قبّته   تأمّل الباب تلقا وجهه فقف
وقل : سلامٌ من الله السلام على   أهل السلام وأهل العلم والشرف
إنّي أتيتك يا مولاي من بلدي   مستمسكاً من حبال الحق بالطرف
راجٍ بأنّك يا مولاي تشفع لي   وتسقني من رحيق شاني اللهف
لأنّك العروة الوثقى فمن علقت   بها يداه فلن يشقى ولم يخف
وإنّ أسماءك الحسنى إذا تُليت   على مريضٍ شُفي من سقمه الدنف
لأنّ شأنك شأن غير منتقص   وإنّ نورك نور غير منكسف
وإنّك الآية الكبرى التي ظهرت   للعارفين بأنواع من الطرف
هذي ملائكة الرحمن دائمة   يهبطن نحوك بالألطاف والتُحف

مرغوب فيه . وفي "نسمة السحر" إنّه يُعَد المعلّم الثاني ، والمعلّم الأوّل إمّا مهلهل بن وائل ، أو امرؤ القيس . إخترع منهجاً لم يسبق إليه ، وتبعه فيه الناس ، ومن أتباعه "أبو الرقعمق" و"صريع الدلاء" . قال الثعالبي : سمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنّه فرد زمانه في فنّه الذى شهر به ، وإنّه لم يسبق إلى طريقته .

وقال الأميني : ولم نقف في طيّات الكتب والمعاجم على تاريخ ولادته ، لكنّ الباحث عنها يقطع بأنّ الرجل ولد في المئة الثالثة ، وعاش عمراً طويلاً حدود المئة والثلاثين سنة . ولم يختلف اثنان في تاريخ وفاته ، وإنّه توفي في جمادى الآخرة سنة ٣٩١ بالنيل وحُمل إلى مشهد الإمام الكاظم ودفن فيه ، وكان أوصى أن يدفن هناك بحذاء رجلي الإمام عليه السلام ، ويكتب على قبره : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [سورة الكهف : الآية ١٨] .(الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ٤/ ٨٨ - ٩٨)

كالسطل والجام والمنديل جاء به ... جبريل لا أحد فيه بمختلف
كان النبي إذا استكفاك معضلة ... من الأمور وقد أعيت لديه كُفي
وقصّة الطائر المشوي عن أنسٍ ... تخبر بما نصّه المختار من شرف
والحبّ والقضب والزيتون حين أتوا ... تكرّماً من إله العرش ذي اللطف
والخيل راكعة في النقع ساجدة ... والمشرفيات قد ضجّت على الحجف
بعثت أغصان بان في جموعهم ... فأصبحوا كرماد غير منتسف
لو شئت مسخهم في دورهم مُسخوا ... أو شئت قلت لهم يا أرض انخسفي
والموت طوعك والأرواح تملكها ... وقد حكمت فلم تظلم ولم تحف
لا قدّس الله قوماً قال قائلهم ... بخٍ بخٍ لك من فضلٍ ومن شرف
وبايعوك بخمّ ثمّ أكّدها ... (محمد) بمقال منه غير خفي
عاقوك واطّرحوا قول النبي ولم ... يمنعهم قوله هذا أخي خلفي
هذا وليّكم بعدي فمن علقت ... به يداه فلن يخشى ولم يخف

والقصيدة تناهز ٦٤ بيتاً .(١)

تأثّر الأدب النجفي بالآداب الأخرى

لمّا كانت التركيبة السكّانية لمدينة النجف الأشرف مزيجاً من قوميات عديدة كالعربية والفارسية والتركية والهندية ، فمن الطبيعي أن يحصل التلاقح الأدبي ويتأثر الجميع بعضهم ببعض وبالأجواء العربية السائدة في مدينة النجف كلّ بنسبته ، ونتيجة لذلك ترى الشعراء ذوي الأصول الفارسية ممّن فهموا الأدب الفارسي الذي عرف بسعة الخيال والابتكار في المعاني قد تفوّقوا في المعاني الدقيقة وحصلوا على الخيال الفارسي والديباجة العربية وبرز ذلك جليّاً في أشعارهم . ومنهم من رزقه الله تعالى الموهبة ونظم باللسانين العربي والفارسي ، كما سيأتي ذكرهم في موضوع مستقل قريباً .

---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب : ٤/ ٨٨- ٩٨ . الطليعة من شعراء الشيعة : ١/٢٤٧- ٢٥٠ .

أمّا في مجال النثر والخطابة فالأدباء المجيدون للغة العربية إلى جنب الفارسية أو التركية والأوردية متوفرون في النجف ، ويتعذّر حصرهم .

وفي النجف من الأدباء العرب من تأثر باللغة الفارسية نتيجة أسفاره لإيران واحتكاكه بالفُرس ومشاهدته عوالم وحواضر لم يوفّق لمثلها غيره ، فترى أثر الخيال الفارسي بادٍ على شعر الشيخ علي بن جعفر الشرقي المتوفى سنة ١٣٨٤هـ ، من جراء سفره ثلاث مرّات إلى إيران واحتكاكه بالفُرس خلال هذه الأسفار ، كما أنّ الشيخ علي الدشتي الذي كان يصحبه الشرقي في أكثر ساعات يومه أثر آخر . والشيخ الشرقي من أشهر مشاهير الشعراء في العالم العربي .

وفيهم من تولّع بالأدب الفارسي دون سفر إلى بلاد فارس ، كالأديب والشاعر المعروف الشيخ محمد سعيد بن محمود الأسكافي المتوفى سنة ١٣١٩هـ ، فقد أكثر من قراءة الكتب الفارسية ، وحصلت له الملكة باللغة الفارسية كما أحرزها باللغة والأدب العربي ، على أنّه لم يكن قبل معاطاته لها يحسن أن يفوه بها نطقاً ، ولكنّه لتوقد ذهنه وبذله الجد في تعلّمها تمكّن من إجادتها والبراعة فيها حتى اشتهر بين أهل اللسانين في ذلك ، فكان كلّ منهما يراجعه فيما يشكل عليه من مبهم لغته ، وكثيراً ما أبهر في بيان التحريف والتصحيف الواقعين منها ، نظماً ونثراً ، وقد نظم باللغة الفارسية فأعرب فيها عن فضل يبهر الأفاضل من أهليها ، كما أنّه كان سريع البديهة ويرتجل الشعر العربي دون تأمّل .

ومن أدباء النجف من عرف بالترجمة أو التعريب عن الفارسية ، كالشيخ عبد العزيز ابن الشيخ عبد الحسين الجواهري المولود سنة ١٣١٠هـ ، وهو عالم جليل ، وفاضل محقّق ، وشاعر مجيد ، عرّب المثنوي لجلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي الرومي الحنفي المتوفى سنة ٦٧٢هـ.

والسيّد أحمد بن السيّد علي الصافي المولود سنة ١٣١٤هـ، وهو من أشهر مشاهير شعراء العرب، وأديب فذ، أتقن اللغة الفارسيّة وأحاط بأسرارها وعرّب "رباعيّات الخيام" تعريباً فاق كلّ تعريب، حتى أدهش أدباء أيران البارزين، فقرّضوه تقريضاً جميلاً، منهم: العلاّمة الملقّب بصدر الأفاضل، فقد قال له: "أكاد أعتقد أنّ الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معاً، وقد فقد العربي منهما، فعثرت عليه وانتحلته لنفسك".

والسيّد عبد الوهاب بن محمد الصافي المتولّد سنة ١٣١٨هـ، فقد عرّب كثيراً من المزدوجات والمثلّثات عن الفارسية.

والأستاذ صالح بن الشيخ عبد الكريم الجعفري المولود سنة ١٣٢٥هـ، من الأدباء الذين امتازوا بإتقانهم اللغة الفارسية وأجاد الترجمة والتعريب، وله في ذلك أثار، ومن تعريبه عن الأدب الفارسي مزدوجات، منها مزدوجة بعنوان "شدّوا المحامل"، قوله:

كيف الإقامة عند من نهوى ... أم كيف نأمن والهوى عذر

والدهر يصرخ كلّ ثانية ... شدّوا المحامل أيّها السفر

وعرف عن الأستاذ عباس بن أسد الخليلي المتوفى سنة ١٣٩٢هـ، أنّه ترجم إلى الفارسية كتاب "تاريخ ابن الأثير" في أربعة عشر مجلّداً. وهو أديب متقن، وأحد أركان الثورة العراقية عام ١٩١٨م. كما عرف أخوه الباحث الأديب الأستاذ جعفر بالترجمة أيضاً.

أمّا أدباء النجف ذوي الأصول اللبنانية فقد امتاز أدبهم بسعة الخيال والرقّة لما يتمتّع به بلدهم من جمال الطبيعة والمناظر، وترى أثر نتاج لبنان الأدبي واضحاً في أدبهم، ولعلّ أصدق الأمثلة على ذلك ما تميّز به شعر العلاّمة السيّد محمد حسين بن السيّد عبد الرؤوف الحسني الشهير بفضل الله المولود سنة ١٣٥٤هـ، وتأثّره بأدب بشارة الخوري تأثّراً طغى على أغلب شعره.

وفي أدباء النجف من تطلّع إلى لغات لا تمتّ بصلة لسكنة النجف كاللغة العبرية والإنكليزية وغيرها، فأجادوها واكتسبوا من آدابها، منهم:

العلاّمة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله حرز الدين المُسْلمي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، وهو من مشاهير علماء عصره، كان يجيد عدد من اللغات الأجنبية وألّف في قواعدها كتباً، هي: ١- كتاب "جامع اللغات"، في ترجمة أحد عشر لغة وتعريف قواعدها اللغوية، ألّفه سنة ١٣٢٦هـ. ٢- كتاب "قواعد اللغات الثلاث" العربية والفارسيّة والتركية. ٣- كتاب "ورد الهند"، في قواعد اللغة الهندية والعربية والفارسية.(١)

والعلاّمة الشيخ محمد جواد بن حسن البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، وهو عالم فقيه، بحّاثة أهل عصره، وأديب شاعر، كان عارفاً ببعض اللغات غير العربية التي يتوقّف عليها فهم أناجيل أهل الكتاب وتوراتهم حتى برع في دحض أباطيلهم وردّ افتراءاتهم وبدعهم.

من أقسام الأدب النجفي:

أوّلاً: الشعر

مواقف وآراء من الشعر

تواترت الآثار بجواز إنشاء الشعر وإنشاده، وما ثبت في ما نهي عنه كقوله ﷺ: "لإن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يملأه شعراً"، ليس لأن الشعر مكروه ولكن لمعنى كان في خاص من الشعر قصد بذلك النهي عنه، فهو محمول على الإكثار منه أو ما اشتمل على مدح من لا يجوز مدحه أو ذمّ من لا يذمّ، وقد ورد أنه ﷺ كان يقول: "إنّ من الشعر لحكمة"، وقوله: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ... وكلّ نعيمٍ لا محالة زائل

وكان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يهتمّون غاية الاهتمام بالأدب نثراً وشعراً، كما كانوا يبعثون الشعراء على نظم القضايا العقائدية الحقّة لترويجها بين الناس، حتى اشتهر عنهم الحديث: "من قال فينا بيتاً من الشعر، بنى الله له بيتاً في الجنّة".

---

(١) مراقد المعارف: ١٨/١.

وتفاوتت مواقف وآراء أدباء وعلماء النجف شأن غيرهم في نظم الشعر ، فمنهم من جمع بين العلم والنظم ، ومنهم من أعرض عن الشعر ورآه نقصاً ، أو قصر شعره في العقائد وأهل البيت عليهم السلام ، ومنهم من أتلف شعره ، ومن عرف بكثرة النظم . وفيما يلي عرض ما أمكننا استقصاءه لكلّ فريق منهم :

من جمع بين العلم والشعر

في تاريخ الأدب النجفي الكثير من علماء الدين الذين عرفوا واشتهروا بنظم الشعر ، وقد دافع البعض منهم عن موقفه وتمسّك بآرائه . وغير خفي أنّ هؤلاء الأعلام كانت غاياتهم من نظم القريض والاعتناء به من قبلهم هو ليجعلوا من أدبهم وشعرهم قالباً يفرغون فيه خواطرهم الفقهية وآراءهم الكلامية ونظراتهم الدينية وقواعدهم الأخلاقية ، كما ظهر ذلك بجلاء في ردود القصيدة البغدادية - كما ستأتي . ونحن نورد هنا قصّة دافع فيها جمع من العلماء الأدباء عن مواقفهم اتجاه نظمهم الشعر :

لمّا جاء السيّد صدر الدين محمد بن صالح العاملي المتوفى سنة ١٢٦٤هـ ، من إيران إلى النجف رأى جمعاً من العلماء يتعاطون الأدب ، منهم : الشيخ نصّار بن حمد العبسي ، وبعض آل محيي الدين ، وفريق من آل الأعسم ، وهم يختلفون على الشيخ علي بن الشيخ جعفر صاحب "كشف الغطاء" المتوفى سنة ١٢٥٣هـ ، وذلك قبل أن تنتهي إليه المرجعية ، فأعاب السيّد العاملي عليهم وقبّح فعلهم وحذّرهم من إيقاعهم في محرّم كاستعمال التشبيب والغزل ، على أنّ السيّد صدر الدين كان من الأدباء وله ديوان شعر كبير ، فانبرى الجميع لإجابته بقصيدة ، منهم الشيخ علي كاشف الغطاء ، بقوله ، والصدر للشريف الرضي :

بــأي كتــاب أم بأيّــة ســنّة ... يحـلّ لـديها نقـض عهـدي وذمّتـي
وتنـسب للتـشبيب مثلـي ضـلّة ... وكـم لـي عليهـا مـن يـد مـستهلّت
ولا أعـرف التـشبيب إلاّ بوصـفه ... ولا كـان يومـاً فـي الغـرام تعلّتـي

وهل لامرئ بعد الثلاثين ملعب وقد أدبرت أيامه وتولّت
ألم ترني في كلّ يوم مشيّعاً إلى القبر منهم ميّتاً إثر ميّت
فكم خلطوا حلو الكلام بمرّه وكم عرضوا بي مرّة بعد مرّة
ألم يعلموا أنّي أبو عذرها الذي غدا طالعاً بالفضل كلّ ثنية
ويعرف فضلي كلّ غادٍ ورائح ويعمى حسودي عن بيان فضيلتي
وما أنا إلاّ الشمس يسطع نورها وإن أنكرتها كلّ عين مريضة

ومن أعلام النجف الذين جمعوا بين العلم ونظم الشعر :

العلاّمة الشيخ جواد بن شرف الدين محمد العاملي الذي كان حيّاً سنة ١١١٦هـ ، وهو عالم فقيه أصولي ، ولغوي نحوي ، وأديب شاعر عروضي ، جمع بين الصناعة الشعرية والعلوم الشرعية ، وقد شارك الشيخ محمد مهدي الفتوني في تقريضه القصيدة الكرّاريّة التي نظمها الشيخ شريف الكاظمي سنة ١١١٦هـ.

والسيّد جواد بن محمد بن محمد العاملي المتوفى سنة ١٢٢٦هـ ، وهو فقيه شهير ، ومن الأدباء الذين ظفروا بقسم كبير من الإحاطة بعلوم الأدب والشعر . وجد على ظهر كتابه "مفتاح الكرامة" ، قوله :

أتعبت نفسي بهذا الشرح مجتهداً ما صدّني منه شيء قلّ أو كثرا
كلّ النهار وكلّ الليل في شغلٍ فلا أبالي أطال الليل أم قصرا

والعلاّمة الشيخ محمد جواد بن حسن البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ ، مع كونه من زعماء الدين إلاّ أنّه وجد أنّ الشعر من العناصر التي توصل كثيراً من الحقائق إلى روّادها ، كما أنّه رآه أجمل وعاء يحتفظ بالخواطر العلمية ضمن أطار فنّي ، وهو بهذا الرأي وغيره اندفع يمارس النظم منذ الصبا واستمرّ فيه إلى آخر حياته حيث صار يودعه كثيراً من آرائه في العدل والتوحيد وما إلى ذلك من أسس الدين الإسلامي وفلسفته ، وهو أحد الذين أجابوا الشاعر البغدادي في تشكيكه في ظهور الإمام المهدي ﷺ ، كما ستأتي قصيدته في أحداث سنة ١٣١٧هـ.

والعلاّمة الشيخ مهدي بن داود بن سلمان الحجّار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ ، فقيه من أهل الفضيلة والكمال والعرفان ، وشاعر أديب ، ولغوي مهذّب ، كانت له حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب .

والمرجع الديني الشيخ هادي بن الشيخ عباس بن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، وهو علم شهير ، له مصنّفات في جملة من العلوم وطبعت له عدّة رسائل عملية ، كما أنّه أديب كبير ، وشاعر مجيد ، له مطارحات ومراسلات مع أدباء عصره .

والعلاّمة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي النباطي المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، وهو من أشهر مشاهير أدباء عصره ، عالم كبير ، وشاعر مبدع ، له ديوان عامر كبير مليء بالخواطر والأحاسيس .

والعلاّمة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله المُسْلمي المشهور بحرز الدين المتوفى سنة ١٣٦٥هـ ، وهو من مشاهير علماء عصره ، له ديوان شعر جاء أكثره في الغزل والنسيب والموعظة .

والإمام الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى ابن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ ، وهو من أشهر مشاهير زعماء الدين الذين جمعوا بين علوم الدين والأدب ، فقد كان فقيهاً قوي الحجّة ، وأديباً واسع الاطّلاع ، وشاعراً بارعاً ، وخطيباً قوي التعبير .

والعلاّمة الشيخ عبد الحسين بن القاسم بن صالح الحلّي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ ، وهو من أشهر مشاهير العلماء والأدباء ، فمن الناحية العلمية ، فهو العالم الذي رجع إليه الكثير من أعلام عصره في حل المسائل المشكلة الغامضة . وأمّا من الناحية الأدبية فهو الأديب الذي تتبارى أمامه الشعراء ، والحكم الذي تذعن لحكمه الأدباء متى حدثت خصومة أدبية أثناء مطارحاتهم ومساجلاتهم . وكثيراً ما كان يقول : إنّ طالب العلم الأديب ،

عارف بأخبار الأئمّة عليهم السلام ، إذ أنّ لديه ذوقاً أدبياً يميّز به خبر الإمام عن غيره ، ويعرف بذوق سبك العبارات وتراكيبها ، فالعالم الأديب أعرف بكثير من العالم غير الأديب .

والعلاّمة الشيخ عبد الكريم بن الشيخ علي الجزائري المتوفى سنة ١٣٨٢هـ ، وهو زعيم ديني كبير ، وشاعر مجيد .

والعلاّمة السيّد ميرزا عبد الهادي بن السيّد إسماعيل الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٢هـ ، وهو زعيم ديني كبير ، ومرجع عام للفتيا والرأي ، وأديب شاعر .

والعلاّمة الشيخ محمد طاهر بن الشيخ عبد الله آل الشيخ راضي المتوفى سنة ١٣٩٤هـ عالم جليل ، وأديب معروف ، وشاعر مجيد .

والعلاّمة السيّد محمد بن السيّد جمال الهاشمي الگلپايگاني المتوفى سنة ١٣٩٧هـ وهو عالم جليل ، وكاتب ضليع ، وشاعر مبدع .

والعلاّمة السيّد محمد حسين بن السيّد عبد الرؤوف الحسني الشهير بفضل الله المولود سنة ١٣٥٤هـ ، أحد أشهر العلماء والأدباء والشعراء الذين تخرّجوا من جامعة النجف . نظم الشعر القريض وهو في العاشرة من عمره ، وألقى قصيدته في عيد الغدير وهو في السادسة عشرة من عمره .

من أعرض عن الشعر ورآه نقصاً

وفي علماء النجف من رأى في الشعر نقصاً للعظماء ، فأعرض عنه بعد نظمه . وقد كان الشيخ جعفر بن علي بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٩٠هـ ، وهو علاّمة جليل ، وشاعر قدير ، ممّن تأثّر بهذا الرأي تأثراً كليّاً ، وقد ورد عنه قوله : "الشعر يُنقص الكامل ويُكمل الناقص" ، وهذه الخاطرة حدت بكثير من الشعراء الذين امتطوا صهوة التقليد فأخذوا يقيمون لها وزناً ، وزاد على ترسّخها في الأذهان وجود فئة تطلّعت للزعامة الدينية وهي تُحسن من فنون الأدب شيئاً ، فالتزمت هذه الفكرة ناسية أنّ جل زعماء الدين في القرون الغابرة كانوا لا يتقاعسون عن نظم الشعر ، ولهم دواوين عامرة ، ووصلوا في نظمه إلى حد الإسراف .

وممّن كان يرى هذا الرأي : السيّد موسى بن السيّد جعفر الطالقاني المتوفى سنة ١٢٨٩هـ ، وهو عالم جليل ، وشاعر شهير ، لعب دوراً مهمّاً في نوادي النجف الأدبية ، وبلغ به التفوّق في النظم والاتقان للفن أن صار يصوغ الشعر بدون أي تكلّف، إلاّ أنّه صرّح غير مرّة بأنّه ممّن يرى الشعر نقصاً للعظماء ، كما جاء في رثائه للعلاّمة الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف ، بقوله :

بني المجد عذراً إن تقاصرت في الثنا ... عليكم ففي قلبي على حبّكم قصر
فإنّي رأيت النظم نقص ذوي الحجا ... ولي في ملام الناس إن لمنني عذر
تعرّض قوم بالملام سفاهة ... وقد طال فيما بيننا الكر والفر
لقد حسبوا أنّي سهرت على العلى ... وأصبح فنّي في زمانهم الشعر
فحتّى مَ تخفى شمس فضلي عن الورى ... كأنّي في أحشاء جسم العلى سر
رضعت ثدايا العلم طفلاً وها أنا ... كبيرٌ بفضلي ليس بي أبداً كبر
وفي شرقها والغرب منّي مناقبٌ ... كما قد أضاءت في السما أنجمٌ زهر
سل الدهر عن مجدي وجدّي ووالدي ... ففيهم ومنهم وعنهم لهم الفخر

ومنهم : الشيخ محمد تقي بن الشيخ عبد الرسول بن شريف الجواهري المولود سنة ١٣٤١هـ، وهو عالم فاضل ، وأديب بارع ، وشاعر مطبوع ، فقد اعتذر من نشر شعره متأثّراً برأي والده الذي قال شعراً حسناً ، وتنصّل منه لبلوغه مرتبة الاجتهاد .

والسيّد موسى بن السيّد جعفر بن محمد بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٧هـ ، أعرض عن النظم عندما توغّل في دراسة الفقه والتمشّي نحو المرجعية الدينية .

والشهيد السعيد السيّد محمد سعيد بن السيّد محمود الحسني الحبوبي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو من أشهر مشاهير عصره ، فقيه كبير ، وأديب فطحل ، وشاعر مبدع ، أعرض عن النظم لمدّة ربع قرن من حياته الأخيرة ، وانقطع بأجمعه لتحصيل العلم والفقاهة ، فلازم العلاّمة الشيخ محمد طه نجف ، ولم يبرح عنه إلى حين وفاته .

والشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علي بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، فقد كان ينظم في شبيبته من القصائد الغرر ما يطرب سمع الدهر ويعجب مشاعر الزمان ، ولكنّه طلّق خرائد الأشعار طلاقاً باتاً ، وانقطع للإفادة والاستفادة والعلم والفضيلة .

والسيّد محمد علي بن السيّد حسين بن علي الحمّامي المولود سنة ١٣٤٠هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب كامل ، وشاعر رقيق ، كان يتكتّم على شعره تقليداً لمن اقتصر على الترقّي في مراقي العلم .

والشيخ محمد رضا بن الشيخ هادي بن عباس كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦٦هـ ، وهو عالم كبير ، وكاتب معروف ، وشاعر مجيد منع نفسه من الاستمرار في نظم الشعر بعد وصوله للزعامة الدينية . ولاحتياطه أن لا يعرف كشاعر آثر على نفسه أن لا ينشر في الصحف والمجلاّت العراقية وغيرها شيء بتوقيعه الصريح إلاّ شيء يسير لم يذكر ، فقد كان يكثر من النشر بتوقيع "م ر ج" في المقتطف والعرفان والنجف ولغة العرب .

والشيخ كاتب بن الشيخ راضي بن علي الطريحي المتوفى سنة ١٣٨٨هـ ، وهو عالم أديب ، وفاضل شاعر ، أعلن عن رأيه بقرض الشعر بقوله :

مـا نظمـت الـشعر إلاّ أنّنـي ... خلتـه علمـاً بـه أعلـو ارتقـاء
مُـذ تبحّـرت علمـت أنّـه ... كـسراب ظنّـه الظمـآن مـاء

من قصر شعره في العقائد وأهل البيت عليهم السلام

من هؤلاء : المرجع الديني العلاّمة الشيخ حسين بن محمد بن الحاج نجف المتوفى سنة ١٢٥١هـ ، له ديوان شعر لايزال مخطوطاً أقصره على مدائح آل البيت ومراثيهم عليهم السلام .

والشيخ علي بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٥٣هـ ، كانت له أشعار كثيرة في التغزّل والتشبيب ، نظمها في أيام صباه ، ولمّا بلغ العشرين أو

الثلاثين جعل يتتبّعها ويفتّش عنها ليحرقها ويمحي وجودها ، فظفر بمقدار مئة ألف بيت فأحرقها جميعاً إلاّ ما كان في مدح الأئمّة عليهم السلام ورثائهم .

والسيّد هاشم بن حمد بن محمد حسن آل كمال الدين الحسيني المتوفى سنة ١٣٤١هـ وهو عالم معروف ، وأديب رقيق ، وكاتب شاعر ، اقتصر في نظمه للشعر على رثاء الأئمّة عليهم السلام ومدائحهم ، وفي المناسبات التي تحصل لأحد أرحامه من آل كمال الدين .

والشيخ قاسم بن حسن بن موسى محيي الدين المتوفى سنة ١٣٧٦هـ ، وهو عالم معروف ، وشاعر رقيق ، ترك النظم لأكثر من عشرين عاماً حيث أخذ يتّجه إلى الشهرة العلمية والمكانة الدينية ، لكنّه لم يترك النظم في الأئمّة الأطهار عليهم السلام وقد نذر أنّه لا يقول في غيرهم .

والشيخ محمد علي بن الشيخ محمد تقي الأوردبادي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ ، وهو عالم جليل ، وأديب معروف ، وشاعر مقبول ، له نظم كثير لم يتعدّ حدود العقيدة ، غير أنّه قال في شبابه شعراً في مواضيع مختلفة ، ولكنّه أتلفه .

والشيخ صالح بن الشيخ مهدي الساعدي المعروف بصحين المولود سنة ١٣٢٢هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب ناظم ، لم يسمع له شعر تلي في الأندية والمناسبات ، نظراً لاتّجاهه العلمي الذي انصرف له بكلّه ، واقتصر نظمه في منظومات وأراجيز في علم النحو وعلم البديع وفي أهل البيت عليهم السلام ، منها منظومة أسماها "الحق اليقين في تفضيل محمد صلى الله عليه وآله على سائر النبيين" ، ومنظومة في وجود صاحب الزمان عجل الله فرجه .

من أتلف شعره

وقد ذهب بعض شعراء النجف إلى أبعد من ترك النظم ، فعمدوا إلى ما كتبوه من أشعار فأتلفوها .

قال الشيخ علي الخاقاني في ترجمة الشيخ جعفر بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٩٠هـ : حدّثني بعض الفضلاء ممّن يوثق به ، عن بعض العلماء من تلامذة الشيخ جعفر ، إنّه قال : كنت عند الشيخ جعفر قبل وفاته

يومين ، فبينا أنا هناك إذ قال لبعض غلمانه : أخرج لي الزنبيل الذي في الحجرة الفلانية ، فمضى وأخرج له زنبيلاً كبيراً مملوّاً من الأوراق والقراطيس ، فقال له مولاه خذه وتوسّط به بحر النجف - وكان البحر يومئذ بحراً عظيماً - وارمه في الماء ولا تخبر في طريقك به أحد ، فأنعم الغلام ومضى بما أمره مولاه .

قال الراوي : وبقيت أتأمّل فيما كان في الزنبيل ، فما وسعني إلاّ أن سألته عمّا فيه ، فقال : هذه منظوماتي وقصائدي لي مدّة أجمعها لأتلفها حتى لا تبقى بعدي ، فصعقت من مكاني وجعلت أوبّخه وألومه في ذلك وأسأله الرجوع عمّا هنالك ، فأبى وامتنع . فلمّا أيست منه خرجت أعد خلف الغلام ، فوجدته راجعاً من قضاء أمر مولاه ، وانكفأت وأنا أدمي بالندم الأضفار وأتأسّف ، ولا أسف الفرزدق على نوار .[١]

واشتهر أيضاً أنّ السيّد عدنان بن شبّر الغريفي المتوفى سنة ١٣٤٠هـ ، كان يتحرّى شعره بقدر الإمكان فيعدمه إلاّ قسماً منه أقرّه في حياته .

من عرف بكثرة النظم

أشرنا في طيّات هذا الفصل إلى الكثير ممّن عرف بكثرة النظم من شعراء النجف ، وقد تميّز منهم :

السيّد عدنان بن شبّر الغريفي ، فقد كان كثير الشعر جدّاً ، ولو جمع شعره لزاد على مئة ألف بيت ، لأنّه كان سريع النظم ، قوي البديهة ، ولم يتكلّف في شعره ببيت واحد ، فقد يستطيع أن يستبدل كلام يوم بكامله بالشعر ، ويعرب في خلاله عن الخواطر والأحداث والأغراض التي تمرّ به بالشعر الرصين العالي ، إلاّ أنّه كان يتحرّى شعره بقدر الإمكان فيعدمه إلاّ قسماً منه أقرّه في حياته .

والشيخ عبد الحسين بن عمران الحويزي المعروف بالخيّاط المتوفى سنة ١٢٨٧هـ ، قد عرف له خمسة عشر ديواناً ، وهو شيخ أدباء عصره ، وشاعر شهير ، وأديب واسع الاطلاع ، أكثر شعره في أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) شعراء الغري : ٤٢/٢ .

والشيخ محسن بن محمد بن موسى الخضري المتوفى سنة ١٣٠٢هـ، وهو من أشهر مشاهير أدباء وشعراء عصره، وكان كثير الشعر، وقد تصدّى لجمعه ولده الشيخ جواد فلم ينل منه إلاّ غيضاً من فيض وقطرة من بحر.

والشيخ كاظم بن محمد الخضري المتوفى سنة ١٣٣٣هـ، وهو أديب معروف وشاعر رقيق، كان مكثراً من النظم.

والشيخ جواد بن الشيخ محمد بن شبيب الشبيبي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، وهو عالم جليل، وأديب فذ، وشاعر خالد، بلغ ما نظمه أكثر من أربعين ألف بيت، لم يبق منها إلاّ عشرة آلاف بيت، جمعها السيّد محمود بن حسين الحبوبي.

النظم بأكثر من لغة ولهجة

أنجبت مدرسة النجف الأدبية الكثير من الشعراء الذين تعدّت ملكة النظم عندهم لأكثر من لغة كالفارسية والتركية والأوردية إلى جانب العربية. كما تفشّى في الوسط الأدبي النجفي النظم باللهجة العربية الدارجة، أو ما يطلق عليه "الشعر الشعبي"، وهذا النوع يمتاز عن النظم بالفصحى بسعة الخيال وابتكار المعاني واستحضار ألوان من الصور الوجدانية، وقد اشتهر فيه جماعة في طليعتهم: الحاج زاير، وعبّود غفلة، والشيخ مهدي الخضري، وعبد الله الروازق، والسيّد عبد الحسين الشرع، وعبد الحسين أبو شبع، وغيرهم. وفيما يلي من عرف بالنظم بأكثر من لغة ولهجة:

من نظم بالعربية والفارسية

السيّد محمد علي بن صدر الدين بن صالح الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٢٤٧هـ، كان ينظم باللغتين، وله منظومة في الميراث، وألفية في النحو، وديوان شعر فارسي.

ونظام الدولة علي محمد خان بن أمين الدولة عبد الله خان المتوفى سنة ١٢٧٧هـ، وهو أديب كبير وشاعر معروف، وعالم ضليع، له مراسلات ونظم باللغتين العربية والفارسية.

والملاّ علي الخوئي الذي كان حيّاً سنة ١٢٩١هـ، وهو من أدباء الفُرس على عهد ناصر الدين شاه، وشاعر في العربية.

والشيخ جابر بن الشيخ عبد الحسين بن عبد الحميد الجواد البلدي الكاظمي المتوفى سنة ١٣١٢هـ ، وهو فاضل أديب ، وشاعر ألمعي لبيب ، صار له ولع في نظم الشعر الفارسي وأجاد فيه تمام الإجادة ، حتى ضعف نظمه العربي .

والشيخ ميرزا باقر بن الميرزا خليل بن علي الخليلي الرازي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو عالم فاضل ، وطبيب حاذق ، ومؤرّخ شاعر ، كان ينظم الشعر الفارسي والعربي .

والسيّد مصطفى بن حسين بن محمد علي الكاشاني المتوفى سنة ١٣٣٧هـ ، وهو عالم جليل ، وشاعر مجيد في اللغتين العربية والفارسية . كما كان خطاطاً باللغتين ، حتى كان يضرب بخطّه المثل .

والسيّد مصطفى بن ميرزا حسن الشهير بالمجتهد بن ميرزا باقر التبريزي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ ، وهو عالم جليل وشاعر مطبوع ، ممّن نظم بالأدبين وأجاد النظم في اللغتين وأكثر الشعر فيهما . له أرجوزة في علم العروض شرحها صديقه الشيخ أغا رضا الأصفهاني . مدحه الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بمقطوعة ، منها :

تركت سيوف الهند دونك في الفتك ... على العرب العربا وأنت من الترك
تبرّزت من (تبريز) ربّ فصاحة ... بها مدنيّاً قد حسبناك أو مكّي
فكم لك من نظمٍ ونثرٍ تزيّنت ... بنفسهما المسكي كافورةُ المسك
سكبت مياه الحسن في حسن سبكها ... فيا لأبيك الخير من (حسن) السبك
لو (الملك الضلّيل) يُهدى لمثلها ... لظلّ يفاديها وإن عزّ بالمسك[1]
وتسليه عن (ذكرى حبيبٍ ومنزل) ... ويضحك إعجاباً من (قفا نبك)[2]

(١) الملك الضلّيل : هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من أشهر شعراء العرب ، وأحد شعراء المعلّقات العشر . وفي حديث علي عليه السلام ، وقد سئل عن أشعر الشعراء ، فقال : "إن كان ولا بد فالملك الضلّيل" . والضلّيل : المبالغ في الضلال جداً ، والكثير التتبّع للضلال . (النهاية في غريب الحديث : ٩٧/٣)

(٢) أراد به مطلع معلّقته المعروفة ، قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إذا رحت تتلوها غداً وهو قائلٌ   فديتك واللُّسُن الأعاريب ياتركي(١)
لُباب معانٍ يسحر اللب لفظها   فيحسبه نظم اللئالي بلا سلك
ولكنّ آي المصطفى آية العلى   أنارت فآثرت اليقين على الشك
فتىً زاد أيام الصبا سمك رفعة   تقاصر شأو الشيب عن ذلك السمك
وتلقاك قبل الاختبار مهذّباً   مخائله تغني اللبيب عن المسك

ومنهم : السيّد محمد بن فضل الله بن خداداد الموسوي الطبرستاني الساروي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ ، وهو من مشاهير العلم والأدب في عصره ، كان له ديوان شعر بالفارسية في مدائح الأئمّة عليهم السلام ، طبع في كربلاء سنة ١٣٣٢هـ ، وله أيضاً ديوان شعر بالعربية مخطوط .

والشيخ محمد حسين بن محمد حسن معين التجّار الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦١هـ . فقيه الفلاسفة ، حكيم شهير ، وأصولي مبدع ، وقف على أسرار الأدب الفارسي والعربي كأديب تخصّص بهما ، وإنّ القطع الشعرية التي كان ينشدها بالفارسية والتي يصغي لها أعلام الأدب كانت مثار الإعجاب ، وصلاته بالأدب العربي لا تقل عن سابقه ، فقد أبقى لنا آثاراً دلّت على تمكّنه من هذه الصناعة التي لا يتقنها إلاّ أبناؤها ممّن مارسوها .

والشيخ أغا رضا بن محمد حسين بن باقر الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٢هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب شهير ، وشاعر معروف باللسانين العربي والفارسي .

والسيّد الميرزا مهدي بن حبيب بن أقا بزرگ الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ ، عالم مجتهد مجاهد ، وشاعر يحمل ذوقاً عربياً وأدباً جمّاً ، ينظم الشعر العربي والفارسي .

والعلاّمة السيّد ميرزا عبد الهادي بن السيّد إسماعيل الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٢هـ ، وهو زعيم ديني كبير ، ومرجع عام للفتيا والرأي ، وأديب شاعر ، له شعر رائق باللسانين العربي والفارسي .

---

(١) اللُّسُن : البلغاء . والأعاريب : جمع أعراب .

والخطيب الشيخ عبد علي بن الشيخ محمد حسين الماجدي المولود سنة ١٣٠٠هـ، من الأدباء الشعراء باللغتين الفارسية والعربية .

والشيخ كاظم بن عبد الجواد الخطّاط المولود سنة ١٣٢٤هـ. كان يجيد الفارسية ويقرأ الأدب الفارسي ، فكان حاد الذهن ، رقيق الشعور ، وقد نظم باللغتين .

من نظم باللغة العربية والفارسية والتركية

عرف الميرزا أبو القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم الأوردبادي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وهو عالم كبير وشاعر معروف ، أنّه كان ينظم بهذه اللغات الثلاث . ستأتي له قصيدة في الرد على الشاعر الشهير عبد الباقي العمري .

من نظم بلغات عديدة

كان الشيخ طاهر بن أحمد بن عبد الله الدجيلي المتوفى سنة ١٣١٣هـ، وهو أديب معروف ، وشاعر فكه ، ينظم قصيدة واحدة بلغات عديدة كالعربية والفارسية والهندية والتركية ، وغيرها .

من نظم بالعربية الفصحى والدارجة

منهم : الشيخ محمد بن عبيد بن راضي بن عنوز المتوفى سنة ١٢٨٨هـ ، كان في شعره الفصيح رقيقاً ، وأجاد في كثير من أنواع النظم باللغة الدارجة كالموّال والأبوذية .

والشيخ محمد بن الشيخ علي بن إبراهيم الشيباني اللملومي الشهير بابن نصّار المتوفى سنة ١٢٩٢هـ ، وهو أديب شهير ، وشاعر معروف ، تسالم شعراء الأدب الشعبي أنّه كان خاتمة الشعراء المجيدين في هذا الفن ، وأنّ ملحمته المعروفة بـ "النصّاريات" استوعبت وصف حادثة الطف استيعاباً جميلاً بأسلوب محكم يهتزّ لها السامع مهما تكرّرت روايتها ، وبذلك خلدت في نفوس الخطباء والسامعين في آن واحد . كما كان ابن نصّار له موقعه بين شعراء الفصحى ، وساهم في مجال الرثاء وأجاد .

والشيخ مهدي بن قاسم بن محمد الزابي الحويزي المعروف بحجّي المتوفى سنة١٢٩٨هـ، شاعر بالفصحى وأجاد في سائر فنون الأدب الشعبي .

والشيخ كاظم بن حسن بن علي السهلاني الحميري الشهير بسبتي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ وهو من أشهر مشاهير خطباء عصره ، وشاعر باللغتين الفصحى والدارجة .

والشيخ مهدي بن الشيخ حسن بن إسماعيل الخضري المتوفى سنة ١٣٤٧هـ ، وهو أحد مشاهير أعلام الأدب الشعبي الذي اشتهر به أكثر منه في الفصيح ، وقد جمع أخوه الشيخ عبد الغني الخضري شعره الدارج وطبعه باسم "الروضة الخضرية في مراثي العترة الفاطمية" غير مرّة ، وقسّمه إلى ثلاثة أبواب : في المربع ، وفي الحدي ، وفي النعي ، كما نظم في الموّال والأبوذية .

والسيّد عبد المهدي بن راضي بن حسين الأعرجي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ ، وهو خطيب أديب ، وشاعر رقيق باللغة الفصحى ، وله ديوان باللغة الدارجة الفراتية اشتمل على أكثر فنون الأدب الشعبي من أبوذية وموّال وميمر ومربع .

والشيخ مهدي بن الشيخ هادي بن جعفر الظالمي المتوفى سنة ١٣٥٩هـ، وهو عالم جليل ، وأديب معروف ، وشاعر رقيق ، أوقف شعره على رثاء عترة النبي ﷺ باللهجة الدارجة والفصحى .

والحاج مرهون بن حسن بن درويش الصفّار المولود سنة ١٣١٥هـ.كان ينظم شعره باللغتين الدارجة والفصحى ، كذلك كانت ندوته تظم شعراء الفريقين .

أغراض الشعر في الأدب النجفي

تنوّعت أغراض النظم في الأدب النجفي ، فقد نظموا في المديح والهجاء والرثاء والتشبيب والنسيب والغزل والاعتذار والحماسة والسياسة والموعظة والمراسلات والإخوانيات وما تفرضه المناسبات الاجتماعية كعقد قران ، وحفل ختان ، ووفاة زعيم ، أو إقامة مهرجان عقائدي في مدينة النجف ، أو في ليالي شهر رمضان .

وفيما يلي نورد جملة منها :

١- الشعر العقائدي

آثر شعراء النجف وهي المركز الديني على أن تكون أشعارهم دروساً في العقيدة، والدعوة إلى الحق، ونشر فضائل العترة الطاهرة، وأن يكونوا هم المعنيّون بقوله تعالى في الشعراء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾، وإليك أهم الشواهد على ذلك:

النظم في العقائد العامة

لعلّ خير مثال لمن نظم في عامة العقائد هو العلاّمة الشيخ مهدي بن داود الحجّار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ، فله قصيدة خالدة في العقائد تزيد على ثلاثمئة بيت أسماها "البلاغ المبين"، وفيها تقف على شاعريّته وعلمه وإحاطته بأصول العقائد والجدل، وهي تشمل مواضيع كثيرة، منها: النسيب العرفاني، والتخلّص، والدين وإصلاحه، ومضار الجهل ووجوب التعلّم، والإحتجاج، والخلق، والطبيعة، والمادة، وعلم الله عز وجل، والنفس، والعدل، والنبوّة، والقرآن، والإمامة، والمعاد، مطلعها:

يــا دارهــم بــين منــى والعلــم ... حيتــك وســمياً غــوادي الــديم

وله أيضاً أرجوزة أسماها "فوز الدارين في نقض العهدين" القديم والجديد للنصارى، اشتملت على بيان عقائد المسلمين، من فصولها: القرآن يكذّب العهدين الرائجين، والقرآن وآدم، ونوح والقرآن، مطلعها:

أحمــدك اللهــم بــارئ النــسم ... وموجــد الأشــياء مــن بعــد العــدم

النظم في أهل البيت عليهم السلام وردود القصيدة البغدادية

ليس هناك شاعر من شعراء النجف من لم ينظم في أهل البيت عليهم السلام ببيان إمامتهم وفضائلهم ومظلوميتهم، حتى من أعرض وتنصّل عن عامة النظم لكنّه لم يتركه في الأئمّة الأطهار عليهم السلام، كما أنّ منهم من نذر أن لا يقول في غيرهم، ومنهم من أتلف شعره في آخر أيامه إلاّ ما كان في مدح الأئمّة عليهم السلام ورثائهم. والشعر في هذا المجال يتعذّر حصره لكثرته، لكنّنا اخترنا منه ما ورد من ردود فيما عرف بالقصيدة البغدادية:

في سنة ١٣١٧هـ بعث أحد شعراء بغداد قصيدة شعرية يناقش فيها أمر الإمام الحجّة المنتظر ﷺ ، وقد أجيب من قبل عدد من العلماء الأدباء بقصائد شعرية ، منهم العلاّمة الشيخ محمد جواد البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢ ، والعلاّمة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ ، والعلاّمة السيّد رضا الموسوي الهندي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ ، كما أجيب من قبل الشيخ حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ بكتاب ألّفه لذلك وأسماه "كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار" ، وطبع سنة ١٣١٨هـ ، وستأتي تمام هذه القصائد في سنة ١٣١٧هـ.

قال الشاعر البغدادي في مطلع قصيدته :

أيا علماء العصر يا من لهم خبر ... بكلّ دقيق حار من دونه الفكر
لقد حار منّي الفكر في القائم الذي ... تنازع فيه الناس والتبس الأمر

فقال العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في جوابه :

بنفسي بعيد الدار قرّبه الفكر ... وأدناه من عشّاقه الشوق والذكر
تستّر لكن قد تجلّى بنوره ... فلا حجبٌ تخفيه عنهم ولا ستر

وقال العلاّمة الشيخ محمد جواد البلاغي في ردّه :

أطعت الهوى فيهم فعاصاني الصبر ... فها أنا ما لي فيه نهي ولا أمر
أنست بهم سهل القفار ووعرها ... فما راعني منهنّ سهل ولا وعر

وقال العلاّمة السيّد رضا الموسوي الهندي :

يمثّلك الشوق المبرّح والفكر ... فلا حجب تُخفيك عنّي ولا ستر
ولو غبت عنّي ألف عام فإنّ لي ... رجاء وصال ليس يقطعه الدهر

معارضة قصيدة العمري

في قصيدة للميرزا أبو القاسم بن محمد تقي الأوردبادي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، انتقد الشاعر الشهير عبد الباقي العمري الموصلي لبيتين من إحدى قصائده الموسومة بالباقيات الصالحات ، وفيهما ما يفيد التجسيم ، قال :

للعمري الشاعر المفلق في ... مديح أهل البيت أصحاب العبا
مثل الدراري دررٌ منظومة ... في آل طه قالها فأطيبا
قال: (رأى الله بعين رأسه ... عن وجهه لمّا أماط الحجبا)
(أدناه منه ربّه حتّى غدا ... من قاب قوسين إليه أقربا)
يردّه الكتاب في منطوقه ... والشرع للعقل به مصطحبا
إلهنا جلّ عن العين وعن ... حجاب ستر فيميط الحجبا
وليس في مغنى فيرجى زلفة ... من قاب قوسين إليه اقتربا
إنّ التي رأى النبي الآية الـ ... ـكبرى لباريه ومنها قربا
وإنّه مقترب من منتهى ... ما يزدهي جماله محجّبا
فاتل لها الذكر الحكيم ناطقاً ... في سورة النجم لتقضي العجبا
لا تدرك الأفهام كنه ذاته ... والطرف عن إدراكه قد حجبا
ولا يحيط العلم بالربّ وعن ... إبصاره البرهان كالسمع أبى
وكلّ هذا عن إمامنا الرضا ... عليّ بن المصطفين وجبا
خليفة النبي حقّاً من يحد ... عن قوله في الدين يلق العطبا
لم يحوه أين ولا منه خلا ... فكان من حبل الوريد أقربا
ورابع إن تبد من ثلاثة ... نجوى فعنه سرّهم لن يُحجبا
من عنده الأملاك إذ عن أربع ... أقبل كلّ وإليه ثوّبا
هذا الذي عن الإمام المرتضى ... جاء به النص بمسند النبا
ولم يزل له الكتاب عاضداً ... فقل كتابان بهذا اصطحبا
فآل طه وكتاب أحمد ... كلٌّ عن الآخر حتماً أعربا
إليهما دعا النبي معلناً ... بأن من ناواهما فقد كبا

إلى آخر القصيدة وهي أكثرمن ستّين بيتاً .

معارضة القصيدة العينية لابن سينا

وللعلاّمة الشيخ محمد جواد بن حسن البلاغي المتوفى سنة ١٣٥٢هـ ، قصيدة معارضاً قصيدة ابن سينا العينيّة في النفس ، التي مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... عنقاء ذات تعزّز وتمنّع

قال الشيخ البلاغي رحمه الله :

نعمت بأن جاءت بخلق المبدع ... ثمّ السعادة أن يقول لها ﴿ارْجِعي﴾[1]
خلقت لأنفع غاية يا ليتها ... تبعت سبيل الرشد نحو الأنفع
الله سوّاها وألهمها فهل ... تنحو السبيل إلى المحلّ الأرفع
نعمت بنعماء الوجود ونوديت ... هذا هُداك وما تشائي فاصنعي
ودعي الهوى المُردي لئلاّ تهبطي ... في الخُسر ذات توجّع وتفجّع
إن شئت فارتفعي لأرفع ذروة ... وحذار من درك الحضيض الأوضع
إنّ السعادة والغنى أن تقنعي ... موفورة لك والشقا أن تطمعي
فتنعّمي وتزوّدي وتهذّبي ... وتلذّذي وتكمّلي وتورّعي
وبهجة العرفان والعلم ابهجي ... ولنزع أطمار الجهالة أنزعي
وخذي هُداك فتلك أعلام الهدى ... زهرت سواطع في الطريق المهيع
وتروّحي بشذا الطريق وأمّلي ... عُقبى سراك إلى الجناب الممرع
نجد وكلّ طريقها روض وفي الـ ... ـمسرى إليها بلغة المتمنّع
وهناك إدراك المنى وكرامة الـ ... ـمأوى لدى الشرف الأعزّ الأمنع
هي غادة برزت جمالاً واختفت ... لطفاً وزفّت في الوجود ببرقع
برزت محجّبة فتاه ذووا الهوى ... في كنهها وصفاً وكلٌّ يدّعي
قربت وباعدت الظنون وإن تكن ... ضمّت مخائلها حواني الأضلع

---

(١) أراد به قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر : الآية ٢٧ - ٢٨].

أمؤمّــل الإشــراق فــي عرفانهــا ... مهــلاً فإنّــك فــي ظــلامٍ أســفع
تــسعى برأيــك نحوهــا يــا هــل تــرى ... وجــد الهــدى ســاعٍ بــرأي مــضيّع
أم أيــن مــن عرفانهــا متكلّــف ... إن نــاء بــالآراء صــيح بــه قــع
سَــلْ عــن حقيقتهــا ومعناهــا الــذي ... قــد زفّهــا محجوبــة لــك أو دع
كــم قائــلٍ فيهــا يقــول وســائل ... وجوابــه فــي ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾[1] إن يــع

معارضة قصيدة الطلاسم

تصدّى جمع من شعراء النجف للشاعر إيليا أبي ماضي في قصيدته الإلحادية المعروفة بالطلاسم (لست أدري) وعارضوها بقصائد، منهم: الشيخ حميد بن الشيخ أحمد آل عبد الرسول السماوي، وهو عالم جليل، وشاعر شهير، وأديب فذ، قال في قصيدة أسماها "أثباج الطبيعة"، منها:

جئــت لا أعلــم إلاّ أنّنــي جئــت لأعلــم
فتخطّيــت بكــوني ســاحة الكــون المطلــسم
حيــث ساد الـصمت لـولا وحـي عجمـاء لأعجـم
حيــــث لا هــــامس إلاّ وهــــو مثلــــي:
... لــــيس يــــدري

ومنهم السيّد علي نقي بن أبي الحسن النقوي اللكهنوي المولود سنة ١٣٢٣هـ، قوله:

طــرب الكــون مــن البِــشر وقــد عــمّ الــسرور
وغــدا القمــري يــشدو فــي ابتــسامٍ للزهــور
وتهانــت ســاجعات فــي ذرى الأيــك الطيــور
لــم ذا البِــشر؟ ومــا هــذي التهــاني؟
لــــــــست أدري

---

(١) أراد به قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [سورة الإسراء: الآية ٨٥].

وعارضها السيّد مير علي بن عباس بن راضي أبو طبيخ المتوفى سنة ١٣٦١هـ، وقد حاول فيها أن يجمع بين الجد والهزل، قوله :

جئت مشغوفاً بعلمي ... بصنوف الكائنات
أنفض الدرب مجداً ... سابحاً في الظلمات
فأؤمّ البيت سعياً ... ثمّ أنحو عرفات
إن تكن تجهل سيري ... فاختبرني أنا أدري

والسيّد محمد بن السيّد جمال الهاشمي الگلپايگاني المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، وهو عالم جليل، وشاعر مبدع، قال في معارضته :

يا إله الشعر قد وقّعت قلبي لك لحنا ... وتقهقرت حياءً حين أبصرت صفاتك
وترنّمت بأنغام الهوى فنّاً ففنّا ... ليت شعري أحياة الكون مرآة حياتك
كلّ من في الكون أمسى بك شوقاً ... أم ترى ذاك رشاداً أم ضلالاً
أفهل تسمع لحن الدهر أم لا ... حِرْتُ كالعالم في إدراك ماهيّة ذاتك
لست أدري

كما عارضها العلاّمة الشيخ محمد جواد بن الشيخ علي بن كاظم الجزائري المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، وهو عالم كبير، وفاضل محقّق، وشاعر مجيد.

معارضة قصيدة "محنة النساء"

أمّا قصيدة الشاعر الشهير حافظ جميل في المرأة، وعنوانها "محنة النساء"، فقد عارضها عدد من شعراء النجف، منهم الأستاذ محمد جواد بن الشيخ عباس بن علي الخضري المولود سنة ١٣٣٣هـ، وهو شاعر أديب، قال في قصيدة طويلة :

حيّ النساء وذكرهنّه ... خير الحديث حديثهنّه
ما هنّ إلاّ كالكواكب ... أشرقت وسط الدجنّه
بيضٌ حرائر قد عقدن ... على العفاف أزارهنّه

مـــلء النــــواظر والحنايــــا　　والقلـــــــــوب حنانهنّـــــــــــه
تجـــــد الـــــسعادة والـــــودا　　عـــــة والهنـــــا فـــــي ظلّهنّـــــه
هيهـــــات يحلـــــو العـــــيش　　أو تـــــصفو الحيـــــاة بدونهنّـــــه
فالبيـــــت مملكـــــة يتـــــوّ　　ج ســـــعدها إشـــــراقهنّه

إلى أن يقول:

إنّـــي لأعجـــب كيـــف يجحـــد　　شـــاعرٌ ألـــفَ الحقيقـــة فـــضلهنّه
وقـــد استـــمدّ الـــشعر ســـرّ　　جلالـــــه مـــــن فيـــــضهنّه
ونوابـــغ الأجيـــال كـــان　　نبـــوغهم مـــن صـــنعهنّه

وعارضها السيّد محمد جواد بن نعمة الصافي المولود سنة ١٣٤٨هـ، وهو أديب ذكي، وشاعر عبقري، قال:

حـــيّ النـــساء بجمعهنّـــــه　　وأعـــد علينـــا ذكرهنّـــــه
فألـــذّ مـــن نغـــم الهـــزار　　بمـــــسمعيّ حديثهنّـــــه
وأرقّ مـــن نـــسمات فجـــر　　رائـــــق أنفاســـــهنّه

إلى أن يقول:

مـــا هـــنّ إلاّ الأمّهـــات　　وإنّ ذلـــــك حـــــسبهنّه
يحملـــن أكبـــاداً تـــراءى　　العطـــف فـــي طيّاتهنّـــه
رفقـــاً بهـــنّ إذا نقـــدتم　　مـــرّة رفقـــاً بهنّـــه
لا تجرحـــوا بـــشديد عتـــبكم　　رقيـــق شـــعورهنّه

والشيخ محمد حسين بن الشيخ منصور الشهير بالمحتصر المولود سنة ١٣٤٢هـ، وهو أديب فاضل، وشاعر مبدع، قال في معارضته:

خـــلّ النـــساء وذكرهنّـــه　　يكفيـــك شـــأنك شـــأنهنّه
تنعـــى علـــيهن الخديعـــة　　وهـــي بعـــض ســـلاحهنّه

مـــــن حقّهنّـــــه إذا مكـــــرن | بمـــــن يـــــسوم حقوقهنّـــــه
شـــأن الـــضعيف مـــع القـــوي | إذا اســـــتبدّت فيـــــه جنّـــــه
نحـــــن الـــــذين تـــــسبّبوا | فيمـــــا تـــــرى مـــــن خُلقهنّـــــه

معارضة خاليّة بطرس كرامة

مدح الشاعر بطرس بن إبراهيم كرامة الحمصي المتوفى سنة ١٢٦٨هـ، السلطان عبد المجيد العثماني بقصيدة، مطلعها:

أمِـن خـدّها الـوردي أومـضك الخـال | فـسح مـن الأجفـان مـدمعك الخـال

فعارضها عدد من شعراء بغداد بقصائد يمدحون فيها والي بغداد الوزير داود باشا، منهم الشاعر الشهير عبد الباقي العمري الفاروقي الموصلي المتوفى سنة ١٢٧٩هـ، بقصيدة مطلعها:

إلى الـروم أصبو كلّما أومض الخال | فأسـكب دمعـاً دون تـسكابه الخـال[1]

ولمّا علم بها شعراء النجف عارضها عدد منهم وجعلوا مدحهم للمرجع الديني آنذاك الشيخ حسن بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء، منهم الشيخ محمد بن الشيخ يوسف ابن جعفر محيي الدين الجامعي المتوفى سنة ١٢١٩هـ، منها قوله:

خليلـي مـن همـدان مـالي سـواكما | مجيـرٌ ولا فـي النـاس غيـركم خـال
بعيـــشكما رفقـــاً بـــصبّ متـــيّم | نحيـلٌ بـراه الـشوق والهجـر والخـال
ألا فـارفقوا بـي إنّ قلبـي وراءكـم | علـى نـصب الأشـواق سـار بـه الخـال
أسيراً وكـفّ الـشوق أردتـه في الهـوى | ينـادي وراء الركـب هـل فـيكم خـال

ومنهم الشيخ محمد بن علي بن محمد عز الدين الحناوي الصوري العاملي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، وهو عالم جليل، وشاعر أديب، مطلعها:

سقى الدار من ذات الإضا الصيّب الخال | ولا غـرو إن مـن خـدرها أومـض الخـال

---

(١) الترياق الفاروقي (ديوان عبد الباقي العمري): ٢٣٧.

ومنهم الشيخ إبراهيم بن صادق بن إبراهيم العاملي الخيامي الطيبي ، وهو عالم كبير ، وشاعر معروف ، قال في قصيدة طويلة :

أشاقك من أطلال ميّة بالخال [موضع] ربـاع تعفى رسـمها راجـف الخـال [الغـيم]
وثبّـه منـك الوجـد إيمـاض بـارق سـرى من ثنايا الأبـرقين وذي خـال [موضـع]
أجـل قـد سـرى وهنـاً فنبّـه لـوعتي فرحت أخا وجد وما كنت بالخال [الضعيف]
وذكّرنـي مـرّ الـصبا أعـصر الـصبا وعهـداً قـديماً فـات بـالزمن الخـالي [الماضـي]
ليـالي ريعـان الـشباب مـسلط يقـود زمـامي حيثمـا شـاء كالخـال [الفـارس]
وإذ أنـا خـدن للغرانـق تـارة وأخرى لدى المرّيح ذي اللهـو والخـال [الخـيلاء]
وللخـود تقتـاد النفـوس بفاتـك من اللحظ أمضى من شبا الصارم الخال [القامع]
وناصـعة ريـا البـرى ومعاضـد أسـيلة خـدّ كالوذيلـة ذي خـال [الـشامة]
وباخلـة وهـي الكريمـة لـم تجـد بوصـل وجـدّت دونها أنمـل الخـال [المتكبّـر]
حملـتُ لهـا قلـب الجبـان ولـم أزل شجاع الهوى ما كنت بالرعش الخال [الجبان]
إذا رئمـت أرضـاً رئمـت رباعهـا وردت مغانيهـا كـذي الرتبـة الخـال [الـوزير]
وبـتّ بمـستنّ الظبـاء علـى شـفا رذي الأمـاني خائـب الـسعي والخـال [الظـن]
ورحـت أفـدّي مـن يعـين علـى الهـوى بعمّـي مـن فـرط الـصبابة والخـال [أخـي الأم]
غـداة صـغت للعـاذلين وروّعـت بما اتّهـم الواشـي الخنـا كبـدي الخـالي [البـريء]
وصـالت علـى حلمـي بجـيش عرمـرم مـن اللحـظ منـصور الكتائـب والخـال [اللـواء]
ولا عجـب أن يقـذف الـشيب شـادن لـه عنـد أربـاب الهـوى رتبـة الخـال [الخلافـة]
وقـد علمـت لا أبعـد الله دارهـا غرامـي وإنّـي لـست بالـسمج الخـال [الخـالي]
وإنّـي عزيـزٌ بـين قـومي وأسـرتي ولـست بحـاد للعـروج ولا خـال [الراعـي]
سـقى حيّهـا نـوءٌ مـن الـدمع هـامعٌ .إذا ضـنّ يومـاً بالحيـا طـالع الخـال [الـسحاب]
وروح معتـلّ النـسيم قوامهـا وإن لاح فـي أعطافهـا شـيم الخـال [المختـال]

فيا راكباً يفري نحوراً من الفلا   على سابحٍ عبل الشوامت أو خال [البعير]
وزيافة إن هجهج المعتلي بها   فما هي بالواني القطوف ولا الخال [الواقفة]
حناها السرى حتى الإهان وما يرى   بها من لجان يستبان ولا خال [الضلع]
تلفّ الفيافي سبسباً بعد سبسب   إذا لمحت غبّ الظما خافق الخال [السراب]
وساحرة الأقطار يخفق آلها   فيفتر من روّادها سيء الخال [التوهّم]
رويداً إذا شاهدت لبنان عامل   وشمت من الجولان لامعة الخال [البرق]
وحيّتك هاتيك الرباع وأهلها   بنفحة نور النرجس الغض والخال [نبات]
قضيت بها عهد التصابي ولم يكن   زمان تعاطيت الصبابة بالخال [الخيّر]
ورحت بها دهر الشبيبة مارحاً   كما راح مفصوم الشكيمة والخال [اللجام]
وما أنس لا أنسى عهوداً بربعها   تقضّت ولو أرخى إلى الزمن الخال [الماضي]
تحالف جسمي والضنا بعد بعدها   كما احتلفت عبس وذبيان بالخال [موضع]
وللحسن الحسنى فإن جاد غيره   فذلك جود لا يبلّ لدى الخال [الفقير]
إمامٌ له القدح المعلّى وفضله   لأشهر من نارٍ تشبّ على خال [جبل]
وبحر علوم إن تقس غيره به   تكن كمقيس الطود ويحك بالخال [التل]
فتى لم يزل يجري لأشرف غاية   تقاصر عن إدراكها نظر الخال [الحس]
من القوم شادوا للمعالي دائماً   فما شئت من برّ تقيّ ومن خال [جواد]
تلامع سيماء الهدى من جبينه   وفي وجهه الزاكي علا موضع الخال [الشامة]
ولا يرتدي إلاّ الفضائل حُلّةً   إذا فخر الأقوام بالعصب والخال [البُرُد]
عليه لنا ما للمحبّين من هوىً   وشوقٌ وإنْ طال المدى في الحشا خال [ثابت]

٢- الشعر الوطني والسياسي

تأجّج الشعور الوطني والسياسي لدى شعراء النجف في عهد الاحتلال الإنكليزي للعراق والعهد الوطني، وفي هذين الدورين برز الكثير من الأدباء والشعراء، منهم:

الشيخ جواد بن الشيخ محمد بن شبيب البطائحي الشبيبي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، وهو عالم جليل، وأديب فذ، وشاعر خالد، عرف بشعره الوطني الذي يستنكر فيه على المستعمر أساليبه ومراوغاته بالوعود التي منى بها العرب بلهجة حفّت بالتركّز والتفكير، ويخاطب بقايا المستعمر من الخونة وباعة الضمير والمفرّقين للصفوف والذين نافقوا المستعمر والوطن في آن واحد، وقد شبّههم بالمناقير، تلك التي كانت أعظم بلاءً من خطر الأجنبي. وفي العهد الوطني تقرأ في شعره تاريخاً سياسياً خطيراً كأنّه يفرغ عن قلب كلّ مواطن تحسّس الأرهاق والتعسّف، ويُعلم كلّ طاغية عنود سوء العاقبة ومغبّة المصير. ومن شعره قصيدة بعنوان "يا موطن العرب الكرام"، مطلعها:

عمّ السؤال فلات حين سؤال ... أو ما كفتك قرائن الأحوال

والسيّد سعد بن محمد صالح آل جريو، المتوفى سنة ١٣٦٨هـ، وهو سياسي محنّك، وشاعر مطبوع جمع بين الرقّة والصلابة التي تتجسّم في مواقفه الوطنية وحبّه لشعبه، وله بهذا الصدد قصائد كثيرة، منها ما قاله عندما خرج إلى بعض قرى الفرات أيام الحكم العثماني، ورأى بؤس الريفي وما انتابه من تأخّر، فهاجت به الآلام وكتب قصيدة، منها:

وقفت بطامس آثارها ... فهاج الجوى نوح أطيارها

ربوعٌ قد اغبرّ منها الأديم ... حداداً على فقد أقمارها

وله من قصيدة قالها في الكويت عقيب ثورة ١٩٢٠م بعدما فتك المستعمر بالبلاد، منها قوله:

سئمت العيش في وطنٍ ... يضام يذلّ يضطهد

محته يد القضاء فراح ... لا روحٌ ولا جسد

والعلاّمة الشيخ عبد الحسين بن القاسم بن صالح الحلّي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ، له قصائد في الوطن واستنهاض العرب، منها قصيدة بعنوان "الشرق العربي"، مطلعها:

يا شرق ما بك لو علمت يراد ... أتجيبني أم لا يجيب جماد

وله قصيدة عنوانها "مجلس الأمن وفلسطين"، مطلعها :

يا مجلس الأمن لا حيّتك أيمان ولا رست لك في الأنداء أركان

وله بعنوان "وارحمتا فلسطين"، مطلعها :

وارحمتا لفلسطين وما لقيت قومي وما هي تلقى في فلسطين

والشيخ باقر بن الشيخ جواد بن محمد الشبيبي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ، وهو من مشاهير الشعراء في الوطن العربي، وقد كافح في سبيل الذود عن حياض العرب، وعالج في شعره كثيراً من النواحي السياسية والاجتماعية، وتجلّى بوضوح ما كان يرمي إليه في إيجاد مذهب سياسي وطني يُفهِم المستعمر سلوكه والتواءه في مراوغة الوطنيين وكيله المواعيد الكاذبة، وقد كافحته السلطات في نشر مقالاته، فاضطرّ أن يستعين بالصحافة العربية، وطاردته حتى صارت تمنع بعض أعداد الصحف، ومنها "العرفان" عن دخول البلد بسبب ما ينشره فيها. وفي هذا المجال له قصائد كثيرة، منها قصيدة بعنوان "جرس الحرس"، و"بقية السيف".

ومنهم الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد جواد الشبيبي المتوفى سنة ١٣٨٥هـ، وهو عالم جليل، وكاتب قدير، وشاعر فذ، له ديوان يظهر منه أنّه نذر نفسه للدين والوطن، ولهذا فقد غنّى بشعره العالم العربي وردّدته المحافل الأدبية والسياسية.

والسيّد صادق بن السيّد ياسين بن طه الحسيني السعبري المتوفى سنة ١٣٩٥هـ، وهو عالم فاضل، وشاعر أديب، له موشّحة برزت فيها وطنيته وحبّه لبلده، منها :

نهضاً بني الشعب نهضا لا تغفلوا عن عراقي

قد أثخنوه جراحاً وبعد شدّ الوثاق

والسيّد محمد بن السيّد جمال الهاشمي الگلپايگاني المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، وهو عالم جليل، وكاتب ضليع، وشاعر مبدع، له نظم كثير في حب الوطن العربي الكبير والانتصار له، منها قصيدة عنوانها "إيه فلسطين"، مطلعها :

ثبي ففي سيرة التاريخ قد وثبا واستسهلي في سبيل المجد ما صعبا

وله بعنوان "وطني"، و"الفيضان"، وغيرها.

والشيخ عبد العزيز بن عبد الحسين الجواهري المولود سنة ١٣١٠هـ ، وهو عالم جليل ، وفاضل محقّق ، وشاعر مجيد ، له ديوان شعر أعرب فيه عن روحه ووطنيّته وعقيدته وعواطفه ، وصوّر فيه بغضه للاستعمار . له قصيدة يخاطب فيها العلم العراقي يوم رفرف على المفوّضية العراقية في طهران ، مطلعها :

تخـذتك يعـرب فـي الـبلاد مثالهـا ونمـت لعـزّك مجـدها وجلالهـا

والأستاذ عبد الصاحب بن الشيخ عبد الله بن محسن الخضري المولود سنة ١٣٢٥هـ ، وهو أستاذ مفن ، وشاعر رقيق ، ولع بنظم الأناشيد القومية وتلحينها ، وأول نشيد قاله هو "نشيد الرافدين" ناهض به الانتداب البريطاني وناشد محاربته بكل قوّة ، كما نظم "نشيد الثورة العراقية المباركة" ، وكذا "نشيد الجند الظاهر" ، و"نشيد وطني فوق الجميع" ، و"نشيد الوحدة العربية" ، وكثير أمثالها . وله في البيت الملكي عشرات الأناشيد الخالدة ، منها "النشيد الملكي" قاله في جلالة الملك فيصل الثاني يوم تسلّمه سلطاته الدستورية ، و"نشيد العلم العراقي ، منه قوله :

دم علـى هـام العلـى يـا علـم خافقـاً يحميـك بـيض خـذم
عـش بعـزّ رافـلاً تبتـسم لـك يـا بـدر سـماها الأنجـم

ومنهم الأستاذ حسن بن الشيخ محمد الجواهري المولود سنة ١٣٢٠هـ ، وهو أديب كاتب ، وشاعر مطبوع ، له قصائد في شعره الوطني ، منها قصيدة عنوانها "الاستقلال" ، مطلعها :

لـواء العـرب رفـرف مـستقلاً ليحيـى العـرب وليحيـى اللـواء

ومن رباعياته الوطنية مقطوعة عنوانها " نفثات" ، مطلعها :

هـل فـي سـماء بـلادي محطّـة الطيـران

وشاعر العرب محمد مهدي بن الشيخ عبد الحسين الجواهري المولود سنة ١٣٢٠هـ ، له قصائد كثيرة أبرز فيها ميوله السياسية وحبّه الوطن ، منها قصيدة قالها بعد انتهاء

الثورة العراقية ، نظمها وهو في سن الشباب عام ١٣٤٠هـ- ١٩٢١م ، مطلعها :

لعلّ الذي ولّى من الدهر راجع ... فلا عيش إن لم تبق إلاّ المطامع

والأستاذ محمد بن الشيخ علي الشهير بشرارة المولود سنة ١٣٢٤هـ ، أديب فاضل ، وشاعر معروف يعرب لك في شعره أنّه ذائب في حب الحق والوطن . من قصائده "أماسي بغداد" ، وله في فلسطين عنوانها "يا بلاد الوحي" ، مطلعها :

صبرت حتى تلاشى صبرها ... ومحا اليأس شعاع الأمل

والأستاذ صالح بن الشيخ عبد الكريم الجعفري المولود سنة ١٣٢٥هـ ، وهو أديب معروف ، وشاعر شهير ، له قصيدة عنوانها "الهند في طريق الاستقلال" ، وقد ترجمت إلى لغة الأردو ، مطلعها :

حيّها أذكت من الحرب لظاها ... وأبت إلاّ الذي فيه مناها

والشيخ عمار بن الشيخ محمد حسن سميسم المولود سنة ١٣٢٦هـ ، وهو أديب فاضل ، وشاعر مقبول ، نشر أكثر قصائده في صحف ومجلاّت نجفية ، وفيها يبرز حبّه لوطنه ، منها قصيدة بعنوان "فلسطين والوحدة العربية" ، قوله :

دع التفاخر بالأحساب والنسب ... وخلّ عنك من الأقوال كان أبي

أكلّما ابتزّ من أوطاننا وطنٌ ... رجعت تفخر في تاريخك الذهبي

ورحت تستنهض الأوطان من جزعٍ ... متى دهتك عوادي الغرب بالنوب

وله قصيدة أخرى بعنوان "تحية الشباب" ، مطلعها :

وطني تنبّه واعتقد بعقيدتي ... أن لا تضامن في بنيك يكون

نبذوا البلاد بنو البلاد خيانة ... والكل منهم طامع وخؤون

والأستاذ عبد الكريم بن مجيد بن عيسى الدجيلي المولود سنة ١٣٢٧هـ ، وهو أديب باحث ، وشاعر كاتب ، له قصائد في حبّه للوطن وبغضه للاستعمار ، منها قصيدة عنوانها "الاستعمار" ، مطلعها :

تبدّى مخيفاً منه ناب ومخلب ... وراغ كما يبدو لعينيك ثعلب

وله أخرى بعنوان "هتلر في الجبهة الشرقية"، نظمها عند انهيار الجيش النازي في الجبهة الشرقية، مطلعها :

بتلك الفيافي النائيات تحطّمت أمانيه واستعصت عليه المذاهب

ومنهم الأستاذ عبد الصاحب بن الشيخ محمد رضا الشهير بذهب المولود سنة ١٣٤٧هـ، وهو أديب رقيق، وشاعر مقبول، له قصيدة بعنوان : "الجامعة العربية العتيدة" حاز فيها على الجائزة الأولى من مديرية معارف لواء كربلاء .

والشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد رضا آل ياسين المولود سنة ١٣٥٠هـ، وهو عالم فاضل، وأديب شاعر، له ديوان عامر ضمّ شعره الذي يعلن فيه بغضه للاستعمار، فمن قصيدة يحيّي فيها كفاح التونسيّين وجهادهم في سبيل تحرّر بلدهم من الفرنسيّين، قوله :

تونس الخضراء والدنيا لأمجادك تخضع
وجلال الوثبة الكبرى لعليائك يخشع

والعلاّمة الشيخ محمد جواد بن الشيخ علي بن كاظم الجزائري المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، وهو عالم كبير، وفاضل محقّق، وشاعر مجيد ذو سيرة وطنية مثلى، وتضحية لا تقف عند حد، كما يظهر ذلك جلياً في قصائده ومواقفه كقائد لثورة النجف، منها قصيدة عندما كان في سجن الإنكليز ببغداد عام ١٣٣٧هـ، وقد أرسلها إلى العلاّمة السيّد عيسى كمال الدين، مطلعها :

خطبٌ كما تعلمونه صعب يربو عليه الهمّ والكرب

وله قصيدة يصف بها ثورة النجف عندما اعتقله الإنكليز في سجن بغداد في رجب من عام ١٣٣٦هـ، قوله :

مَدَدْنا بصائرنا لا العيونا وَفُزْنا غداة عشقنا المنونا
عَشِقْنا المنون وَهِمْنا بها وعفنا أباطحنا والحجونا
وَقُمْنا بها عزمات مضاء أبت أن نسيس الردى أو نلينا

هـي الهمـم الغـرّ لـم تـرض بالـ ـــسماكين مهمـا اسـتفرّت قرينـا
دعينـــا بهـــا ســـنّة الهاشـــمي نبـــيّ الهـــدى والكتـــاب المبينـــا
وصُـــنّا كرامـــة شـــعب العـــراق وكنّـــا لعليـــاه حـــصناً مـــصونا
وخـــضنا المعـــامع وهـــي الحمـــام نـــدافع عـــن حـــوزة المُـــسلمينا
وجحفـــل أعـــدائنا الإنـــكليز يمـــلأ ســـهل الفـــلا والحزونـــا
يهـــاجم شـــعب بنـــي يعـــرب ليـــشفي أحقـــاده والـــضغونا
وســـرب المناطيـــد مـــلء الفـــضاء يـــصبّ القنابـــل غيثـــاً هتونـــا
وقـــذف المـــدافع بـــين الجمـــوع يهـــدّ معالمهـــا والحـــصونا
ورعـــد قـــذائف مكـــسيمها يـــشيب بهـــول صـــداه الجنينـــا
ورمـــي البنـــادق رشاشـــة يحطـــم مجتمـــع الـــدارعينا
ولمّـــا ادْلَهَمَّـــت علينـــا الخطـــوب وحقَّقَـــت الحادثـــات الظنونـــا
لقينـــا زعـــازع ريـــب المنـــون وهـــان علـــى الـــنفس مـــا قـــد لقينـــا
نَعَـــمْ خاننـــا الـــدهر فـــي جريـــه وهـــل يتـــرك الـــدهر حُـــرّاً ركينـــا
غـــداة أُســـرنا بأيـــد العـــدو ورحنـــا نكابـــد داءً دفينـــا
وضـــيم الغريّـــان غـــاب العـــراق وفـــارق ليـــث العـــرين العرينـــا
وجزنـــا كمـــا شـــاء تلـــك الحـــزون ننتظـــر الفتـــك حينـــاً فحينـــا
وأرجلنـــا طـــوع قيـــد الحديـــد تـــسيل دمـــاً يـــستفزّ الرصـــينا
ولـــم نَلْـــو للـــدهر جِيْـــد الـــذليل وإن يكـــن الـــدهر حربـــاً زبونـــا
ومـــا ضـــامنا الأســـر فـــي موقـــف أطعنـــا عليـــه الرســـول الأمينـــا
ومـــا ضـــامنا ثقـــل ذاك الحديـــد ونحـــن بحـــسن الثنـــا ضـــافرونا
ولـــم يَـــزْر بـــالحرّ غـــلّ اليـــدين إذا مـــا قـــضى للعـــلاء الـــديونا
ولا غَـــرْو لـــو خـــان صـــرف الزمـــان مثلـــي فمـــن طبعـــه أن يخونـــا

٣- المنظومات والأراجيز

الأراجيز : جمع أرجوزة ، بمعنى الرجز ، وهو بحر من بحور الشعر . وقد شاع نظم المتون العلمية بهذا اللون من النظم ليسهل حفظها وفهمها . وقد عرف التاريخ العلمي والأدبي للنجف العدد الهائل من هذه المنظومات والأراجيز لعلماء أدباء وفي مختلف العلوم ، منهم :

تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي المتوفى سنة ٧٠٧هـ ، له منظومة في الإمامة نظمها في سنيّ مجاورته قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف ، وهي تناهز ١٠٨ بيتاً ، برهن فيها على رأيه في إمامة علي أمير المؤمنين عليه السلام وردّ مخالفيه . وهي حسنة الأسلوب جيّدة النظم ، سهلة الفهم ، ويمكن أن تكون الواقعة المذكورة فيها حقيقة ، كما يمكن أن تكون خيّالية تصويريّة ، قال فيها ، بعد الحمد والصلاة والشكر على نعمة مجاورة قبر أمير المؤمنين عليه السلام :

وقد جرت لي قصّة غريبة ... قد نتجت قضيّة عجيبة
فاعتبروا فيها ففيها معتبر ... يغني عن الإغراق في قوس النظر
حضرت في بغداد دار علم ... فيها جبال نظر وفهم
في كلّ يوم لهم مجال ... تدنو به الأوجال والآجال
لابدّ أن يسفر عن جريح ... بصارم الحجّة أو طريح
لمّا اطمأنّت بهم المجالس ... ووضعت لاماتها الفوارس
واجتمع المدرّسون الأربعة ... في خلوة آراؤهم مجتمعة
حضرت في مجلسهم فقالوا ... أنت فقيه وهنا سؤال
ماذا ترى أحقّ بالتقدّم ... بعد رسول الله هادي الأمم
فقلت فيه نظر يحتاج ... أن يترك العناد واللجاج
وكلّنا ذوو عقول ونظر ... وفكرة صالحة ومعتبر

فلنفـــرض الآن قـــضى النبـــيّ ... واجتمـــع الـــدنيّ والقـــصيّ
وأنـــتم مكـــان أهـــل العقـــد ... والحـــلّ بـــل فـــوقهم فـــي النقـــد
فـــالتزموا قواعـــد الإنـــصاف ... فإنّهـــا مـــن شـــيم الأشـــراف
لمّـــا قـــضى النّبـــي قـــال الأكثـــر ... إنّ أبـــا بكـــر هـــو المـــؤمّر
وقـــال قـــوم ذاك للعبـــاس ... وانقرضـــوا وقـــال بـــاقي النـــاس
ذاك علـــيّ والجميـــع مـــدّعي ... أنّ ســـواه للمحـــال يـــدّعي
فهـــل تـــرون أنّـــه لمّـــا قـــضى ... نـــصّ علـــى خليفـــة أم فوّضـــا
ترتيبـــه بعـــد إلـــى الرعايـــا ... ليجمعـــوا علـــى الإمـــام رايـــا(١)

والعلاّمة السيّد محمد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ ، له المنظومة المسمّاة بـ"الدرّة المنظومة" في الفقه ، وقد طبعت مكرّراً في إيران ، ولها تتميمات وملحقات وشروح كثيرة تزيد على ثلاثين شرحاً لأعلام وأدباء مشهورين .

والشيخ موسى بن الشيخ أمين شرارة العاملي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، وهو عالم كبير ، وشاعر فحل ، نظم بالرجز مختلف العلوم ، فله أرجوزة كبيرة في الأصول تقع في ١٦٨٠ بيتاً ، وكثيراً ما استشهد بأبياتها هواة هذا الفن في العراق وخارجه . وأرجوزة طويلة نظمها عند عودته من العراق إلى وطنه ، وفيها يصف ما شاهد .

والشيخ عبد الرحيم بن محمد علي النجفي المتوفى سنة ١٣١٣هـ ، نظم كتاب "منية المريد في آداب المفيد والمستفيد" للشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي المتوفى سنة ٩٦٦هـ ، والمنظومة تقع في سبعمئة بيت تقريباً ، رتّبها على مقدّمة وفصول وخاتمة ، مطلعها :

أعـــوذ بـــالله مـــن الـــشيطان ... ومـــن شـــقاء الـــنفس والطغيـــان

والشيخ باقر بن علي بن محمد آل حيدر البطائحي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو

(١) رجال ابن داود : ١٢ ، ١٣ .

علاّمة كبير ، وشاعر مطبوع ، وأديب معروف ، له منظومات كثيرة منها مجموعة أراجيز في الفقه والأصول والتجويد والمنطق ، وقد قرّض العلاّمة محمود شكري الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ ، أرجوزته المنطقية ، بقوله :

لله ما أزكى وأسمى ما أتى ... في هذه الأبيات من نغماتها
بفصاحة لو كان (قسٌ) حاظراً ... لرآك تسبقه إلى غاياتها

والسيّد هاشم بن حمد بن محمد حسن آل كمال الدين الحسيني الحلّي النجفي المتوفى سنة ١٣٤١هـ ، وهو عالم معروف ، وأديب رقيق ، وكاتب شاعر ، له منظومة كبيرة في الفقه تقع في أكثر من ثلاثة آلاف بيت أسماها "مخلات الزاد وذخيرة المعاد" ، أوّلها :

الحمد لله الذي تفرّدا ... بأنّه ليس له من مبتدا

وقد قرّضها جماعة من أعلام الشعراء ، منهم الحاج مجيد الحلّي العطّار ، وأرّخ عام الفراغ وذلك عام ١٣٢٧هـ ، قوله :

قد قصد القربة مُذ أرّخوا ... (منّ بها مخلات زاد المعاد)

وقرّضها مؤرّخاً الشيخ جعفر النقدي ، بقوله :

كالنجم في أوج سماوات الهدى ... قد أرّخوا (سني نظمه زهر)

ومن أصحاب المنظومات والأراجيز : السيّد محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي القزويني الشهير بالكيشوان المتوفى سنة ١٣٥٦هـ ، له منظومة في العروض فريدة في بابها أسماها "تحفة الخليل" ، وقد قرّضها أعلام الأدب حين الفراغ منها ، منهم : الشيخ جواد الشبيبي ، وابنه محمد الرضا ، والشيخ عبد الحسين بن قاعد الواسطي الشهير بالحيّاوي المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ، مطلعها :

حمداً لمن تواترت منه النعم ... مردفة بما به خصّ وعم

والسيّد عبد المهدي بن راضي بن حسين الأعرجي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ ، وهو خطيب أديب ، وشاعر رقيق ، نظم كثيراً من الأراجيز فأجاد بها ، وأهمّها ما استعرض به حياة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ، وقد فاقت منظومته منظومة الشيخ الحر العاملي .

والشيخ هادي بن الشيخ عباس بن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦١هـ، وهو علم شهير، وأديب كبير، وشاعر مجيد، من أعلام شعراء الرجز، له عدّة منظومات رصينة محكمة، تدل على تضلّعه في هذا الفن، وتمكّنه من الابداع فيه. له منظومة باسم "المقبولة الحسينية" جاءت آية في بابها، اشتملت على وصف حادثة الطف ومقتل الإمام الحسين عليه السلام، فرغ من نظمها في النجف وطبعها عام ١٣٤٢هـ.

٤- التقاريض

التقريض لون آخر من ألوان الشعر أخذ طريقه لدى شعراء النجف، ومن ذلك ما يكون تقريض كتاب، أو تقريض منظومة نالت إعجابهم، وما إلى ذلك، وفيما يلي عرض بعض الأمثلة لذلك:

كتاب "الدمعة الساكبة" للملاّ باقر بن عبد الكريم الدهدشتي البهبهاني الكتبي الذي ألفه سنة ١٢٧٩هـ، قرّضه فريق من أعلام الشعراء، منهم: الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي، والشيخ أحمد بن حسن قفطان، والشيخ عبد الحسين شُكر، والسيّد صالح الحلّي، والميرزا محمد الطهراني المتوفى سنة ١٣٢٣هـ.

وقرّض فريق من الأعلام كتاب الشيخ دخيل بن طاهر المالكي الحجامي المتوفى سنة ١٢٨٥هـ، المسمّى "تحفة اللبيب في شرح منطق التهذيب" تقريضاً دلّ على مكانة مؤلّفه عندهم، منهم: المرجع الديني الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، والشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٨٩هـ، والشيخ موسى بن الشيخ أمين العاملي المعروف بشرارة المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، والشيخ عباس بن عبد السادة الأعسم المتوفى سنة ١٣١٣هـ، والسيّد جعفر بن باقر بن أحمد القزويني المتوفى سنة ١٢٦٥هـ، والشيخ محمد تقي بن الشيخ حسن بن أسد الله التستري المتوفى سنة ١٣٢٧هـ.

وكتاب "الغَيْبة" للعلاّمة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله حرز الدين المُسْلمي المتوفى سنة ١٣٦٥هـ ، قرّضه جماعة من أعلام الشعراء ، منهم : السيّد جعفر الحلّي ، والشيخ عبد الحسين الحياوي ، والشيخ خليل العاملي ، والسيّد مهدي أبو الطاپو البغدادي ، بقصيدة مطلعها :

أمحمـــد شـــيّدت ديـــن محمـــد   وأعدتـــه غـــضاً بـــرغم الملحـــد

والديوان الشعري للعلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ ، قرّضه الشيخ أغا رضا الأصفهاني ، بقصيدة جميلة ، منها :

قد أسكرتني وليس السكر من أرب   بنـات فكـر حـسين لا ابنـة العنـب
رقّـت وراق لأهـل الفـضل منظرهـا   كروضـة دبّجتهـا راحـة الـسحب
تجلـو وتـسلب ألبـاب الأنـام فهـل   سمعت خمراً حلت في سالف الحقب
يـا ليـت شـعري أشـعرٌ مـا أراه وذا   نوع من السحر أم ضرب من الضرب

أمّا القصيدة الكرّاريّة للشيخ محمد شريف بن فلاح الكاظمي التي نظمها سنة ١١٦٦هـ ، في أربعمئة وثلاثين بيتاً ، فقد قرّضها ثمانية عشر رجلاً فيهم من أعاظم العلماء الأدباء في النجف ، وهم : ١- الشيخ محمد مهدي الفتوني النجفي . ٢- الشيخ جواد بن الشيخ محمد ابن مكي العاملي النجفي . ٣- الشيخ محمد علي بن الشيخ بشارة الخاقاني النجفي . ٤- الشيخ أحمد بن الشيخ حسن النحوي النجفي . ٥- السيّد نصر الله المدرّس الحائري . ٦- السيّد أحمد بن محمد العطّار البغدادي . ٧- أخوه الحسن بن محمد العطّار . ٨- السيّد عبد العزيز ابن أحمد الموسوي النجفي . ٩- السيّد أبو الحسن بن الحسين الحسيني الكاظمي . ١٠- السيّد محسن الأعرجي . ١١- الشيخ عبد الكاظم بن محمد الأزري . ١٢- الشيخ أحمد بن رجب البغدادي . ١٣- الشيخ محمد جواد بن سهيل النجفي . ١٤- الشيخ محمد بن حسن حبيب . ١٥- الحاج أحمد الخطيب . ١٦- الشيخ زكريا بن علي الحلبي . ١٧- الشيخ مسلم بن عقيل الجصّاني النجفي . ١٨- الشيخ كاظم الأزري .

وقرّض فريق من الشعراء ، الأرجوزة المسمّاة "تحفة النسّاك" ، وهي مفصّلة في الحج في ٢٧٧ بيتاً ، للشيخ طاهر بن الشيخ عبد علي بن عبد الرسول المالكي الحجامي المتوفى سنة ١٢٧٩هـ ، وهو أحد أعلام عصره في الفقه والورع والفتيا ، مطلعها :

نحمد من عرّفنا المناسك ... من رزقه لتارك وناسك

فممّن قرّضها أحد الأعلام من آل كاشف الغطاء ، منها قوله :

يا لها خير تحفة جاء فيها ... حيّرت في صفاتها الأفكارا

لو رآها الكليم خرّ كما آنـ ... ـس قدماً من جانب الطور نارا

وقرّضها الشيخ جواد بن رضا بن زين العابدين العاملي المتوفى حدود سنة ١٢٥٥هـ ، قوله :

قد أبهرتني هذه الأرجوزة ... مرشدةٌ أنيقةٌ وجيزة

ومنهم : الشيخ محمد بن علي الصحّاف نزيل سوق الشيوخ ، قوله :

حبّذا تحفة أتت من كريمٍ ... طاهرٍ فاستحقّت الإكراما

ومنهم الشيخ علي هجول ، بقوله :

بتحفة طاهر تهنى نفوسٌ ... لما أبداه من نظمٍ مليح

ومنهم : الشيخ عبد علي الأحسائي ، قوله :

هذا جواب حريّ أن يخطّ بألـ ... ـواح الزبرجد والياقوت والذهب

وأديب آخر يقول :

ولا أرى في الناس ذي مفاخرٍ ... كطاهر القلب جميل الظاهر

وقرّض جماعة من الشعراء تخميس الشيخ موسى بن شريف آل محيي الدين العاملي المتوفى سنة ١٢٨١هـ ، للقصيدة المقصورة لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة ٣٢١هـ ، والتخميس هذا هو من أروع ما عرفه الأدب النجفي قوّة في السبك وإشراقاً في العرض وابتكاراً للمعاني ورصفاً للمباني ، وقد حوّل المعنى من مدح الأمير إسماعيل ابن عبد الله بن ميكال وابنيه ، إلى مدح الإمام أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام .

٥- أدب التاريخ

ويعرف أيضاً بالتاريخ الشعري ، وممّن عرّفه بذلك جرجي زيدان في كتابه "تاريخ اللغة العربية" وحدّد زمان ظهوره ، فقال : وهذا النوع من التاريخ شايع اليوم لكنّه من محدثات العصور الأخيرة ، لم نقف على شيء منه أقدم من أوائل القرن العاشر للهجرة على أثر فتح العثمانيين مصر .

وتسميته لم تكن مطابقة للمسمّى ، فإنّ التاريخ لم ينحصر بالشعر فقط بل استعمل في النثر والجمل ، وروعته في النثر لا تقلّ عن الشعر إن لم تتفوّق عليه أحياناً ، ونموذج من تاريخ الجمل " بلدة طيّبة" أرّخ بها عام فتح القسطنطينية ، أي سنة ٩٦٦هـ .

وعرّفه الشيخ جعفر النقدي في رسالة خاصّة بحث فيها هذا الفن وأسماه "ضبط التاريخ بالأحرف" ، وقد عالج الموضوع علاجاً متيناً ، واستظهر أن يكون ظهوره أقدم ممّا ذكره جرجي زيدان ، واستشهد بتواريخ قديمة ، كما عالج فيه كيفية الاهتداء إلى معرفته ، وطريقة ضبطه هو : "ما يُكتب يُحسب" .

وعرف بهذا الفن : الشيخ محمد علي بن حسين بن محمد الأعسم المتوفى سنة ١٢٣٣هـ ، وهو عالم جليل ، وشاعر معروف ، أرّخ الكثير من الحوادث ، ومن نوادره في ذلك حينما أرّخ وفاة السيّد سليمان الحلّي عام ١٢١١هـ في قصيدة ، قال في تاريخها :

نعى سليمان ناعيه فأرّخه ... (انهدّ ركنٌ من الإسلام وانثلما)

والتاريخ ينقص ، وعندما قرأه السيّد داود على أخيه السيّد حسين ، قال : إنّ الشيخ الأعسم قد سهى ، وإنّما يريد هكذا : "انثلّ ركنٌ من الإسلام وانهدما" ، وعندما سمع الشيخ الأعسم بذلك ، أرسل إلى السيّد داود هذه الأبيات :

تلك النقيصة ما زلّت بها قدمي ... وإنّما صدرت سهواً من القلم
ما كان نقصانها يخفى على أحد ... وليس في مثلها مثلي بمتّهم
لي شاهدان على صدقي مرادفها ... وفضل معرفتي في العد للكلم

أو اليمين إذا لم يقبل الحكم الـ ـثاني فليس له عندي سوى القسم

وعلى إثر هذا السهو رثاه مرّة أخرى بقصيدة ، وأرّخ وفاته بقوله :

وإذا عطّلت منه المدارس أرّخوا (تعطّل درس العلم بعد سليمان)

وممّن عرف بهذا الفن : السيّد موسى بن السيّد جعفر بن محمد بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٧هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب كامل ، وشاعر برع في أدب التاريخ براعة فائقة .

والسيّد مهدي بن محمد بن حسن البغدادي الشهير بأبي الطابو المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ، وهو فاضل أديب ، وشاعر معروف له قدم راسخ في هذا الفن ، فقد كان قوي الاستحضار للعدد وسبكه بأحسن الجمل ذات المناسبة ، وستأتي في الجزء الثالث من كتابنا شواهد على ذلك .

والسيّد رضا بن محمد بن هاشم الموسوي الهندي المتوفى سنة ١٣٦٢هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب شهير ، وشاعر مجيد ، من تواريخه التي أبدع فيها ما أرّخ به عام وفاة الملك غازي وتتويج الملك فيصل الثاني على العراق ، قوله :

يا وارثاً مجد فيصل ويا ابن أكرم مرسل
لا بيت للعرب إلاّ بكى عليك وأعول
إذ لم يكن في الدواهي إلاّ عليك المعوّل
أبقيت تاريخ مجد يُتلى ببيت مفصل
(عرش العراق جمال لكلّ ملك مفضل)
عراه في فقد (غازي) نقص وتمّ بـ (فيصل)

فالتاريخ يزيد عن التاريخ الحقيقي ، فإذا حذف منه عدد كلمة (غازي) بحساب الجمل وهو ١٠١٨هـ نقص ٢١٠ ، فإذا أضيف إليه كلمة (فيصل) وعدد حروفها ٢١٠ تمّ التاريخ .

ومنهم الشيخ محمد حسين بن الشيخ يونس آل المظفّر المتوفى سنة ١٣٧١هـ ، وهو عالم كبير ، وأديب شهير ، وشاعر مطبوع ، له ولع بأدب التاريخ .

وممّن برع فيه الشيخ علي بن حسين بن جاسم الشهير بالبازي المتوفى ١٣٨٧هـ ، وهو خطيب معروف ، وشاعر شهير ، ومؤرّخ قدير ، وقد أخذ هذا الفن من شيخ الصناعة في عصره الحاج مجيد العطّار الحلّي ، وعليه تلمّذ عندما قطن الكوفة ، غير أنّه برع فيه براعة باهرة ، وجاء بتواريخ تدهش اللب وتحيّر الذهن ، وبلغ من إتقانه وكثرة استعماله له أنّه ينظمه أحياناً مرتجلاً ، وقد أوردنا نماذج من تواريخه في طيّات الجزء الثالث من كتابنا .

والسيّد محمد بن السيّد حسين بن محمد الحلّي المولود سنة ١٣١٩هـ ، ممّن برع أيضاً في هذا الفن حتى أصبح يشار له بالبنان ، وقد تفوّق فيه وصارت تواريخه يعنى بها مع وجود أعلام هذا الفن .

والشيخ محمد باقر بن الشيخ صادق الإيرواني المولود سنة ١٣٥٣هـ ، ممّن أبدع فيه .

شعراء في الامتحان

كانت الأندية الأدبية النجفية تقف في وجه من يحاول السرقة والاستئجار للشعر حيث يفهمونه بضعفه وبعدم صلاحه للاشتراك في هذه المضامير ، وقد جرى ذلك لجماعة من أدعياء الشعر ، فكانت النتيجة أن أراحوا أنفسهم بالرجوع إلى رشدهم ، وأحسنوا إلى التاريخ بعدم إدخالهم في حضيرته . ومنهم من أثبت جدارته وشاعريته عند امتحانه ، وهناك قصص وأمثلة كثيرة حول هذا الموضوع وما يماثله ، نذكر منها :

١- ما حصل للشيخ عبد الحسين بن عمران بن حسين الخيّاط الحويزي المتوفى ١٣٧٦هـ ، وهو شيخ أدباء عصره ، وشاعر شهير ، بزغ نجمه الأدبي بعد امتحان تعرّض له في مجلس عقد في دار العالم الشاعر الشيخ عبد الحسين الجواهري ، فقد قرأت له قصيدة في ذلك المجلس وكان فيه الشاعر المعروف السيّد جعفر كمال الدين الحلّي ، فاستنكر نسبتها إليه لجودتها ، واتّهمه بأنّها من نظم أستاذه الطباطبائي الذي عرف بمناوأته للسيّد جعفر ، فلمّا فوجئ بذلك تأثّر ، وكان في أوائل العقد الثالث من عمره ، فقال الشيخ عبد الحسين : إمتحنوه ، ففي الامتحان يكرم المرء أو يهان ، وقد احتشد في ذلك المجلس الكثير من شيوخ الأدب ، وكان ممّن حضر الملاّ عباس الزيوري

الحلّي البغدادي المتوفى سنة ١٣١٥هـ ، فقال : أنا أصدر البيت وأطلب منه العجز ، فقال وأجابه :

يا قطب دائرة الوجود ومن هو الـ ـــنبأ العظيم ومن إليه المفزع
أنت ابن عمّ المصطفى ووصيّه وأبو بنيه وسرّه المستودع
ما قام بيت للنبوّة مشرع إلاّ وأنت له عماد يرفع
وجبت ولايته على أهل السما والأرض إن سمعوا وإن لم يسمعوا

فعند ذلك قال : إنّه لشاعر حقّاً وأمّن على قوله الحضور ، فتعجّب السيّد جعفر من نباهته ونبوغه ، ورمقه شزراً وقال : إنّه لصغير ، فارتجل الحويزي له هذين البيتين :

يستصغر الخصم قدري في لواحظه ونظم شعري كبير منه تبيان
فلست أوهى قوىً من نملة نطقت وظلّ معتبراً منها سليمان

فصفّق له الحضور تعجّباً ، وبزغ نجمه الأدبي من ذلك الحين .

٢- ما حدث في قران الأستاذ السيّد عبد الوهاب الصافي ، فقد اندفع أحدهم إلى الاشتراك في حلبة التهنئة ، ولمّا وجد من نفسه القصور عن التسابق استعان بإنسان معروف بعطفه عليه ، فطلب منه مساعدته ليشترك في مثل هذا الحفل ، فجهّزه بقصيدة رائعة للمرحوم السيّد مهدي أبي الطابو البغدادي النجفي يمدح بها السيّد حسين بن السيّد مهدي القزويني ، والتي مطلعها :

أعلى السفح تعرّفت الديارا وتجشّمت على العيس القفارا

وكان في المجلس شاعر في دوره الأول ، وقد عرف بشدّة الذكاء واغتنام الفرص لتصوير النكتة وتسجيلها ، وقد احتفظ بمجموعة شعر السيّد مهدي ، فما كان منه إلاّ أن أسرع وأحضر المجوعة أمام من كان في المجلس ، وكان في مقدّمة الحاضرين الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والشيخ جواد الشبيبي ، والسيّد رضا الهندي ، والشيخ مرتضى الخوجة ، والسيّد محسن القزويني ، وأضرابهم ، فتعجّب الحاضرون من هذه الجرأة واللباقة في النكتة التي بقيت درساً لمن تحدّثه بادّعاء الشعر .

٣- وقد عرف من الشعراء من نظم قصائد كثيرة وتبرّع بها إلى أشخاص دون عوض ، وإنّما رقةً وعطفاً عليهم فنسبوها إلى أنفسهم ، كالعلاّمة الشيخ عبد الكريم الجزائري المتوفى سنة ١٣٨٢هـ ، والعلاّمة السيّد محمد حسين فضل الله ، والشاعر جميل حيدر . فإنّ الأدباء الأذكياء يعرفون قابليّات رفاقهم من الشعراء ، ويميّزون أساليب بعضهم عن غيرهم . ومن أمثلة تلك المواقف ما حصل في تأبين المرحوم الدكتور عزّ الدين آل ياسين ، وكان الاجتماع لا يخلو مع الأدباء المجيدين ، وكانت القصيدة الملقاة من أرقى الشعر ، توحي بأنّ صاحبها من الشعراء الأفذاذ ، ولم يعهدوا منه ذلك ، فقال أحد الأدباء الحاضرين بأنّها لابن حيدر ، وأنشد البيت المعروف :

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

٤- ومن الشعراء من اتّهم باستعارة قصائد من شعراء مشهورين وإنشادها في محفل عام ، كما حصل ذلك مع الشيخ محمد صالح بن الشيخ علي محيي الدين المتوفى سنة ١٣٢١هـ ، فقد اتّهم باستعارته قصائد للشاعر الشهير مهيار الديلمي الذي لم ينتشر شعره يومذاك ، وقد فشى سرّه أحد مناوئيه من أصدقائه وكتب عنها تحت عنوان "سرقة الشيخ" . كما كتب عن الشيخ أنّه استخدم قصائده مرّتين ، وفيه يتخلّص إلى شخصين وتبلغ أحياناً الثلاثة ، وربّما يعاجل بذلك فيضطر إلى استخدامها .

٥- ولم يسلم الشعراء أنفسهم من التمحيص والنقد ، ومن ذلك ما جرى بين الشيخ إبراهيم بن مهدي اطيمش المتوفى سنة ١٣٦٠هـ ، والشيخ عبد الرزّاق محيي الدين العاملي في حفل أقيم لتكريم السيّد محمد علي العلاّق بقرانه ، فقرأت قصيدة للشيخ إبراهيم كانت من بحر الكامل ، وقد خرج به إلى البسيط ، ممّا جعل الشيخ عبد الرزّاق يقول : هلاّ يوجد في الحفل كامل يميّز بين البسيط والكامل ، ثم عارضه بقصيدة كانت من الخفيف ، منها :

إنّ من عدّ نفسه من أُسود الشعـ   ـر لا يخرجنّ عن الأوزان

كـلّ مـن يـدّعي بمـا لـيس فيـه　　　كذّبتــه شــواهد الإمتحــان

وبعد ظهور الصحف والمجلاّت النجفية برزت في هذه المرحلة مجموعة من أدعياء الأدب والسرّاق الذين أخذوا ينشرون فيها قصائد لا تمتّ إليهم بصلة، وإنّما تنظم لهم بثمن أو بالتماس، ممّا دفع ذلك بعض الشعراء إلى التصريح به، منهم الشيخ علي بن الشيخ حسين بن علي الخاقاني الشهير بالصغير، في قصيدة طويلة له بعنوان "إلى الأدباء"، منها:

فطاحـل الـشعر هـل للـشعر أنـصار　　　فـإن سـكتّم فمـا للفـن مـضمار
مـن مبلـغ (المتنبّـي) أنّهـا هتكـت　　　تلـك الحرائـر قـسراً وهـي أبكـار

ثانياً: النثر

لم يقتصر أدباء النجف على نظم القريض بل ولع الكثير منهم بأنواع النثر من رسائل ومقامات ومقالات وبنود، والبند نثر ليس فيه وزن ولا قافية، شاع في العراق في القرنين الماضيين، وهو يشبه ما يسمّى اليوم بالشعر الحر، وممّن عرف بإنشاء الرسائل:

الشيخ محيي الدين بن حسين بن محيي الدين الحارثي الجامعي الذي كان حيّاً سنة ١١١٩هـ، وهو جدّ الأسرة المعروفة اليوم في النجف، ومن الأعلام المشاهير في دنيا العلم والأدب، كان عالماً شاعراً بليغاً، وناثراً قوي الأسلوب فصيح العبارة كما يظهر من رسائله.

والشيخ محمد بن يونس بن راضي الشويهي الحميدي المتوفى سنة ١٢٣٥هـ، فله مايزيد على مئة رسالة كتبها إلى مختلف أرباب النفوذ من الزعماء والأمراء والأدباء والأصدقاء.

والشيخ محمد بن عبيد بن راضي بن عنوز المتوفى سنة ١٢٨٨هـ، وهو شاعر رقيق، وأديب رقيق، له أسلوب خاص عرف به في رسائله، وكان يستخدمه في كثير من الأغراض، ومنه ما كان يكتبه عن لسان الشيخ مهدي كاشف الغطاء.

والسيّد موسى بن السيّد جعفر الطالقاني المتوفى سنة ١٢٨٩هـ ، وهو عالم جليل ، وشاعر معروف ، وكاتب بليغ ، أكثر من كتابة الرسائل الإخوانية .

والسيّد باقر بن محمد بن هاشم الهندي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ ، وهو عالم فاضل ، وأديب كبير ، وشاعر شهير ، كان معروفاً بنظم ونثر خال من الحروف المعجمة .

كما برع في هذا المضمار من الأدب الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علي الجواهري المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، فله مراسلات كثيرة مع ولاة بغداد وسلاطينهم ، ومع صديقه الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب كتاب "الحصون المنيعة" .

والسيّد محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي القزويني الشهير بالكيشوان المتوفى سنة ١٣٥٦هـ ، وهو عالم كبير ، وشاعر مشهور ، وكاتب ضليع مبدع برهن على قابلية في النثر عدمت عند أكثر معاصريه ، وهو يأتي ثاني اثنين بعد الشيخ جواد الشبيبي .

والشيخ هادي بن الشيخ عباس بن الشيخ علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، وهو علم شهير ، وشاعر مجيد ، وكاتب من طراز أرباب المقامات ، ولع بالصناعة فأجاد فيها ، ونازل أعلام الأدب في نثره ورسائله فكان علماً مماثلاً لهم .

والشيخ جواد بن الشيخ محمد الشبيبي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ، فقد تسالم معاصروه على أنّه الأديب الوحيد الذي كان يستحضر كلّ كلمة في كتاب "القاموس المحيط" ، وقد حاول أعلام عصره مجاراته فأخفقوا ، وعزموا على مسابقته فقصروا ، ويتجلّى له فهمه لعلوم الأدب واطّلاعه على كثير من أخبار العرب ، فلا تجد له رسالة إلاّ وفيها اسم لكتاب أو عنوان لأديب أو إشارة إلى قصّة ، وقد جمع الشيخ الشبيبي ثمان وثمانين رسالة من رسائله ومكاتيبه في كتاب أسماه "اللؤلؤ المنثور على صدور الدهور" .

وعرف في هذا المجال الشيخ محمد أمين بن الشيخ عبد العزيز بن زين الدين البحراني البصري المولود سنة ١٣٣٣هـ ، وهو عالم مجتهد شهير ، وشاعر قدير ، وكاتب مبدع يدهش اللبّ في مقالاته .

والسيّد محمد بن الرضا فضل الله الحسني العاملي المتوفى سنة ١٣٣٦هـ، وهو عالم كبير، وشاعر شهير، وكاتب مبدع، له نثر بليغ ظهر في الرسالة الطويلة التي أبّن فيها الإمام السيّد ميرزا حسن الشيرازي، ووصف بها مسير الجثمان من سامراء إلى النجف.

والسيّد محمد صادق بن حسن بن إبراهيم بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٩٩هـ، وهو عالم جليل، وشاعر رقيق، وكاتب باحث، له مجموعة نثرية أسماها "السلاسل الذهبية" قرّضها جماعة من الأعلام، منهم الشيخ جعفر النقدي.

وممّن عرف بإنشاء البنود:

السيّد محمد بن السيّد زين الدين أحمد بن علي الحسني العطّار الشهير بالزيني البغدادي النجفي المتوفى سنة ١٢١٦هـ.

والشيخ محمد بن يونس بن راضي الشويهي الحميدي المتوفى سنة ١٢٣٥هـ.

والشيخ مسلم بن عقيل الجصّاني النجفي، المتوفى سنة ١٢٣٥هـ، وهو عالم أديب، وشاعر لبيب، وكاتب ولع بإنشاء البنود، وقال الكثير منها.

والسيّد مهدي بن محمد بن حسن البغدادي الشهير بأبي الطاپو المتوفى سنة ١٣٢٧هـ، وهو من أهل العلم والفضيلة المرموقين، وشاعر أديب معروف، نظم الكثير من البنود الرقيقة وفي الغزل، وقد تلف أكثرها، ولو جمعت بنوده لكوّنت كتاباً خاصّاً ممتعاً.

وكاد يختم هذا الفن بالسيّد محمد بن السيّد جمال الهاشمي الگلپايگاني المتوفى سنة ١٣٩٧هـ، وهو عالم جليل، وكاتب ضليع، وشاعر مبدع.

ثالثاً: الخطابة الحسينية

فنّ الخطابة هو من أقدم الفنون الأدبية وأخطرها لما يتطلّبه من كمال ومهارة، وقد اتّخذ الأنبياء والأوصياء هذا الفن لتبليغ الرسالة، واستعمله قادة الأمم والجماعات لأغراضهم كنشر دعوتهم وكسب نفوس مخاطبيهم أو تأليبهم في حروبهم. وحثّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام خطباء الشيعة وشعرائهم على ذكر مصائب سائر الأئمة عليهم السلام

وترقية أدب مآتمهم، وحدّثوا عن ثواب من أبكى الناس بذكر سيّد الشهداء الحسين عليه السلام وقد بلغت هذه الأحاديث حدّ الاستفاضة، بل التواتر.

ويذكر أنّ أول من أسّس إقامة مجالس التعزية في النجف هو الشيخ نصّار بن حمد العبسي الحكيمي المتوفى سنة ١٢٤٠هـ، وهو عالم فقيه، وأديب شاعر، ومن عصره كثرت المجالس وأجريت سنّته حتى يومنا.[(١)]

ومنذ ذلك اليوم فقد برز في سماء النجف الكثير من الخطباء المشهورين، منهم:

الشيخ جعفر بن الشيخ محمد علي التستري المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، العالم الفاضل والفقيه العابد، البر التقي والواعظ المتّعظ. عرف بحسن الوعظ والإرشاد والمقدرة الواسعة لرقي المنبر بأساليب متنوّعة يرغبها سائر طبقات الناس. كان مجلس وعظه في مسجد الخضراء، ثمّ انتقل المجلس إلى الصحن الغروي الشريف قرب باب الساباط الشمالي حتى إيوان العلماء، وكان في وقت العصر.

والميرزا محمد رضا بن الميرزا علي نقي بن محمد رضا الهمداني المتوفى سنة ١٣١٨هـ، عالم عارف، وواعظ بارع، كان له منبر في الجهة الشمالية من الصحن الشريف يحتشد تحته خلق كثير، وله مؤلّفات.

والشيخ عبّود بن الشيخ درويش بن إبراهيم الأنصاري المتوفى سنة ١٣٢٧هـ، ملك أزمّة الخطابة وطار صيته في أنحاء البلاد الشيعية، وأصبح خطيب مدينة الكاظمية الأوحد بعد هجرته من النجف، وهو شاعر مكثر، ومؤلّف تربو مؤلّفاته على الثلاثين مجلّداً.

والشيخ حسّون بن الشيخ جاسم الجابري المتوفى سنة ١٣٣١هـ، هو من أبرز مشاهير الخطباء في عصره، وانتشر ذكره في كثير من الأقطار العربية والإسلامية، وكان ممّن له يد في نظم الشعر.

---

(١) الذريعة: ٣٢/٩.

والشيخ محمد بن الشيخ علي آل ثامر المتوفى سنة ١٣٣٤هـ ، خطيب شهير ألقى خطب ومواعظ جليلة في مجالس النجف ، وقد اجتمع عليه طلاّب الخطابة بعد اشتهاره للانتفاع منه والتلمذة عليه .

والشيخ محمد بن الشيخ عبود الفيخراني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، تدرّج في مراتب الخطابة في النجف حتى أصبح خطيبها الوحيد في عصره .

والشيخ محمد حسين بن الشيخ أمان بن محمد الفيخراني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، خطيب مفوّه ونائح مهيّج للعبرة ، تميّز بسيرته وقدسيّته حتى عاد لا يستغني عنه بيت من بيوت الأسر الرفيعة والبارزة في مدينة النجف .

والشيخ كاظم بن حسن بن علي السهلاني الحميري الشهير بسبتي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ، وهو من أشهر مشاهير خطباء عصره ، له ديوان شعر يقع في ستة آلاف بيت ، ولقد أصبح موضع إعجاب أعلام عصره ، فقد قال فيه الفقيه الأكبر الشيخ محمد طه نجف المتوفى سنة ١٣٢٣هـ : "ما قدّر الله قتل الحسين عليه السلام حتى سبق في علمه عزّ وجل أن يخلق الشيخ كاظم فيكون ذاكراً له وللشهداء معه ليؤسّس عزاً وعظمة للمنبر الحسيني ، وإنّي لا أراه إلاّ ملكاً أنزله الله بصورة البشر" ! .

والشيخ عبد الحسين الكاشي المتوفى سنة ١٣٥٧هـ ، من الخطباء البارزين والوعاظ المشهورين ، له مجالس جميلة تأخذ بمجامع القلوب .

والسيّد عبد المهدي بن السيّد راضي بن حسين الأعرجي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ خطيب شهير ، وشاعر فذ بالفصحى والدارجة ، ومؤلّف خلّف آثاراً علمية .

والسيّد صالح بن السيّد محمد بن حسين الحسيني الحلّي المتوفى سنة ١٣٥٩هـ ، خطيب بارع في فن الخطابة ، له وقفات على المنابر أكسبته شهرة واسعة لدى كافة الطبقات ، وشاعر له ديوان أسماه "الباقيات الصالحات" أكثره في مراثي أهل البيت عليهم السلام .

والشيخ محمد حسين بن الشيخ عيسى بن مال الله الأسدي الملقّب بالدكسن المتوفى سنة ١٣٦٨هـ ، عالم أديب وخطيب حلّق في سماء الخطابة حتى أصبح من

مبرزي خطباء عصره ، وله مؤلّفات في مختلف العلوم ، كما أنّ له مجموع من الشعر تحت اسم "الدكسنية" ، وقد طبع .

والسيّد كاظم بن السيّد علي الخضري المتوفى سنة ١٣٧٠هـ ، بطل من أبطال المنبر ، ورجل من رجال الإصلاح ، بأسلوب خطابي يثير الإعجاب .

والشيخ محمد علي بن الشيخ محمد بن خليل الشهير بقسّام المتوفى سنة ١٣٧٣هـ ، وهو خطيب شهير ، وشاعر وطني مخلص ، استخدم المنبر الحسيني وواقعة الطف كسلاح ضدّ الإنكليز المستعمرين ، ولم يترك فرصة تمرّ عليه إلاّ وانتهزها لإشعال نار الثورة ضدّهم ، وبقيت خطبه الحماسية الارتجالية في كلّ من بغداد والكاظمية وكربلاء والجامع الهندي في النجف حديث المجاهدين في تاريخ الثورة العراقية .

الشيخ حسن بن الشيخ كاظم بن حسن السهلاني الشهير بسبتي المتوفى سنة ١٣٧٤هـ ، وهو خطيب لبيب ، وشاعر أديب ، اشتهر في النجف وامتدّت شهرته إلى المدن العراقية ، وله ديوان شعر في مراثي أهل البيت عليهم السلام .

والشيخ مسلم بن الشيخ محمد علي بن جاسم الشريداوي الجابري المتوفى سنة ١٣٨٣هـ ، وهو أديب فاضل ، وشاعر رقيق ، وخطيب معروف يميل إلى انتقاء المواضيع الرصينة المحكمة الأسلوب .

والشيخ محمد علي بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي المتوفى سنة ١٣٨٥هـ ، أحد أركان الخطابة وأحد أصحاب المهارة التامة في المنبر ، كما أنّه أديب له يد طولى في النثر وقرض الشعر .

والشيخ علي بن حسين بن جاسم الشهير بالبازي المتوفى ١٣٨٧هـ ، وهو خطيب معروف ، وشاعر شهير ، ومؤرّخ قدير ، تقدّم ذكره في موضوع "أدب التاريخ" .

والشيخ عبد علي بن الشيخ محمد حسين الماجدي المولود سنة ١٣٠٠هـ ، أحد الأدباء وشيوخ المنبر الذين حلّقوا في سماء الخطابة وطار صيتهم في البلاد .

والشيخ جعفر قسام المولود سنة ١٣٠٤هـ ، تدرّج في العلوم وفن الخطابة حتى أصبح خرّيت هذا الفن ورب هذه الصناعة في النجف ، وهو شاعر حسن .

والسيّد راضي بن السيّد محمود بن راضي القزويني البغدادي المولود سنة ١٣١٣هـ ، ألمّ بجزئيات الخطابة وحلّق فيها تحليقاً عالياً حتى أصبح خطيب مدينة العمارة الوحيد بعد هجرته إليها من النجف .

والسيّد حسن بن السيّد علي القبانچي المولود سنة ١٣٢٨هـ ، أحد أعلام الخطابة وأركان المنبر الحسيني ، ومن ضرب مثلاً عالياً للتوجيه الديني والأخلاقي بأسلوبه المبتكر وتحقيقاته العلمية .

والسيّد جواد بن السيّد علي بن محمد شبّر المولود سنة ١٣٣٢هـ ، وهو أحد نوابغ الخطباء ، ومن مجدّدي المنبر الحسيني ، وأحد حسنات النجف بل العراق ، وهو أيضاً شاعر مجيد في النظم ومؤلّف قدير .

والسيّد محمد حسن بن السيّد أحمد بن علي المعروف بالشخص المولود سنة ١٣٣٦هـ ، أحد أبطال الخطابة في النجف ، ومن أعلام المنبر المرموقين في فنّهم وأسلوبهم ، وممّن نالوا شهرة في العراق ودول الخليج .

والشيخ أحمد بن الشيخ حسّون بن سعيد الوائلي المولود سنة ١٣٤١هـ ، هو أمير الخطباء على الإطلاق ، ومن طار صيته في الآفاق ، عالم منبري ، وأديب موسوعي ، وشاعر رقيق له ديوان شعر .

والسيّد جابر بن كاظم الغريفي الشهير بأغائي المولود سنة ١٣٤١هـ ، أحد أشهر خطباء المنبر الحسيني ، له أسلوب مميّز في الوعظ والإرشاد واطلاّع تاريخي واسع ، وقد امتاز بصوت رقيق حزين يأخذ بمجامع القلوب حينما يقرأ فاجعة الحسين عليه السلام ومصرعه . له مجالس في مدن العراق والبحرين والكويت .

والسيّد مهدي بن السيّد محمد بن أحمد السويج المولود سنة ١٣٤٣هـ ، انفرد بفن خطابي متميّز وطريقة خاصة للتأثير في وعظه وإرشاده .

والشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد الحسين الكاشي المولود سنة ١٣٤٤هـ ، أحد المجدّدين للمنبر الحسيني ، وممّن يشار له في هذا المضمار بأسلوبه وصوته العذب الرقيق .

والشيخ صالح بن الشيخ حسن الدجيلي المولود سنة ١٣٤٥هـ ، وهو من الخطباء المبتكرين لأسلوب خطابي متميّز في تفسيره لآيات القرآن الكريم وشرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام .

والشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد علي الخراساني المولود سنة ١٣٤٥هـ ، من الخطباء المتميّزين والوعاظ المتّعظين ، له إلقاء جميل وطريقة سهلة في الإرشاد .

والشيخ جعفر بن الشيخ حميد الهلالي المولود سنة ١٣٤٦هـ ، هو من طليعة خطباء النجف ، اشتهر بأسلوبه الأدبي ومجالسه الكبيرة ، وهو شاعر ممتاز ، وله مؤلّفات .

والشيخ شاكر بن الشيخ محمد بن عبد الله القرشي المولود سنة ١٣٤٧هـ ، وهو خطيب واعظ ، ومرشد بليغ ، له شهرة كبيرة في مجالس النجف لما امتاز به من أسلوب تاريخي اجتماعي أخلاقي ، وله مؤلّفات .

والشيخ باقر بن محمد بن علي المقدسي المولود سنة ١٣٥٨هـ ، حلّق في فنّه الخطابي بأسلوب علمي متقن ، ومعرفة تاريخية واسعة ، وصوت متميّز يأخذ بمجامع القلوب .

والسيّد محمد حسن بن السيّد علي نقي الكشميري المولود سنة ١٣٦٧هـ ، خطيب لامع ، ومنبري جريء في آرائه ونقده ، مع اطّلاع كبير على سير المتقدّمين ، وله مؤلّفات .

والشيخ محمد حسين بن الشيخ بهاء الدين الفقيه المولود سنة ١٣٦٩هـ ، من خطباء المنبر الحسيني الممتازين ، برع بلباقته الأدبية ومهارته تعضدها معرفته التامّة بأصول العقائد وحوادث التاريخ ، وهو شاعر ماهر ، وله مؤلّفات .

والشيخ فاضل بن الحاج جواد بن علي المالكي المولود سنة ١٣٧٣هـ ، نال الاجتهاد وتصدّى للأمور الشرعية والتدريس والإفتاء ، وهو إلى جانب ذلك أمير الخطباء وشاعر أديب ، له مجالس احتوت كثيراً من العناوين لموضوعات علمية ومباحث فكرية دقيقة مشتملة على تحقيقات عميقة تكشف عن كفاءته وجدارته الفائقة .

أماكن يرتادها الأدباء والعلماء

دأب أدباء وعلماء النجف على الخروج إلى أماكن خارج مدينة النجف أو في أطرافها للتنزّه والتعبّد، ومن تلك الأماكن المسجد الجامع في الكوفة، وجسرها الواقع على نهر الفرات، ومسجد السهلة (سهيل)، وبحر النجف، ومرقد اليماني، ومقام الإمام زين العابدين عليه السلام. وممّا يجدر الإشارة إليه في هذا المجال ما سنّه المرجع الديني الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، بالخروج ليلة الأربعاء من كلّ أسبوع من مدينة النجف إلى مسجد السهلة ومسجد الكوفة، باستعداد حسن وإفضال على الطلبة ممّن خرج تلك الليلة من كراء دابة وما يحتاج إليه من طعام، إذ تطبخ المطابخ هناك لأجل هذه السنّة الحسنة. وقد كان العلاّمة السيّد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ يأخذ تلاميذه إلى ساحات رحبة خارج سور النجف ويجلسهم في رياض مبهجة تطلّ على بحر النجف، وهو لم يجف بعد، ويتمشّى بهم في وسط البساتين فيجلسهم هناك ويقوم بدور المدرّس الذي يحاول أن يوصل الخواطر العالية لتلميذه بعد التأكّد من استعداده الذهني لقبولها، وكان يكثر من السفر بين الكوفة والنجف ويحاول أن يخرج هؤلاء معه ليشاهدوا الشمس ويستنشقوا الهواء الطلق محاولاً تصفية مشاعرهم وتهيئتها لكلّ مفاجئ من الرأي. وفيما يلي ما وقفنا عليه من نوادر هذه الأماكن:

الكوفة

من طريف ما يذكر عن الشاعر الأديب الشيخ محمد علي بن هلال السوداني الكندي النجفي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، أنّه خرج يوماً إلى مسجد الكوفة الأعظم، ولمّا استقرّ به المجلس سمع رجلاً في بعض المحاريب يصيح بصوت عال: "أستغفر الله"، فأجابه الشيخ دعابة: "إلاّ من هوى الغِيد"، ثمّ جعله مستهل قصيدة داليّة نظمها على الفور، قائلاً:

أستغفر الله إلاّ من هوى الغيد   الآنسات الرعابيب الرعاديد
يبسمن عن واضحات ملؤها خصر   أشهى وأعذب من ماء العناقيد
من لم تمل للهوى العُذري خليقته   وليس يصبو إلى غرّ المناشيد
ولم يبت بالغواني قلبه طرباً   فذاك أمسى من الصمّ الجلاميد
نفسي الفداء لبيض زرننا سحراً   هيف القدود معاطيف أماليد
عواطياً كالظباء المطفلات إلى   أطلائهنّ ثوان حالي الجيد
يحفظن عهد الصبا والدهر ذو غير   ماغيّر الدهر من تلك المواعيد
لم أنس ليلة وافينا الكثيب بها   على خلاء فكانت ليلة العيد
ألهو بنجلاء وحش ملؤها خبل   فعل المدام بألباب المناجيد
طوع العناق رخيم الصوت إن نطقت   أنستك حسن تراجيع الأغاريد
فليت شعري أكلّ الناس قد وجدوا   وجدي بأسماء دون الخرّد الخود
أم ليس يشبهني في حبّها أحدٌ   ويح الغرام أما يبقى على الصيد
لله درّ الهوى بل درّ حامله   إن يُفْقَد الحُب حُبّي غير مفقود

وفي موقف للشيخ أغا رضا بن محمد حسين بن باقر الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦٢هـ، وقد مضى مع بعض أصدقائه لزيارة مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام المجاور للمسجد الأعظم في الكوفة، ولمّا قربوا من المرقد عدل الشيخ عباس بن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، ومضى إلى مسجد سهيل، فقال الشيخ الأصفهاني مداعباً:

إمامنا العباس مَن قدره   من رفعة قد بلغ الأنجما
سافر عنّا قاصداً مسلماً   لكن لعمري لم يزر مسلما

وخرج إلى الكوفة الشيخ مهدي بن الشيخ صالح بن قاسم الزابي الحويزي المعروف بحجّي المتوفى سنة ١٢٩٨هـ، مع أستاذه السيّد محمد علي بن السيّد أبي الحسن الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ، فأراد الأستاذ امتحان شاعرية تلميذه

وهم في الطريق ، فطلب منه بيتاً يبدأ بحرف التاء ، فقال :

تجدّ المطايا فينا إلى الكوفة الغرّا   لنحظى بها لثماً ونكتسب الأجرا
وكانت مطايانا إليها عشيّة   تسير مسير الريح سبحان من أسرا

وخرج الشيخ عبّود بن الشيخ سالم الطريحي المتوفى سنة ١٣٢٨هـ مع رفاق له إلى ناحية جسر الكوفة ، وكان ذلك في الصيف في شهر آب ، فقال مرتجلاً :

إمش للجسر ودع عنك الكتاب   فالهوى طاب اغتنمه ياشباب
روّح النفس بتغيير الهوى   إنّما التغيير في أيام آب

مسجد السهلة

ورد أنّ العلاّمة الشيخ عبد الحسين بن القاسم بن صالح الحلّي المتوفى سنة ١٣٧٧هـ ، كان مع مجموعة من الشعراء في مقام الإمام زين العابدين عليه السلام في مسجد السهلة ، فأجاز بيتاً للشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، بعد أن عجز عنه الباقون :

أيا زين العباد فدتك روحي   وروح الأكرمين من العباد
مرادي أن تبلّغني مرادي   وليس سواك يا أملي مرادي
وعفواً أرتجيه من الخطايا   من المنّان في يوم المعاد
كفاني حبّكم زاداً إذا ما   (وفدت على الكريم بغير زاد)
إذا رمت الشفاعة من سواكم   فقد أنزلت حاجاتي بواد

مرقد اليماني

لموقع مرقد اليماني - المعروف بصافي صفا - المشرف على بحر النجف الأثر في جذب علماء وأدباء النجف إليه ، فأخذت تعقد فيه المجالس العلمية والمطارحات الأدبية.

قال شيخنا محمد حرز الدين في ترجمة المجاهد السيّد محمد سعيد الحبّوبي : له مجالس أدبية ومحاضرات مفيدة ومناظرات نافعة ، وكانت لنا جلسة معروفة حافلة

بأهل العلم والفضل تضمّنا إلى شطر بعيد من الليل في سطح قبّة اليماني بمقبرة الصفا في النجف الأشرف . وهذا المكان مُشرف على بحر النجف قبل كمال جفافه ، وله منظر بديع في الليالي البيض ، إضافة إلى طيب هوائه وهدوء جوّه ، وكانت تحرّر فيه المسائل العلمية والأدبية والمعاني الشعرية . وممّن يحضر معنا في هذه الجلسة العالم الأديب الشيخ موسى بن محمد أمين شرارة العاملي ، والأخ المقدّس السيّد مهدي بن السيّد صالح الحكيم النجفي ، وجماعة من فضلاء العامليين .(١)

مقام الإمام زين العابدين عليه السلام

كان الأدباء والشعراء في النجف يقصدون مقام الإمام زين العابدين لموقعه المشرف على بحر النجف وما يضفيه ذلك من أجواء شاعرية .

جاء في "نشوة السلافة" للشيخ محمد علي بن الشيخ خلف بن بشارة آل موحي الخاقاني الغروي : وجدت في مجموع للشيخ خلف ما صورته : كنت مع جماعة من الفضلاء والأدباء في مقام زين العابدين عليه السلام المشرف على بحر النجف ، فجرى ذكر الشعر فأنشدتهم أبياتاً كنت قد نظمتها في عصر الشباب في وصف حديقة جلسنا فيها مع بعض الأحباب فاستحسنوها ، ثمّ بلغني أنّ شخصاً منهم صدر منه كلام يدلّ على إعابتها تلويحاً ، وكم من عائب قولاً صحيحاً . فكتبت اليه :

يا عالماً بقوافي الشعر قد برعا ... وللعلوم على أنواعها جمعا

أعبت نظمي بلا نقص وجدت به ... فهل يُعاب هلالٌ عندما طلعا

وذاك أوّل شعر قلته حَدَثاً ... والشَّعر ما لاح في وجهي ولاوزعا

فإن أخذت طريقاً في مخاصمتي ... تجد هزبراً لروح الخصم منتزعا

لاتحقرنّ صغيراً في مخاصمة ... فربّما قتل الزنبور إذ لسعا

---

(١) معارف الرجال : ٢/٢٩١ .

بحر النجف

من طريف ما ورد عن الشيخ عبّاس بن الشيخ حسن بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٢٣هـ، وهو عالم كبير، وشاعر بليغ، أنّه كتب إلى الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، وقد عرّض بالولائم التي دارت بينه وبين أصدقائه الذين كانوا يخرجون إلى بحر النجف، قال:

قنطار أرز بلا دهنٍ يمرّ به ... واللحم من زند شاة عُشر قيراط
وضمنه البقلة الحمقاء وا أسفي ... خبيثة يبتغيها غير هيّاط
لولا (علي) لما حلّت لآكلها ... فديته بين تفريط وإفراط
له العفا جرّب الدنيا وطار بها ... لكن قوادمه من ريش وطواط

فنظم الشيخ مرتضى نجل الشيخ عباس كاشف الغطاء، مجيباً ومداعباً والده:

هيهات تدرك غاياتي وأشواطي ... في حلبة المجد أقوامي وأرهاطي
أو تستطيع بأن ترقى له قدمي ... حيث ارتقيت وقد زلّت خطى الخاطي
المجد يشهد أنّي قد ضربت على ... هام السماكين أطنابي وفسطاطي
ولو وضعت على فرق العلى قدمي ... فقد سحبت عليه ذيل أمراطي
نار القرى بظلام الليل أوقدها ... لتائهٍ بدجى الظلماء خبّاط

وممّا نظمه الشيخ بشارة بن عبد الرحمان آل موحي الخاقاني المتوفى سنة ١١٨٦هـ يمدح السيّد عبد المجيد بن السيّد حسين آل كمونة، ويعاتبه على خلف الوعد الذي أعطاه له ولجماعة من أصدقائه، وهو الخروج بهم إلى الشعاب المشرفة على بحر النجف من جانب الطار المحفوف بالروض، قال فيه:

وذا عبد المجيد أبو المعالي ... فتىً لا تذعر الأيام جاره
أجرني من أناسٍ ألجأوني ... فإنّ الحُرّ تكفيه الإشاره
غداً مولاك معتذراً إليهم ... وهم لم يسمعوا منه اعتذاره

يقولـون الـشعاب ازداد ورداً ... وأخـرج فـي مـشارعه بهـاره
وقـد أجـرى الحيـا فيـه دموعـاً ... بهـا للـورد قـد ظهـرت نـضاره
فقـم يـابن الحـسين وسـر إليـه ... بجـيش الجـود وانهـب لـي ذمـاره
فبـذل المـال فـي نيـل المعاصـي ... لعمـر أبيـك مـن خيـر التجـاره

المعارك والنوادي الأدبية

معركة الخميس

تقدّم الحديث عن أسباب نشوئها في "مراحل تطوّر الأدب في النجف"، وهي أهم وأشهر المعارك الأدبية التي جرت في مدينة النجف، وكان زعيمها السيّد محمد بن السيّد زين الدين أحمد بن علي الحسني العطّار الشهير بالزيني البغدادي النجفي المتوفى سنة ١٢١٦هـ، وهو من العلماء الأفاضل والأدباء الأماثل، محقّق في علم الحديث، شاعر أديب وكامل ظريف لبيب. وكانت دار السيّد زيني ندوة علمية وأدبية يجتمع فيها أقطاب أهل العلم والشعراء والأدباء وأهل الكمال والكبراء من أهل المناصب، حتى من ورد النجف من الأدباء زائراً في يوم الخميس من كلّ أسبوع، لأنّ يوم الخميس تعطيل عام لطلاّب العلم، وفي طليعة حضّار الندوة: ١- العلاّمة السيّد محمد مهدي بحر العلوم. ٢- العلاّمة الشيخ محمد بن الشيخ يوسف الجامعي. ٣- العالم السيّد أحمد العطّار البغدادي. ٤- السيّد صادق الفحّام. ٥- السيّد سلمان الحلّي. ٦- ابنه السيّد حسين. ٧- العلاّمة الأقا محمد باقر الهزار جريبي المازندراني. ٨- العلاّمة الشيخ علي بن الشيخ زين العابدين العاملي. ٩- رئيس العلماء والأدباء الشيخ محمد تقي الدورقي. ١٠- العالم الشيخ إبراهيم العاملي. ١١- الشيخ عباس البلاغي. ١٢- الشيخ علي الفراهي. ١٣- الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء الجناجي ١٤- رئيس علماء المحدّثين الشيخ موسى بن علي البحراني. ١٥- السيّد شبّر الأخباري. ١٦- الشيخ مهدي الفتوني. ١٧- الشيخ مهدي الكَيتب. ١٨- السيّد حسين النهاوندي.

١٩- العلاّمة الأقا سيّد . ٢٠- المحقّق السيّد صدر الدين الهمداني . ٢١- الشيخ محمد هاشم الطبيب . ٢٢- العارف الأقا كمال الدين . ٢٣- الدرويش العالم الشاه كوثر . ٢٤- ابنه الميرزا أبو الحسن . ٢٥- الدرويش نظر علي . ٢٦- الميرزا محمد تقي الطبيب . ٢٧- السيّد حسين بن الأمير رشيد . ٢٨- الشيخ أحمد النحوي . ٢٩ ، ٣٠- ابناه الشيخ هادي والشيخ محمد رضا النحويان . ٣١- السيّد محمد الصقري . ٣٢- العلاّمة السيّد نصر الله الحائري . ٣٣- الشيخ محمد علي الأعسم . ٣٤- الشيخ حسين نجف . ٣٥- الحاج محمد رضا الأزري . ٣٦- الملاّ يوسف الأزري . ٣٧- السيّد إبراهيم العطّار . ٣٨- السيّد أحمد القزويني . ٣٩- الشيخ مسلم بن عقيل الجصّاني . ٤٠- الخان الشهير بالمغل ، وهو ملك من ملوك الهند اختار السكنى في النجف . ٤١- الملاّ محمد صالح الكليدار الخازن . ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤- ابنه الملاّ محمود وأخوه الملاّ سليمان ، وابن عمّهما الملاّ طاهر . ٤٥- الحاج محمد رضا بن الأقا باقر . ٤٦- السيّد موسى المازندراني . ٤٧- السيّد مصطفى نقيب النجف . ٤٨- ابنه السيّد حسين . والقاضي والخطيب والسادة الطالقانية ، وغيرهم .

وكان السيّد الزيني أحد الأعضاء الذين يهمّهم أن يعلو الشجار ويحتدم الصراع الأدبي إلى أطول حد ، كما أثار شخصه كثيراً من المعارك ، فهو ميّال بطبعه إلى إثارة النفوس وتكتّل الأصدقاء ليكثر الإنتاج ويتنوّع . كما أنّ السيّد بحر العلوم كان أيضاً يترأس هذه المعركة ليتمكّن من ضبط ذهنيّتهم عندما تدعو الحاجة ، مع إنّه ليس بأديب متخصّص ولا بشاعر من طراز النحوي وأخدانه ، غير أنّ زعامته الدينية حدت بهؤلاء أن يخضعوا له وإن كان في غير اختصاصه ، وملاحظته لامتلاك نفسية الشعراء وشخصهم كان يهدف من ورائه أمراً جليلاً ، وكان ينفق عليهم المال الوافر من حقوق الله تعالى وحقوقه .

وقد بدأت هذه المعركة في أبسط خلاف ، هو الخلاف على صداقة صديق يدّعي صديقاه أولويته بها وصدقه فيها . كان البادئ بالتعريض هو الشيخ محمد محيي الدين ، فقد كانت بينه وبين السيّد محمد زيني مودّة خالصة ، ومرّ يوماً فوجده غائباً فأرسل له :

بمـا بيننـا مـن خـالص الـود لا نـسلو — وغيـر أحاديـث الـصبابة لا نتلـو
مـررت علـى مغنـاك لا زال آهـلاً — فهـاج غرامـي والغـرام بكـم يحلـو
وعيـشك إنّـي مـا توهّمـت آنفـاً — بعـادك عنّـي أو ربـاع الهـوى تخلـو
ومـا (جعفـر)[1] فـي ودّه الـدهر صـادقاً — وما صادقٌ من لم يكن في الهوى يغلو

وحين بلغ مسامع الشيخ جعفر التعريض بصداقته للسيّد محمد زيني ، كتب له أبيات منها :

لـساني أعيـا فـي اعتـذاري ومـا جـرى — وإن نـال حظّـاً فـي الفـصاحة أوفـرا
ولكنّنـي شـفّعت فيـك مـودّتي — ومحـضي للإخـلاص سـرّاً ومجهـرا
فلـو أنّنـي أهـديت مـالي بأسـره — ومـال الـورى طـرّاً لكنـتُ المقـصّرا
فـدع عنـك شـيخاً يـدّعي صـفو ودّه — فمـا كـلّ مـن يرعـى الأخـلاّء جعفـرا
يريـك بأيـام (الخمـيس) مـودّة — وفـي سـائر الأيـام ينـسخ مـايرى

فردّ الشيخ محمد محيي الدين على الشيخ جعفر بقصيدة ، مستعدياً النحوي ، ومحكّماً السيّد بحر العلوم ، منها :

ألا مَـن لخـلٍّ لا يـزال مـشمّراً — لجلـب وداد الخلـق سـرّاً ومجهـرا
أحـاط بـودّ الإنـس والجـنّ وانثنـى — بـأعلا ثنـا الأمـلاك ودّاً وأبهـرا
ونـال مـن الرحمـان أسـنى مـودّة — فيـا لـك ودّاً مـا أجـلّ وأكبـرا
يجـاذبني ودّ الـشريف (ابـن أحمـد) — سـلالة زيـن الـدين نـادرة الـورى
وهيهـات أن يحظـى بـصفو وداده — وإن كـان بحـراً فـي العلـوم وجعفـرا
أمـستجلباً ودّ الرجـال بنطقـه — أظنّـك ألهمـت الطماعـة أصـغرا
تـروم محـالاً فـي طلابـك رتبـة — بهـا خـصّني البـاري وأكـرم مـن بـرى
فمهلاً (أبا موسى) سيحكم لـي (الرضـا) — وتكـسب بالإلحـاح إنّـك لـن تـرى

---

(١) يعرّض بالشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ، وكان صديقاً لهما .

ألا فاجتهد ما شئت في نقض خلّتي فمحكم إبرامي يريك المقصّرا
فيا أيّها المولى الخليط الذي بغى سينصفني (المهدي) منك فتحضرا
فقم سيّدي للحكم إنّك أهله فديتك أنصفني فقد أحرج المرا

فدخل السيّد بحر العلوم حكماً في النزاع، قال:

أتاك كوحي الله أزهر أنورا قضاء فتىً باريه للحكم قد برى
(محمد) ياذا المجد لا تكترث ولا يروعنّ منك القلب شيخ تذمّرا
فما ذاك إلاّ من مكائده التي عرفن به مذ كان أصغر أكبرا
وإنّك أولى الناس كهلاً ويافعاً بحبّك نجل الطاهرين المطهّرا

إلى أن يقول:

وما أنت إلاّ النفس منّي وإنّها تخالف إن أبدت خلافاً لما أرى
وإنّك أنت النفس منّي وإنّما تعاظمها ما كان عندي ليصغرا
أقمنا على النفس الشهادة حينما أمرنا به في الذكر نصّاً مقرّرا
وإن كان ما جئنا كبيراً فإنّنا رأينا جهاد النفس في الله أكبرا

وحين استمع الشيخ جعفر إلى حكم السيّد بحر العلوم، وهو يشتمل على ناحيتين، أولاهما: التعريض به ونعته بالشيخ المتذمّر وصاحب الكيد الذي عرف به صغيراً وكبيراً، وثانيهما: نعته بأنّه نفسه وخالصته، وحين حكم عليه حكم على نفسه لمقامه منها وكبير منزلته عنده، وإنّه إنّما حكم عليه حكمه استجابة لجهاد النفس، فمن جهاد النفس الحكم عليها حين يقوم برهان على ذلك، لهذا رغب الشيخ جعفر في استئنافه والعدول عنه، متسائلاً: كيف ينعته بالكيد ثمّ ينعته بأنّه نفسه:

جرى الحكم من مولاي في حقّ رقّه ولست لما أمضاه مولاي منكرا
ولكنّه في البين تعرض شبهة يزيد دقيق الفكر فيها تحيّرا
إذا كنت أدعى منك نفساً ومهجة فكيف أداني الكيد أكبر أصغرا

وكيف يدانيني الرجال بمفخر — وقلت من علياك ما كان أفخرا
فلست أرى في النفس عذراً موجّهاً — سوى أنّ كسر النفس أمرٌ تقرّرا
فدع سيّدي ذا الحكم فيّ مداعباً — بل احكم بمرّ الحق يا خيرة الورى

فردّ الشيخ محمد محيي الدين على اعتراض الشيخ جعفر، قوله:

عذيري من شيخ ألمّ به المرا — فعاد إلى أن بات لا يألف الكرى
يخاصمني كلّ الخصام فأرتأي — وأثبت بعد الرأي حجّة ما أرى
يحاول نقض الحكم بعد نفوذه — وهل ينقض الحكم المسجّل إن جرى
أيحكم لي (المهدي) أعدل من قضى — فيثقل حكم الحق فيه فيكبرا
وحكم الرضا والصادق القول بعده — صريح بنصري لو تأمّل لو درى
فإيه بغات الحق إنّي لحائر — لما قد دهى الإنصاف من حادث عرا

هكذا كانت بداية معركة الخميس.[1]

معركة الجمعة

معركة أدبية ضمت مجموعة من أعلام الدين والأدب، منهم: ١- السيّد محمد بن جمال الهاشمي الگلپايگاني المتوفى سنة ١٣٩٧هـ. ٢- الشيخ محمد رضا المظفّر المتوفى سنة ١٣٨٤هـ. ٣- الشيخ محمد بن صادق الخليلي المتوفى سنة ١٣٨٨هـ. ٤- الشيخ قاسم بن حسن محيي الدين الجامعي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ. ٥- الشيخ محمد كاظم ابن الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي. ٦- الشيخ محمد طاهر بن الشيخ عبد الله آل الشيخ راضي المتوفى سنة ١٣٩٤هـ، والأخير اختير فيها حكماً من قبل أعضاء هذه المعركة، وهو عالم جليل، وأديب معروف، وشاعر مجيد، ومن أعلام هذه الأسرة، وأحد الأفذاذ الذين يفخر بهم، فهو إلى جانب فقاهته رقيق الروح، وإلى جانب تقواه مرن السيرة،

---

(١) دوحة الأنوار في الرائق من الأشعار. معارف الرجال: ٣٣٢/٢. شعراء الغري: ٢٣٧/١٠. الحالي والعاطل: ١٢٥-١٢٧.

يلتمس الظرف والدعابة ولكن ضمن أطار محكم من الاتزان وحسن السمت. ومن ألوان دعابته هذه الأرجوزة التي نظمها على أثر اختياره حكماً في هذه المعركة:

حمداً لمن لا ينتهي علاه ... لم يحص حقّ حمده سواه
ثم صلاة الله خالق البشر ... على محمد وآله الغرر

إلى أن قال:

والرأي كالطبع فقد يختلف ... فميّزوا إنْ شئتم واستأنفوا
لستُ محكّماً بما قد حكموا ... وإنّما أنظر فيما نظموا
أميّز المحكم من آياته ... وأترك الرأي على علاته
لا أتخطّى أدباً إلى النسب ... وقول لا أعلم من حسن الأدب
لا أتعدّى من حدودي خطرا ... معرفة فكيف أنساب الورى
فخُذْ إليك ما إليه أذهب ... ولا أبالي أرضوا أم غضبوا
إنّي رأيت رجزاً مستحسناً ... لكنّ فيه حسناً وأحسنا
تجمعه الرقّة وهو شتّى ... وما تساوى جهة وسمتا
تختلف الغصون في مهواها ... وإنْ جذراً واحداً حواها
رجز (الجواد) تحفةٌ من تحفه ... وهذه بعض لئالي صدفه
قد راق لي كرقّة الصهباء ... في طرف المدح أوالهجاء
لكنّه لقد أجاد حين قص ... فإنّه قصّ فأحسن القصص
أحصى فكان ريشة المصوّر ... أو ككتاب الله يوم المحشر
أظنّه من دقّة الأوصاف ... إنْ يحك صوتاً فكفونغراف
وجاء ثالثاً كمن قد صلّى ... أو كالذي من بينهم قد جلّى
بينهما وبينه الفرق اختفى ... يُدركه الذوق إذا تفلسفا
لم قال قد أخرس بعد نادى ... وما أرى في هذه أجادا

قد فزع الخرس على النداء ... في ظاهر السباق والإنشاء
فكان تفريعاً لديّ غامضا ... وكاد أن يساوق التناقضا
والحكم هكذا أرى فيما نظم ... أنّ بها الرابع شاعر العجم
وكان ما يدور في خيالي ... أنّ المجلّي الشاعر (الجمالي)
وإنّه عندي لشاعر بحق ... لكنّه في ذا السباق ما سبق
أطال لكن لم يجد هزلاً وجد ... حبل تمام طال لا حبل مسد
وقد رأيت معجزاً (محمدا) ... يعالج الروح ويشفي الجسدا
وإنّ عندي النطس (الخليلي) ... طبيب نبض وطبيب قيل
نظّمها أرجوزة لطيفة ... رقيقة رشيقة لطيفة
أرسلها مملوءة ترسّلا ... ترفع إحساناً وتلقى مثلا
لم أر فيها مأخذاً له غلط ... لكنّها كانت من الشعر الوسط
قد جار سكّيتاً وقد كان حسن ... فكيف لا وإنّه جدّ حسن
واعتزل (الرضا) بها التسابقا ... والظنّ لو أتى لكان السابقا

وممّا حفظ من معركة الجمعة قصيدة للشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي قالها معقّباً على المأدبة الماشية التي أقيمت في هذه المعركة عقيب قراءة الشيخ قاسم محيي الدين لمنظومة نسبه، قوله:

الحمد لله العليّ الأكرم ... ومنشئ الوجود بعد العدم
وبعد إنّي ناظمٌ أرجوزه ... معدودةً أبياتها وجيزه

وفيها:

تثبت أنّ قاسماً نجل الحسن ... ما بيننا الغرّة في وجه الزمن
فاق الأنام بعلوّ الهمّه ... وامتاز فيهم بعلوم جمّه
من أدبٍ سامٍ ومن معارف ... يقصرُ عنها وصفُ كلّ واصف
و (شعره المقبول) أقوى حُجّة ... لمن أراد واضح المحجّة

إلى أن يقول:

إنّي سمعت ما دهاني سمعه ... من حادث عزّ عليّ وقعه
إنّ هناك من بني الفضل فئه ... سَعَتْ لنور (شالخ) أن تطفأه
فلفّقوا ما استحسنوا تلفيقه ... والناس تأبى ذاك والحقيقه
كأنّهم لم يقرأوا علم النسب ... ولم يطالعوا (سبائك الذهب)
وهو لعمري خير تأليفٍ ظَهَر ... يفوق في تحقيقه كتب السير
فأنكروا ما أثبت التاريخ ... بأنّ سيّد السورى (أخنوخ)
وأنّ (منشولخ) من ذريّته ... معجونة طينته بطينته
وأنّ (شالوخ) أخو (أرفخشد) ... والكلّ منهم سيّد من سيّد
وأنّهم أولاد آدمٍ أبي ... وكلّ من ينكر ما قلت غبي
هذا لعمري نسبٌ صراح ... ينحطّ دون قدره الضراح
كفاك يا قاسم عندي مفخره ... أنّ قريشاً فرع تلك الشجره
وهم كما علمت سادات العرب ... أنت وإيّاهم سواءٌ في النسب
فافخر بهم ودُمْ بعيشٍ أرغد ... رغم أنوف الشامتين الحُسّد

معركة الأربعاء

خصّص يوم الأربعاء من كلّ أسبوع لزيارة السيّد مير علي بن عباس أبو طبيخ النجفي المتوفى سنة ١٣٦١هـ، وكان قد أقعده المرض ولازم البيت كسيحاً، ولم يعد يوم الأربعاء مقتصراً على زيارته فحسب، وإنّما صار يتنافس في الأدباء بالشعر والنثر، كما دأب بعض خواصّه وصفوته على أن لا يتركوا دار السيّد مير علي مع من يتركها من بقية الزائرين في يوم الأربعاء، وكان منهم: الشيخ حسين الحلّي، والسيّد علي بحر العلوم، والشيخ محمد حسين المظفّر، والشيخ محمد جواد الحچامي، والشيخ محمد حسين الجواهري، والشيخ كاظم علي بيك، والشيخ عبد الحسين الحلّي، والشيخ محمد حسن

حيدر ، وغيرهما . واختير السيّد مير علي حكماً لأصدار الأحكام بين الأدباء .

وصار يوم الأربعاء من تلك الفترة من أشهر أيام النجف المعروفة ، وقد أشار إليه الكثير ممّن رثى السيّد مير علي ، وكان منهم إبراهيم الوائلي ، قوله :

منتدى العلم في الغريّين ... أخفى الموت رمز الفخار من أعضائه
شاعر مرهف الأحاسيس ليس ... البعض من ندّه ومن أكفائه
حدّث الناس عن سواه فصولاً ... وحديث الزمان عن (أربعائه)

الندوات الأدبية

والندوات الأدبية التي عرفتها مدينة النجف واشتهرت بأسماء أعلامها وأدبائها كثيرة ، وإليك ما وقفنا عليه من هذه الندوات :

ندوة الشيخ أحمد بن الشيخ حسن بن علي الخيّاط الشهير بالنحوي المتوفى سنة ١١٨٣هـ ، نال الزعامة الروحية والأدبية ، وكان قطب دائرة العلماء والشعراء ، أصبحت داره ندوة علم وأدب حافلة بأدباء النجف والحلّة وبغداد وجبل عامل وغيرهم .

ندوة السيّد أبو الحسن بن السيّد صالح بن محمد المعروف بشرف الدين العاملي المتوفى سنة ١٢٧٥هـ ، كان عالماً محقّقاً فقيهاً أصولياً ، يقيم في النجف وتملّك داراً فيها كانت ندوة أدب وعلم حافلة بالعلماء وأهل الفضل والشعراء ، وكان ذا ثراء بالغ يملك أرضاً زراعية في بلاده يصرف أغلب نمائها على الضيوف والأدباء والشعراء حيث يقصدونه فيفضل عليهم .

ندوة الحاج باقر بن عبد الكريم الدشتي الكتبي الذي كان حيّاً سنة ١٢٧٩هـ ، كان رجلاً أديباً عارفاً متتبّعاً لأخبار أهل البيت عليهم السلام والسير والتاريخ ، وكان ورّاقاً يبيع الكتب في إيوان من الصحن الشريف ، أصبح إيوانه ندوة أدبية معروفة تجتمع فيه الأدباء والشعراء وأهل الفضل .

الندوة البلاغية

هي ندوة الشيخ طالب بن عباس بن إبراهيم البلاغي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ. وقد ذاع صيت الشيخ البلاغي وانتشر فضله وأصبح ناديه كعبة للقصّاد وأرباب الفضل، وعرف من أصدقائه ومشاركيه في الفضيلة جمع من الأعلام، منهم: ١- السيّد صالح القزويني البغدادي. ٢- الشيخ عبد الحسين محيي الدين. ٣- الشيخ باقر الكاظمي. ٤- الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي. ٥- السيّد كاظم بن أحمد الأمين العاملي. ٦- الشيخ موسى شريف محيي الدين. ٧- الشيخ عباس بن ملاّ علي البغدادي. ٨- الشيخ صالح حجّي الكبير. ٩- الشيخ أحمد البلاغي (خاله). ١٠- الشيخ إبراهيم قفطان. ١١- السيّد محمد بن معصوم القطيفي. ١٢- عبد الباقي العمري. ١٣- الشيخ أحمد قفطان.

وكان هؤلاء يشكّلون أعظم ندوة أدبية شهدها عصرهم، فقد أكثروا من المساجلات والحلبات، ونهضوا بالأدب العربي في القرن الثالث عشر الهجري نهضة محسوسة.

قال الشيخ إبراهيم صادق العاملي: إنّ البلاغي لما كان مشتملاً على صفات نهبت من النسيم لطفه، ومن الغصن الرطيب عطفه، وجامعاً لكمالات أعيت من تقدّمه ومن يجيء خلفه، وألبسته برد بهاء لن يبلغ قلم البليغ وصفه. لا جرم أن طبعت على محبّته حبّات قلوب علماء الغري، وجبلت على مودّته ذات كلّ ذي فضل جلي وأدب سري، حتى لقد جرت محبّته في نفوس أحبّائه مجرى الأرواح في الأشباح، وامتزجت مودّته في طبايع أخلاّئه امتزاج الراح بالماء القراح، يتلذّذون بمنادمته تلذّذ من تجلّت عنه غيوم غمّه، ويستأنسون بمسامرته استأناس الرضيع بلبن أمّه، لا يستقرون في مجمع لم ينتظم فيه بسمط اصطحابه، ولا يتألّفون إلى مجلس لم يكن ذلك الجناب من أصحابه.

وقال العاملي: وفي عام ١٢٦٢هـ وقع جدار من أعلى بناء في دار صفوة العلماء الأتقياء الأخيار الشيخ طالب البلاغي سلّمه الله تعالى، فأصاب ذلك الجدار عند وقعه قنة رأس ذلك الشيخ الجليل وأثّر في هامته كلماً عظيماً، سالت الدماء منه أيّ مسيل،

حتى لقد خشي عليه من ذلك أن يرد - أعاذه الله - مورد المهالك ، وقد تألّم لألمه جميع العلماء ، وتصدّع بما أهريق من دمه كافة الأحبّة والأخلاّء ، وجعلت الناس مع اختلاف طبقاتها تختلف لعيادته في جميع أوقاتها . ولقد كنت ذلك الوقت أكثر الأحباب حرصاً على ملازمته وأشد الأصحاب حبّاً لتسليته ومنادمته ، فتارة أونسه بذكر لبنان وما في رياضه من الرند والبان ، وأخرى أسلّيه بقراءة الشعر المليح والنثر الموشح بخمايل القيصوم والشيح ، وهو إذ ذاك يطرب للغزل في الديار ، ويهش للتشبيب في الغانيات الأبكار ، ويرتاح لاستماع الهزل والمجون ، كما يرتاح البطل الشجاع للحرب الزبون ، ويكره من الشعر ما اشتمل على موعظة أو رثاء ، وربّما مال في بعض الأحوال إلى ما فيه نوع تلميح أو هجاء ، وما زلت معه هكذا مساءً وصباحاً وغدوّاً ورواحاً ، حتى مضت لنا على ذلك أيام كأنّها أحلام ، عرضت لي لبانة شغلت بها عن ورودي إليه ووفودي عليه ، فظنّ أنّ انقطاعي عنه كان لسأم وأغراض ، ولم يكن لغرض غير ذلك من الأغراض ، فأنشأ عدّة مقطوعات على سبيل الارتجال وبعث بها إلي . وإليك بعض الأبيات من كلّ مقطوعة ، قال في الأولى :

لو كان يعلم نجل صادق ما بي ... لأزال ذياك الخليط عذابي
يدري فدته نفوس أرباب النهى ... أنّي من الوجد القديم لما بي
فلكم قضيت زمان أنس قد مضى ... في عامل مع جملة الأحباب
هلاّ رعى للمستهام بعاملٍ ... أيام شرخ شبيبة وتصابي

ولمّا استبطأ منه الجواب كتب إلى السيّد صالح القزويني والشيخ أحمد خاله ، يشكو إليهما جفاءه في اليوم الثاني ، قال فيها :

إنّي لأقسم بالسفيح وصحبه ... وبطيب عيشٍ مرّ بي في جنبه
وبمجد مولانا أبي المهدي من ... قد كدت أن أقضي أسىً من حبّه
وبخالنا ذاك البلاغي الذي ... لا زال مجتهداً بخدمة ربّه

إنّ ابـن يحيـى العـاملي أخـا النهـى   خـان العهـود ولـم يكـن مـن دأبـه

إلى آخر الأبيات

ولمّا استبطأ في اليوم الثالث الجواب نظم المقطوعة الثالثة يتظلّم منهما ويشركهما في العتاب، منها:

سـعد بلّـغ جيرتـي منّـي السـلاما   واشـتياقاً وولوعـاً وهيامـا

قـل لهـم ياسـعد هـل مـن زورة   تشفي مـن مضنى الحشى يوماً أواما

وابلغـا صـالح إنّـي عبـده   وغرامـي فيـه قـد كـان لزامـا

يـا أبـا المهـدي يـا حلـف النـدى   وربيـب المجـد مـذ كـان غلامـا

رام إدراكـك فـي الجـود كـرا   م ولعمـري أنـت أتعبـت الكرامـا

كنـت تـأتيني وتـشفي علّتـي   فعـلام الهجـر مـولاي علامـا

وأنشأ المقطوعة الرابعة وبعثها إليه في ذلك اليوم على إثر ما تقدّم، ورد فيها:

الله يعلـم والنبـي محمـد   والطهـر حيـدرة وبـاقي ولـده

إنّـي لـصالح قـد محضت مـودّتي   فلـذا أنـا عبـد لـه ولعبـده

أفـدي أبـا المهـدي والمـولى الـذي   بعـد الوصـال أذاقنـي مـن بُعـده

وكذاك أشكو من جفا (الخال) الذي   مـنح الجفـاء بجـدّه وبجهـده

قـد كـان يؤنـسني برؤيـة وجهـه   لمّـا أذاق الـصب لاعـج وجـده

ثـمّ ابلغـا عنّـي التحيـة ماجـداً   كـلّ الأماجـد أكـسبت مـن مجـده

نجل ابـن يحيـى العـاملي أخـو الوفـا   مـوليّ وفـى للمـستهام بوعـده

وقد بعث إليه المقطوعة الخامسة بعد ما تقدّم بفاصل قليل، منها قوله:

عجبـت لمـن قـد أجمعـوا أنّ حاتمـاً   كـريم البرايـا مالـه مـن مماثـل

ولـو نظـروا سـبط النبـي محمـد   لقـالوا بأنّـا لـم نقـل غيـر باطـل

فمـا حـاتمٌ قـد كـان يـشبه صـالحاً   ولا كـان يحكـي منه بعض الشمائل

بنفسي أبا المهدي والماجد الذي ... سرى جوده كالشمس بين القبائل

إلى أن يقول :

يميناً بربّ الجود صالح والذي ... إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
وبالندب إبراهيم والمصقع الذي ... ترى عنده سحبان شهباً لباقل
بأنّ لنا خالاً أضاع حقوقنا ... وأكثر أفديه مقال العواذل
فيا أحمداً رفقاً بمهجة مغرم ... يرى أكبر الأشياء بعض التواصل
يميناً بودّ صادق أنّ حبّكم ... بجسمي جرى مجرى دمي في مفاصلي

وذكروا أنّ في عام ١٢٥٢هـ مرض الشيخ طالب البلاغي فزاره إخوانه وتلامذته وعارفوا فضله ، وصار مجلسه ندوة علمية أدبية إلاّ خاله الشيخ أحمد البلاغي فلم يزره ، فنظم له هذه الأبيات وبعثها إليه معاتباً إيّاه على انقطاعه عنه وعدم رؤياه له ، منها قوله :

يامحيياً ميت النوال لوفده ... ومميت حي العسر أيسر رفده
خوّلت رقّك نعمة لم يستطع ... شكراً لها لو جدّ غاية جدّه
لو كان ما بك من أذى في قلبه ... ما كان إلاّ كالرحيق وبرده
لم يجفك الخال الذي سنّ الوفا ... وسما على هام السماك بمجده
نزلت به الجلّى فأقذت جفنه ... وبقلبه شبّت لواعج وجده
الله يعلم أنّه دون الورى ... أصفاك عمر الدهر خالص ودّه
عجباً على ما أنت فيه من الوفا ... تعزي الجفاء لذي الوفاء بعهده

ولمّااطّلع على هذه الأبيات السيّد صالح القزويني البغدادي ، وكان صديقاً للخال وابن أخته أجابه بهذه القصيدة أجابه بقصيدة طويلة معتذراً بها عن الشيخ أحمد وبعثها إلى الشيخ أحمد ، منها :

ما راقه زهر الربيع ووردهِ ... كلاّ ولا استنشقت نفحة ورده
قسماً بصبح جبينه وجماله ... وبليل طرّته وعنبر جعده
وبقوس حاجبه ونبل جفونه ... وحسام عينيه وذابل قدّه

وبسحر مُقلته وعقرب صدغه ... ولهيب وجنته وجمرة خدّه
وخيال أهداب الجفون بخدّه ... وبنقطة الخال الذي في ورده
وعقيق فيه بل بلؤلؤ ثغره ... وببرد خمر رضابه وبشهده
وبقلبه القاسي ورقّة خصره ... وبشمس طلعته وكوكب سعده
وبغصن قامته ولين قوامه ... ودجى غدائره ونضرة نهده
وبقربه بعد البعاد ووصله ... بعد الصدود لودّه وبودّه
وبجيده متلفّتاً وحديثه ... خجلاً بحلّ وداده وبعقده
وبذعره غنجاً وفرط دلاله ... تيهاً وفاتك لحظه في غمده
وبرغمه اللاحي ولوعة رغمه ... وبردّه الواشي وخيبة ردّه
وبأمنه عين الرقيب ورشفه ... ثغر الحبيب لدى توسّد زنده
وبنظم عقد خطابه وعتابه المـ ... ـزري على نظم الجمان وعقده
وبطيب ريّاه إذا استنشقتها ... وشذا تحمّله الصبا من عنده
إنّ اللسان لقاصر عن مدح مَن ... نيطت تمائم مجده في مهده

ومن أندية النجف :

ندوة الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبود بن محمد علي الدجيلي المولود سنة ١٢٩٠هـ ، وهو فاضل متعبّد يعلوه النسك والوقار ، ذو أخلاق حميدة ، لم تزل داره في النجف ندوة حافلة بأهل الفضل والعلماء والأدباء .

ندوة الشيخ سالم بن محمد علي الطريحي المتوفى سنة ١٢٩٣هـ ، أحد أشهر الأدباء في النجف ، وكان ناديه يضم النخبة الصالحة من أدباء النجف وعلمائها . ولد سنة ١٢٢٤هـ ، ونشأ على أبيه في جو علمي أدبي فعني بتدريسه ، وأصبح من أهل الفضل ، وكان ناسكاً قاسم ماله بعض إخوانه لوجه الله تعالى . وفي عام ١٢٧٥هـ قصد بيت الله الحرام وعاد إلى النجف ، وقد نظم في ذلك أرجوزة وصف فيها رحلته والمواقع التي مرّ عليها ، وهي طويلة وقد فقدت .

من طرائفه أنّ الشيخ عبد الحسين الطريحي أهدى له تتناً (تنباك) في قرطاس وكتب إليه : إنّي أرسلت لك من أفخر أنواع التتن . فلمّا وصل إليه لم يجده طبق وصفه ، فأجابه بقوله :

تتناً إليّ بعثته لو أنّه ... بالتبن يدعى كان عندي أجدرا
إن راق منظره فكم ذي منظرٍ ... حسنٍ ولكن لا يُباع ويُشترى
وكذاك أبناء الزمان فمنهم ... من راق منظره وساءك مخبرا

ندوة الشيخ محمد النقّاش المتوفى سنة ١٢٩٥هـ ، هو أحد الأذكياء الذين نالوا مكانة في مجتمعهم ، وكان مرموقاً بين أعلام الأدب مع كونه لم ينل أي حظ من العربية والدرس سوى ما كان يسمعه من جلاّسه الفضلاء الذين يحوطونه كلّ يوم في إيوانه في طرف القبلة من الصحن الشريف ينقش الخواتيم لأربابها ليتعيش من هذا الكسب . وكانت أبرز ظاهرة فيه خلقه المتسامي ولطف طبعه الذي كان يدعو إلى تهافت الأدباء على الجلوس معه ، ولسمو نفسه لم يتنازل أن يجعل من الأدب بضاعة يعرضها على غير أهلها مع ما لحقه من فقر قد يدعوه إلى ذلك ، وقد ساجل فريقاً من الأدباء ودخل الحلبات غير مرّة فوفّق .

له تشطير أبيات السيّد حسين بحر العلوم في السماور ، وهي :

نديم كلّما أجّجت ناراً ... به شوقاً يؤانسني بفن
ومهما الماء يصغي للندامى ... بأحشاه غدا طرباً يغنّي
يغنّي ثمّ يسقيني كؤوساً ... معسّلة المذاق بغير منّ
ويطربني بصوت (معبدي) ... ألا أفديه من ساقٍ مغنّي

ندوة الشيخ حسين بن الشيخ أحمد بن عبد الله الدجيلي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ ، كان عالماً فاضلاً ، وأديباً شاعراً معروفاً ، كانت العلماء والأدباء ترغب في مجلسه ، منهم صديقه الفاضل الأديب الشاعر الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي المتوفى سنة ١٢٨٨هـ .

ندوة السيّد حسين بن رضا بن السيّد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٠٦هـ، هو من أعاظم العلماء، وأكابر الفقهاء، أديب ناثر، وشاعر ماهر، له ديوان شعر أكثره في مدح ومراثي آل البيت عليهم السلام، وشعره دون شعر ولده السيّد إبراهيم، وله ندوة أدبية يتّضح من قصص أعضائها امتيازه على معظم شعراء عصره. أصيب بفقد بصره ويأس منه الأطباء، فغادرهم قاصداً زيارة الإمام الرضا عليه السلام، فلمّا شارف عليه السلام الحضرة الشريفة أنشد قصيدته الرائية، فانجلى بصره، قال فيها:

كم أنحلتك على رغمٍ يد الغير   فلم تدع لك من رسمٍ ولا أثر

إلى أن يقول:

قصدت قبرك من أقصى البلاد ولا   يخيب تالله راجي قبرك العطر
رجوت منك شفا عيني وصحّتها   فامنن عليّ بها واكشف قذى بصري
حتامَ أشكو سليل الأكرمين أذى   أذاب جسمي وأوهى ركن مصطبري
صلّى الإله عليك الدهر متّصلاً   ما أن يسحّ سحاب المزن بالمطر

ندوة الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن بن أحمد الشرقي المتوفى سنة ١٣٠٩هـ.

وصف السيّد الأمين ناديه الأدبي بقوله: ولمّا شبّ أعطاه الله الحكمة وتزعّم الحركة الأدبية في عصره، فكان ناديه إضمامة من شتّى ورود الأدب، ومجلسه حديقة للفضل، استكنّ إلى ظلّه الأدباء، وتفيّأ ظلاله العلماء، ولم تحدث مشكلة أدبية أو لغويّة أو عويصة علميّة إلاّ وكان قوله الفصل، وكان مرشّحاً للزعامة العامة ولكن اخترمه الأجل.

ندوة الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن إبراهيم الربعي المشهدي المتوفى سنة ١٣٠٩هـ، كان معروفاً بالعلم والفضل والفقاهة، وكانت داره في محلّة البراق حافلة بالوفود ووجوه أهل البلد والفقراء، وندوة علمية أدبية يحتفل فيها الشعراء والأدباء.

ندوة الشيخ عباس بن عبد السادة الأعسم المتوفى سنة ١٣١٣هـ، كان ناديه من الأندية المعروفة في النجف بقوّة الإنتاج وكثرة المعتكفين فيه من ذوي الفضيلة من

آل بحر العلوم وآل صاحب الجواهر أخواله ، كما إنّه كان يخلق الأجواء التي تولد الشعر والشعراء ، وسيأتي في سنة وفاته ١٣١٣هـ ماله صلة بترجمته .

ولمّا كانت سنة ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م اختار العزلة والانطواء بعد أن تضخّمت شخصيّته وانتشر صيته في العلم والأدب ، فهاجر من النجف إلى الحيرة حيث الصلات الوثيقة بينه وبين أصدقائه السادة آل زوين ، وقد بنى له داراً فخمة فيها وكانت أكثر أوقاته تقضى في دارهم التي كانت صدى لأندية النجف يومذاك نظراً لصلة أهلها بالأدب ، كما أنّ منهم أدباء وعلماء كالسيّد أحمد بن حبيب زوين المتوفى سنة ١٢٦٧هـ ، والسيّد جعفر ابن حسين بن حسن زوين المتوفى سنة ١٣٠٧هـ ، فكان الشيخ الأعسم يتمتّع بنفوذ وقوّة وإكبار من قبل مختلف الطبقات نظراً لمقامه العلمي والأدبي والقبلي .

وقد مُدح الشيخ عباس الأعسم بكثير من الشعر عن طريق المراسلة من قبل أعلام معروفين ، منهم ابن أخته السيّد محمد سعيد الحبوبي ، فقد بعث له بقصيدته المعروفة المثبتة في ديوانه والتي مطلعها :

خطرت فجدّ وشاحها بخفوق ... فكأنّها اتّشحت بقلب مشوق

وفيها يشير إلى لطفه عليه بقوله :

والفضل للمولى أبي الفضل الذي ... أرسى مضاربه على العيوق
لي من مكارمه أبرّ أبوّة ... بررّت ولو قابلتها بعقوق
أمسدّدي للقصد أمّا رافعاً ... علماً وأمّا مرشدي لطريق
لي عندكم أبداً حشاشة عالق ... وحنينها أبداً حنين علوق
وجهٌ كمنبلج الصباح وراحة ... تزري بصوب المزنة المدفوق
حاولت كنه علاك أعمل فكرة ... فرمقت شأواً ليس بالمرموق

ندوة السيّد حسين بن مهدي بن حسن الحسيني القزويني المتوفى سنة ١٣٢٥هـ ، وهو عالم فقيه جامع ، وشاعر أديب لامع ، له ندوة أدبية يحضرها أهل الفضل وبعض

العلماء وأدباء النجف والحلّة وشعرائهم . ومن طريف ما ورد في هذه الندوة ماحدّث به السيّد صالح بن السيّد مهدي البغدادي المعروف بأبي الطاپو ، أنّهم كانوا حاضرين ذات يوم في تلك الندوة الأدبية ، وإذا بحمام أشرف على مجلسه وأخذ يذرق على الفراش ، وكان السيّد مهدي البغدادي والده من جملة من حضر من الشعراء ، فأنشأ يقول مخاطباً صاحب الندوة :

أتعجب للطير إذ رفرفت	بمغناك ممسيّة مصبحه
رأتك سليمان هذا الزمان	فصفّت على رأسك الأجنحه

ندوة السيّد مهدي بن محمد بن حسن البغدادي الشهير بأبي الطاپو المتوفى سنة ١٣٢٧هـ ، وهو من أهل العلم والفضيلة المرموقين ، وشاعر أديب معروف ، كانت داره في النجف ندوة أدبية تضمّ طائفة كبيرة من أعلام شعراء النجف والحلّة وبغداد والحيرة .

ندوة الشيخ محمد جواد بن راضي الزابي المعروف بحجّي المتوفى سنة ١٣٣٣هـ ، وهو خطيب أديب ، حسن الصوت قوي الحافظة عارفاً برواية الشعر ، تولّع بسرد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، ولد في النجف ونشأ بها ، وكانت داره ندوة أدبية يومية يجتمع فيها فريق من الشباب لقرض الشعر وعرض الخواطر الأدبية ، وقد انقرض ذلك الفريق بأجمعه بداء السل نظراً للاختلاط الذي يقومون به في الأكل والشرب . من شعره في دار سكنه :

هذه الدار ازيّنت فرحاً	وتجلّت بهجةً للناظرين
كتب السعد على أبوابها	(فادخلوها بسلامٍ آمنين)

ندوة الشيخ علي شرارة الكتبي الذي كان حيّاً سنة ١٣٣٥هـ ، أديب فكه رقيق ، يرصد النكتة ويبدع فيها ، ويكثر من الجدل والنقاش حول معرفة مغازي الأبيات التي يعسر فهمها على المتأدّبين أو الأدباء غالباً ، وكانت له غرفة تقع في الزاوية الجنوبية للصحن الحيدري الشريف عن يمين الداخل من باب القبلة ، يبيع فيها المطبوعات

الإيرانية والمخطوطات من كتب الدراسة والأخبار والأدب ، ويجلّد الكتب ، وبذلك عرف بالكتبي ، وقد أصبحت هذه الغرفة منتدى للشعراء الذين عاصروه ، وهم : السيّد إبراهيم الطباطبائي ، والسيّد جعفر الحلّي ، والسيّد محمد سعيد الحبوبي ، والشيخ عبد الحسين الحويزي ، والشيخ محمد السماوي ، والشيخ محمد جواد الجزائري ، والشيخ محمد رضا الشبيبي .

من قصيدة له يرثي علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام ، قوله :

إذا ما صفاك الدهر عيشاً مروّقا   أصابك سهم الدهر سهماً مفوّقا
فلا تأمن الدهر الخؤون صروفه   حذاراً وإن يصفو لك الدهر رونقا
وجار على سبط النبي بنكبة   فأردى له ذاك الشباب المؤنّقا
على الدين والدنيا العفا بعد سيّدٍ   شبيه رسول الله خلقاً ومنطقا

ندوة الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن عبد الله حرز الدين المُسلمي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ ، وهو فقيه فاضل ، مؤرّخ له الاطلاع الواسع ، كان مجلسه مكتضاً بالعلماء وأهل الفضل والأدب والشعراء والوجوه ، حتى اشتهر في النجف أنّ داره ندوة أدب للأدباء والشعراء ، كالسيّد جعفر الحلّي ، والسيّد مهدي البغدادي المعروف بأبي الطابو ، وأدباء السادة آل زوين ، والسادة آل الطالقاني ، ونظائرهم .

ندوة الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين الغنامي المتوفى سنة ١٣٥٠هـ ، وهو خطيب وأديب معروف .

ندوة الشيخ مهدي بن داود بن سلمان الحجّار المتوفى سنة ١٣٥٨هـ ، عالم فقيه من أهل الفضيلة والكمال والعرفان ، وشاعر أديب ، ولغوي مهذّب عرف بحدّة الذكاء وقوّة الحافظة . نظم الشعر وهو ابن خمس عشرة سنة ، وبرز بين أخدانه وهو بعد لم يبلغ الحلم ، وكانت له حلقة أدبية تضم العشرات من الشباب الذين كانوا يرجعون إليه في فصل الخصومات الأدبية ، فبصّرهم بكثير من أسرار الأدب ونظم الشعر وبسطه لهم .

من شعره أرجوزة في حديث الكساء ، منها :

صلّوا على الخمسة أصحاب العبا ... أفضل خلق الله أمّاً وأبا

روت لنا البتول خير القصص ... حديث سبطيها وطه والوصي

ندوة السيّد محمد رضا بن علي آل الصافي الموسوي المتوفى سنة ١٣٦١هـ ، وهو سياسي قدير ، وأديب رقيق ، أقام لأسرته نادياً أدبياً أصبح من النوادي المعروفة في النجف بين نوادي الأسر النجفية .

ندوة الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمود الشهير بذهب المتوفى سنة ١٣٧٤هـ ، أديب معروف ، وشاعر رقيق ، ونحوي بارع ، أصبح من الأدباء الذين يرجع إليهم في بعض الخصومات الأدبية لتركّزه في فهم اللغة ووقوفه على وجوه القواعد العربية ، وقد جرت له مساجلات مع فريق من أخدانه الأدباء عندما كانت داره الواسعة[1] منتدى لذوي الفضل من إخوانه ، كالتي جرت بينه وبين صديقه الشيخ باقر الشبيبي ، فكانت من المساجلات الرقيقة .

ندوة الشيخ قاسم بن الشيخ حسن بن موسى محيي الدين المتوفى سنة ١٣٧٦هـ ، كان فيها : الشيخ محمد رضا المظفّر ، والشيخ محمد كاظم آل الشيخ راضي ، ومحمد الخليلي ، والسيّد هادي فياض ، والشيخ محمد جواد آل الشيخ راضي ، والسيّد محمد جمال الهاشمي ، وغيرهم .

ندوة الحاج مرهون بن حسن بن درويش الصفّار المولود سنة ١٣١٥هـ ، أديب مرهف الحس حاد الشعور ، ولعقيدته الدينية أثر بارز في شعره ، فقد ناح الحسين عليه السلام بدواوين من الشعر الشعبي . وكانت داره ملتقى الكثير من الإخوان والأصدقاء ، ولميله إلى الأدب والأدباء أصبحت كندوة تعقد في ليلة الجمعة من كلّ أسبوع عدا المناسبات الأخرى ، وكان مجلسه يجمع مختلف الألوان ، فالعالم إلى جنب الأمّي ،

---

(١) هي دار واسعة معروفة اشتراها منه الإمام السيّد أبو الحسن الأصفهاني بتسعة آلاف روبية .

والفصيح إلى جنب العامي ، وهكذا كان يحكي خلق صاحبه واتّساع أفقه ، وكما كان ينظم شعره باللغتين الدارجة والفصحى كذلك كانت ندوته تضم شعراء الفريقين.

من شعره ناقداً فيه شباب جيله :

سكنوا الملاهي والمقاهي بعدما ... تركوا المدارس والنوادي والأدب
سكتوا عن الإرشاد فيما بينهم ... مُذ طبّقوا (إنّ السكوت من الذهب)

ندوة الشيخ كاظم بن عبد الجواد بن حسين التستري المعروف بالخطّاط المولود سنة ١٣٢٤هـ ، أديب مرهف الحس يمتاز أدبه بحسن النكتة وإرصادها ، وقد أتقن صناعة الخط على تلامذة أبيه فبرع فيه ، كما دأب على دراسة مقدّمات العلوم من أدبية ودينية . وكان يقيم في الغرفة الملاصقة لباب القبلة عن يمين الداخل للصحن الحيدري الشريف ، فكانت معهد أدبي وأخلاقي يؤمّها يوميّاً عشرات الأفاضل والأدباء ، يديرها الشيخ كاظم كأديب مفن يعجب الجليس بحسن حديثه وتصرّفه وعقله وإدارته ، وكانت تلك الغرفة التي لا تتعدّى تسميتها مقبرة كحديقة نضرة لوجوده فيها ، ونكاته التي تموج الجليس كانت تدفع بالأدباء إلى زيارته والجلوس عنده . ستأتي له أبيات يؤرّخ فيه عام تأسيس مشروع للماء في النجف سنة ١٣٤٧هـ.

الجمعيات الأدبية

جمعية الرابطة الأدبية

هي مؤسّسة تولّى الشيخ صالح بن الشيخ عبد الكريم الجعفري المولود سنة ١٣٢٥هـ ، مع مجموعة من أدباء النجف تأسيسها ، وذلك عام ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م ، كما تولّى عمادتها السيّد عبد الوهاب بن محمد الصافي المتولّد سنة ١٣١٨هـ ، واستمرّ الجعفري يديرها لفترة طويلة ، اتّصل في خلالها بمعظم الصحف والمجلاّت العراقية والعربية ، ونشر الكثير من إنتاجها الأدبي . ومن أعضائها : السيّد محمود بن حسين بن محمود الحبوبي المتوفى سنة ١٣٨٩هـ كسكرتير للرابطة ، والشيخ محمد علي بن يعقوب بن

جعفر اليعقوبي المتوفى سنة ١٣٨٥هـ، والشيخ جواد بن الشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي، والشيخ عبد الرزّاق بن الشيخ أمان بن جواد محيي الدين العاملي المولود سنة ١٣٢٦هـ، والشيخ محمد حسن بن الشيخ خليل العاملي الصوري المولود سنة ١٣٢٨هـ، والأستاذ محمد علي البلاغي صاحب مجلّة "الاعتدال". وانتخب الشيخ اليعقوبي عميداً للجمعية بعد استقالة السيّد الصافي منها. كما شارك في هيئة جمعية الرابطة العدد الكبير من الأعلام كالسيّد موسى بن جعفر بن محمد بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٧هـ، والخطيب السيّد علي بن الحسين الهاشمي المولود ١٣٢٨هـ، والشيخ عبد الغني بن الشيخ حسن الخضري المولود سنة ١٣٢٦هـ، والشيخ حسن بن الشيخ موسى بن جبار الشميساوي المولود سنة ١٣٣٩هـ، والشيخ جعفر بن الشيخ حميد الهلالي المولود سنة ١٣٤٦هـ، وغيرهم.

وكان أعضاء مجلس الرابطة الأدبية يقيمون مهرجاناً أدبياً سمّي بـ"مهرجان الأدب الحي". وازدهرت هذه الجمعية ردحاً من الزمن، وخرج منها عدد من الناشئة كشعراء لهم وزنهم بين الشعراء. كما قامت الرابطة بمهمّة نشر بعض الكتب والنشرات الأدبية، منها: ١- الجزائر المجاهدة (مقالات وقصائد)، طبع سنة ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م. ٢- الفلسطينيات (مقلات وقصائد)، طبع سنة ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م. ٣- في الرابطة الأدبية (مجموعة مقالات وقصائد)، طبع سنة ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م. ٤- لمحات عن حياة اليعقوبي، طبع سنة ١٣٨٥هـ. ٥- (١٤ تمّوز) في الرابطة الأدبية، طبع سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩هـ.

ثمّ تدهورت الرابطة وأصبحت لا يسمع لها صوت ولا يعرف لها عمل واتّجاه وشارفت على نهايتها، كما صوّر لنا ذلك قبل مغادرته إلى بغداد الأستاذ هادي بن ملاّ محيي الليباوي الخفاجي المولود سنة ١٣٤٠هـ، وهو أديب معروف، وشاعر مطبوع، كان عضواً عاملاً في جمعية الرابطة، فقد نعى على أعضائها انصرافهم عمّا يتطلّبه واجب الجمعية الأدبي، وهو بذلك يتشاءم من تداعياتها وانهيارها، قال في قصيدة طويلة:

سـلام مـودِّعٍ قـد أعجلتـه ... شـواغل مـا أردن لنـا اجتماعـا
تـيمَّم زائـراً يحيـا رجـاءً ... ويفنـى كلّمـا اقتـرب التياعـا
ولكـن سـاءه أن لا يـراكم ... وأن لا يـستطيع لكـم وداعـا

إلى أن يقول :

(ورابطـة) أكـاد أرى قواهـا ... تـضاءل فـي أكفّكـم انقطاعـا
فمـا هـذا التواكـل والتـواني ... تجـاوز فـي مـساوئه النزاعـا
وأيـن روائـع الآداب تجلـى ... فتعـشي عـين نـاظره التماعـا
وأيـن (المهرجـان الحـي) تحيـي ... لياليـه القريحـة واليراعـا

جمعية منتدى النشر

تأسّست على أثر انفصال بعض أعضائها من جمعية الرابطة الأدبية ، وكان عميدها الشيخ محمد جواد بن طاهر الحچامي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ ، والسكرتير الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد بن عبد الله المظفّر المتوفى سنة ١٣٨٤هـ ، والسيّد موسى ابن جعفر بن محمد بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٧هـ ، والسيّد يوسف بن السيّد محسن الطباطبائي الحكيم ، والشيخ هادي حموزي ، والشيخ علي ثامر .

وأسّست في أول الأمر بدار السيّد موسى بحر العلوم ، وبقيت حوالي السنتين ، وكان محاسباً لها ، واستمرّ مؤسّساً إلى عام ١٩٥٤م- ١٣٧٤هـ عندما انحلّت الجمعيات والنوادي في جميع أنحاء العراق بمرسوم نور الدين محمود .

وقد شكّلت لجان متعدّدة في منتدى النشر ، منها : ١- لجنة منتدى النشر ، أصدرت كتاباً لبيان ما تصبو إليه باسم "منتدى النشر أعماله وآماله" ، طبع في المطبعة الحيدرية عام ١٣٦٣هـ في ٦٠ صفحة . ٢- لجنة الوعظ والخطابة ، أسّست من قبل مجموعة من خطباء النجف عام ١٣٦٤هـ ، وكان الشيخ مسلم بن محمد علي الجابري المتوفى سنة ١٣٨٣هـ عضواً ومحاسباً فيها . ٣- لجنة المجمع الثقافي الديني ، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً . وبقيت هذه اللجان حتى حلّت الجمعيات بمرسوم حكومي عام ١٣٧٣هـ .

ثمّ بنيت مدرسة منتدى النشر بمكان ما تبقى من دار الشفاء ، في طابقين تحتهما دكاكين نماؤها للمنتدى . وفيما يلي أهم ما ورد في صورة وقفية بناية منتدى النشر :

"شيدت هذه البناية العامرة بالعلم والتقوى ... على قسمين من رقبة الأرض : القسم الأول مساحته ٤٤ متراً مربّعاً ، كان مسلكاً خاصاً مجاوراً للصحن الشريف ، فاشترته جمعية منتدى النشر من بلدية النجف ... والقسم الثاني مساحته ١٣٧ متراً مربّعاً ، المتبقي من خان دار الشفا المنسوب وقفه إلى الشاه عباس الصفوي ، والذي لم تعرف جهة وقفه . وكانت الجمعية قد استأجرت الخان المذكور بأجمعه من الأوقاف العامة ، بعد أن تعذّر تحقّق الانتفاع به على جهة الوقفيّة وذلك سنة ١٣٦٥هـ بمساعي المرحوم آية الله السيّد أبو الحسن وأخذ الإجازة الشرعية منه بذلك لمدّة ستّين سنة لكلّ سنة ٤٠ ديناراً . ولمّا استملكت البلدية هذا الخان وأخذت قسماً منه للشارع ابتاعت الجمعية القسم المتبقي... وقد سجّلت هذه التفصيلات في ورقة من رق الغزال ووضعت في صندوق حديدي للحجر الأساسي الموضوع تحت مدخل القيصرية الفعلية..." .

تواقيع الهيئة العامة :

رئيس منتدى النشر : محمد رضا المظفر ، المحاسب : أحمد الوائلي ، مدير الإدارة : هادي فياض ، السكرتير : محمد تقي الحكيم ، أمين المال : محمد صادق القاموسي .

الأعضاء :

عبد المهدي مطر ، محمد جمال الهاشمي ، نصر الله الخلخالي ، جواد شبّر ، مسلم الجابري ، محمد الجصّاني ، أحمد الدجيلي .

المجمع الثقافي

أسّسه مجموعة من فضلاء النجف ، والأعضاء هم : ١- السيّد عبد الحسين الحجّار . ٢- السيّد محمد رضا الحكيم . ٣- محمد صادق القاموسي . ٤- الشيخ مسلم بن محمد علي الجابري المتوفى سنة ١٣٨٣هـ ، واستمر هذا المجمع يعقد في داره ثلاث سنوات في

ليلتي الأحد والأربعاء من كلّ أسبوع . وبعد أن توسّع في منهاجه وفكرته أجمعوا على إلحاقه بجمعية منتدى النشر ، ونظّموا تشكيلته وفق الأصول وذلك بتاريخ ١٥/ ١٢ / ١٩٦٣هـ ، وأصدروا بذلك كتيب تحت عنوان : "لجنة المجمع الثقافي الديني" ، في سبع صفحات ، طبع في مطبعة الغري عام ١٣٦٣هـ .

جمعية ندوة الأدب

أسّست سنة ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م ، من قبل الأستاذ محمد جواد بن الشيخ عبد الرضا السلامي الدجيلي المولود ١٣٤٥هـ ، وهو أديب فاضل ، وشاعر رقيق . وقد أجيزت هذه الجمعية من قبل الحكومة كغيرها من الجمعيات ، وفتحت أبوابها وقدّمت لها المنح ، وأصدرت كتاباً تحت عنوان : "النظام الأساسي والداخلي لجمعية ندوة الأدب في النجف" طبع في ٢١ صفحة ، سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٧م ، وساندها لفيف من الشباب في مقدّمتهم الأستاذ عبد النبي بن علي الشريفي المولود سنة ١٣٣٨هـ ، وأخوه عبد الرسول الشريفي . ولم تدم هذه الجمعية أكثر من عامين .

وفي هذه الجمعية بارى شاعر العرب محمد مهدي الجواهري مجموعة من القصائد الشهيرة لشعراء مشهورين دلّت على قوّة شاعريّته وانفجارها وهو في سن الشباب الأول ، وقد طبعت في بغداد عام ١٣٤١هـ تحت عنوان "حلبة الأدب" .

جمعية التحرير الثقافي

أسّسها سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م الشيخ عبد الغني بن الشيخ حسن بن إسماعيل الخضري المولود سنة ١٣٢٦هـ ، واستمرّ في عمادتها وتسيير شؤونها ، فنظّم دراستها ومناهجها بالصورة التي تتّفق ومبادئ الدين الحنيف ، واستطاع بذكائه وفطنته أن يخلق لها أعواناً ومناصرين أبرزهم الإمام محمد حسين كاشف الغطاء ، وأن تعترف بها وزارتا المعارف والدفاع فيما يتعلّق بطلاّبها الدارسين فيها ، فأصبحت لها قوّة وسمعة يرتضيها البعيد والقريب . وإلى جانب ذلك قامت هذه الجمعية بنشر عدد من الكتب والنشرات ، منها :

١- النظام الأساسي لجمعية التحرير الثقافي ، طبع سنة ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م . ٢- مجلّة النشاط الثقافي ، رئيس التحرير : الشيخ عبد الغني الخضري ، ومدير التحرير : السيّد مرتضى الحكمي ، صدر منها ١٢ عدد واحتجبت . ٣- وحي اليراع (مجموعة مقالات وقصائد لأدباء جمعية التحرير الثقافي) ، طبع سنة ١٣٦٥هـ . ٤- عيد الغدير (كلمة بولس سلامة ألقيت في جمعية التحرير الثقافي يوم عيد الغدير) ، طبع سنة ١٣٦٨هـ . ٥- ديوان عميد الجمعية الشيخ عبد الغني الخضري ، طبع سنة ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م . ٦- ديوان الشيخ محسن بن الشيخ محمد الخضري المتوفى سنة ١٣٠٢هـ ، طبع سنة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م .

المجلاّت والجرائد التي عنيت بالأدب

١- الإعتدال : مجلّة شهرية مصوّرة تبحث في العلم والأدب والأخلاق والاجتماع والتاريخ . صاحبها ومديرها : محمد علي البلاغي . مطبعة الغري سنة ١٣٥١هـ ، وقد صدرت منها ستّ سنوات واحتجبت .

٢- الإيمان : مجلّة شهرية دينية تاريخية أدبية . مطبعة القضاء سنة ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م ، صاحبها : الشيخ موسى اليعقوبي ، رئيس التحرير : السيّد هادي الحكيم .

٣- البذرة : مجلّة علمية أدبية مدرسية . مطبعة الغري سنة ١٣٦٧هـ ، يصدرها طلاّب منتدى النشر ، واستمرت سنتين وانقطعت . وعادت إلى الصدور بعد ١٥ سنة ، مطبعة الآداب سنة ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م .

٤- البراعم : مجلّة شهرية أدبية . تصدرها إعدادية النجف . مطبعة الغري سنة ١٣٦٧هـ ، صدرت أعداد منها واحتجبت .

٥- البيان : مجلّة أسبوعية أدبية إجتماعية جامعة ، كانت تصدر مرّتين في الشهر . مطبعة الزهراء والغري سنة ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م ، صاحبها : الشيخ علي الخاقاني . صدرت أربع سنوات كاملة واحتجبت .

٦- الحوزة : جريدة أدبية إجتماعية أسبوعية . مطبعة النعمان والغري سنة ١٣٧٨هـ ، صاحبها : رياض حمزة شير علي .

٧- الحيرة : مجلّة شهرية علمية أدبية إجتماعية تاريخية . صاحبها : عبد المولى الطريحي . المطبعة العلوية سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م ، صدرت منها ثلاثة أعداد واحتجبت .

٨- درّة نجف : مجلّة دينية أدبية شهرية . صاحبها : الشيخ حسين الصحّاف النجفي الأصفهاني ، والمحرّر لها : أغا محمد المحلاّتي . المطبعة العلوية ومطبعة حبل المتين سنة ١٣٢٩هـ ، صدر منها إلى العدد الخامس واحتجبت .

٩- الدليل : مجلّة شهرية علمية أدبية إجتماعية جامعة . مطبعة الغري سنة ١٣٦٥هـ ، صاحبها : موسى الأسدي ، ورئيس تحريرها : الشيخ عبد الهادي الأسدي . أتمّت السنة الثانية وانقطعت .

١٠- الراعي : جريدة أدبية إجتماعية أسبوعية . صاحبها : جعفر الخليلي ، مطبعة الراعي سنة ١٣٥٣هـ ثم سمّاها : "الهاتف" ، وبعد سنين احتجبت .

١١- الشعاع : مجلّة شهرية أدبية ثقافية . صاحبها : الشيخ عبد الهادي العصامي . مطبعة الزهراء سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ، صدر منها ٢٩ عدد واحتجبت .

١٢- العدل : جريدة أدبية أسبوعية عامة . مطبعة القضاء سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م ، صاحبها : السيّد إبراهيم أحمد الفاضلي . صدر العدد الأول فقط واحتجبت ، وفي سنة ١٩٦٥م عادت إلى الصدور بصورة مجلّة .

١٣- العدل الإسلامي : مجلّة علمية أدبية عامة . مطبعة العدل الإسلامي سنة ١٣٦٥هـ ، صاحبها : محمد رضا الكتبي . صدرت سنين معدودة واحتجبت ، رئيس تحريرها : الشيخ حسين الطيب ، ومن بعده : حسين فهمي الخزرجي .

١٤- العقيدة : مجلّة نصف شهرية للسياسة والعلوم والآداب . مطبعة الزهراء سنة ١٣٦٧هـ، صاحبها : فاضل الخاقاني ، ورئيس تحريرها : محمد حسين المحتصر . إستمرّت سنة وثلاثة أشهر واحتجبت .

١٥- الغري : مجلّة دينية أدبية فارسية شهرية . مطبعة حبل المتين سنة ١٣٢٩هـ، مديرها : الشيخ حسين الصحّاف النجفي . صدر العدد الأول والثاني وأغلقت .

١٦- الغري : مجلّة أسبوعية أدبية ثقافية جامعة . صاحبها : شيخ العراقين آل كاشف الغطاء . تصدر في كلّ شهر مرّتين . مطبعة الغري سنة ١٣٥٨هـ، ومطبعة دار النشر والتأليف . صدرت ١٧ سنة ثمّ احتجبت .

١٧- القدوة : جريدة أدبية ثقافية جامعة تصدر في الأسبوع مرّتين . مطبعة الغري سنة ١٣٧٠هـ- ١٩٥١م . صاحبها : رحيم الكيالي ، ويشرف على تحريرها : الشيخ محمد هادي الأميني . لم تكمل السنة الأولى .

١٨- المصباح : مجلّة علمية أدبية فنية . مطبعة الغري سنة ١٣٥٣هـ- ١٩٣٥م ، صاحبها : السيّد محمد صالح بحر العلوم . صدر منها ٨ أعداد واحتجبت .

١٩- المعارف : مجلّة شهرية أدبية إجتماعية جامعة . مطبعة القضاء والآداب سنة ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م ، صاحبها : السيّد محمد حسن الطالقاني ، واستمرّت في الصدور حتى عام ١٩٦٣م .

٢٠- النجف : مجلّة علمية أدبية إسلامية عامة نصف شهرية . صاحبها : السيّد هادي فياض . مطبعة الآداب سنة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م ، استمرت خمس سنوات وانقطعت .

٢١- النجف : جريدة أدبية إجتماعية أسبوعية . أصدرها : يوسف رجيب ، ومحمد علي البلاغي . مطبعة العلوية سنة ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م ، استمرّت عامين واحتجبت في العام الثالث .

المغتربون والحنين إلى النجف

لمّا كانت النجف بهذه الحال في مجالسها العلمية وندواتها الأدبية ، وما يفيضه المرقد المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام من فيوضات روحية على ساكنيه ، كلّ ذلك جعل من هذه المدينة مهوى أفئدة من تركها وسافر عنها بدافع التوجيه الديني والإرشاد وقضاء حوائج الناس ممّا يقوم به العلماء في أنحاء البلاد ، وقد تعود شدّة الحنين بالمغترب على الرجوع إلى النجف للإقامة فيها وترك وطنه الأصلي ومسقط رأسه ، أو تبقيه على اتصال بالنجف بمراسلاته الأدبية وقصائده الإخوانية ، وفيما يلي ما عثرنا من أشعار المغتربين عن النجف :

من مقطوعة للشيخ بشارة بن عبد الرحمان آل موحي الخاقاني المتوفى سنة ١١٨٦هـ ، نظمها في "بم" ، قرية من أعمال كرمان ، أعرب فيها عن شوقه للنجف ، قوله :

رعى الله الغري وساكنيه ... وإن أفتوا ملالاً بالنوى لي
لئن هم أبعدوني عن حماهم ... فلست ودارهم يوماً بسالي
أكرّر ذكرهم نظماً ونثراً ... فيحلوا عند ذكرهم مقالي
بباب النهر مرّت لي ليالٍ ... حلالي العيش في تلك الليالي
فكم من ليلةٍ فيها جلسنا ... مع الأحباب في روس الجبال
وكم أيام سعدٍ قد تقضّت ... لنا والقبّة البيضا حيالي
وكم في الروضة الخضرا سقينا ... رياض الود من غيث الوصال

وله أيضاً يتشوّق إلى النجف :

بزغن شموسٌ أم طلعن بدور ... أم الشوق من ضوء الصباح منير
وبرقٌ تراءى أم لليلى وتربها ... تبسّمن عن درّ فبنّ ثغور

إلى أن يقول :

وأعرضتُ عن ليلى ووصفي جمالها ... فما عندها إلاّ جفاً ونفور
وملت إلى ذكر الغري وأهله ... أهيلٌ لنا فيهم غنىً وسرور

بـــلادٌ بهـــا الرحمـــان أودع تربـــةً ... لحيـــــدرة للمـــــؤمنين أميـــــر
لهـا شـرفٌ عـالٍ علـى كـلّ بقعـةٍ ... فلـــيس لهـــا إلاّ الحجـــاز نظيـــر
بـلادٌ بهـا صـحبي ورهطـي ومنزلـي ... إليهـــا ركـــاب الزائـــرين تـــسير
فما قـطّ يحلـو لـي سـواها وإنْ حَلَتْ ... ولـــو زخرفـــت فيهـــا لـــديّ قـــصور
أهيـل الغـري قلبـي بـه النـار دائمـاً ... وبحـــر دمـــوعٍ لا يـــزال يمـــور
أهيل الغري عيناي لا تـألف الكـرى ... فلـيس لهـا طعـم الرقـاد يـزور
أهيـل الغـري ليلـي طويـلٌ لبعـدكم ... وليلـــي لـــديكم بـــالغريّ قـــصير
أهيـــل الغـــري إنّـــي أقـــول مـــضمّناً ... فلـم يبـق لـي إلاّ اللـسان نـصير
(أسرب القطـا هـل مـن يعير جناحـه ... لعلّـي إلـى مـن قـد هويـت أطيـر)
فطـار إلـى نحـو الغـري ولـم أطـر ... لأنّ جنـــاحي بـــالفراق كـــسير
أهيل الغري لا تقطعوا حبـل وصـلكم ... لأنّـــي إليـــه يـــا كـــرام فقيـــر
أهيـل الغـري ذا الـدهر يوعـد باللقـا ... وتحـدث مـن بعـد الأمـور أمـور
فـلا تنقـضوا أهـل الغـري عهـودكم ... وإنّـي علـى حفـظ العهـود صـبور
عـسى تجمـع الأيـام شـملي بقـربكم ... فـــإنّ إلهـــي راحـــم وقـــدير
علـــيكم ســـلام الله منّـــي مسلـــسلاً ... وإن شـــئتموه يـــا كـــرام يـــدور

وللميرزا حسين بن علي الشولستاني نزيل النجف في أواسط القرن الثاني عشر الهجري ، قصيدة أرسلها من الهند إلى بعض أصدقائه يتأسف فيها على فراق النجف ، قوله :

ياليتني كنت لـم أخـرج مـن النجـف ... ولا أبـــدل ذاك الـــدرّ بالـــصدف
ولا أطيـع هـوى نفـسي وشـهوتها ... ولا أبيـع جنـان الخلـد بـالجيف
مـا كنـت أرغـب فـي هنـدٍ وبهجتهـا ... فكيف صرت بحب الهنـد ذا شـغف
حرمت تلك المغاني الغـر قـد كلفـت ... نفسي بهذا الـذي أدهـى مـن الكلـف

إلى أن يقول :

خُــذها إليــك محبّــرةً مخــدّرةً إليــك مرسـلةً مــن مغـرم دنــف
يرجو الحسين بها يوم الجزاء غداً تنجيـه مـن زلّـة الأقـدام والتلـف
عليـك منّـي سـلام الله مـا سـجعت قمريـة الأيـك فـي الأسحار والزلـف

ومن ذلك ما نظمه الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي المتوفى سنة ١٢١٤هـ، وهو من أشهر مشاهير العلماء والشعراء في عصره، وقد بعث به من الشام إلى المرجع الديني السيّد مهدي بحر العلوم في النجف، قوله:

مـالي ومالـك يـا نـسيم الـوادي غـادرتني جـسماً بغيـر فـؤاد
مـا كـان ضـرّك لـو ذهبـت بجملتـي وطرحتنـي فـي أهـل ذاك النـادي

إلى أن يقول:

يـابن الإمـام المجتبـى يـا خيـر مـن تزجـى إليـه رواحـل الوفّـاد
أشـكو إليـك جـوى يـؤجّج نـاره أمـران قـصر يـدٍ وطـول بعـاد
أخفـي هـواكم والـدموع مذيعـةٌ سـرّ الهـوى فهـو الخفـي البـادي
ويهزّنـي ذكـر الغـري ومـا حـوى مـن عـالمٍ ومفـوّهٍ وجـواد
مغنـىً حـوى عـين الحيـاة فكيـف لا يهـوى النـزول بـه فـؤاد الـصادي
ولـو استطعت قـضيت فـي أبـوابكم عمـري ولـو كـان القتـاد وسـادي
لكــن أراد الله جــلّ جلالــه وهـو الحكـيم العـدل غيـر مـرادي

فأجابه السيّد بحر العلوم بقوله:

قــد عــزّز ابــن يحيــى قريــع أهــل الــشام
مديحــه فــي قــريض لــيس لــه مــسامي
بثالــث كــدرّة فــي الحــسن والنظــام
يريــد يــا إلهــي ســكنى الغــري الــسامي
أبلغــه مــا تمنّــى بالــسادة الكــرام

ومن طريف أشعار المغتربين ما ورد عن المرجع الديني الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٥٣هـ ، أنّه قال : ما غلبت في الشعر إلاّ مرّة واحدة ، وهي إنّي كتبت إلى الشيخ نصّار بن أحمد العبسي النجفي المتوفى سنة ١٢٤٠هـ ، وهو بالنجف وأنا بالحلّة ، قصيدة أوّلها :

سلوتُ عن الغري فذكّرتني ... نوائح غرّدت فوق الغصون
ذكرت أحبّة فيها كراماً ... علا وإن هم لم يكرموني

فكتب إليّ مجيباً بقصيدة أوّلها :

لعمرك ما سلوتُ فذكّرتني ... نوائح غرّدت فوق الغصون
بلى أسمعتها لنواك نوحاً ... فحنّت عندما سمعت حنيني

والشيخ محمد جواد بن كاظم بن طاهر السوداني المتوفى سنة ١٣٥٣هـ ، وهو شاعر شهير ، وأديب معروف ، له قصيدة بعنوان "أنشودة الفراق" ، قوله :

ولقد تذكّرت (الغري) فشاقني ... ويشاق من ذكر الحمى ويهيم
وحننت للعهد القديم به كما ... حنّت إلى السورد العطاش الهيم
وحمامة بالدوح هيّجها الهوى ... فترنّمت وكذا الغنا ترنيم

إلى أن يقول :

إن كان صبحك قد تجلّى سعده ... فعليّ صبحي بالفراق مشوم
أو أنّ طرفك لذّ في طعم الكرى ... فالطرف من طيب الكرى محروم
فعلى النوى سهم الهوى أصمى الحشا ... وعلى النوى وقع السهام أليم
لو أنّ وجدي في السماء ولوعتي ... لم تبد فيه أهلّة ونجوم
إن كنت قد أبديت بعض صبابتي ... لك فالصبابة جلّها مكتوم

ومن شعر الشيخ محمد بن ميرزا حسين الخليلي المتوفى سنة ١٣٥٥هـ، وهو عالم جليل، وأديب شاعر، يتشوّق فيه إلى النجف وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، قوله:

حكم الزمان عليّ من ... بعد المهاجرة التغرّب
عن قرب مَن في قُربه ... يرجو الشفاعة كلّ مذنب
قرب الوصي وكلّ ذي ... دين بذاك القرب يرغب
يا دهر قد أسرفت في ... ظلمي بلا ذنب مسبّب
أبعدتني عن قُرب قبر ... المرتضى عنقاء مغرب
أتراك قد أنصفت إذ ... كلّفتني عنه التغرّب
بجواره أفني صباي ... وعنه حال الشيب أغرب
قسماً بمرقده الذي ... مالي سوى رؤياه مأرب
ما طاب لي عيشٌ ولا ... لي ساغ بعد البُعد مشرب
فعسى الزمان يعود لي ... بعد التباعد بالتقرّب

وله معاتباً بعض أصدقائه على تركه المراسلة عندما نزح عن مدينة النجف، ويتشوّق إليها، قال:

لي بالغري أحبّه ... ما أنصفوني بالمحبّه
أخذوا الفؤاد وخلّفوا ... جثمانه في دار غُربه
يا دهر ما أنصفتني ... كلّفتني أهوال صعبه
حمّلتني بُعد الديار ... وبُعد من أشتاق قُربه
قسماً بأيام مضت ... في وصل مَن أهواه عذبه
لم يحل لي غير الغري ... وغير أندية الأحبّه
أوّاه هل لي بالحمى ... من بَعد بُعد الدار أوبه
لأقبّل الأعتاب من مولى ... الورى وأشمّ تُربه

حـــرمٌ ملائكـــــة الـــــسما ... لطوافهـــا اتّخذتـــه كعبـــه
وبـــه نـــشاوى العـــارفين ... مـــذ احتـــسوا كـــأس المحبّـــه
مـــن حيـــث ســـرّ الله والــــ ... ــتوحيد فيـــه لمـــن تنبّـــه
كـــم جـــدّ فيـــه الـــسالكون ... فـــصرّها خـــوفٌ ورهبـــه
وإليـــــه أمَّ الواصـــــفون ... ولـــــم تعـــــد إلاّ بخيبـــــه
كيـــف الوصـــول إلـــى مفـــا ... وز دونهـــا أهـــوال صـــعبه

وله يتذكّر غربته وبعده عن النجف وأصدقائه في عهد الشباب ، قوله :

تغرّبت عن أهلي وولدي وأوطاني ... وجبت الفيافي من سهولٍ وأحزان
وقاسيت ما قاسيت كي ألف لاثماً ... لأعتاب أبواب الرضا في خراسان
من العدل مصدوداً أكون ببلدة ... أراقب فيها الخسف في كلّ زمان
فإن أكُ عن ذنبٍ وسوء سريرةٍ ... ولم أكُ أهلاً أن أنال بإحسان
وحبّك إنّي لا يخالط فكرتي ... بأنّك لا تستطيع تصلح من شاني
أزلِ يا فدتك ما كان مانعاً ... ومنك فقرّبني بأسرع من آن

والشيخ محمد حسن آل حيدر المتوفى سنة ١٣٦٣هـ، وهو عالم وشاعر وأديب معروف ، له قصيدة بعنوان "الحنين إلى الغري" ، منها :

ياساكني النجف الأعلى وواديه ... حيّاكم الغيث ما انهلّت غواديه
رقّوا لصبّكم في حين وصلكم ... فالوصل يشفيه والهجران يضنيه
صبٌّ الفؤاد عميدٌ في محبّتكم ... يميته الوجد والتذكار يحييه
ذكرتكم فاستهلّ الدمع من مُقلي ... دماً على وجنتي قد سال جاريه
من لي بإطفاء وجدٍ شبّ في ... يوريه بُعدكم والقرب يطفيه
برى فؤادي الهوى بري القداح ... وما لقلبي آسٍ غير باريه
يا ليت لا نزحت عنّي ربوعكم ... وهل يعيد مغناكم تمنّيه

الفصل السابع

النقابة والنقباء في النجف

لباس الفتوّة

النقابة والنقباء في النجف

أراد الملك البويهي معزّ الدولة أحمد بن بويه[1] أن يجعل للعلويين مكانة خاصة ، فأسّس لهم نقابة لإدارة شؤونهم . وللنقابة فروع في النجف والكوفة وكربلاء والحلّة . ثمّ كثرت الفروع فكانت في البصرة والموصل . وكان نقيب النقباء في بغداد .

وأوّل نقيب نصبه معزّ الدولة هو الشريف حسين والد السيّدين الرضي والمرتضى ، وكانت النقابة النجفيّة تضمّ الكوفة ، وربّما كانت مضمومة إلى نقابة الحلّة .

والنقيب في اللغة هو كالعريف على القوم ، المقدّم عليهم ، الذي يتعرّف أخبارهم ، وينقّب عن أحوالهم أي يفتّش . وكان النبي ﷺ قد جعل ليلة العقبة كلّ واحد من الجماعة الذين بايعوه بها نقيباً على قومه وجماعته ، ليأخذوا عليهم الإسلام ويعرّفوهم شرائطه ، وكانوا اثني عشر نقيباً كلّهم من الأنصار ، وكان عبادة بن الصامت منهم .[2]

ثمّ توسّع معنى النقابة بعدما أسّست في العهد البويهي .

قال أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ : النقابة موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ، ولا يساويهم في الشرف ، ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى ، وهي على ضربين : خاصة وعامة .

أما الخاصّة فهو أن يقتصر بنظره على مجرّد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم

---

(١) ستأتي ترجمته في أحداث سنة ٣٣٤هـ ، في الجزء الثاني من كتابنا .

(٢) لسان العرب : مادة (نقب) .

وإقامة حد ، فلا يكون العلم معتبراً في شروطها . ويلزمه في النقابة على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقاً :

١- حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس هو منها ، أو خارج عنها وهو منها ، فيلزمه حفظ الخارج منها كما يلزمه حفظ الداخل فيها ليكون النسب محفوظاً على صحّته معزوّاً إلى جهته .

٢- تمييز بطونهم ومعرفة أنسابهم حتى لا يخفى عليه منهم بنو أب ، ولا يتداخل نسب في نسب ، ويثبتهم في ديوانه على تمييز أنسابهم .

٣- معرفة من ولد منهم من ذكر أو أنثى فيثبته ، ومعرفة من مات منهم فيذكره ، حتى لا يضيع نسب المولود إن لم يثبته ، ولا يدعي نسب الميت غيره إن لم يذكره .

٤- أن يأخذهم من الآداب بما يضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم ، لتكون حشمتهم في النفوس موقورة وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظة .

٥- أن ينزّههم عن المكاسب الدنيئة ، ويمنعهم من المطالب الخبيثة ، حتى لا يستقل منهم مبتذل ، ولا يستضام منهم متذلّل .

٦- أن يكفّهم عن ارتكاب المآثم ، ويمنعهم من انتهاك المحارم ، ليكونوا على الدين الذي نصره أغير ، وللمنكر الذي أزالوه أنكر ، حتى لا ينطق بذمهم لسان ، ولا يشنأهم إنسان .

٧- أن يمنعهم من التسلّط على العامة لشرفهم والتشطّط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض ، ويبعثهم على المناكرة والبعد ، ويندبهم إلى استعطاف القلوب وتأليف النفوس ، ليكون الميل إليهم أوفى والقلوب لهم أصفى .

٨- أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق حتى لا يضعفوا عنها ، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا منها ، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين ، وبالمعونة عليهم منصفين .

٩- أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي لا يخص به أحدهم حتى يقسم بينهم بحسب ما أوجبه الله لهم .

١٠- أن يمنع إياماهم أن يتزوّجن إلاّ من الأكفاء لشرفهن على ساير النساء صيانة لأنسابهن ، وتعظيماً لحرمتهن .

١١- أن يقوم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حدّاً ، ولا ينهر به دماً ، ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ، ويغفر بعد الوعظ زلّته .

١٢- مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ، وإذا لم يرد إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه وراعى قسمتها إذا قسموه وميّز المستحقّين لها إذا خصّت ، وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت ، حتى لا يخرج منهم مستحق ، ولا يدخل فيها غير محق .

والنقابة العامّة ، فعمومها أن يرد إلى النقيب في النقابة عليهم مع ما قدمناه من حقوق النظر خمسة أشياء .

١- الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه .

٢- الولاية على أيتامهم فيما ملكوه .

٣- إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه .

٤- تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أوليائهن أو قد تعينوا فعضلوهن .

٥- إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه ، وفكّه إذا أفاق ورشد . فيصير بهذه الخمسة عام النقابة فيعتبر حينئذ في صحة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه ، وينفذ قضاؤه .(١)

وكان لنقيب النجف الأشرف تولية إمرة البلد والمرقد المطهّر ، وبيده تعيين السادن للروضة المطهّرة . وهو ما أشار له الرحّالة ابن بطوطة عندما مرّ بها في القرن الثامن الهجري سنة ٧٢٦هـ ، حيث ذكر أنّ النقيب كان يحكمها بإدارته ، ولم يذكر حكومة للنجف ولا

---

(١) الأحكام السلطانية : ٨٢- ٨٥.

محل حكومة في ذلك العصر[١] ، واستمر هذا الحال حتى أواخر القرن العاشر للهجرة النبوية ، ثمّ ضعفت إمرة النقيب ، ثمّ بعد فترة جُرِّد عن كلّ سلطة سوى الاسم ، وذلك أنّ الشاه عباس الصفوي الأول لمّا جاء إلى العراق وزار المشهد الغروي الأقدس ومعه الملاّ عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي الشهابادي المتوفى سنة ٩٨١هـ ، ولاّه سدانة الحرم الشريف والإشراف على البلد ، ومن هنا شُلّت يد النقيب عن سلطة البلد ، وإلى هذا المعنى يشير الشيخ محمد السماوي النجفي في أرجوزته :

لكـنّ هـذا المعشر النجيبا ... لا ينتجي في أمره نقيبا
بل يجعل الأمر مع السدانة ... لنفسه ولا يرى إذعانه
لأنّ عقد النقباء انحلاّ ... في ذلك العصر الذي تولّى
وبقي اللفظ من النقابه ... بغير معنى يكتسي ثيابه
فكم نقيبٍ نال تلك اللفظه ... ولم يجد إلاّ بتلك حظّه
كالمصطفى وكابنه العباس ... وكمراد ذي الندى والباس
حتى أتى آل الرفيع فقضى ... من حكمه المطاع في فوز
فنالها نقابة سدانه ... ثمّ الجواد قد رضي مكانه[٢]

والسدانة منصب يقلّده السلطان ويكتب به عهداً ، والظاهر أنّ ابتداءها كان بالمشهد الغروي في عهد البويهيين في القرن الرابع الهجري . وسمّي السادن في أواخر القرن الثالث عشر الهجري بـ"الكليتدار" وهي كلمة فارسيّة معناها "صاحب المفتاح" أي مَن بيده مفتاح الحضرة الشريفة .

ومنصب السدانة والكليتدارية في المشهد الغروي يشمل جميع ما يؤول إلى الحضرة الشريفة من رئاسة الخدمة وتولّي خزانة المشهد وغير ذلك من شؤون ، لهذا

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ٢٠٠.

(٢) عنوان الشرف في وشي النجف : ٨١.

يعبّر عنه كثيراً بالخازن ، وقد تولاّها في المشهد الغروي جماعة من أجلاء العلماء . وفي كثير من الأوقات كان السادن في النجف الأشرف هو الحاكم المطلق بسبب ضعف إدارة السلطان ، وإذا قوي السلطان كان إلى السادن شؤون المشهد المطهّر فقط . والسدانة يتوارثها الأبناء عن الآباء كالسلطنة ، وقد تنتقل عنهم كما تنتقل السلطنة .

أمّا النقباء الذين تولّوا نقابة النجف الأشرف فهم كثيرون ، منهم :

١- **بنو المختار** ، نسبة إلى أبيهم أبي علي عمر المختار بن أبي العلا مسلم ، من أحفاد الحسن الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام .

كان آل المختار سادة أجلاّء ، أوّلهم أبو نزار عدنان ، وتولّى منهم جماعة نقابة الغري الشريف ، ومنهم من تولّى نقابة النقباء في بغداد . ولآل المختار ذكر طيّب جميل ، فقد وصفهم السيّد نور الله المرعشي بقوله : بنو المختار مختارون من خيار ذرية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله . وكانت نقابة المشهد الغروي وإمارة الحج مفوّضة إلى أكابر هذه السلسلة العلويّة .[١]

ومن بني المختار الذين تولّوا نقابة المشهد الغروي الشريف في النجف الأشرف ، فخر الدين محمد بن المختار العلوي . كتب إليه سبط ابن التعاويذي ، الكاتب الشاعر المعروف ، قصيدة على وتيرة تَتَرِيّة ابن منير الطرابلسي ، يعاتبه فيها على عدم الوفاء بما كان وعده به :

يـا سـميّ النبـيّ يـا ابـن علـي	قاتـل الـشرك والبتـول الطهـور
أنـت تـسمو علـى البريّـة طـرّاً	بمحـلٍّ عـالٍ وبيـت كبيـر
عـنكم يؤخـذ الوفـاء ومـنكم	يجتـدي النـاس كـلّ خيرٍ وخير
كيف أخلفتني وما الخلف للميـ	ـعاد من عادة الموالي الصدور
فأخو الفضل من يساعد في الشـ	ـدّة لا فـي الرخـاء والميـسور

---

(١) مجالس المؤمنين (فارسي) : ٦٢.

أيّ عـذرٍ ينـوب عنـك ومـا | تـارك وجه الصواب بالمعذور
ومتى ما استمرّ خُلفُك بالوعد | ولـم تعتـذر عـن التـأخير
صرتُ من جملة النواصب لا | آكـل غير الجـرّي والجرجير
وتغسّلت واكتحلـت ثلاثـاً | وطبخـت الحبوب في عاشور
وطويـت الأحزان فيه ولـم أبـ | ـد سروراً في يوم عيد الغدير
وتبدّلت من مبيتي في مشهد | موسى[١] بجامع المنصور
ورآني أهل التشيّع في الكرْ | خ بتاسومةٍ[٢] وذيـلٍ قصير
وتطهّرت من إناء يهوديّ | وفضّلته على الخنزير
زائراً قبر مصعب بعدما كنت | أوالي دفين قبر النذور[٣]
وتخيّرت أن يكون الزبيري[٤] | رفيقي في العرض يوم النشور
وتراني في الحشر فاطمة الطهر | وكفّي في كفّه المبتور
وتكون المسؤول عن مؤمن ألـ | ـقيته أنت في سواء السعير[٥]

ومن بني المختار الذين تولّوا نقابة المشهد الغروي، عزّ الدين المعمّر أبو الغنائم بن عزّ الدين عدنان بن أبي الفضائل السيّد العالم عبد الله بن أمير الحاج عمر المختار أبي علي بن

---

(١) أراد به مشهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(٢) نوع من النعال يكون استمساكه بسيور، يظهر منه رؤوس الأصابع والعقب (حواشي الشرواني: ١٦٣/٤)

(٣) قال ياقوت الحموي: هو مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور يزار وينذر له. قال القاضي التنوخي لعضد الدولة البويهي عندما سأله عنه القصّة: هذا قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان بعض الخلفاء أراد قتله خفية فجعل هناك زُبية وستر عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهيلَ عليه التراب حيّاً، وشهر بالنذور لأنّه لا يكاد ينذر له شيء إلاّ ويصح ويبلغ الناذر ما يريد وأنا أحد من نذر له وصح مراراً لا أحصيها. (معجم البلدان: ٣٠٥/٤).

(٤) الزبيري: هو مصعب بن الزبير.

(٥) سبط بن التعاويذي: ٨٨ - ٨٩.

الأمير الكبير الفارس مسلم الأحول أبي العلاء بن المولى النقيب الأمير أبو عبد الله أحمد ابن زيد بن محمد بن محمد برطبيّه ، نقيب المشهد المرتضوي سلام الله على مشرفه .[(١)]

٢- بنو الفقيه ، نسبة إلى النقيب الكبير زين الدين أبي طاهر هبة الله الفقيه ، تولّى النقابة الطاهرية وصدارة البلاد الفراتية وغيرها ، وقتل بظاهر بغداد سنة ٧٠١هـ ، قتله بنو محاسن ... .[(٢)]

٣- بنو الصوفي ، بالكوفة ، كبيرهم الحسن بن محمد الصوفي . كانت نقابتهم أيام عضد الدولة البويهي وعمران بن شاهين أمير قبائل خفاجة .[(٣)]

٤- بنو جمّاز ، أبوهم الأمير جمّاز بن الأمير قاسم بن المهنا الأعرج ، ويقال لولده الجمامزة ، توفي الأمير جمّاز سنة ٧٠٤هـ ، ووفاة ابنه الأمير أبي عامر منصور سنة ٧٢٦هـ.[(٤)]

٥- آل الآوي ، من بني زيد بن الداعي . منهم السيّد الجليل الشهيد تاج الدين أبو الفضل محمد الآوي . ولأه السلطان محمد خدابنده نقابة نقباء الممالك بأسرها في العراق والري وخرسان وفارس وساير ممالكه . قتل هو وابناه ، النقيب شمس الدين حسين ، والنقيب شرف الدين علي سنة ٧٢١هـ ، بأمر رشيد الدين الطبيب .

وقلّد حفيده السيّد رضي الدين محمد بن شرف الدين علي بن تاج الدين أبي الفضل محمد ، نقابة المشهد الغروي الشريف ، وكان وقت قتل أبيه وجدّه وعمّه طفلاً فأخفي إلى أن شبّ وكبر وقلّد نقابة المشهد الشريف نيابة عن السيّد قطب الدين أبي زرعة الشيرازي الرسي ، ثمّ فوضت إليه استقلالاً وبقيت في يده إلى أن مات ، وتقدّم على نظرائه وطالت ولايته ، وتوفى عن أربعة بنين .[(٥)]

---

(١) بحر الأنساب (المشجّر الكشاف لأصول السادة الأشراف) : ٢٧ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٨١ .

(٣) عمدة الطالب : ٣٦٨ .

(٤) عمدة الطالب : ٣٣٩ .

(٥) عمدة الطالب : ٣٤٣ .

٦- بنو العميد ، نسبة إلى العلاّمة عميد الدين عبد المطلب . منهم أبو القاسم السبعي ، ومنهم ناصر الدين ، وشرف الدين ، وشهاب الدين ، وعميد الدين ، وزين الدين .(١)

٧- آل كتيلة ، منهم أبو الفتح ناصر بن أبي الحسين زيد بن أبي الفتح ناصر بن زيد الأسود بن الحسين بن علي كتيلة بن يحيى بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن الإمام زين العابدين بن علي بن الحسين بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام .

ولي نقابة المشهد الغروي بعد والده ، وعقبه بالكوفة يعرفون ببني كتيلة . أعقب من ثلاثة رجال أبو محمد عبد الله ، وأبو القاسم عبد الله مجد الشرف ، وأبو طالب هبة الله التقي كان فقيهاً خيّراً إمامياً .(٢)

ومن ذريّته من آل كتيلة الذين سكنوا النجف الأشرف علاء الدين علي بن موسى ابن محمد بن علي بن هبة الله بن ناصر نقيب الكوفة بن أبي الحسين زيد بن أبي الفتح ناصر بن أبي الحسين زيد الأسود بن أبي عبد الله الحسين بن علي كتيلة . وهو شاب جميل من سكان المشهد الغروي ، له أملاك ونيابة . تزوج بابنة أبي طالب محمد بن عبد الحميد .(٣)

٨- آل الفتّال ، ينسبون إلى أبي الحسن علي المعروف في وقته بالشاب ، وبه يعرف ولده وعقبه . وعقب أخويه محمد وفوارس بالكوفة والغري ، وتعرف بقيّتهم إلى ما بعد القرن الثامن للهجرة بآل الفتال في الغري والرمّاحيّة .

وأبو الحسن علي هذا المعروف بالشّاب هو ابن أبي علي الحسن بن أبي الحسين محمد ابن أبي الفتح محمد نقيب الكوفة ابن أبي طاهر عبد الله بن أبي الفتح محمد الأشتر بن عبيد الله الثالث ويلقّب بالأشتر من سلالة الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام .(٤)

---

(١) الأحلام : ٤٥ .

(٢) موارد الإتحاف في نقباء الأشراف : ٢/ ٣٥- ٣٦.

(٣) الأصيلي في الأنساب : ٨٠.

(٤) عمدة الطالب : ٣٢٥.

٩- المناصير ، نسبة إلى منصور بن محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن مالك بن الحسين بن المهنا ، واسمه حمزة بن أبي هاشم داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسّابة بن الحسن بن جعفر الحجّة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام .

ومن المناصير الذين تولّوا نقابة المشهد الغروي السيّد النقيب شهاب الدين أحمد الملقّب خليتا بن مسهر بن أبي مسعود بن مالك بن مرشد بن خراسان بن منصور المذكور .

قال ابن عنبة الداودي : كان جليل القدر عالي الهمّة يتولّى أوقاف المدينة المشرّفة بالعراق ، ثمّ تولّى نقابة المشهد الحائري وعزل عنه ، ثمّ شارك في نقابة المشهد الغروي ، وتسلّط وعظم جاهه .(١)

١٠- بنو كمكمة (كمونة) ، وهم ولد أبي منصور جعفر بن أبي منصور بن طراد ابن شكر .(٢)

قال القاضي نور الله المرعشي : إنّ بني كمونة المعروفين ببني عبيد الله أيضاً أهل بيت كبير ، ومن السادات ذوي الدرجات العالية معروفون بعلوّ الحسب وسمو النسب ، ومشهورون في عراق العرب بكثرة العدّة والعدد ، وأصل بني كمونة "بنو كمكمة" وهم من أولاد شكر الأسود بن جعفر النفيس بن أبي الفتح محمد ، وكانوا نقباء الكوفة ، والناس حرّفوها وقالوا : "كمونة" .

ثمّ حكى القاضي المرعشي عن السيّد الفاضل النسّابة مير محمد قاسم النسّابة المختاري السبزواري في بعض مؤلّفاته أنّ سادات بني كمونة من أكابر وكرام نقباء الكوفة ، ومن قديم الزمان كانت نقابة سادات العراق وجلالتهم في بيوتهم ، وكان فيهم علماء وفضلاء كثيرون .(٣)

---

(١) عمدة الطالب : ٣٣٧.

(٢) عمدة الطالب : ٣٢٦.

(٣) أعيان الشيعة : ٣٧/ ١١٧- ١١٨.

ومن آل كمّونة السيّد محمد بن حسين بن ناصر الدين بن علي الحسيني ، نقيب بغداد والنجف . كان من رجال الشاه إسماعيل الصفوي ، وقتل في معركة "جالديران" قرب تبريز سنة ٩٢٠هـ ، قتله العثمانيون في هجومهم على إيران والعراق - كما ستأتي ترجمته في أحداث السنة المذكورة .

ومنهم نقيب المشهد الغروي على مشرّفه السلام السيّد منصور بن محمد بن محسن ابن علي بن ناصر الدين بن حسين بن محمد بن عزّ الدين حسين بن ناصر الدين محمد كمونة النقيب بن علي بن حسين .(١)

١١- آل شهريار ، نسبة إلى الشيخ الأمين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن لمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، هو أوّل من تلقّى الخازنية من أُسرة آل شهريار وعرف بها ، وكان فقيهاً صالحاً ، وهو صهر الشيخ الطوسي على ابنته ورزق منها ولده أبو طالب حمزة ، ومن تلامذته الذين تخرّجوا عليه وأدركوا المئة السادسة ، وهو الواقع في سلسلة سند الصحيفة السجّادية والراوي لها سنة ٥١٦ هـ.

١٢- بنو طحال ، منهم الشيخ حسين بن أحمد بن محمد بن علي بن طحال المقدادي الراوي في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام .

وكان علي بن طحال المقدادي في عصر عضد الدولة خادماً للحضرة الغروية العلويّة في النجف الأشرف ، وينسب علي بن طحال إلى الصحابي الجليل المقداد بن الأسود الكندي ، وبقيت ذريّته إلى المئة السادسة وبعدها .(٢) وسيأتي ذكر بعضهم .

١٣- الملالي

في أواخر العهد الصفوي في العراق انحلّ عهد النقابة كسلطة وأصبحت لقب شرف ، وأصبح بمكان النقيب "الخازن" ، ويقولون له "الكليتدار" ، وهي كلمة فارسيّة بمعنى "صاحب المفتاح" . وعهدت هذه النقابة والخازنيّة لإدارة المشهد والحرم

---

(١) زهرة المقول في نسب ثاني فرع الرسول : ٣٩.

(٢) طبقات أعلام الشيعة (القرن الرابع) : ١٧٨ .

المقدّس العلوي من قبل الشاه عباس الصفوي الأوّل المتوفى سنة ١٠٣٧هـ إلى العالم الجليل الشيخ ملاّ عبد الله بن شهاب الدين حسين صاحب كتاب "الحاشية" في المنطق على كتاب "التهذيب" للتفتازاني التي فرغ من تأليفها في النجف سنة ٩٦٧هـ. فقد ولاّه نقابة الحرم الأقدس وسلّمه مفاتيح الحرم والخزانة الكبيرة والتي فيها السلاح وخزانة الآثار والتحف النفيسة. كما أقرّه السلطان مراد العثماني على توليته للحرم المطهّر، وبقيت نقابة الحرم الغروي والخازنيّة بيده[١]، ومن بعده بأيدي أولاده وأحفاده قرابة قرنين ونصف، عرف منهم:

الملاّ أحمد بن الملاّ صالح، والملاّ أحمد بن الملاّ عبد الله، والملاّ سليمان بن الملاّ محمد طاهر، والملاّ شاكر بن الملاّ محمود[٢]، والملاّ عبد الله بن شهاب الدين

---

(١) معارف الرجال: ٢/٤- ٦.

(٢) الملاّ شاكر هو آخر من عرف من ذرية الملالي في النجف، وليس له دور في الخازنية، وإنّما كان أحد زعماء طائفة الشمرت في أيام خازن الحرم السيّد محمد حسن الرفيعي، كما سيأتي ذكره في حوادث اختلاف الشمرت سنة ١٣٣٣هـ. وقد قام الملاّ شاكر بغلق أبواب قيسارية الخياطين في منتصف ربيع الثاني عام ١٣٣٤هـ مدّعياً أنّها ملكه، وأنّ الأيدي التي تداولتها من عشرات السنين تداولتها دون حق، فلم يعارضه أحد، ووعده المستأجرون أن يراجعوه في الإجازة.

والمعروف أنّ موضع هذه القيساريّة كان داراً للضيافة ومحلاًّ للطبخ من قبل الشاه صفي بن صفي ميرزا بن السلطان شاه عباس الأوّل الصفوي، وقد تُعرف بالشيلان، على ذلك نصوص تاريخية نقلتها المجاميع النجفية. ولمّا آلت إلى الإنهدام لمرور السنين المتطاولة عليها وانقراض من ينفق عليها من الصفويين استملكها الملاّ يوسف في شهر رجب سنة ١٢٥٢هـ بشراء من المرجع الديني الأعلى للشيعة في النجف الأشرف الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وبناها قيساريّة ذات فروع لها غرف كثيرة أمامها أواوين، وفتح لها باباً على الصحن الشريف، فعرف هذا الباب بباب القيسارية، كما سيأتي. وفي يوم الخميس حادي عشر ذي الحجّة سنة ١٣٣٣هـ عدا الملاّ شاكر فانتقل إلى الدار المشهورة بدار الملاّ يوسف جدّه، الواقعة في محلّة المشراق، وكانت قد اعتورت عليها الأيدي. وهي يوم عاد إليها في حيازة الشيخ عبد الهادي شليلة البغدادي بيد ورثته، وقد طالبه بالبيّنة على أنّها كانت لهم ملكاً من الأملاك.

حسين اليزدي الشهابادي ، والملاّ عبد الله بن الملاّ محمد طاهر ، والملاّ عبد المطلب ابن الملاّ عبد الله ، والملاّ محسن ، والملاّ محمد صالح بن الملاّ محسن بن الملاّ عبد الله ، والملاّ محمد طاهر ، والملاّ محمد طاهر بن الملاّ محمود ، والملاّ محمد كاظم ، والملا محمود ، والملاّ محمود بن الملاّ عبد المطلب بن الملاّ عبد الله بن الملاّ محمد طاهر ، والملاّ محمود بن الملاّ محمد صالح بن الملاّ محسن بن الملاّ عبد الله ، والملاّ محمود بن الملاّ يوسف بن الملاّ سليمان بن الملاّ محمد طاهر ، والملاّ يوسف بن الملاّ سليمان بن الملاّ محمد طاهر بن الملاّ محمود .

وكان الملاّ يوسف بن الملاّ سليمان المتوفى سنة ١٢٧٠هـ حاكماً فتّاكاً سفّاكاً ، فأوجب ذلك سخط علماء النجف ، فتصدى لعزله عند حكومة أستانبول سماحة العالم الجليل الشيخ محمد حفيد الشيخ الأكبر كاشف الغطاء ، فعزله وفوضت الخازنية ورئاسة السدنة ومفتايح الخزائن إلى الشيخ محمد كاشف الغطاء ، وجعل مكانه السيّد رضا الرفيعي ، وبقيت الخازنيّة ورئاسة السدنة بأيدي أولاد السيّد رضا وأحفاده إلى اليوم أي سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م .

والسيد رضا هذا هو ابن محمد بن حسين بن محمد الرفيعي ، من أحفاد إبراهيم العسكري بن أبي الحسن موسى (أبي سبحة) بن إبراهيم المرتضى الأصغر بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

لباس الفتوّة

هو لباس خاص يجعل عليه بعض التصاوير ، كان يتولّى إلباسه في الغالب نقيب المشهد المقدّس عند المرقد المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام .

والفتوّة في اللغة : الكرم والسخاء . وفي عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة ، وصاحب الفتوّة يقال له "الفتى" . وعبّر عنها في الشريعة بمكارم

الأخلاق . ولم يجيء لفظ الفتوّة في الكتاب والسنّة وإنّما جاء في كلام السلف ، وأقدم من تكلّم فيها جعفر الصادق ثمّ الفضيل ثمّ الإمام أحمد وسهل والجنيد ، ولهم في التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمال واحد .(١)

سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام عن الفتوّة ، فقال : ما تقول أنت ؟. قال : إن أعطينا شكرنا وإن منعنا صبرنا ... إلى أن قال : يابن رسول الله فما الفتوّة عندكم ؟ . قال : إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا .(٢)

وتذاكر الناس عند الصادق عليه‌السلام أمر الفتوّة فقال : "تظنّون أمر الفتوّة بالفسق والفجور ، إنّما الفتوّة والمروءة طعام موضوع ، ونائل مبذول بشيء معروف ، وأذى مكفوف ، فأمّا تلك فشطارة وفسق ... ."(٣)

أمّا مبدأ الفتوّة ومنشؤها ، فإبراهيم الخليل عليه‌السلام ، وهو أبو الفتيان . قال سبحانه مخبراً عن أصحاب الأصنام : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (٤) . قالوا : وإنّما هتف الملك يوم أحد بقوله "لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي" ، لأنّه كسر الأصنام فسمّي بما سمّي به أبوه إبراهيم الخليل حين كسرها وجعلها جذاذاً . قالوا : وصنم كلّ إنسان نفسه فمن خالف هواه فقد كسر صنمه فاستحق أن يطلق عليها لفظ الفتوّة . ولم تزل الفتوّة عن إبراهيم عليه‌السلام تتّصل بالأنبياء والصدّيقين ، حتى وصلت إلى نبيّنا صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وهو أفتى الفتيان ، ومنه فتوة علي عليه‌السلام ، ومن فضيلة فتوّته التي هتف بها الهاتف ، وجاد بنفسه على فراش النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله .(٥)

---

(١) تاج العروس : مادة (فتي) .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ٤٧٤/١ . شرح نهج البلاغة : ٢١٧/١١ .

(٣) من لايحضره الفقيه : ٢٩٤/٢ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٦٠ .

(٥) شرح نهج البلاغة : ٢١٧/١١ .

قال ابن أبي الحديد في أمير المؤمنين علي عليه السلام : ما أقول في رجلٍ أحبَّ كلّ واحدٍ أن يتكثّر به ، وودَّ كلّ أحدٍ أن يتجمّل ويتحسّن بالانتساب إليه ، حتى الفتوّة التي أحسن ما قيل في حدّها : ألاّ تستحسن من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، فإنّ أربابها نسبوا أنفسهم إليه ، وصنّفوا في ذلك كتباً ، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه ، وقصروه عليه وسمّوه سيّد الفتيان ، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروي ، أنّه سمع من السماء يوم أحد :

لا سـيـف إلاّ ذو الفقـار ولا فتـى إلاّ علـي[1]

وقد توجّه بعض الخلفاء العباسيين ووزرائهم وأمرائهم إلى النجف الأشرف لزيارة المرقد المطهّر ، ولبس بعضهم سراويل الفتوّة على يد نقباء المشهد الشريف . ولم يزل هذا التقليد يمارس في القرنين السادس والسابع ، فالبلاط العباسي في آخر عهده اقترب من التشيّع ، وكانت حلقة الوصل في ذلك هو التصوّف والفتوّة التي كان الخلفاء يتلبّسون بشعائرها بيد نقباء شيعة في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام . وقد يتولّى الخليفة نفسه إلباس غيره من الملوك والأمراء بلباس الفتوّة ، أو يرسله إليهم في إماراتهم .

قال السيّد ابن طاووس : فأول من زار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام الرشيد وجماعة من بني هاشم ، ثمّ المقتفي ، ثمّ الناصر مراراً وأطلق عنده صدقات ومباراً ، ثمّ المستنصر وجعله شيخه في الفتوّة ، ثمّ المعتصم .[2]

وقال ابن الطقطقي : كان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم ، بصيراً بالأمور مجرّباً سائساً مهيباً مقداماً عارفاً شجاعاً . وكان يرى رأي الإمامية ... وصنّف كتباً وسمع الحديث النبوي صلوات الله على صاحبه وأسمعه ، ولبس لباس الفتوّة وألبسه .[3]

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٩/١ .

(٢) إقبال الأعمال : ٢٧٠/٢ .

(٣) الكنى والألقاب : ٢٣٣/٣ .

وفي سنة ٥٧٨ هـ تفتّى الناصر إلى عبد الجبار بن يوسف البغدادي شرف الفتوّة ، وكان شجاعاً مشهوراً تخافه الرجال ، ثمّ تعبّد واشتهر ، فطلبه الناصر ، وتفتى إليه ، وجعل المعوّل في شرع الفتوّة عليه - فأصبح يعرف بشيخ الفتوّة - وبقي الناصر يلبس سراويل الفتوّة لسلاطين البلاد ، فأرسل في سنة ٥٩٩هـ الخلع وسراويلات الفتوّة إلى الملك العادل وبنيه .[١]

والمستنصر العباسي أيضاً بعث في سنة ٦٢٧ هـ إلى صاحب الروم جلال الدين خوارزم شاه لباس الفتوّة ، وكان خوارزم شاه قد طلبها منه .[٢]

وفي سنة ٦٠٨هـ لبس ابن الساعي لباس الفتوة في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف . وهو الشيخ تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان المعروف بابن الساعي البغدادي المؤرّخ خازن دار الكتب للمستنصر العباسي ، المتوفى سنة ٦٧٤هـ .

وكان نقيب المشهد العلوي السيّد جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي المتوفى سنة ٦٤٩هـ قد أشار على الخليفة المستنصر بالله أن يلبس سراويل الفتوّة عند مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، وأفتى بجواز ذلك ، فتوجّه الخليفة إلى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف ، وكان هو النقيب في ذلك .[٣]

ومن نقباء المشهد الشريف الذين كانوا يتولّون إلباس لباس الفتوّة السيّد الجليل العالم النسّابة النقيب أبو عبد الله تاج الدين محمد بن القاسم ، المعروف بابن معيّة ، المتوفى سنة ٧٧٦هـ .[٤] وبقي آل معيّة يُلبسون هذا اللباس في المشهد الشريف نيابة عن السيّد تاج الدين محمد بن القاسم بن معيّة .[٥]

---

(١) البداية والنهاية : ٤٢/١٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٦١/٢٣ .

(٣) الحوادث الجامعة : ٢٥٦- ٢٥٧ .

(٤) عمدة الطالب : ١٦٩-١٧١ .

(٥) شهداء الفضيلة : ٧٩ .

الفصل الثامن

الحالة الاقتصادية للنجف

الحالة الاقتصادية للنجف

قبل ظهور مدينة النجف الأشرف كان موضع النجف المطل على البحر القديم ميناءً نشطاً ترسو فيه السفن للتبادل التجاري بين دولة المناذرة في الحيرة وجهات العراق والهند والصين .

قال أبو المظفر سبط بن الجوزي : وكان البحر المعروف بالنجف في ذلك الوقت جارياً ، وكان مرسى السُفن من الهند والصين إلى ذلك المكان يحمل فيه الأمتعة إلى ملوك الحيرة لمّا كانت عامرة ، ولمّا استحال الماء وانقطع عن مصبّه في النجف صار ذلك البحر برّاً ، وصار بين الحيرة مسافة .[1]

وبعد ظهور المرقد المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام ونشوء مدينة النجف الأشرف كان لموقع المدينة على حافة الصحراء أثر في بروز نشاط تجاري آخر مع القادمين من أعماق الجزيرة العربية للتبضّع من العراق ، وما يقوم به التجّار النجفيّون من رحلات إلى تلك الأنحاء وغيرها ، وقد ساعد في ذلك ما عُرف به النجفيّون من الإرتباط بالعقيدة الإسلامية من جانب ، والأخلاق الحميدة من جانب آخر .

قال ابن بطوطة في رحلته : وأهلها - أي النجف - تجّار يسافرون في الأقطار وهم أهل شجاعة وكرم ، ولا يضام جارهم صحبتهم في الأسفار ، فحمدت صحبتهم .[2]

---

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : ١/٣- ٤ .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ١٩٩ .

ولمّا كان هناك تلازماً وثيقاً بين التقدم الاقتصادي والاستقرار الأمني ، وفي أي مجتمع كان ، فقد شهدت مدينة النجف أدواراً من الازدهار الاقتصادي نتيجة لما مرّت به من أمن على سلامتها وسلامة الطرق المؤدّية إليها ، ولما تلقى من عناية ودعم من السلطة الحاكمة في العراق . فقد كان الوضع الاقتصادي في النجف الأشرف نشطاً في العهد الإيلخاني الذي امتدّ من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٧٣٦هـ ، واحتلّت النجف المرتبة الخامسة بين مدن العراق ، فكانت تجارة العراق تتركز في بغداد بشكل رئيسي ثمّ في الموصل والبصرة وواسط والنجف .[(١)]

وقد تتقدّم النجف في بعض السنين لتحتل المرتبة الثالثة بين مدن العراق ، ففي إحصاء لعوائد الإيالات (المحافظات) في العراق سنة ٧٤٠هـ في عهد السلطان الشيخ حسن نويان الإيلخاني ، فكانت كما يلي : بغداد (٨٠,٠٠٠) ديناراً ، البصرة (٤٤١,٠٠٠) ديناراً ، النجف (٧٦,٠٠٠) ديناراً ، بعقوبة (١٦٤,٠٠٠) ديناراً ، واسط (٤٤٨,٥٠٠) ديناراً .[(٢)]

ويكشف عن مدى ما وصلت إليه مدينة النجف الأشرف من ازدهار اقتصادي في هذا العهد ما ذكره الرحّالة ابن بطوطة في زيارته مدينة النجف عام ٧٢٦هـ ، قال : إنّها من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناءً ، ولها أسواق جسنة نظيفة دخلناها من باب الحضرة فاستقبلنا سوق البقّالين والطبّاخين والخبّازين ، ثمّ سوق الفاكهة ، ثمّ سوق الخيّاطين والقيساريّة ، ثمّ سوق العطّارين .[(٣)]

كما مرّت مدينة النجف بمراحل من الخمول الاقتصادي بعد حوادث أدّت إلى عدم اطمئنان النجف على سلامتها ، وفي كثير من الأحيان إلى انقطاعها عن العالم

---

(١) العراق في عهد المغول الإيلخانيين : ١٣٥ ، ١٣٩ .

(٢) تاريخ آل جلاير (فارسي) : ١٩٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة : ١٩٨ .

الخارجي ولفترات ليست بالقصيرة ، أو عدم وجود طرق تجارية كافية ومأمونة موصلة إليها في جميع الأوقات وتعرّضها لموجات من السلب والنهب ، وبالتالي خمول نشاطها الاقتصادي .

فقد كان لهجوم حاكم البصرة والجزائر علي بن محمد بن فلاح الموسوي الملقّب بالمشعشع على النجف وكربلاء ، عام ٨٥٧هـ وقتله الكثير من أهلهما قتلاً ذريعاً ونهبه المشهدين ، والهجمات الوهابية التي ابتدأت سنة ١٢١٤هـ واستمرّت لأكثر من عقدين من الزمان ، وحوادث الشمرت والزقرت التي استمرّت لما يقرب من مئة عام ، وغيرها من الحوادث ، الأثر الكبير في تأخر نمو النجف اقتصادياً ، حيث تعطّل الأسواق وينزح الكثير من أهل البلدة إلى مواطن أكثر أمناً .

ولعلّ العامل الرئيسي في بقاء الكيان الاقتصادي لهذه المدينة قائماً دون انهيار هو تعدّد مصادر الدخل للمجتمع النجفي مع أنّ هذا الكيان لم يكن زراعياً ولاصناعياً ولم تكن التجارة وحدها هي المصدر الوحيد له .

ويمكن تعداد مصادر الدخل الإقتصادي في النجف بما يلي :

١ـ ما يكسبه التجّار النجفيّون في تجارتهم داخل النجف وخارجها . فقد ورد في نصوص تاريخية كثيرة أنّ أرض النجف كانت محلاً لتلقّي وتوديع الحاج حين وروده أرض العراق ، وكانت قوافل الحاج تمرّ بالنجف في ذهابها وإيابها من بغداد ومن أنحاء مختلفة من العراق . وتقدّم في موضوع "سبب تسمية النجف" عدد من الشواهد على هذا المعنى ، كما سيأتي في "المواضع العامة في النجف" أنّ "بسيطة" هي قاعدة سوق النجف التجاري البرّي ، وهي رحبة واسعة في ضاحية مدينة النجف الأشرف كانت محطّة للقوافل ، تأتي إليها وتغدو حاملة الأطعمة والسلع التجارية ، وتجري عندها مساومة بيع الإبل والأغنام .

٢ـ ما يبعث به المسلمون الشيعة من حقوق شرعية إلى النجف باعتبارها مقر الزعامة الدينية ، حيث تصرف في مواردها ، كالإنفاق على طلبة العلوم ، وبناء المدارس الدينية ، وغير ذلك من موارد .

٣ـ ما يبعث به الملوك والوزراء لإعمار وتجديد المرقد المطهّر وبناء الأربطة وسور المدينة المشرّفة وشقّ الأنهر إليها ، فتتوفّر نتيجة لذلك فرص كثيرة للعمل .

فكانت لمحمد بن زيد المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان المتوفى سنة ٢٨٧هـ في كلّ سنة ثلاثون ألف درهم أحمر يصرفها على العتبات المقدّسة .[١]

وحينما جاء الشاه عباس الصفوي زائراً العتبات المقدّسة في العراق أمر بتجديد القبّة العلوية ، ووسّع الحرم ، وجلب من أجل ذلك المهندسين ، ودام العمل ثلاث سنين .[٢]

وفي سنة ١٠٤٢هـ جيء بماء الفرات إلى أرض النجف بأمر الشاه صفي الصفوي ، كما أمر وزيره الميرزا محمد تقي المازندراني بتعمير القبّة المنوّرة ، فمكث الوزير في النجف ثلاث سنين .[٣]

وقد تقدّمت وستأتي أمثلة كثيرة في موضوع إجراء الأنهر إلى النجف ، وبناء الأربطة كرباط عطاء الملك الجويني ، وأسوار مدينة النجف .

٤ـ ما يجريه الملوك والوزراء من نفقات سنوية وهبات لخدم المرقد المطهّر والمجاورين والزائرين .

فكان عضد الدولة البويهي يبعث في كلّ سنة مقداراً من التحف والهدايا إلى العتبات المقدّسة .[٤]

---

(١) تاريخ طبرستان (فارسي) : ٩٥/١ .

(٢) الأحلام : ٥٤ .

(٣) المنتظم الناصري (فارسي) : ١٨٢/٢ .

(٤) تاريخ ديالمة وغزنويان (فارسي) : ٨٩ .

وورد أنّ في سنة ٦٣٣هـ أمر الخليفة المستنصر بالله العباسي بتفريق ثمانية آلاف دينار من مال الطبق ، منها ألف دينار لفقراء العباسيين ، وألف دينار لفقراء الطالبيين ، وألف دينار للشرفاء المقيمين في دار الشجرة من حريم دار الخلافة ، وألفان لفقراء العلويين المجاورين لمشهد علي عليه السلام .[١]

٥ـ ما يمنحه الملوك والوزراء والأعيان عند زيارتهم للمرقد المطهّر كهدايا للفقراء والمجاورين . ففي زيارة عضد الدولة البويهي للنجف الأشرف سنة ٣٧١هـ طرح في الصندوق دراهم ، فأصاب بكلّ واحد من العلويين أحدى وعشرون درهماً ، وكان عدد العلويين ألفاً وسبعمئة اسم ، وفرّق على المجاورين خمسة آلاف درهم وعلى المتردّدين خمسة آلاف درهم ، وعلى القرّاء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم ، وعلى المرتّبين والخازن والنوّاب على يد أبي الحسن العلوي ، وعلى يد أبي القاسم بن أبي العابد ، وأبي بكر بن سيار رحمه الله .[٢]

وفي سنة ٤٧٩ هـ زار السلطان ملك شاه السلجوقي ووزيره نظام الملك المرقد المطهّر في النجف ، وأطلق لمن فيه ثلاثمئة دينار ، وتقدّم باستخراج نهر من الفرات يطرح الماء إلى النجف فبدئ فيه ، وعمل له الطاهر نقيب العلويين المقيم هنالك سماطاً كبيراً .[٣]

وحينما زار النجف السلطان المغولي غازان بن أرغون عام ٦٩٨هـ أمر للعلويّين والمقيمين بها بمال كثير .[٤]

---

(١) العراق في عهد المغول الإيلخانيين : ٢٥٧ .

(٢) فرحة الغري : ١٥٤ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٢٩/٩ .

(٤) الحوادث الجامعة : ٤٩٧ .

٦ـ الدفن في النجف

في النجف مقبرة كبيرة تعرف بمقبرة وادي السلام تعتبر ربّما من أكبر المقابر في العالم . واستمرّ الدفن في هذه البقعة لقرون خلت لما وردت من أحاديث كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فضل الدفن في هذه البقعة المقدّسة ، كما تقدّمت الإشارة إليها . وحصل من جرّاء تجهيز ودفن الموتى الكثير من الانتفاع الماديّ والاجتماعي لعدد كبير من الناس في النجف ، وتكوّنت نتيجة لذلك طبقة جديدة في المجتمع النجفي كثيرة العدد يعتمد دخلها في الأساس على عدد الجنائز التي يؤتى بها لتدفن في النجف .

حينما زار الرحّالة نيبور مدينة النجف سنة ١١٧٩هـ- ١٧٦٥م قدّر عدد الموتى الذين يؤتى بهم من أماكن مختلفة ليدفنوا في النجف أنّه كان يتجاوز الألفين في السنة .

أمّا الرحّالة الإنـكليزي لوفتس فقد قدّر عدد الجنائز عند زيارته لمدينة النجف عام ١٢٧٠هـ والتي كان يؤتي بها للدفن في النجف بشيء يتراوح بين (٥٠٠٠) و (٨٠٠٠) جنازة في السنة .[١]

وبحسب الإحصاءات التي قامت بها إدارة الصحّة التركيّة العامة عام ١٩١٢- ١٩١٣م والمبعثرة في مكاتبها هنا وهناك في مدن العراق بلغ عدد المدفونين الذين يؤتى بهم من خارج النجف ٧٥٥٨ .[٢]

وقد زاد عدد الموتى الذين يؤتى بهم إلى النجف كثيراً بفضل توفّر سبل النقل السريعة .

٧ـ ما ينفقه الزائرون لمدينة النجف على مدى أيام السنة ، كنفقات الإقامة وشراء ما يلزمهم لمتابعة سفرهم ، خصوصاً في مواسم معيّنة من أيام السنة كزيارة يوم الغدير والمبعث النبوي الشريف ، يحضر فيها الناس من شتّى أرجاء العالم الإسلامي .

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ١/٢٣٤- ٢٣٧ .

(٢) دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث : ٧٨- ٧٩ .

وتطوّرت الزيارة لهذه المدينة المقدّسة إلى شبه حج قائم على مدار السنة . وأشار الرحّالة ابن بطوطة في عام ٧٢٦هـ إلى أيام الزيارة في النجف بقوله :

وهذه الروضة ظهرت بها كرامات لأنّ بها قبر علي عليه السلام ، فمنها أنّ في ليلة السابع والعشرين من رجب [أي ليلة المبعث النبوي الشريف] وتسمى عندهم "ليلة المحيا" يؤتى إلى تلك الروضة بكلّ مُقْعَد من العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم ، فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ... وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة مدّة عشرة أيّام .(١)

أمّا الرحّالة الدانماركي نيبور الذي زار النجف سنة ١١٧٩هـ- ١٧٦٥م فهو يقدّر عدد الزوّار الذين كانوا يقصدون النجف يومذاك بحوالي خمسة آلاف زائر في السنة .(٢)

وفي سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٤م مرّ المسيو فونتانيية - نائب القنصل الفرنسي في البصرة يومذاك - ببغداد وزار واليها داود باشا ، وكتب في وصفها ما يشير به إلى النجف ، فهو يقول : أصبحت بغداد مجمعاً للمسلمين نظراً لوجود ضريح الإمام علي على مسافة منها ، ولاشك أنّ وجوده يدعو شيعته إلى زيارته والقدوم إليه ... ويقال إنّ مئة ألف أجنبي يمرّون سنوياً بمدينة بغداد للذهاب إلى ضريح الإمام علي . وهذا الإزدحام يجعل من أيّة نقطة في البر وسطاً تجارياً كبيراً .(٣)

وقال الرحّالة الإنكليزي لوفتس عند زيارته للنجف عام ١٢٧٠هـ : إنّ لقدسيّة النجف كان يقصدها الزوّار الشيعة من جميع الأنحاء ، وعلى هؤلاء كانت تعيش البلدة بأجمعها . وأنّ توارد الزوّار على النجف بكثرة قد أغناها غناءً غير يسير في تلك الأيام . وكان يقدّر معدّل عدد الزوّار الذين كانوا يفدون عليها في كلّ سنة بمقدار (٨٠,٠٠٠) شخصاً .(٤)

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ٢٠٠ .

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٢٣/١ .

(٣) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٣١/١- ٢٣٢ .

(٤) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ٢٣٤/١- ٢٣٧ .

الفصل التاسع

المحلاّت السكنيّة القديمة في مدينة النجف

المحلاّت السكنيّة القديمة في مدينة النجف

كان في مدينة النجف الأشرف محلاّت صغيرة وكثيرة غير منتظمة ولا مضبوطة بحد ، وشوارع ومرتفعات وحارات مشهورة بأحد ساكنيها من المعارف ، أو إلى أثر تاريخي فيها . وفي أُخريات العهد العثماني بالعراق قامت حكومة الأتراك بمشروع تنظيم هذه المحلاّت الصغيرة وحصرها في أربع محلاّت ، فعيّنت حدودها ، وضبطت تعداد دورها ، وجعلت لكلّ محلّة من هذه المحلاّت الأربع مختاراً . كلّ ذلك لأجل إحصاء سكّان مدينة النجف الذي أجري سنة ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م ليكون مقدّمة للتجنيد الإجباري الذي قامت بتنفيذه حكومة الأتراك سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩ م . والمحلاّت الأربع هي :

الأولى : محلّة المشراق .

الثانية : محلّة العمارة .

الثالثة : محلّة الحويش .

الرابعة : محلّة البراق .

المحلّة الأولى : محلّة المشراق

هي أقدم محلاّت النجف الأشرف على الظاهر ، حيث كان فيها دار عمران بن شاهين الخفاجي زعيم قبائل خفاجة في العراق وأمير البطيحة المتوفى فيها سنة ٣٦٩هـ ، ونقل جثمانه إلى النجف وأُقبر فيه .

قال شيخنا البحّاثة محمد حرز الدين : رأيت دكّة قبره في آخر سنة من القرن الثالث عشر الهجري ، ويبدو أنّه دفن في سرداب داره الواقعة شمال الصحن الغروي

الأقدس قرب باب الطوسي ببعد حدود المئة ذراع عنه .[(١)]

وفي محلّة المشراق دار شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رضوان الله عليه المتوفى بالنجف سنة ٤٦٠هـ، وأُقبر بداره التي أصبحت مسجداً شهيراً باسمه.

وفيها عمارة تيمورلنك المغولي[(٢)] قرب باب الطوسي شمال الصحن الغروي قرابة خمسين متراً مقابل بقايا رواق مسجد عمران بن شاهين قرب ساباط هناك قديم في دريبة نافذة أدركناه وهدم الآن ، وموضعه اليوم بين الشارع المحيط بالصحن وبين مسجد الشيخ الطوسي ، ومدرسة الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء . ومدرسة القوام الدينية في زقاق صغير نافذ .

---

(١) مراقد المعارف : ١٣١/٢ .

(٢) ولد تيمورلنك المغولي في "سوبز" من بلاد "رقش" سنة ١٣٣٦م - ٧٣٧هـ وهو ابن رئيس قبيلة "برلاس" التركية الخاضعة لملوك التتر ، وما كان يبلغ الثلاثين حتى تسنّم زمام "ترانز اوكسانيا" وجعل سمرقند عاصمة له ، ولكنّه كافح ١١ سنة للسيطرة عليها نهائياً ، ثمّ أخضع قندهار وكابول وسيستان ومازندران ، وإنّ المدن التي كانت تَستسلِم من غير قتال لم تسلم من السلب والنهب والذبح . وفي سنة ١٣٩٠م-٧٩٣هـ اجتاح بلاد فارس وأطاح بخلفاء هولاكو ودمّر عاصمتهم . واجتاح بغداد سنة ١٣٩٢م-٧٩٥هـ ، ورفع فيها أهراماً من ٩٠ ألف جمجمة . وكذلك فعل بالحامية التي كانت ترابط في قلعة تكريت الشهيرة بين الموصل وبغداد ، وزحف إلى دمشق فدمّرها وأعاث فيها فساداً . وبعد أن اكتسح أراضي آسيا الصغرى والرافدين وكردستان وجورجيا اجتاح روسيا ودخل موسكو وأنزل فيها قتلاً ونهباً ودماراً ، واجتاح الهند وقبل أن يدرك حصون دلهي سنة ١٣٩٨م-٨٠١هـ أعدم مئة ألف نسمة ثمّ انقضّ عليها ومزّقها شرّ تمزيق ، وما لبث أن زحف تيمورلنك على رأس مليون وثمانمئة رجل إلى الصين ، فعبر "أخسار" فوق الجليد ، وسار شهراً كاملاً ، ولكن لحسن حظ الصينيين والبشرية فتك داء عضال بتيمورلنك فلاقى حتفه في "أوترار" على مسافة ست فراسخ من سمرقند وذلك في أول نيسان سنة ١٤٠٥م-٨٠٨هـ فاستراح العالم من سفّاح قلّما شهد التاريخ نظيره . (الآشوريون في التاريخ : ١٤٨/٢ ، ١٥٠ ، ١٧١)

قال الشيخ علي الشرقي : توجد قريباً من ذلك الساباط آثار عمارة قديمة فيها قبو (سرداب) فيه ريازة وتخريم مؤزّر بالقاشاني يقال أنّه بقايا عمارة كانت لتيمورلنك أي الأعرج المغولي .[1]

وفي محلّة المشراق : دور الملالي أنجال ملاّ عبد الله التوني ، صاحب "الحاشية في المنطق" وهم خزّان حرم أمير المؤمنين علي عليه السلام في النجف الأشرف .

وتتألف محلّة المشراق من محلاّت صغيرة تميّزت بعضها عن الأخرى هُجرت أسماؤها اليوم فلا تذكر ، منها :

١ - محلّة العلا

تنسب هذه المحلّة إلى العلا ، وهو من مشاهير علماء النجف الأقدمين مقارباً لعصر شيخ الطائفة الطوسي قدّس سرّه . وبقي اسم المحلّة هذا إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري كما تحكيه بعض صكوك الدور في تلك المحلّة المؤرّخة سنة ١٢٤٦هـ وسنة ١٢٧٥هـ وما بعدها ، وهو تاريخ شراء دار السيّد محمد بن السيّد علي صعبر المزيداوي - جدّ السيّد الجليل محمود بن السيّد هاشم بن السيّد محمد - الدار الواقعة بمحلّة المشراق المسمّاة بمحلّة العلا .

وفي سنة ١٢٧٥هـ تاريخ صكّ لدار أخرى في محلّة العلا . وهذا الاسم خاص لمواقع مخصوصة قريبة من مرقد الشيخ الطوسي حتى يصل إلى سوق العطور ، الذي كان يعرف قبل هذا بسوق الپاچچية وعلى ذلك صكّ دار آل اليعقوبي المورّخ سنة ١٢٤٦هـ .

٢ - محلّة حمّام وهب

ورد ذكر محلّة حمام وهب في صكّ بيع دار العلوية بنت السيّد محمود بن السيّد إبراهيم الحكيم لأخيها السيّد أحمد ، الدار الواقعة بمحلّة حمام وهب من محلاّت قصبة النجف الأشرف بتاريخ ٢٧ شوال سنة ١٢٤٣هـ .

---

(١) الأحلام : ٥٦ .

٣- جبل الديك

جبل الديك هو مرتفع نسبي واقع شمال مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، يُنسب إلى رجل نجفي يُعرف بالديك ، وعلى هذا الجبل بيوت آل حسين النجم ، وبعض بيوت مشايخ آل مظفر ، وآل قسّام وغيرهم .

٤- محلّة عِجْرِم

وهي من المحال الصغيرة المندكّة في محلّة المشراق ، وعليه صكّ دار بعض النجفيين مؤرّخ سنة ١١٦٢هـ.

٥- محلّة المصبغة

محلّة صغيرة كان فيها دار الخطيب الشهير المرحوم الشيخ محمد شريف ، وفي ذلك صكّ مؤرّخ سنة ١٢٤٩هـ.

٦- محلّة الخيابان

موقعها اليوم غربي السوق الكبير في النجف ، وفيها سوق المشراق والمدرسة السليميّة الدينية التي أسّسها المقداد السيوري ، وفي ذلك صكّ مؤرّخ سنة ١٢١٢هـ.[1]

المحلّة الثانية : محلّة العمارة

كانت تعرف بعمارة المؤمنين . موقعها من الحرم الشريف في شماله الغربي حتى جنوبه الغربي مروراً بالغرب . وكان اسم العمارة خاصّاً بمحل مقبرة الشيخ صاحب الجواهر وما قاربها ، وما بَعُدَ عن المقبرة كلٌّ له اسم خاص به ، واليوم هي أكبر محلاّت النجف الأشرف مساحة ونفوساً ، وفيها يقيم جلّ العلماء وأهل الفضل والأسر العلمية قديماً وحديثاً ، وفيها مقابر الكثير من العلماء .

ومن المواضع المشهورة والمحلاّت الصغيرة في محلّة العمارة التي تُركت أسماؤها في أواخر القرن الثالث عشر :

---

(١) ماضي النجف وحاضرها : ٢٤/١ .

١- جبل شرفشاه

موقعه بين الغرب والجنوب الغربي للمرقد المطهّر ، ويُنسب إلى الأمير العالم الفاضل السيّد شرفشاه[1] المجاور لمرقد علي عليه السلام ، وكانت داره على هذا الجبل واشتهر به ، ويعرف هذا الجبل عند السواد الأعظم اليوم بجبل شريشفان محرّف "شرفشاه" . وسيأتي في القرن السادس سنة ٥٧٣هـ .

٢- محلّة الرباط

جاء ذكر هذه المحلّة في صكوك دور آل الشيخ يونس الواقعة في سوق العمارة اليوم المؤرّخة سنة ١١٨٤هـ ، وتنتهي هذه المحلّة إلى دور آل رحيم ، وهي في الزقاق الذي فيه مسجد الشيخ الأكبر جعفر صاحب "كشف الغطاء" ، وتمتدّ من جهة القبلة إلى مسجد المقدّس الشيخ أحمد الأردبيلي ، ومقبرة المشايخ آل ياسين المجاورة له كما يحكيه صكّها المؤرّخ سنة ١١٦٢هـ .

وذكر شيخنا البحّاثة سبباً لتسمية محلّة الرباط بهذا الاسم ، قال : إنّ في منتهى الزقاق - الذي صار سوقاً واشتهر بسوق العمارة بعد فتح باب الصحن السلطاني الجديد - موضعاً فيه محراب[2] قديم مجلّل تزعم الناس فيه مستندة إلى التلقّي والشهرة أنّه موضع كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يربط ناقته فيه عندما يأتي لزيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام متخفّياً ، ولهذه المناسبة ولهذا الأثر التأريخي سمّيت محلّة الرباط .[3]

---

(١) هو الأمير شرفشاه عزّ الدين بن أبي الفتوح محمد المعروف بزيارة العلوي الحسيني الأفطسي النيسابوري . من أعلام القرن السادس ، ومن معاصري منتجب الدين بن بابويه صاحب "الفهرست" . والأفطسي نسبة إلى الحسن الأفطس بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢) هو المقام الثاني للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام . سيأتي الحديث عنه ضمن المواضع الإسلامية في النجف .

(٣) معارف الرجال : ٢٥٨/١ .

٣- *رباط الجويني*

هو حصن واسع جدّاً فيه بيوت كثيرة ، أسّس على أنّه خيرية محبّسة على كلّ من أراد السكن في النجف الأشرف والمجاورة لمرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . وهو من أشهر الرباطات القديمة في القرن السابع في النجف الأشرف . وقد أوقف الجويني عليه وقوفاً كثيرة تدرّ على كلّ من يسكن هذا الرباط ما يحتاج إليه المرابط .

والجويني : هو الصدر المعظّم علاء الدين أبو المظفر عطاء الملك محمد بن بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد . ولد سنة ٦٢٣هـ ، وكانت ولايته للعراق إحدى وعشرين سنة ، وتوفي في "أران" سنة ٦٨١هـ.[١] كذا ذكره ابن الفوطي ، وقال :

وفي سنة ٦٦٦هـ أمر علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببناء رباط بمشهد علي عليه السلام ليسكنه المقيمون هناك ، وأوقف عليه وقوفاً كثيرة وأدرَّ لمن يسكنه ما يحتاج إليه .[٢]

وقال السيّد عبد الكريم بن طاووس : لقد أحسن الصاحب عطاء الملك بن محمد الجويني صاحب ديوان الدولة الإيلخانية حيث عمل الرباط ، وكان وضع أساسه من سنة ٦٧٦هـ ، وابتدأ بحفر القناة سنة اثنين وسبعين وستمئة . وكان سنجر بن ملكشاه أجهد في ذلك من قبل فلم يوفّق له ، وذكره ابن الأثير الجزري في تاريخه ، وآثار البناء باقية .[٣]

يقع رباط الجويني في النجف غربي الحرم العلوي الأقدس مباشرة جنب تكية البكتاشيّة ومسجد الرأس ، وهو المسموع من بعض المؤرّخين والمنقّبين عن آثار مدينة النجف الأشرف . وقد أدركنا بعض أساطينه وسقوفه الباقية إلى سنة ١٣٥٠هـ بناء ضخم جدّاً على غرار أساطين ودعائم الصحن الحيدري الشريف ، يوم كانت بقاياه المسقوفة تستخدم لسنين متطاولة من قبل آل السيّد جواد بن السيّد رضا الرفيعي

---

(١) الحوادث الجامعة : ٤٢٣ .

(٢) نفس المصدر : ٣٥٨ .

(٣) فرحة الغري : ١١٥-١١٦ .

خازن وكليدار الروضة الحيدرية بوضع خيولهم وبغالهم بها حتى عُرف هذا الموضع بالطولة ، وكانت دار السيّد الخازن مجاورة له . هذا والمعروف أنّ النجفيّين قد استملكوا المساحات من هذا الرباط وعمروها دوراً لسكناهم بعد أن مضى عليه ما يقرب من سبعة قرون قبل خرابه ، مضافاً إلى انعدام الجهة التي بُني الرباط من أجلها .

وفي سنة ١٣٦٨هـ شمل الشارع الجديد المحيط بالصحن الحيدري الشريف قسماً وافراً من بقايا مساحة هذا الرباط المذكور .[(١)]

وقد صار بعض بقايا الرباط ضمن أُسس المدرسة الدينية العلمية التي أشادها المرجع الأعلى زعيم الحوزة العلميّة السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي قُدِّسَ سِرُّهُ لطلاّب العلوم الدينية في النجف الأشرف ، لتكون معهداً دراسياً وقسماً داخلياً للطلبة المهاجرين من عدّة دول عربية وغير عربية .[(٢)]

مساء يوم ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٩٨هـ وقفتُ على عمّال البناء وهم ينقضون الجدران والأساطين القديمة الباقية من الرباط لإشادة الجناح الشمالي من عمارة المدرسة ، وإذا بدعامة قديمة جدّاً من بقايا الرباط المذكور يستظهر قدمها من حجارتها الكبيرة ، فكانت مساحة قاعدة هذه الدعامة حدود ثلاثة أمتار بمترين ، مُشادة بطاباق كبير مربّع الشكل ، وهو من زيّ القرن السابع الهجري .

---

(١) ومن الدور التي شملها الشارع الجديد المحيط بالصحن الشريف سنة ١٣٦٨هـ ، دار الوقف التي كانت بيد الشيخ أبي الحسن الفتوني ـ جدّ الشيخ صاحب الجواهر لأمّه – وكانت خربة كبيرة فيها بيوت يستأجرها بعض أرباب الحرف البسيطة ، وأمامها في السوق دكاكين منها . والمعروف أنّ هذه الدار الكبيرة كانت من الأوقاف القديمة العامة للشيعة ، انتقلت توليتها إلى الشيخ الفتوني ، من السيّد مير شرف الدين علي الشولستاني المتوفى سنة ١٠٦٠هـ.

(٢) هُدمت هذه المدرسة بعد سنوات من إكمال بنائها ، بقرار جائر من السلطة الحاكمة ، قضى بهدم وتخريب القسم الأكبر من محلّة العمارة ، لما تضمّه من بيوت علمية ومدارس دينية ومساجد تاريخية وقبور لأعلام الطائفة ، وإليه تعالى المشتكى .

٤- محلّة المسيل

ومن محلاّت النجف الصغيرة التي هُجر اسمها وأُدمجت في محلّة العمارة هي محلّة المَسيل ، كما ذكرت في صكّ دار بيت عرب مؤرّخ سنة ١٢٧٥هـ.

موقعها غربي مدينة النجف القديمة ممّا يلي جرف بحر النجف . وقيل في سبب تسميتها أنّ أرضها مَسيل مياه الأمطار القادمة من ظهر الوادي الذي عليه بلد النجف الأشرف ، لانخفاض هذه البقعة عن البلد وجريان المياه المجتمعة عليها باتجاه البحر .

ويبدو أنّ دور محلّة المسيل كانت منفصلة عن المدينة القديمة بمساحات غير معمورة ، وبهذا أشار شيخنا الحجّة بقوله : وفي عصرنا اتصلت بلدة النجف بها وتعدّت حدودها بكثير .(١)

كما أنّ هناك شارع يعرف بشارع المَسيل يبتدئ من جهة الشرق وينتهي بالغرب بآخر مقاطع له نازل من سفح جبل شرفشاه ، وهذا الشارع عرف أخيراً بشارع آل الجزائري ، وله ذكر في الحوادث الصفوية سنة ١٠٣٢هـ وفي ذلك العهد كانت به تنتهي محلّة العمارة .

ومن البيوت العلمية التي قامت في محلّة المسيل ، كما ذكرها شيخنا محمد حرز الدين ، بيت العالم الزاهد الشيخ راضي بن علي بك الفتلاوي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ التي تقرب من دارنا ، وأمامها دار الشيخ شاهر بن الشيخ نون بن الشيخ عبد الواحد بن الشيخ عبد الخضر بن الشيخ راشد العبودي المتوفى سنة ١٢٥٥هـ. والعبودي نسبة إلى القبيلة الشهيرة "العبودة" .(٢)

---

(١) معارف الرجال : ١/ ٢٥٧.

(٢) خرج من هذا البيت في النجف جماعة من العلماء وأهل الفضل . كما نبغ منه الشيخ مشهد بن الشيخ عبد الواحد بن الشيخ عبد الخضر بن الشيخ راشد ، وصار البيت يشتهر ببيت الشيخ مشهد ، ولهذه الأسرة مكتبة كبيرة جلّها من نفائس المخطوطات ، وقدّ وزّع بعض رجالهم تلك المكتبة

وفي هذه المحلّة أيضاً دار الشيخ موسى بن الشيخ عبد الله الحفاظي النجفي المتوفى سنة ١٢٨٧هـ ، ودار الشيخ قاسم بن الشيخ محمد بن مسعود بن عمارة بن نصار بن ماجد بن نصار بن زهير بن فلاح بن سماح بن شهاب ابن جعفر بن كلاب الجعفري المشهور اليوم بالقَرَشي النجفي . هو جدّ الفاضل الشيخ محمد طاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ قاسم هذا .

وفيها دار العالم الفقيه الشيخ عبد العزيز بن الشيخ خلف بن مُحيسن بن كرم الله بن عبد الفضل بن الشيخ عبد الحسين بن هيكل المُسلمي العُقيلي النجفي الحلّي المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ، كانت داره في الزقاق النافذ إلى مقام علي أمير المؤمنين عليه السلام وقبر اليماني في مقبرة الصفا ، واشتهر الزقاق أخيراً بساباط الدرويش[(١)] ، والدرويش هذا رجل مرتاض مسخِّر اعتدى على الأحكام الشرعية والنواميس العرفية فقتله النجفيون شرَّ قتلة .

وفي هذه المحلّة قرب مقبرة الصفا دار أبي المكارم الشيخ محمد بن الشيخ عبدالله بن الشيخ حمد الله بن الشيخ محمود حرز الدين المُسلمي العُقيلي النجفي المتوفى سنة ١٢٧٧هـ.

على البيوت العلميّة في النجف بما فيها الكتب المخطوطة ، حين انصرف آل الشيخ مشهد عن طلب العلم وصاروا مزارعين بضواحي جسر الكوفة على ضفّة نهر الفرات اليسرى .

ثمّ أفاد الشيخ جدّنا عطّر الله مثواه : ومن كتبهم المخطوطة التي صارت بأيدينا كتاب "الدرة السنيّة" على شرح الألفية ، بخطّ سليمان الموسوي الحويزي بتاريخ سادس صفر سنة ١١١٣هـ . وعلى هذا الكتاب تواقيع جملة من هذه الأسرة منهم الشيخ عبد الواحد بن الشيخ راشد العبودي ، والشيخ أحمد بن الشيخ عبد الواحد ، والشيخ عباس بن مشهد بن الشيخ عبد الواحد العبودي ، وعليه تعليقة بقلم يعقوب العبودي ، والشيخ محمد بن الشيخ عباس العبودي المتوفى في شوال سنة ١٢٧٩هـ وجعفر بن الشيخ أبو الحسن بن الشيخ محمد علي العبودي . (معارف الرجال : ٣٥٠/١)

(١) في سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م دخل زقاق ساباط الدرويش وغيره من الأزقّة ضمن الأمتداد الجديد لشارع الصادق عليه السلام المبتدئ من شارع دورة الصحن الشريف والمنتهي بشارع السور .

٥- *محلّة الشيلان*

تقع محلّة الشيلان غربي مدينة النجف ، قد أخذت شيئاً من محلّة المسيل . والشيلان هذا هو دار ضيافة واستراحة العمّال والمهندسين الذين أشادوا السور الحصين السادس والأخير الذي أشاده الصدر الأعظم سنة ١٢٦٦هـ . وتولّى هذا الشيلان وتوابعه من الدور سدنة قبر اليماني ومقام علي عليه السلام .

٦- *الثلمة*

هي ما اشتهرت به الدور التي بنيت خارج القطعة الغربية المنهدمة من سور النجف السادس والأخير ممّا يلي مقام الإمام زين العابدين عليه السلام . وهي أوّل محلّة بنيت خارج سور النجف القديمة ، وعرفت هذه الدور بعد ذلك بمحلّة الحاج عطية أبو گلل .

وفي سنة ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م زار النجف الأشرف أحد التجّار المحسنين المدعو الحاج عبد السميع الأصفهاني وعمّر هذه القطعة المنهدمة من السور ، وأخرج منها باباً للإستقاء من ماء البحر وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤هـ ، كما سيأتي .

وفي اليوم الثاني عشر من نيسان سنة ١٩١٧م عمد الجيش الإنـكليزي المحتل إلى تخريب جميع الدور التي بُنيت خارج السور ومنها هذه المحلّة ، وكان عدد دور هذه المحلّة لا يقلّ عن خمسمئة بيت .

المحلّة الثالثة : محلّة الحويش

هي إحدى محلّات مدينة النجف الأشرف الأربعة . تقع في الجنوب إلى الجنوب الغربي لحرم أمير المؤمنين عليه السلام ، ويروى في سبب اشتهار هذه المحلّة بهذا الاسم ، هو أنّ فرقة من عشيرة الجبور يعرفون بآل حويش وقعت بينهم وبين أعمامهم الجبور فتنةٌ قتلوا فيها رجلاً من بني عمّهم ، فحكم عليهم العُرف القبلي بالجلاء عن عشيرتهم ومسقط رؤوسهم ، فجاؤا إلى النجف وبنوا أبنيتهم في هذا الموضع ، ولم يكن يومئذ فيها عمارة ، فاشتهر الموضع بهم ونسب إليهم .[1]

---

(١) ماضي النجف وحاضرها : ٢٥/١ .

أمّا المحلاّت الصغيرة التي دخلت ضمن محلّة الحويش ، فهي :

١- محلّة حوض شطيب

وهي محلّة واسعة ، كان فيها دار السيّد داود الرفيعي نائب خازن الحرم الحيدري ، ودار آل الشريس الواقعة اليوم في سوق الحويش ، ودور آل محي الدين المقابلة لدار زعيم الطائفة السيّد أبو الحسن الأصفهاني قدّس سرّه وفي هذه المحلّة يدخل جزء من محلّة الحويش وجزء آخر كبير من محلّة العمارة بعد تقسيم المحلاّت أخيراً إلى أربع ، كذا في صكوك الدور القديمة .

٢- محلّة عِقْد الذهب

ورد اسم هذه المحلّة في صكّ مؤرّخ سنة ١٠٥٣هـ .

٣- محلّة العجم

ذُكر اسمها في صكّ دار مؤرّخ سنة ١٠٤٨هـ .

٤- محلّة باب النهر

يقع فيها اليوم دار الحجّة الزاهد الشيخ علي رفيش عنوز ، ودار السادة الأجلّة آل الخرسان ، ويدخل فيها المرقد القديم المشهور بمرقد بنت الحسن ، وما جاورها دور السادة العوّادية قديماً ، كلّ هذا في صكّ دار السادة الأجلاّء آل السيّد علي خان ، ودار آل شُكر ، وصكّ مؤرّخ سنة ١٢٦٩هـ .

٥- محلّة الجبِيّة

صَرّح بهذه المحلّة صكّ دار مؤرّخ سنة ١٢٤٥هـ . موقعها قرب مسجد الهندي ، مسجد البلد الشهير . وفيها دور بعض السادة آل الرفيعي ، وفيها المرتفع المعروف بالطمّة ، المتكوّن من حفريات أُسس بناء الصحن الغروي الشريف .[(١)]

---

(١) ماضي النجف وحاضرها : ١/٢٤ .

٦- *محلّة المستقى*

تقع بين محلة الحويش ومحلّة البراق من جهة الجنوب . ويظهر أنّ سبب تسميتها بهذا الاسم هو قرب هذه المحلّة من الباب الجنوبي في سور مدينة النجف والمؤدي إلى بركة الماء التي أنشئت من مياه القناة الجوفية الناقلة لماء الفرات من نهر آصف الدولة .[١]

المحلّة الرابعة : محلّة البُراق

من محلاّت النجف الأشرف المسوّرة هي محلّة البراق ، وقد تقدّم آنفاً ما قيل في سبب تسميتها . تقع في الجنوب إلى الجنوب الشرقي للمرقد المطهر ، وفيها محال ومواضع معلومة ومشهورة منها :

١- *جبل النور*

هو رَبْوَة مرتفعة تقع إلى الجنوب الشرقي للمرقد المطّهر زاده الله شرفاً ، وقد تقدّم أنّها إحدى الذكوات البيض . وعلى طرف منه مسجد الشيخ الطريحي ، ومقبرته في داره الكبيرة الشهيرة بالقرب منه .

٢- *جبل الجَمّالة*

يقع بالقرب من جبل النور من جهة الشرق .

٣- *بئر دُعْدوش*

موقعها في الساحة التي شيدت عليها متوسطة الخورنق ، المجاورة للشيلان الذي أشاده الحاج معين التجار ليكون دار ضيافة لزائري مرقد أمير المؤمنين عليه السلام .

٤- *حارة آل جلال*

هي محل السوق المعروف اليوم بسوق المسابك ، المتّصل بالسوق الكبير . وكان في هذه الحارة منازل الكعبيّين ، وهم أسرة علمية شهيرة ظهرت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري في النجف الأشرف . واشتهر من هذه الأسرة الشيخ عبد الواحد بن محمد الكعبي المتوفى سنة ١١٥٠هـ.[٢]

---

(١) كتاب النوادر : ٦/ ١٢٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها : ٢٤/١ .

٥- محلّة سيلوه

وهي أيضاً من المحلاّت الصغيرة الواقعة ضمن محلّة البراق اليوم ، كما ورد ذلك في أحد الصكوك القديمة .

٦- محلّة آل طريح

المحلّة التي ضمّت دور آل الطريحي ، والمحيطة بمقبرة رجال أسرتهم ، وعلى رأسهم مؤسّس هذه الأسرة علاّمة عصره الشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح المتوفى سنة ١٠٨٧هـ ، وهي مشهورة حتى اليوم في محلّة البراق .

٧- محلّة أهل الصخير

الصخير هي جابية[1] حولها بئر يستسقى منها بدلاء فيوضع في الجابية لشرب الحيوانات يوم كان ماء النجف في قنوات عميقة جداً وعزيز الوجود .

٨- محلّة الزنجيل

هي اليوم بمحل السوق المعروف بعقد الحمير ، وفي هذه المحلّة صكّ دار مؤرّخ سنة ١٢٢٢هـ ، وفيها دار وقف لآل الجواهر مجاورة لدور آل شريف . وعرف أخيراً هذا الشارع بشارع التجّار .

وهناك شارع آخر يعرف أيضاً بمحلّة الزنجيل وهو شارع البهّاش ، وعلى ذلك صكّ دار آل الغطّاوي - سدنة الحرم العلوي الشريف - المؤرّخ سنة ١١٦٤هـ ، ويظهر أنّ كلّ ما أحاط بالصحن الشريف من شوارع تؤدّي إلى الدخول إليه من أبوابه كان يعرف بشارع الزنجيل ، والسبب في ذلك أنّ في العهد القديم كان على كلّ شارع متصل بباب من أبواب الصحن الشريف سلسلة من حديد ذات حجم كبير ووزن ثقيل قاطعة للشارع ، وكانت بارتفاع يسير عن الأرض ، وتبعد عن كلّ باب من أبواب الصحن عدّة خطوات ، فإذا أراد الزائر الدخول والخروج من وإلى الصحن كان عليه

---

(١) الجابية حوض ضخم يُجبى فيه الماء للإبل . (لسان العرب : مادة "جبي")

العبور عليها . كانت هذه السلسلة تعرف في النجف بحدّ الأمان لأنّ كلّ من يجتازها ويقرب من الصحن الشريف يصبح آمناً وإن كان مقترفاً جناية ، فيكفّ عنه المُجنى عليه بعد عبوره السلسلة .

وفي عهدنا لم ندرك تلك السلسلة الثابتة فوق الأرض المعروفة بحدّ الأمان ، وما أدركناه سلسلة معلّقة على كلّ باب من أبواب الصحن الشريف علّقت من منتصفها في وسط جبهة الباب العليا ، وفي كلّ من عضادتي الباب ربط طرف منها ، وكان الزائرون يدخلون من تحتها . ويروى أن وضع هذه السلاسل على أبواب الصحن بهذا الشكل هو رمز لتلك السلاسل التي كانت فوق الأرض بعد رفعها من مواضعها .

وفي سنة ١٣٦١هـ قامت اللجنة المشرفة على تعمير الحرم المطهّر بصنع أبواب جديدة للصحن أفخم من الأولى ، ولم يضعوا تلك السلاسل القديمة على الأبواب الجديدة ، ووضعت في خزائن الأثريات للحرم المطهّر .

٩- *محلّة العميد*

وهي من المحلاّت الصغيرة ، كما ورد في صكّ دار مؤرّخ سنة ١١٠٩هـ ، وفيها دار أوقفها محمد بن فارس . ويقال إنّ هذه المحلّة داخلة في محلّة البراق .(١)

أحياء النجف الجديدة

في عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م قامت حكومة النجف بأوّل بادرة لتوسعة مدينة النجف القديمة المسوّرة ، ففتحت خمسة أبواب في سور المدينة القديمة من الجهة الجنوبية المواجهة لمحلّة البراق ومحلّة الحويش . ثمّ أنشأت مقابل كلّ فتحة من السور شارع يتّجه نحو الجنوب تحتضنه دور جديدة سمّيت بمحلّة الأمير غازي ، وبعد ذلك أطلق عليها اسم "الجديدة" . ثمّ قامت السلطة الحاكمة بالتخطيط لإنشاء أحياء سكنية عديدة ، نتيجة لازدياد نفوس مدينة النجف ، وللهجرة الجديدة من مدن وقرى الفرات الجنوبية .

---

(١) كتاب النوادر : ٥٤/٦ .

الفصل العاشر

العيون والماء في موضع النجف

قديمها وحديثها

رأينا تقسيم مياه النجف إلى أقسام سنعرضها في فصول الكتاب اللاحقة ، وهي :

الماء والعيون في موضع النجف قديمها وحديثها ، والآبار التي حفرت في مدينة النجف ، والأنهر التي شقّت إلى النجف ، وبحر النجف .

العيون والماء في موضع النجف ، قديمها وحديثها

١- *ماء السلام*

ذكره ابن عساكر ، عن أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون ، أنّه قال : في النجف ماء طيّب تنزله العرب يُقال له : "السلام" .[١]

٢- *ماء الثويّة*

ذكره ابن خلكان ، قال : "الثوية" اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم ، وفيه ماء .[٢]

٣- *عين بني الجراء*

قال الحموي : وظهر الكوفة يقال له اللسان ، وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الجراء .[٣] وقد تقدّم أنّ "ظهر الكوفة" و"اللسان" هما من أسماء موضع النجف .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١ / ٢١٣ .

(٢) وفيات الأعيان : ٥٠٦/٢ .

(٣) معجم البلدان : ١٦/٥ .

٤- عين صَعَق

عين بل هو ماء بجنب المردمة . قاله الزبيدي عن "العباب" .[١] و"المَرْدَمَة" جبل لبني مالك بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب أسود عظيم في ظهر الكوفة .[٢] قال عدي بن زيد :

ويح أمّ دار حَلَلْنا بها … بين الثويّة والمردمه
برية غرست في السواد … غرس المضيغة في اللهزمه
لسان لعربة ذو ولغة … تولغ في الريف بالهندمه[٣]

٥- ماء الرجلاء

ماء لبني سعيد بن قرط إلى جنب جبل يقال له المردمة . قاله الزبيدي .[٤]

٦- عين جمل

قال ياقوت الحموي : تقع بنواحي الكوفة من النجف قرب القُطقُطانة ، وهي مع عدّة عيون يقال لها "العيون" ، يرحل منها إلى القيّارة . مات عندها جَمَل فسمّيت به . وقيل بل الذي استخرجها اسمه جمل .[٥]

٧- عيون الرُّحْبَة

أهمّها اليوم : عين الرحبة ، وعين بـچّاي ، وعين يازي ، وعين الخريبة . ستأتي في قرية الرُّحْبَة .

٨- عيون الرُّهَيْمَة

أهمّها اليوم : عين الرهيمة ، وعين غانم ، وعين أم جمل - ولعلّها عين جمل المتقدّمة - وعين الشرعيّة . ستأتي في قرية الرُّهَيْمَة .

---

(١) تاج العروس : ٤٠٨/٦.
(٢) معجم البلدان : ١٠٤/٥ .
(٣) معجم البلدان : ١٦/٥ .
(٤) تاج العروس : ٣٣٩/٧.
(٥) معجم البلدان : ١٧٧/٤ .

٩- عيون القُطْقُطانة (الحياضيّة)

القُطْقُطانة هي قرية الحياضيّة اليوم ، تستقي من عيون ماء نابعة أهمّها ثلاث عيون : عين الحياضيّة الكبيرة التي عليها المعوّل في الزراعة والإرواء داخل القرية ، وعين المعزوبة ، وعين آل خليف .

١٠- عين العِزّيّة

١١- عين عطية

١٢- عين نصّار

١٣- عين أم فرس

١٤- عين الجرثمي

وهي من العيون الكثيرة المندرسة التي تؤثر في يومنا هذا والتي تقع ضمن سلسلة العيون في الضفّة الغربية لبحر النجف .

١٥- عين النبعيّة

وفي النجف حتى يومنا هذا عينان نضّاختان إحداهما تسمَّى "النبعيّة" تقع تحت المدينة غرباً عند جرف بحر النجف ، حولها نُخيلاَت ، والثانية تسمّى "عين أمّ نخلة" .

١٦- عين اُمّ نخلة

تجري هذه العين تحت أودية طارات النجف الشمالية الغربية جنب تلال المزبلة عند رأس الوادي المعروف عند السواد من النجفيين بـ"مسحب صليب" ، وهي متّصلة بقناة تشتمل على سبعة عشر فرعاً في الجُرف ، وبعض فروعها يشقّ المقابر في وادي السلام بين مقام الإمام الصادق عليه السلام المعروف في النجف بمقام المهدي عليه السلام ، وبين قبري هود وصالح عليهما السلام . سمّيت أمّ نخلة لوجود نخلة قديمة عالية إلى جنبها . مالكها السيّد العطّار الذي اشتهر أخيراً بأبي الجاز ، و"الجاز" هو الحبر الأسود الذي كان يصنعه ويبيعه .

كانت أهالي النجف تستقي من ماء هذه العين وتشرب منه لأنّه أعذب من مياه الآبار التي في الدور ، والسبب في عذوبة مائها هو أنّ لها جيوب جوفية من غدير ماء واسع في الظَّهْر فوقها شمال النجف ، تجتمع فيه مياه الأمطار الكثيرة في موسمها ويجري ينبوعاً كالثمد في تلك الجيوب الجوفية إلى هذه العين .[1]

وقد أدركنا بجانبها نخلة وبجانبها الآخر زرع ، وإنّ السادة آل الجاز كانوا يزرعون بمائها . وذهبت يوماً إلى منخفضها تحت الوادي عندما توسّعت المدينة ، فرأيت دور السكن قد أحاطت بالعين بسبب الهجرة الجديدة إلى النجف من عدّة قبائل عربية فراتية . هذا بعد ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨م على الحكم الملكي في العراق .

---

(١) كتاب النوادر : ٥/ ٤ .

الفصل الحادي عشر

آبـــار الــنـجـف

آبار النجف

تقدّم أنّ النجف لم تُسمَّ بهذا الاسم إلاّ لعلوّها عمّا يجاورها من الأرضين . ولعلوّ هذه المدينة عمّا حولها لا يصل إليها ماء يجري بطبعه البتّة ، فهي غير راكبة على نهر ولا على مجرى ماء عذب . أمّا أرضها كِلْسيَّة البنية في بعض الأنحاء ، ورمليّة التركيب في الجهات الأخرى ، ويرتفع سطحها عن مصبّ الفرات الحالي في الكوفة بـ ٢٤ متراً .

وممّن ذكر التاريخ أسماءهم بالشكر والمديح بنو بُويه ، فإنّهم طلبوا الماء إلى سكّان مدينة النجف في أعماق الصخور فثقبوها حتى بلغوا أحشاءها وحفروا فيها آباراً واسعة بعيدة الغور حتى وصلوا فيها إلى ٦٠ متراً ، ولكن لمّا رأو أنّ الماء لم ينبط وإنّه وراء تلك الصخور بمئات من الأذرع بقيت تلك الجياب الفارغة من أبين الأدلّة على ما لبني بُويه من بُعد الهمّة [1] ، فكانت قناة آل بويه ، وسيأتي ذكرها .

ومن المشهور على ألسن الناس في النجف يتناقله الخلَف عن السلَف أنّ السلطان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي أراد إجراء الماء إلى النجف من الفرات سنة ٣٦٩هـ ، فعثر في أثناء حفره شمالي النجف على عين غزير ماؤها ، فمنعه ذلك الماء من متابعة الحفر ، فاكتفى بإجرائه إلى النجف تحت الأرض في قناة محكمة تتخلّلها آبار مبنية بناءً محكماً ، متّصلة بعضها ببعض تخترق دور المدينة ، ويصبّ ماؤها في المكان المنخفض خارج البلد . ولذلك كانت أغلب آبار النجف يعدّ ماؤها

---

(١) مجلّة لغة العرب : الجزء ١٠ ، السنة ٢ ، ص ٤٥٨ .

من الماء الجاري ، ولا تعدّ آبار شرعيّة أي نابعة وراكدة ، ولكنّ هذا الماء كان مالحاً لا يصلح للشرب ، فاكتفى الناس به لحوائجهم ، وجعل أهل الثروة يجلبون الماء بالروايا من الفرات من ناحية ذي الكفل ، والفقراء يشربون من ذلك الماء المالح ، وربّما كان ماء بعض الآبار أقلّ ملوحة فيتزاحم عليه الناس وتسمّى مثل هذه العين عند النجفيين بأمّ البيار ، ولا تزال باقية إلى اليوم .[١]

فآبار النجف على قسمين :

نابعة لاتتّصل بشبكة القنوات وتسمّى الآبار الشاهيّة ، وهي مرّة المذاق . وآبار جارية متّصلة بالقنوات ، ماؤها يتجرّعه الظمآن بخلاف النابعة .

ولمّا كانت الأنهر والقنوات التي شقّت إلى النجف وما يرتبط بها من آبار جارية تتعرّض بشكل دائم لسدّ مجاريها وانقطاع مياهها لأسباب متعدّدة كهبوب الزوابع الرملية ، أو نزول بَرَد ومطر كثيف تجرف معه الرمال لتلك المجاري والآبار كما حصل عام ١٣٠٣هـ وعام ١٣٠٧هـ ، أو تخريبها بصورة متعمّدة كوسيلة لمحاربة المدينة كما قام بذلك الجيش الإنكليزي المحتل أثناء الحصار الكبير الذي ضربه على النجف عام ١٩١٨م والذي لم ينته إلاّ بعد خمسة وأربعين يوماً عمل خلالها على ردم الآبار وقناتها التي كانت تصل النجف بالفرات ، كلّ ذلك جعل من الآبار الغير جارية (النابعة) المسمّاة بالآبار الشاهيّة مصدراً مهمّاً لسدّ حاجة السكّان من المياه وإنقاذهم من الشدائد .

وقد دأب أهل النجف على المحافظة على آبارهم وتنظيف مجاريها المائية . كما كان بعض الأمراء يتعاهد تلك الآبار بالعناية . وممّن ذكر لنا التاريخ قيامهم بتنظيف آبار مدينة النجف الجارية هو النوّاب أحمد خان بأمر السلطان علي مراد خان زند عام ١١٩٧هـ ، كما عمّر النوّاب أحمد خان السقّخانة الواقعة في الصحن الشريف .[٢]

---

(١) أعيان الشيعة : ١١/ ١٥٤– ١٥٦ .

(٢) أحسن السير (فارسي) : ١٣٣ .

وكان أهل النجف يفتحون من آبار بيوتهم النوافذ للسراديب والمجاري الهوائية من بئر لآخرى تحت طبقة السن بين طبقات الرمال ، كما ينحتون في طبقة الطين وفي قعرها مجاري لاتصال الماء من بئر لأخرى . ويختلف عمق الآبار باختلاف المواقع المرتفعة والمنخفضة ويتفاوت عمقها بين ٥٠ إلى ٧٠ ذراعاً ، ويُستخرج منها الماء بالدلاء والأرشية للشرب وغيره .

وقد أدركنا ماء الآبار وشربنا منه مراراً وتكراراً في دَور المراهقة خصوصاً حال خروجه من البئر بارداً في أيام الصيف . كلّ هذا مع عدم تحصيلنا ماء الفرات العذب المباع الذي ينقله السقّاؤن بقرَبهم التي تحملها الأحمرة من بركة نهر السنيّة في جرف بحر النجف أو من فرات الكوفة .

عزيزي القارئ الكريم : فإذا كانت مدينة النجف بهذه الصفة مع ساكنيها في العصر المتأخّر ، فما حال أهلها المجاورين في القرون السابقة ممّا قاسوه من العطش الشديد وشرب مياه الآبار المالحة من جانب ، وتعسّف السلطات الحاكمة المتعاقبة على حكم العراق من جانب آخر . كلّ ذلك يهوّن الخطب على ساكني النجف الأشرف لمجاورة مرقد بطل الإسلام المسلم الأوّل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولما يرجوه المجاور من الثواب الجزيل والشفاعة المحمودة .

الفصل الثاني عشر

أنهار النجف وقنواتها

أنهار النجف وقنواتها

مذ نشأت مدينة النجف الأشرف وهي تسعى جاهدة للحصول على الماء السائغ للشرب . وقد شقّت أنهر وقنوات كثيرة لإروائها لم تلبث أن تفسد من جرّاء عوامل طبيعية وغير طبيعية ، كما أنّ هناك من الأنهر والجداول التي شُقّت إلى موضع النجف قبل ظهور مدينة النجف ، وهي فيما يلي حسب تسلسلها التاريخي :

١ - نهر الحارث بن عمرو الكندي ملك الحيرة

هو أوّل ماء أُجري في أرض النجف قبل الإسلام ، وكان ذلك في عصر قبّاذ بن فيروز الساساني .

حكى المراغي عن كتاب "تجارب الأمم" لأحمد بن مسكويه ، أنّه قال : في زمن الجاهلية شقّ الحارث بن عمرو من ملوك العرب في عصر قبّاذ الساساني بإشارة أحد تبابعة اليمن نهراً من شط الفرات إلى أرض الحيرة وحوالي أرض النجف .[١]

وقال الطبري : إنّ الحارث بن عمرو الكندي ملك الحيرة في عصر قبّاذ بن فيروز أرسل إلى تُبّع وهو باليمن إنّي قد طمعت في ملك الأعاجم ، فاجمع الجنود وأقبل ، فجمع تُبّع الجنود وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفرات فآذاه البق ، فأمر الحارث ابن عمرو أن يشقّ له نهراً إلى النجف ، ففعل ، وهو نهر الحيرة .[٢]

---

(١) المآثر والآثار : ٨٤.

(٢) تاريخ الطبري : ٥٢٣/١.

ونقل النويري عن المسعودي، أنّه قال: وقد كان الأكثر من ماء الفرات ينتهي إلى بلاد الحيرة، ثمّ يتجاوزها ويصبّ في البحر الفارسي، وكان البحر يوم ذاك في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت، وكانت مراكب الهند والصين ترد على ملوك الحيرة فيه. قال: والموضع الذي كان يجري فيه بيّن إلى زمن وضع هذا الكتاب يعني "مروج الذهب" سنة ٣٣٥هـ ويعرف بالعقيق (العتيق) وعليه كانت وقعة القادسية.[(١)]

ويسمى نهر الحيرة بالكافر، وقيل: هو اسم قنطرته.[(٢)] وهو ما يظهر من أبيات للمتلمس الشاعر، قالهما لمّا رأى كتاب ملك الحيرة عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين يأمره فيه بقتل المتلمس – في قصّة ذكرناها في نوادر النجف في آخر الكتاب – قال المتلمس:

قذفت بها بالثني من جنب كافر ... كذلك أقنو[(٣)] كلّ قطّ مضلّل
رضيت لها بالماء لمّا رأيتها ... يجول بها التيّار كلّ جدول[(٤)]

ولعلّ هذا النهر هو الذي عناه أحد شعراء الكوفة، بقوله:

وبالنجف الجاري إذا زُرْت أهله ... مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن بحبّ اللهو في غير ريبة ... عفائف باغي اللهو منهن آيس
يردن إذا ما الشمس لم يخش حرّها ... ظلال بساتين جناهن يابس
إذا الحرّ آذاهن لُذن بغَيْنَة ... كما لاذ بالظل الظباء الكوانس[(٥)]
لهنّ إذا استعرضتهن عشيّة ... على ضفّة (النهر المليح) مجالس
يفوح عليك المسك منها وإن تقف ... تحدّث وليست بينهن وساوس
ولكن نقيّات من اللؤم والخنا ... إذا ابتزّ عن أبشارهن الملابس[(٦)]

---

(١) نهاية الإرب في فنون الأدب: ١/ ٢٥٦.

(٢) معجم البلدان: ٤/٤٣١.

(٣) أقنو: أجزي.

(٤) الأغاني: ٢٤/٢٣٢.

(٥) الغَيْنَة: الأشجار الملتفّة بلا ماء، فإذا كانت بماء فهي غيضة. (لسان العرب: باب "غين")

(٦) معجم البلدان: ٥/٢٧٢.

٢- نهر الغدير

قال الحموي في وصف ديارات الأساقف : هذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة ، وهو أوّل الحيرة ، وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير ، عن يمينه قصر أبي الخصيب[١] وعن شماله السدير .[٢] وفيه يقول الثرواني :

دير الحريق فبيعة المزعوق بين الغدير فقبّة السنيق[٣]

٣- نهر السدير

في "معجم البلدان" : "السدير" نهر بالحيرة ، قال عدي بن زيد :

سرّه ماله وكثرة ما يمـ ـلك والبحر معرض والسدير

وعن العمراني : "السدير" موضع معروف بالحيرة ، والسدير نهر .[٤]

قال أحد الخبراء المتتبّعين المعاصرين : لقد اشتهر في تاريخ الحيرة نهران لازالا يتردّدان على لسان العام والخاص وهما : "نهر السدير" الذي عرف باسم النعمان بين بقايا آثار الحيرة ، و"كري سعد" بين آثار الكوفة . أمّا آثار نهر السدير فهي ظاهرة بالقرب من خورنق النعمان المطلّ على طفّ الحيرة جنوباً ، ويقع غربي الخورنق المذكور بمسافة قدرها ٣٠٠ متر تقريباً ومصبّه طفّ الحيرة .

وأمّا الآثار التي تنسب لكري سعد فهي تخترق آثار مباني الكوفة الحادثة على عهد الإسلام ، والذي ظهر لنا ممّا كنّا نسمع ونرى بأنّهما نهران متباينان يستقل أحدهما عن الآخر . إلاّ أنّ تتبعاتنا قد أثبتت لنا بأنهما شيء واحد ، وأنّ هذين النهرين هما نهر واحد يعرف في الحيرة المندرسة باسم "السدير" للنعمان وفي كوفة الجند الإسلامية باسم "كري سعد" .

---

(١) أبو الخصيب هو مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه .

(٢) معجم البلدان : ٤٩٨/٢ .

(٣) معجم البلدان : ٥٠٥/٢ .

(٤) معجم البلدان : ٢٠١/٣ .

قال الخبير : لقد تتبّعنا هذا الأثر مبتدئين من نهر السدير المار ذكره سائرين على ضفّته فلم يختلف خط طريقنا بل أخذنا نشقّ آثار نهر السدير أوّلاً بالقرب من بقايا الحيرة القديمة في مسافة لاتزيد على الستة كيلومترات حتى وصلنا بدء آثار الكوفة وإذا بنا نشقّ آثار كري سعد الذي يخترق مدينة الكوفة ، ولم نشاهد أيّ اختلاف أثناء الفحص الذي قمنا به بين آثاره البارزة ، فكان هذا النهر نهراً واحداً يبتدئ من مصبِّه بعد أن يخترق آثار الحيرة والكوفة ويمتدّ على ظهر كوفان بخطّ مستقيم حتى يصل أكناف طفّ كربلاء بمسافة قدرها ٩٥ كيلومتراً تقريباً . وكانت العلائم والإمارات تدلّ على أنّ هذا النهر له اتّصال بأراضي "الدليم" غربي كربلاء ويوافق أكناف أراضي الطفوف الغربية من الجهات الشمالية حتى طفّ كربلاء وطفّ الغري (بحر النجف) وطفّ الحيرة ، وأنّ الفروع المنبعثة منه كالجداول والأقنية الأرضيّة القديمة المنصبّة منه على جهات مدينة النجف وطف الحيرة والمشخاب والمحاجير وغيرها المتفرعة بالقرب من جامع سُهيل (مسجد السهلة) في الكوفة ومن بين جامع الكوفة القديم وقصر الخورنق تدلّ دلالة واضحة بأنّ هذا النهر كان جدولاً رئيسيّاً للري على ظهر كوفان للجهات الجنوبية والشرقية من أراضي الطفوف على عهد الحكومات العربية قبل الإسلام ، حيث وجدنا بين آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) قنوات تحت الأرض تخترق آثار مباني المدينة القديمة وتصبّ في منخفضات طفّ الحيرة بين النجف وأبو صخير ، وهو الذي كان يحملنا على الإعتقاد القوي بأنّ "نهر السدير" و"كري سعد" واحد ، وإنّما وجد هذا الإختلاف في التسمية ، وكان سببه اختلاف الحكومات العربية وتعاقبها على هذه المنطقة في غابر العصور .

ويمكننا التدليل على صحة هذا الظن بما هو مشاهد في العصر الحاضر ، حيث نرى اليوم أسماء الترع والأنهر بل وأغلب المشاريع تتبدّل أسماؤها باعتبار الحكومات المتعاقبة من وقت لآخر ، كنهر النجف الحالي الذي كان يسمّى بالنسبة إلى السلطان عبد الحميد

في عهد الدولة العثمانية في العراق ، وقد سمّي "نهر الغازي" بعد إحيائه ثانياً باسم الملك غازي عاهل العراق ، وكذلك "نهر البديرية" في ناحية الحيرة فإنّه سمّي اليوم "الفيصلي" نسبة إلى الملك فيصل الأول ، وعلى عهد هذه القاعدة المطَّردة في التاريخ القديم والحديث ينبغي أن يكون قد تبدَّل اسم السدير للنعمان على عهد فاتح هذه الديار سعد بن أبي وقّاص ، فسمي بكري سعد ، لأنّ الأرض كما ترى واحدة ، والنهر واحد لاغير ، والتاريخ يعيد نفسه في كلّ الأمور والأحوال .

كما ترى في هذه الرقعة من الأرض آثاراً متّصلة بعضها ببعض ، يسمّى طرف منها آثار الحيرة والطرف الآخر يسمّى آثار الكوفة ، وهي مدينة واحدة تتطوّر أسماؤها بحسب مقتضيات الظروف والحوادث من شتّى وجوه التسمية .

وعلى كلّ فقد تبيّن لنا من التتبّعات المقترنة باستقرءاتنا الفنيّة بالمسح الطبوغرافي الحديث الذي بيّن لنا وضيفة ارتفاعات وانخفاضات الأراضي في هذه الديار ، بأنّ هذا النهر هو المصدر الوحيد لإرواء هذه المدن العربية القديمة على ظهر كوفان ، من طريق طفّ كربلاء ، وكان يجري ماؤه كلّما تمركز نفوذ العرب على هذا السنام المرتفع بين أراضي الفرات الأوسط ، سواء كان ذلك في زمن حكومات بابل والمناذرة أو غيرهما في الحيرة قبل الإسلام أو في الكوفة بعد الإسلام ، ولا ريب في أنّ منبعه أنبار الحبّانية في لواء الدليم .

نعم إنّ آثاره كانت تدلّنا على أنّه يجري ماؤه كلّما ارتفع مستوى الماء في أعالي الفرات سواء كان بواسطة الخزن في الأنبار المار ذكره ، أو بالسدود الفنيّة ، وكان يدوم مجراه كلما استتبّ الأمن والسلام في هذه الديار ، كما وينقطع مجراه كلّما فسد نظام الري في المنبع وانخفض مستوى الماء في أعالي الفرات بسبب تخريب السدود والنواظم التي تخلّفها الحروب والحوادث التاريخية كحروب جنكيز وتيمور وأمثالهما ، أو كلّما قلّ النفوذ الذي يحافظ بطبيعته على تلك السدود .[1]

---

(١) مجلّة الإعتدال : الجزء ٦ ، السنة ٢ ، ص ٢٤٩ .

٤- قناة سليمان بن أعْيَن

تعتبر قناة سليمان بن أعين المتوفى سنة ٢٥٠هـ أوّل ماء أُجري في أرض النجف بعد بزوغ الإسلام في ربوع العراق، وسليمان أخو زرارة بن أعين المحدِّث الثقة الجليل.

قال أبو غالب الزراري في رسالته في آل أعيَن عند ذكر مخلّفات سليمان المذكورة ما نصّه: وخلّف ضيعة في بساتين الكوفة المعروفة بالحراسة، وقرية في الفلوجة تعرف بقرية منير أيضاً واسعة، وجميعها في النجف ممّا يلي الحيرة، لا أعرف أي قرية هي، وكان قد استخرج لها عيناً يجريها إليها في قناة يحملها من حد قبّة تعرف بقبّة الشنيق[1]. قال: وقد رأيت أنا أثر القناة وأدركت شيخاً كان قد قام له عليها.

وكان سبب استخراجه العين أنّ بعض أهل زوجته من خراسان ورد حاجّاً فاشتهى أن يرى الحيرة، فخرج معه إليها، وكان قبّة الشنيق أحد الأشياء التي يقصدها الناس للنزهة، وكانت ممّا يلي النجف، وقبّة عضين ممّا يلي الكوفة وهي باقية إلى هذا الوقت، ولا أعرف خبر قبّة الشنيق هل هي باقية أم لا. فلمّا جلسوا للطعام، قال الخراساني: ها هنا ماء إن استنبط ظهر.

ثمّ ساروا فرأوا النجف وعلوّه عن الأرض التي أسفله، فقال: يوشك أن يسيح ذلك الماء على هذه الأرض. فابتاع سليمان تلك الأرض وجمع منها ما أمكن، ثمّ عمل على استنباط العين، فأنفق عليها مالاً، فظهر له من الماء ما ساقه في القناة إلى تلك الأرض، وكان له حديث حُدّثتُ به فذهب عنّي في أمر العين، إلاّ أنّ الذي رزق من

---

(١) في القاموس: "السنيق" كتبيط، بالسين المهملة، بيت مجصّص، جمعه: سنيقات. وأكمة معلومة ذكرها امرؤ القيس في شعره، فقال:

وسن كسنيق سناء وسنما ... ذعرت بمدلاج الهجين نهوض

ويؤكّد كونها بالسين المهملة قول الثرواني يصف ديراً ونهراً قريباً من النجف، قوله:

دير الحريق فبيعة المزعوق ... بين الغدير فقبّة السنيق

أشهى إليّ من الصراة ودورها ... عند الصباح ومن رحى البطريق

المال كان يسيراً . فلم تزل تلك الضياع في يده إلى أن مات ، ثمّ خرج ولده كلّهم عن قرية منير وعن هذه الأرض التي في النجف ، وجمع جدّي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ مع ما خصّه من الضيعة في "الحراسة" بعض أموال إخوته وكانت تأتيه في ذلك إلى أن مات وخلّفه لي ولأختي ، فلم تزل في أيدينا إلى أن امتحنت في سنة أربع عشرة وثلاثمئة وما بعدها ، فخرج ذلك عن يدي في المحن وخراب الكوفة بالفتن .(١)

٥- قناة آل بُويه

من المشهور الذي يتناقله الخلَف عن السلَف في مدينة النجف الأشرف أنّ السلطان عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي أراد إجراء الماء إلى النجف من الفرات سنة ٣٦٩هـ ، فعثر في أثناء حفره شمالي النجف على عين ماء غزيرة ، فمنعه ذلك الماء من متابعة الحفر ، فاكتفى بإجرائه إلى النجف تحت الأرض في قناة عالية محكمة تتخلّلها آبار مبنية بناءً محكماً ، متّصلة بعضها ببعض تخترق دور المدينة ، ويصبّ ماؤها في المكان المنخفض خارج البلد .(٢)

في "كتاب النوادر" لشيخنا البحّاثة محمد حرز الدين تحقيق فنّي في وصف هذه القناة وكيفية بنائها ، قال رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ : وأرض القناة مسرّحة كلّ مئة ذراع بذراع ، ومن القناة إلى القناة ما يقرب من أربعين ذراعاً بالذراع الشاهي . وقد أُدلي حبل برأسه ثقل في بئر خارج مدينة النجف قرب سورها فبلغ قعره أربعين ذراعاً ، وأُدلي فيما بعد عنه بفرسخ فبلغ ستّة عشر ذراعاً ، فالتفاوت بينهما أربعة وعشرون ذراعاً . والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع ، لكلِّ ألفِ ذراعان تسريحاً .

ولهذه القنوات طريقان : طريق يجري فيه الماء ، وأعلاه طريق للهواء . وطريق الماء منهما نُحت في صلد من الأرض يعرف بالسّن ، وعليه غطاء من فخار ، ومنه

---

(١) تاريخ آل زرارة : ١/١٩٥ .

(٢) أعيان الشيعة : ١١/ ١٥٤- ١٦٠ .

ماجعل في أسفله قطع خزفية إذا مرّت القناة بأرض رمليّة رخوة . وكان طول الخزف المسمّى عندهم بـ"الكوي" قدر شبر يدخل بعضه في الآخر ، وعلى حدّ تعبيرهم "ذكر وأنثى" ، وسمك اللبنة - المطبوخة والمطليّة بماء الخزف القاشي - أربعة أصابع مضمومة . أمّا شكل القناة فكان كالمثلث المقطوع الزاوية . أسفله بمقدار وضع قدمي إنسان بسعة ، وأعلاه بعرض كتفي إنسان بسعة أيضاً ، بحيث يستطيع أن يمشي فيه الرجل مُحْدَوْدباً ، وفي البعض يمشي حَبْواً . وعلوّ القناة من الأسفل إلى الأعلى - وهو معدّل مجرى الماء والهواء على الغالب - ذراع شاهي . وعلى رأس كلّ قناة فوهة عليها غطاء كغطاء التنّور يرفع ويوضع لينظر إلى مجرى الماء وما وقع فيه من شيء لو احتاج إلى تنظيف ، فإنّه قد يسدّ طريق الماء بعض الحيوانات الدارجة والزاحفة ، وما يصيب جدران الطريق ومجراه من هدم ، فيصلح الخزف المعبّد به النهر وجوانبه .

وربّما تركوا الأرض الرخوة فداروا بالنهر في أسفل الآبار يمنة ويسرة إلى أن يقع على الخط المستقيم والمجرى المتعارف ، وربّما صنعوا دوّارتين للماء يمنة ويسرة فيجري الماء من ثلاثة طرق ثالثها العمود الأوسط ، وذلك ممّا يقرب من منبع الماء وبئر الفرسخين . كما جعلوا على ظهر الخزف طيناً ، وفوق الطين رمل ، وفوق الرمل قطع ممّا نحتوه من طبقة السّن ليكون ذلك كلّه جُنّة للخزف ممّا يقع على ظهره . وطريق الهواء مختلف الارتفاع كما أشرنا إليه حسب قوّة الأرض ورخاوتها ، فإن كانت قويّة نُحت مقدار جلسة إنسان فما فوقها إلى قامة إنسان .

وفي الصحراء الشمالية الشرقية للنجف وعلى جنبتي مجرى الماء وضع مقدار أربعة آلاف قطعة من هذا الخزف في أنبار لوقت الحاجة إليه ، وبقي في موضعه إلى يومنا هذا ، إلاّ أنّ هبوب رياح الشمال ونسف الرمال عليه غطّاه وضيّعه . وكذا الطابوق المربّع كبير الحجم لم يزل مخزوناً في مخازن عديدة ، وكان قد خُزن لتعمير طرق المياه في القنوات ، وقد عثر على بعضه والكثير لم يعثر عليه وبقي تحت الرمال في الصحراء .

وقال شيخنا رحمه الله : حدّثني بعض الثقاة عن قدماء سكنة مدينة النجف الأشرف : أنّ عدد القنوات التي جرى فيها الماء لساكني النجف كانت خمس عشرة قناة أظهرها وأفخمها قناة آل بويه ، وما زاد عليها شُعَب من هذه أو إصلاح واحدة منها .[١]

٦- *نهر السلطان ملك شاه السلجوقي*

أمر السلطان أبو الفتح ملك شاه السلجوقي باستخراج نهر من الفرات يطرح فيه الماء إلى النجف ، فبدأ فيه العمل سنة ٤٧٩هـ عند زيارته إلى مشهد علي عليه السلام .[٢]

٧- *نهر سنجر السلجوقي*

وممّن أجهد نفسه في جلب الماء إلى النجف الأشرف السلطان سنجر بن ملك شاه ، فقد شقّ نهراً من الفرات فلم يتّفق له ، وآثار البناء باقية .[٣]

قال ابن فندق المتوفى سنة ٥٦٥هـ ، في كتابه "تاريخ بيهق" : إنّ الذي رَغَّب السلطان سنجر في أن يشقّ نهراً من الفرات إلى النجف هو السيّد الأجلّ الزاهد العالم فخر الدين أبو القاسم علي بن زيد[٤] ، فكان يُعدّ من مآثره حيث قرّر السلطان ذلك ، ثمّ كتب السلطان كتاباً إلى وزيره جلال الدين الحسن ابن علي بن صدقة ، وهذا نصّ الكتاب :

"بسم الله الرحمن الرحيم . حُسن توفيق الوزير الأجلّ العالم يدعو إلى أن يكون

---

(١) كتاب النوادر : ٥/ ١- ٣.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٩/ ٢٩.

(٣) فرحة الغري : ١٥٨ .

(٤) هو فخر الدين أبو القاسم علي بن أبي يعلى زيد ، المتوفى في أصفهان سنة ٤٤٧هـ ، ابن السيّد العالم أبي القاسم علي بن الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن أبي جعفر أحمد بن محمد زبارة بن عبد الله المفقود بن الحسن المكفوف بن الحسن الأفطس بن علي الأصغر بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام .

توفي السيّد فخر الدين يوم الخميس ٤ ربيع الأوّل سنة ٥٢٢هـ وأعقب ثلاثة أولاد : عزّ الدين أبو يعلى زيد توفي سنة ٥١٤هـ ، وفخر الدين الحسين توفي سنة ٥٣٤هـ ، وبهاء الدين علي توفي سنة ٥٦٠هـ . (تاريخ بيهق : ٥٩)

وفود أحمادنا إليه مسوقة ، وعقود مخاطباتنا لديه منسوقة ، وبحسب ذلك استظهر السيّد الأجلّ العالم الزاهد فخر الدين مجد السادة أبو القاسم علي بن زيد الحسيني بهذا المثال ، وهو ممّن سالت على صفحة نسبه الشريف غرّة السداد ، وبوّأه استحقاقه كنف العناية موطأ المهاد ، وحكمت له موالاته المرعيّة ، ووسائله المرضيّة بأن يتلقى داعية رجائه بالإجابة ، ويقابل ظنّه بجميل الإصابة ، وقد همَّ بأن يسعى في أن تشق إلى الكوفة فرضة من الفرات ، ليحيى بها معالم أرضها الموات ، ولا غنىً في تحصيل مراده ، وإدراك مرامه عن حُسن مسعاة الوزير الأجلّ جلال الدين ، وصدق اعتنائه وإرشاده ، ورأي الوزير الأجلّ في ذلك موفّق رشيد إنشاء الله تعالى". [١]

٨- نهر كانالي

ذكره الدكتور شيرين بياني ، قال : وفي سنة ٦٦٢هـ ، قام حاكم بغداد كانالي الجلائري بشقّ نهر من الفرات إلى النجف الأشرف وسمّاه "نهر الشُّهُب". [٢]

٩- نهر علاء الدين الجويني

في سنة ٦٦١ هـ - ١٢٥٣م ، في أيام أباقا خان بن هولاكو ، صار صاحب ديوان الدولة الإيلخانية عطاء الملك علاء الدين بن بهاء الدين محمد الجويني حاكماً على بغداد وعلى ولايتها ، فأمر عطاء الملك بحفر نهر من الفرات إلى الكوفة ، كما أمر ببناء قناة من الكوفة إلى النجف تحت الأرض لارتفاع أرض النجف . وكان القائم على حفره السيّد تاج الدين بن الأمير علي الدلْقندي الحسيني ، وكان من أعلام ذلك العصر ، فسمّي النهر باسمه ، وقيل لتلك الأرض التي تستقي منه "التاجيّة" ، وبقي هذا اسمها إلى اليوم . وكان الابتداء بحفره سنة ٦٧٢ هـ ، وجرى الماء حول النجف في رجب سنة ٦٧٦ هـ . ثمّ خربت هذه القناة ، وردمت الرياح السافيات النهر . [٣]

---

(١) تاريخ بيهق (فارسي) : ٥٩-٦٠ . مقدمة كتاب "تاريخ جهان گُشاي" (فارسي) .

(٢) تاريخ آل جلاير (فارسي) : ٣١٩ .

(٣) مقدمة كتاب "تاريخ جهان گُشاي" (فارسي) .

أقول : فلا يتوهّم من أن نهر التاجيّة الذي ذكره ياقوت الحموي هو هذا ، لاختلاف تاريخهما . قال ياقوت : "والتاجيّة نهر عليه كور بناحية الكوفة" .[(١)] فإنّ الحموي توفي سنة ٦٢٦ هـ ، والنهر والكور الذي عليه من إعمار القرن السادس على أقل تقدير ، ونهر التاجيّة الذي أمر بحفره الجويني كان جريان الماء فيه سنة ٦٧٦ هـ .

وذكر المؤرّخ محمد بن خاوند شاه : أنّ عطاء الملك الجويني أنفق على النهر الذي حفره إلى أرض النجف بما يزيد على مئة ألف دينار أحمر ، وقد وصل الماء إلى مسجد الكوفة .[(٢)] وسبق ذلك أن عمل الجويني بِرْكة في مسجد الكوفة ، ابتدئ العمل بها في ذي القعدة أو أوائل ذي الحجّة سنة ٦٦٧هـ ، وفرغ منها سنة ٦٦٩هـ .[(٣)]

قال شيخنا البحّاثة محمد حرز الدين : حدّثني أهل الآثار من مشايخ النجف الأشرف عن أشياخهم : أنّ القناة العظمى التي تجيء إلى النجف من طريق كربلاء ممّا بين الشمال و الشرق وتدخل فيه لها مداخل وطرق مخصوصة . بدأ العمل بها كما هو مرسوم في كتيبة فخار فيه سنة ستمئة وإحدى وستين ، وتمّ العمل بها سنة ستمئة وإحدى وسبعين فمدّة العمل كانت عشر سنين ، وأنّ المؤسّس الأوّل لحفر هذه القناة هم آل بُويه .[(٤)]

وليس ببعيد أنّ هذه القناة جاءت على أُسس حفريات البويهيين المندرسة ، وأُعيد فتحها في عصر الإيلخانيين في القرن السابع بأمر الصاحب عطاء الملك بن محمد الجويني صاحب ديوان الدولة الإيلخانية .

---

(١) معجم البلدان : ٢/٢٥٣ .

(٢) تاريخ روضة الصفا (فارسي) : ٥/٢٧٨ .

(٣) فرحة الغري : ١٥٨ .

(٤) كتاب النوادر : ٥/٦٣ .

وجاء في "موسوعة العتبات المقدّسة" : إنّ من عمارات الصاحب علاء الدين الجويني أنّه أجرى نهراً من قصبة الأنبار إلى النجف الأشرف . وصرف له مبالغ وافرة قدّرها بمئة ألف دينار ذهباً ، فتأسست عمارات وقرى في جانبيه عددها مئة وخمسون قرية ، فانقلبت تلك الأراضي القاحلة إلى مزارع متّصلة . والظاهر أنّ النهر المذكور هو النهر المعروف اليوم بكري سعد ، كما أنّه أسّس رباطاً في النجف .[1]

أقول : والتحقيق خلاف ما استظهره من أنّ كري سعد هو نهر علاء الدين الجويني صاحب ديوان الدولة الإيلخانية ، فإنّ نهر الجويني لريّ النجف غيره كما مرّ سالفاً . وكري سعد هو خندق سابور الذي حفره الفرس قبل الإسلام لصدّ غارات العرب عليهم . مبدؤه من هيت ، ثمّ أجروا الماء فيه ، وكان على أحد جسوره "وقعة الجسر" الشهيرة بين العرب المسلمين والفرس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وبعد الفتح الإسلامي امتلأ الخندق طيناً ، فكراه الأمير القائد سعد بن أبي وقّاص ، فنسب إليه ، وخرب الكري بخراب الكوفة . وقد تقدّم بحث وتحقيق في نهر السدير أنّه هو كري سعد بعينه ، فلاحظه .

١٠ - نهر وقناة الشاه إسماعيل الصفوي الأول

لمّا قامت الدولة الصفوية في إيران واشتدّ ساعدها أخذ الصفويّون يشيدون المباني والمعاهد والدور السكنية في النجف الأشرف ، وأنشأوا الصحن والحضرة لمرقد الإمام علي عليه السلام على الطراز الحالي . وفي مستهل القرن العاشر استولى الشاه إسماعيل على بغداد وأصبح معظم العراق خاضعاً لحكمه ، وما أن استقرّ الوضع حتى جاء الشاه لزيارة العتبات المقدّسة فزار النجف .

وعند قدوم الشاه إسماعيل الصفوي لزيارة النجف الأشرف سنة ٩١٤هـ - ١٥٠٨م أمر بحفر نهر من الفرات سمّي بالنهر الشاهي ، وأوصله إلى مدينة النجف بقناة جوفية

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ١/ ١٥٥ .

لارتفاع أرضها عن الفرات ، كي تمدّ السكان بالماء الكافي للشرب ، وهي نفس القناة التي كان قد حفرها علاء الدين عطاء الملك الجويني سنة ٦٧٦هـ في شهر رجب وجرى بها الماء حول النجف . إلاّ أنّه لم يجئ سائغاً عذباً لأنّ ماء الفرات كان يختلط بماء الآبار فيأخذ منه شيئاً من الملوحة ويصبح أجاجاً .[١]

وأحدث على نهر الشاه إسماعيل الصفوي ضياع وبساتين ، وجعلها الشاه وقفاً على المحقّق الكركي[٢] وأولاده . فلم تزل النجف تستقي من قناة ذلك النهر إلى زمن محاصرة العثمانيين النجف أيام السلطان سليم ، فَطُمّت .[٣] وتراكمت الرمال في النهر وسدّت مجراه ، وهو المعروف الآن بنهر الهنديّة نسبة إلى آصف الدولة أحد أمراء الهند في لكنهور ، الذي كراه عند مجيئه إلى العراق لزيارة قبور الأئمة سنة ١٢٠٩هـ.[٤]

وسيأتي في حوادث القرن الحادي عشر سنة ١٠٩٣ هـ صورة عريضة مرفوعة إلى والي بغداد إبراهيم باشا من قبل رجال مدينة النجف الأشرف في ذلك العصر يطلبون من الحكومة العثمانية كري النهر الشاهي وتطهيره ، لأنّ ساكني النجف أصبحوا يشكون الظمأ ، وكذا القبائل العربية النازلة عليه .

١١ - *نهر الشاه طهماسب*

أمر الشاه طهماسب بحفر نهر من الفرات إلى النجف فحفر ولم يتم ، وسقيت منه بعض الأراضي بنواحي الكوفة ، وهي اليوم تابعة إلى محافظة بابل (الحلّة) ، وتعرف هذه الأرض اليوم بالطهمازيّة (الطهماسية) نسبة إليه .[٥]

---

(١) مجلّة لغة العرب : الجزء ١٠ ، السنة ٢ ، ص٤٥٨ .

(٢) العلاّمة المحقّق الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي ، توفي سنة ٩٤٠هـ ستأتي ترجمته في أحداث هذه السنة في الجزء الثاني من كتابنا .

(٣) تاريخ عالم آرا (فارسي) : ٧٠٧.

(٤) تاريخ الدولة الفارسية في العراق : ١٠٣ . الفوز بالمراد في تاريخ بغداد : ٨.

(٥) أعيان الشيعة : ١١/ ١٥٥ .

١٢- نهر الشاه عباس الصفوي

ولمّا جاء الشاه عباس بن محمد بن طهماسب بن إسماعيل الأوّل إلى النجف الأشرف زائراً سنة ١٠٣٢هـ، أمر بتنظيف النهر الذي حفره جدّه الأعلى الشاه إسماعيل فحفر وعمّر، وعملت فيه عساكر الشاه وجرى الماء فيه حتى دخل مسجد الكوفة، وهو المعروف بنهر المكريّة، ويعرف عند عشائر المنطقة بمـجريّة علي.

ولمّا كانت أرض النجف مرتفعة كثيراً عن أرض الكوفة، أمر الشاه بحفر قناة توصل الماء إلى النجف، فحفرت ووصل الماء إلى الروضة المطهّرة، ومنها إلى بحر النجف وعمل له بركة في النجف ينزلون إليها ويستقون منها، ثمّ خربت هذه القناة.[١]

وذكر الرحّالة الفرنسي "تافر نييه" هذه القناة بعد جولته في العراق ومسيره من مدينة كربلاء إلى النجف الأشرف مروراً بخان العطشان[٢]، قال: ومن ذلك القصر واصلنا سيرنا نحو الشمال الشرقي، وبعد أن تمادى بنا السير خمسة أيام انتهينا إلى بلدة صغيرة كانت تدعى سابقاً الكوفة والآن تعرف بمشهد علي حيث أنّ علياً صهر النبي محمد ﷺ يرقد هناك في جامع فسيح، ويُرى حول الضريح أربعة شمعدانات مضاءة، وقناديل فوق الرأس مدلاّة من السقف ... وليس في بلدة النجف غير ثلاث أو أربع آبار ذات ماء آجن وقناة جافّة يقولون إنّ الشاه عباس مدّها ليجلب فيها ماء الفرات إلى البلدة لأجل الحجّاج والزوّار. أمّا الطعام فلم نجد منه في هذا البلد غير التمر والعنب واللوز، وهذه يبيعونها بأسعار غالية. وعندما يؤمّها الزوّار، وقليل ما هُم، يوزِّع الشيخ عليهم عند احتياجهم إلى الطعام الرز المطبوخ بالماء والملح وشيء من الدهن يصبّ فوقه. ونظراً لعدم وجود مرعى للمواشي فلا يتوفّر عندهم الطعام.[٣]

---

(١) أعيان الشيعة: ١١/١٥٦.

(٢) يقع إلى الجنوب من مدينة كربلاء على بُعد عشرين كيلومتراً منها، ويُعرف اليوم بـ"خان العطيشي".

(٣) العراق في القرن السابع عشر: ٢٤- ٢٥.

١٣- نهر الشاه صفي

وفي سنة ١٠٤٢هـ حفر الشاه صفي الصفوي نهراً عميقاً عريضاً من شط الفرات حوالي الحلّة إلى مسجد الكوفة ومرّ به على قصر الخورنق ، وشرع له بركة واسعة بشكل بحيرة هناك ، نصب عليها الدواليب لترفع الماء إلى النجف داخل سورها في سواقي تجري على وجه الأرض في الشوارع والصحن الشريف ، وقد اندرس ذلك كلّه .(١)

وفي "المنتظم الناصري" ، حوادث سنة ١٠٤٢هـ : جيء بماء الفرات إلى أرض النجف بحكم الشاه صفي حينما جاء زائراً المرقد الطاهر ، كما أمر الشاه صفي وزيره الميرزا محمد تقي المازندراني بتعمير القبّة المنوّرة ، فمكث الوزير في النجف ثلاث سنين .(٢)

١٤- نهر آصف الدولة

في سنة ١٢٠٨ هـ أرسل النوّاب يحيى خان آصف الدولة - وزير السلطان محمد شاه أحد ملوك الهند - أموالاً طائلة على يد العالم السيّد علي الكبير ، وكان قد حثّه على هذا المشروع الخيري ، فحفر نهر من الفرات يبتدئ من بلدة المسيّب ويمرّ بالكوفة ، وسمّي هذا النهر "نهر الهنديّة" . ثمّ أخذ منه قناة تحت الأرض يجري فيها الماء إلى منخفض النجف . ويقال أنّ بعض زعماء النجف طمّ تلك القناة خوفاً من توطّن أمراء الدولة العثمانية في البلد وإجراء قوانينهم عليها .

ذكر السيّد محسن الأمين في رحلته : أنّ نهر الفرات كان ينقسم إلى نهرين من عند بلدة المسيّب أحدهما يسمّى "نهر الهنديّة" ، والآخر "نهر الحلّة"(٣) ، وكان نهر الهنديّة أولاً جدولاً صغيراً أمر بحفره يحيى خان النيسابوري الهندي وزير محمد شاه أحد ملوك الهند ، ثمّ عظم وصار نهراً كبيراً وعُرف نهر الهنديّة لأنّ الآمر بحفره هندي .

---

(١) أعيان الشيعة : ١١/ ١٥٨ .

(٢) المنتظم الناصري (فارسي) : ١٨٢/٢ .

(٣) يُعرف هذا النهر عند الفراتيين في المنطقة بـ"شط السَبِل" .

ويدور على ألسنة سواد أهل النجف أنّ الآمر بحفره امرأة هنديّة فلذلك سمّي بنهر الهنديّة ، والصواب ماذكرناه .

وكان الغرض من حفره إيصال الماء لبلدة النجف التي كان ماء الفرات بعيداً عنها ، وكان من يريد الإتيان به إلى النجف يحتاج أن يذهب نحو أربع ساعات ، فكان الأغنياء يجلبون الماء من هناك بالروايا وسائر الناس يشربون من آبار مالحة في النجف حفرت أيام البويهيين ، فلمّا لم يكن إيصال ذلك إلى النجف لعلوّ الأرض أُخذ منه جدولٌ فجيء به إلى الكوفة ، وهو نهر الكوفة الموجود اليوم . وصار أهل النجف يجلبون ماء شربهم من الكوفة ، ومن لايستطيع بقي على شرب ماء الآبار .

وفي بعض المؤلّفات الحديثة أنّه شُقّ من عرض نهر الهنديّة جدول وأُجري الماء منه في قناة إلى منخفض النجف ، ثمّ سوّلت لبعض الزعماء نفسه أن يسدّ هذه القناة خوفاً من طمع الحكّام في الاستيلاء على البلد فسدّها . وكان تاج الدين الدُّلْقَندي قد حفر بأمر عطاء الملك بن محمد الجويني نهراً أوصله إلى الكوفة ، ولا يزال بجانب هذا النهر أرض تسمّى "التاجيّة" منسوبة إليه .

ومازال نهر الهنديّة يعظم حتى صار بقدر النهر الذاهب إلى الحلّة ، ثمّ مازال يعظم حتى زاد عليه ، ثمّ مازال يعظم حتى صار نهر الحلّة ينقطع عند نقصان الماء ويجري في أيام الزيادة فقط ، وذلك لتراكم الرمال والأتربة في النهر المانع من جري الماء . ثم انقطع بالكليّة فخربت بسبب ذلك المزارع التي على نهر الحلّة لانقطاع الماء ، وجلاء أكثر أهلها ، وصار من بقي منهم يكتفي بزرع بعض الشعير ، وفي أواخر العهد العثماني بالعراق استدعوا مهندساً إنجليزيّاً فاهتدى لوضع سدّة الهنديّة .[1]

قال الدكتور أحمد سوسة : ولعلّ أهمّ العوامل التي ساعدت على حصول ذلك التحوّل المشروع الذي قام به آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في أواخر القرن

---

(١) الرحلة العراقية الإيرانية : ٣١- ٣٤.

الثامن عشر الميلادي لايصال المياه إلى مدينة النجف ، وذلك بشقّ جدول من الضفة اليمنى لنهر الفرات فيجري في اتجاه شطّ الكوفة القديم وقد عرف هذا الجدول فيما بعد بنهر الهنديّة . ويؤخذ من الروايات التاريخية أنّ المياه بدأت تجري في هذا الجدول أواخر القرن التاسع عشر على إنّه أخذ يتّسع تدريجيّاً على حساب فرع شطّ الحلّة الذي كان يؤلّف مجرى الفرات الرئيسي في ذلك الوقت . ففي سنة ١٨٣٠م أصبح من الضروري اتّخاذ بعض التدابير لإيقاف توسّع هذا الجدول وتوجيه قسم من ماء الفرات إلى فرع الحلّة الذي بدأ يقلّ ماؤه شيئاً فشيئاً ، غير أنّه بالرغم ممّا عقب ذلك من تدابير أخرى فقد استمرّ هذا نهر الفرات يزداد فيضه في الجدول الجديد تاركاً مجراه الذي يمرّ بالحلّة ، وما حلّت سنة ١٨٨٥م حتى كاد يجفّ نهر الحلّة ، الأمر الذي أدّى إلى تحوّل كلّ مياه النهر تقريباً إلى مجرى آصف الدولة .

ويروي أحد الزائرين الفُرس واسمه الميرزا أبو طالب خان في رحلته المسمّاة "مسير طالبي" مشاهداته لحفر جدول آصف الدولة بعد المباشرة بالمشروع ببضع سنوات . فذكر صاحب الرحلة ما تعريبه :

إنّه بارح بغداد في ٤ ذي القعدة ١٢١٧هـ - أول آذار ١٨٠٣م ، لزيارة الأضرحة التي في كربلاء والنجف . وبعد أن قمت بواجب الزيارة في كربلاء بارحتها قاصداً النجف بطريق الحلّة ، فقدمت إليها في اليوم نفسه ولاقيت في طريقي جدولين : أوّلهما يقال له "النهر الحسيني" (الحسينية) على بُعد أميال قليلة من كربلاء ، وكان حفره بأمر السلطان مراد[1] ، والثاني يقال له "نهر الهنديّة" أو "الآصفي" لأنّ النواب آصف الدولة حفره بنفقاته وهو أعرض من النهر الحسيني ، والغاية من حفره إيصال الماء إلى مرقد الإمام علي . وقد بلغت نفقات هذا الجدول حتى الآن عشرة لكوك من الروبيات مع أنّه لم يصل بعد إلى النجف ، لأنّ باشا بغداد والرجل الذي ولأه الباشا للإشراف على العمل

(١) كذا في المصدر ، والصواب السلطان سليمان .

جعلا النهر يمرّ بالكوفة وغيرها من المدن عوضاً عن جعله يجري مستقيماً ، وقد بقي فرسخ واحد (أربعة أميال تقريباً) لإيصاله إلى المحل المقصود والأعمال مداوم عليها .

وقال الدكتور أحمد سوسة : وقد يستدل من بعض المدوّنات التاريخية أنّ الإقتراح الذي يرمي إلى حفر هذا الجدول يرجع إلى ماقبل ذلك التاريخ بحوالي قرنين . ويشير المؤرّخون إلى طلب كان قد رفعه والي بغداد سنان باشا سنة ٩٩٩هـ- ١٥٩٠م إلى السلطان مراد الثالث فنوّه هذا الوالي بمأثرة السلطان سليمان في حفره لنهر الحسينية الذي أجراه إلى كربلاء ، وشكى إليه ما يقاسيه أهل النجف من قلّة الماء ، ما جعلهم يضطرّون إلى الجلاء عن مدينتهم . وممّا ذكره الوالي سنان باشا في طلبه إنّه كان في النجف ثلاثة الآف دار عامرة لم يبق منها إلاّ عُشرها .

وبعد أن رغّب هذا الوالي ثانية السلطان في حفر نهر النجف استدراراً للخير والبركة ، على غرار ما فعله السلطان سليمان في حفره لنهر الحسينية ، قال : إنّه كشف بواسطة الخبراء بعلم المساحة والهندسة على النهر المنوي حفره من الفرات إلى النجف فظهر له إنّه فضلاً عن سهولة إجرائه وإتمامه بنفقات قدرها مئة وعشرون ألف فلوري[١] ، ستظهر مزارع تنتج في ثلاث سنوات محصولاً يفيض على النفقات .[٢]

وقال أحد السوّاح الفرنسيين في صدد ماء النجف وحفر قناة له ، ما هذا تعريبه :

إنّ أرض مشهد علي في غاية النشف واليبوسة حتى أنّه لايمكن للإنسان أن يتصوّرها . ولايرى هناك الرائي إلاّ مشاهد هائلة وأكوماً من الرمال تلهبها الشمس لهيباً في أيام القيظ . وكان يضطر سكان هذا الموطن سابقاً أن يذهبوا إلى الفرات ليأخذوا منه الماء ، ولكن منذ مدّة ١٥ سنة (أي في سنة ١٧٩٣م - ١٢٠٨هـ) ابتنى أخ ملك المغول قناة كلّفته مبالغ باهظة ، ومع كلّ ذلك لم يتمكن البّناة من أن يجعلوها على ما

(١) الفلوري : نقود ذهبية أوربية كانت مستعملة في البلاد العثمانية .

(٢) وادي الفرات ومشروع سدّة الهندية : ٢/٢٦١- ٢٦٣ .

كان في خاطرهم لكثرة ما ينتاب المدينة من زوابع الرمال التي تثيرها الرياح إثارة شديدة وتذريها بعد ذلك حتى أنها كانت تردمها ردماً لولا أن الموكّلين بحفظها يعنون بتنظيفها كلّ سنة.[(١)]

وكانَ قد صادف النهر أراضٍ منخفضة فأجترفها بقوته، وهناك حدثت أهوار كبيرة، منها: هور النجف الذي امتدّ من جنوب البلدة إلى الغرب. ومنها: هور الدخن، والعوينة، وأبو طرفة، وهور الكفل، وبحيرة يونس، وبحر الشناقيّة.

وكان الراكب يأتي في سفينة من البصرة إلى النجف. وغرست على حافتي هذا النهر الأشجار والبساتين وكثير من الأراضي الزراعية، ونزلت على حافتيه عشائر كثيرة مثل: آل فتلة، وبني حسن، والعوابد، وطفيل، وبنو مسلم[(٢)]، والحيادر، وگريط، وغيرهم. وتشكّلت بعض المدن كالهنديّة (طويريج)، وشريعة الكوفة (الجسر)، وأمّ البعرور (الشاميّة). والجعارة (الحيرة)، والمشخاب، وسوق شعلان، وأبو عشرة (القادسيّة)، والشناقيّة.

وقد وصف المستر بارلو هذا القسم من نهر الفرات كما شاهده في سنة ١٨٨٩م، فقال: إنّ النهر المسمّى بنهر الهنديّة يجري في الجهة اليمنى وهو يحمل نصف مياه الفرات فيترك مدينة كربلاء على الجهة الغربية، وأطلال بابل في الجهة الشرقية، ثمّ يصل إلى مدينة النجف فينصبّ هناك في بحيرة تسمّى "بحر النجف" يبلغ طولها ٦٠ ميلاً وعرضها ٣٠ ميلاً. ففي هذه الأهوار الواقعة على الجانب الغربي من نهر الهنديّة انتشر وباء الطاعون الذي وقع في سنة ١٨٦٧م. والمياه بعد أن تجتمع في بحر النجف تأخذ لوناً هو أقرب إلى لون مياه الأهوار فتكثر فيها الملوحة ثمّ تتسرّب إلى نهر يسمّى "شطّ الشناقيّة" حيث تقع مدينة الشنافيّة على

---

(١) مجلّة لغة العرب: الجزء ١٠، السنة ٢، ص٤٥٩.

(٢) هم قبيلة مؤلّف الكتاب ﷺ، وقد تقدّم ذكر نسبهم في ترجمته.

الجهة اليمنى[١] . وبعد أن يجري هذا الشطّ لمسافة حوالي ٢٠ ميلاً نحو الجنوب ينقسم إلى فرعين : الفرع الجنوبي وهو "شطّ العطشان" الذي يستعمل للملاحة ، والفرع الشرقي المعروف باسم "أبو رفوش" ثمّ ينصبّ هذان الفرعان في الفرات .

وممّا ذكره المستر بارلو أيضاً : أنّ أكثر الزائرين الذين يقدمون من الهند لزيارة الأماكن المقدّسة في كربلاء والنجف يسلكون طريق الفرات ، فالعطشان ، فشطّ الشناقيّة ، وأنّ سُفناً كبيرة ذات حمولة خمسين طنّاً تمرّ من هذا الطريق النهري الذي ينتهي بالنجف .[٢]

وعلى أثر تحوّل المياه إلى جهة فرع الهنديّة وانصبابها في منخفضات بحر النجف ظهرت منطقة شلبيّة جديدة في البحر المذكور ، وبذلك أخذت مياه الفيضان تحمل غرينها إلى هذه المنطقة الجديدة تاركة منطقة "لملوم" تعاني أحرج الظروف بسبب تحوّل أكثر مياه النهر عنها . وقد انتهى دور منطقة "لملوم" بانقطاع المياه عن نهرها "الفوّار" انقطاعاً تامّاً ، حيث انقطعت بذلك زراعتها الشلبيّة وهجرها أهلها نازحين إلى منطقة بحر النجف الجديدة ليستأنفوا زراعتهم فيها ، ولعلّ أحرج ظرف مرّ في خلال هذا التطوّر إنّما هو الظرف الذي يقع في الفترة التي حصل فيها الإنتقال من منطقة "لملوم" إلى منطقة بحر النجف ، تلك الفترة التي كانت قد توزّعت فيها المياه بين الفرعين ، الفرع الغربي (الهنديّة) والفرع الشرقي (مجرى بابل أو مجرى الحلّة) ، إذ لم يكن قد تمّ في هذا الظرف انتقال كلّ زرّاع منطقة "لملوم" إلى مزارعهم الجديدة في بحر النجف بعد ، الأمر الذي أدّى إلى نشوب مشاكل كثيرة بين زرّاع المنطقتين حول توزيع المياه في الفرعين في نقطة انقسامها أوجبت تدخّل السلطات الحكومية في الأمر .

---

(١) تقع مدينة الشناقيّة القديمة في الجهة الصحراوية ، جانب النجف ، وهي التي وصفها الرحّالة بارلو ، وفيها منازل ودار ضيافة السادة الأجلّة "آل مگوطر" .

(٢) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة : ٢/٢٦٤- ٢٦٥ .

وقد استمرّ هذا الوضع بعض الزمن حتى تمّ تحوّل نهر الفرات من مجراه الشرقي إلى جهة شطّ الهنديّة في الغرب نهائياً فتحوّلت معه المناطق الشلبيّة من منطقة "لملوم" إلى منخفضات بحر النجف وأهوار الشاميّة .[١]

١٥- قناة أمين الدولة

أرسل أمين الدولة عبد الله خان وزير فتح علي شاه القاجاري[٢] خمسين ألف تومان ، بعد أن استغاثه النجفيون لإصلاح قناة النجف ، وعيّن المهندس ميرزا تقي مشرفاً على العمل . وقد ابتدأوا من المكان المعروف بخان أبو فشيگـة[٣] شمال شرق النجف إلى "كري سعد" شرقي النجف . وأقاموا على هذا الكري القنطرة الماثلة اليوم سنة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م إزاء "أبو فشيگـة" . وقد أُطلق الماء في الكري وجرى حيناً ووقف ، فساقوه من حيث وقف إلى النجف في قناة قديمة ، وقد قيل أنّها من صنع أمين الدولة وأنّه شارف العمل بنفسه ، إلاّ أنّه لم يطل عمر هذه القناة حيث عادت فانطمرت بعد وقت قليل .[٤]

١٦- كري الشيخ صاحب الجواهر

ومن الأنهر التي شُقّت بعد ذلك لإرواء ساكني مدينة النجف الأشرف كري الشيخ محمد حسن باقر صاحب كتاب "جواهر الكلام" وذلك في سنة ١٢٦٣هـ ، على رواية من يقول أنّ القناة المتّصلة بنهر الهنديّة امتلأت طيناً وكراها الشيخ صاحب الجواهر .

---

(١) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة : ٢/ ٢٦٦ .

(٢) هو ابن الحاج محمد حسين خان الصدر نظام الدولة . خلف أباه سنة ١٢٣٩هـ في وزارة فتح علي شاه في إيران ، وتصدّر في عهده إلى سنة ١٢٤٨هـ وحذا حذو أبيه . وكان مُحسناً ، له خيرات حسان كثيرة منها قناة النجف ، وغيرها ذكروها .

(٣) يقع في الضفة اليمنى الغربية للفرات . شرع ببناء شقّ منه رجل من أهل البحرين وتوفي قبل إكماله ، ليكون مأوى ومقرّاً لزوّار مرقد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من هذه الناحية .

(٤) أعيان الشيعة : ١١/ ١٥٨ .

واستعان الشيخ ببعض ملوك الهند وهو السلطان محمد أمجد علي شاه الهندي المتوفى سنة ١٢٦٣هـ ، فأرسل له ثمانين ألف تومان ، وأرسل له غيره من أهل الهند أموالاً طائلة ، فحفر نهراً من نهر آصف الدولة (نهر الهنديّة) إلى سور مدينة النجف . ولمّا جرى الماء فيه وقف في موضع يقال له : "الطُبَيْل"[1] ، وذلك لعدم كون الحفر على هندسة فنيّة ، إذ لم ينتبه القائمون على العمل بأنّ طرف النهر من جهة مدينة النجف يعلو كثيراً عن أوّل المجرى ، وأنّ المقدار الذي حفر لايكفي لجريان الماء بل يحتاج إلى عمق أضعاف ذلك ، وإنّه أمر غير ممكن بهذه الصفة . وما لبث الشيخ صاحب الجواهر قدس سره يحثّ على العمل بهذا المشروع الخيري حتى وافاه الأجل سنة ١٢٦٦هـ ، فتوقف العمل على ذلك ولم يتم .[2]

وذكر الشيخ علي آل كاشف الغطاء : أنّ السيّد حسين بن السيّد دلدار علي اللكهنوي أرسل إلى الشيخ صاحب الجواهر لكّاً وخمسين ألف روبية لأجل حفر النهر . كما هزّت الحميّة أحد رجال إيران الذين يهمّهم أمر النجف المدعو فرهاد ميرزا معتمد الملك - وهو عمّ السلطان ناصر الدين شاه القاجاري - على بذل الأموال الجسيمة في إرواء تربة النجف وساكنيها بالماء العذب .[3]

وللشيخ عبد الحسين محيي الدين المتوفى سنة ١٢٧١هـ قصيدة طويلة يهنّي فيها الشيخ صاحب الجواهر على شقّ النهر وإتمامه كتاب "الجواهر" ، جاء فيها :

حَبْـر الـشريعة رَحْـب الجـانبين إذا	لاذت بـه الملّـة البيـضاء مـن حـرب
أرى المكـــارم أفلاكـــاً بجملتهـــا	تـدور مـن مجـده السامي على قطـب
محمـــد الحـسن الأفعـــال والعلـــم	المفـضي بأفعالـه الحسنى إلـى عجـب

---

(١) "الطُبَيْل" بالتصغير ، موضع يبعد عن مدينة النجف المسوّرة نحو أربعة أميال من جهة الشمال الغربي .

(٢) أعيان الشيعة : ١١/١٥٩ .

(٣) الحصون المنيعة في طبقات الشيعة : ٢/٣٤ .

فكم على يده البيضاء قد ظهرت ... كرامةً خُصّ في إظهارها وحُبي
منها العلوم التي في الأرض قد نشرت ... كالصحف تنبئ عن صحف وعن
شروحهنّ انشراحٌ للصدور وفي ... متونهنّ جلاء الشكّ والرّيب
وشقّ نهر بكوفان به وقعت ... علامة لترجي خير مرتقب
وسوف يجري بعون الله جاريه ... وفق الحديث به سفنٌ من الخشب
مولىً أراه بما أولى هدىً وندىً ... أولى وأعلى يداً من كلّ منتسب
مخلّداً ذكره في الدهر دام لنا ... مخلّداً ذكره ياربّ فاستجب[1]

١٧- كري السيّد أسد الله

لمّا ورد العالم الجليل السيّد أسد الله بن السيّد محمد باقر الرشتي لزيارة العتبات المقدّسة في العراق ، وزار مرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف شاهد ما يقاسيه أهل النجف من الظمأ وتجرّع ماء الآبار المالح ، وسمع شكوى أهل العلم منه أيضاً ، فعزم على إتمام مشروع الشيخ صاحب الجواهر ، وشرع في العمل وأتمّه في مدّة ست سنوات ، وبقيت الناس تنتفع به نحو ١٩ سنة . فلمّا كانت سنة ١٣٠٧هـ جاء في تلك السنة بَرَدٌ عظيم خشن قيل إنّ الحبّة منه أكبر من الرمّانة ، ثمّ أعقبه مطر كثير فجرف السيل الرمال إلى تلك الآبار وسدّ مجرى الماء .[2]

قال شيخنا محمد حرز الدين في ترجمة السيّد أسد الله : وله الكري المعروف في النجف بكري السيّد الذي شرع في حفره سنة ١٢٨٢هـ أراد به وصول ماء الفرات إلى النجف ، وهذا النهر هو من نهر الهنديّة الذي حفره وزير محمد شاه خان ، آصف الدولة النيسابوري الساكن في الهند لمّا جاء زائراً مرقد علي أمير المؤمنين عليه السلام وشكى أهل النجف حالهم إليه من مياه البحر والآبار المالحة ، فقام الرجل الموفّق

---

(١) شعراء الغري : ٩٨/٥ .

(٢) تحفة العالم : ١/ ٢٩٢ .

وجمع رجال القبائل والمهندسين باذلاً أموالاً طائلة وأخرجوا له جدولاً من الفرات عند المسيّب ، ولمّا وصل أرضاً مرتفعة شقّوا وسطه نهراً عميقاً إلى النجف حدود سنة ١٢٠٨هـ ثمّ بعد سنين امتلأ النهر طيناً ورملاً ولم يجر فيه الماء .

وسعى بحفره ثانياً الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر من حدود الجدول الذي حفره آصف الدولة حتى النجف ، ولكنّ الماء لم يصل إلى النجف ، ثمّ توفي الشيخ صاحب الجواهر سنة ١٢٦٦هـ فلم يتمّ فيه عمل بعد وبقي معطّلاً حوالي ستة عشر عاماً .

ثم أراد الله تعالى أن يسقي النجف وأهلها على يد السيّد أسد الله ، فشرع في حفر نهر الشيخ ثالثاً حتى وصل الماء على بعد ثلثي فرسخ ووقف الماء ، لارتفاع أرض النجف .

و في شهر رمضان من سنة ١٢٨٧هـ زار السلطان ناصر الدين شاه العتبات المقدّسة ووقف على كري السيّد فلم يظن فيه نجاحاً لارتفاع أرض النجف ، وأعلم السيّد عند وصوله إلى إيران بعدم النجاح ، فعندئذٍ عدل السيّد عن حفر نهر في الأرض المرتفعة إلى حفر قنوات جَوفيّة مع الإسراع في العمل وزيادة العُمّال والأموال فأسرع جري الماء إلى النجف ، واستمرّ عمل السيّد ست سنين .

كان تاريخ وصول الماء إلى النجف سنة ١٢٨٨هـ ، وصار ليوم وصول الماء إلى النجف مشهد عظيم . وأرّخ عام وصوله الشعراء ، وأحسن من أرّخه المعاصر إمام الحرمين الميرزا محمد بن عبد الوهاب بن داود الهمداني المتوفى سنة ١٣٠٣هـ ، بقوله :

مُـــذ أســـد الله الهُمـــام الـــسَري ... ســـليل ســـاقي النـــاس مـــن كـــوثَر
أجـــرى إلـــى الغـــري مـــاءً مـــري ... قـــد أرّخـــوه (جـــاء مـــاء الغـــري)

وحملوا إلى السيّد في إيران قارورتين من الماء للبشارة . قيل واعترضه البشير في الطريق وهو قاصد زيارات العتبات المقدّسة في سنة ١٢٩٠هـ فاخترمه الأجل في الطريق في "كرند" وحُمل جثمانه إلى النجف .[1] كما أرّخه الهمداني أيضاً بقوله :

---

(١) معارف الرجال : ٩٥/١.

يـــا ســـاكن كوفـــان   طابـــت لـــك نعمـــاء
فاشـــرب هنـــاءً أرّخ   (قـد سـاغ لـك المـاء)(١)

وكانت مصروفات هذه القناة من ثلث متروكات السردار محمد إسماعيل خان النوري المعروف بوكيل الملك المتوفى سنة ١٢٨٣هـ، وهي ثلاثون ألف تومان.(٢)

ولم تزل هذه القناة موجودة أدركناها أسفل مدينة النجف في الجنوب الغربي منها على ضفاف بحر النجف. وقد صنع على مجراها السريع طاحونة تطحن الحبوب قبل وصول المكائن الطاحنة إلى النجف. وبالقرب منها جنوباً أمر السيّد الرشتي في حياته ببناء مغتسل ماؤه من هذه القناة، وكانت جملة من البساتين تستقي من رشح هذه القناة حتى دخلت سنة ١٣٥٠هـ.

١٨- كري الكروري

ثمّ قام أحد التجّار الإيرانيين المعروف بالكروري(٣) بكري القناة التي تعاقب عليها المصلحون المذكورون لمّا ملئت طيناً ورملاً من هبوب الرياح وجري السيول بعدما شكا أهل النجف قلّة الماء، فهبّ الرجل المحسن المعروف بالكروري وبذل مالاً جزيلاً للعمّال كي يُطهّروا القناة، فكريت ثمّ خربت.(٤)

١٩- نهر الحميديّة الأول (نهر عبد الغني)

شقّ هذا النهر من الفرات عند الحيرة (الجعارة) إلى النجف الأشرف لإيصال الماء

---

(١) فصوص اليواقيت: ٢٧.

(٢) المآثر والآثار: ٨٤.

(٣) كانت له دار كبيرة جداً بناء أثري قديم، تقع في محلّة العمارة في زقاق آل الخمايسي. واليوم أي سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٢م شمل هذه الدار وغيرها الهدم لإنشاء الإمتداد الجديد لشارع الصادق عليه السلام والذي يبتدئ من دورة الصحن الشريف حتى شارع السور.

(٤) الأحلام: ١٠٥.

العذب إليها . وكان عبد الغني المنسوب إليه النهر مدير ناحية الحيرة على الأملاك السنيّة العائدة إلى السلطان عبد الحميد . وقد تغلّبت نسبة هذا النهر إليه على نسبته إلى السلطان عبد الحميد حيث كان النهر يعرف بنهر الحميديّة ، وكان السيّد هادي بن السيّد محمد بن حسن زوين المتوفى سنة ١٣٢٣هـ وجيهاً عند رؤساء القبائل الفراتية ، ومطاعاً عند حكومة آل عثمان ، وقد أعان في ترغيب المسؤولين على حفر هذا النهر ، ويومئذ أي سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م كان الوالي في بغداد هو مصطفى عاصم باشا ، وقيل أنّ الوالي كان علي رضا باشا .

وقد رتّب جناب السيّد سعيد أفندي خطيب الحضرة الحيدريّة دعاءً بعد إتمام وإكمال بدعة الحيدريّة التي أُجريت من الجعارة السَنيّة إلى النجف الأشرف بمحضر الأهالي والمأمورين والعساكر الموجودين وكافّة الحشود التي اشتغلت بهذه البدعة الخيريّة ، يوم الخميس ٥ جمادى الأولى من سنة ١٣٠٥هـ ، وهذا نص جملة منه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي أجرى المياه بقدرته ... .

وبعد دعاء للسلطان ، قال : واسقه من حوض الكوثر ... اللهمَّ له ولكافّة وزرائه ، وعساكره الحاضرين ، ومن سعى في هذا الأمر من الوكلاء والوزراء والأمراء سيّما رئيس الأملاك الهمايونيّة ووالي ولاية بغداد خصوصاً البادي لهذه الخيريّة مدير الجعارة ذي النفس الغنيّة ... أعني به عبد الغني . اللّهمّ كما صار سبباً للدعاء لحضرة سلطاننا ... فاجعله لديه من المقبولين ... ولاسيّما المعين بالنفس والمال السيّد هادي [آل زوين] المشهور بالنجابة والكمال ، وكذا السيّد محمد المشهور بآل بحر العلوم ، وكذا حاكم النجف الأشرف ، والرئيس العسكري وقاضي المحل الدري ، والكليدار الحيدري ، وجميع من أعانه على هذا الأمر الجليل من الحشور والمشايخ والسراكيل .

وقال الشيخ طاهر الدجيلي بالمناسبة مادحاً السلطان وداعياً له وللوالي مصطفى عاصم باشا ، والسيد هادي ، والسيد عبد الغني أفندي في قصيدة من ثلاثين بيتاً مطلعها :

حــيّ المــلاك وقُــل لهــا بُــشرى　　　أجــرى الحميــد لحيــدر نهــرا

ومنها :

كالعاصــم الحــامي لــه خــضعت　　　أهــل العــراق فلــم يحــق مكــرا

ومنها :

وكــذلكم عبــد الغنــي فكــم　　　قــد شــدّ فــي طلــب العُلــى أزرا

ومنها :

وســقاك يــا عبــد الغنــي بمــا　　　أوليــت ساقي الحوض فـي الأخـرى

ونظم الشيخ محمد سعيد بن علي هادي العطّار مقطوعة مدح فيه السلطان عبد الحميد خان ، وأرّخ فيها إجراء النهر ، قال :

قــد لهجــت بالــشكر أهــل الغــري　　　تلهــج بالظــاهر والمــضمر

وابتهلــت لربّهــا بالــدعا　　　لــدى ضــريح المرقــد الحيــدري

لــذات والــي أمــر ربّ الــسما　　　عبــد الحميــد الملــك القــسور

خليفــة الله الــذي باســمه　　　يخطــب فــي أعــلا ذرى المنبــر

حــامي حمــى ديــن نبــي الهــدى　　　ووارث البطحــاء والمــشعر

بحفــر نهــرٍ فــاض سلــساله　　　يمــدّه الفــيض مــن الكــوثر

وحيــث أرواهــا بإحيائــه　　　أرّخ (بــه إحيــاء أهــل الغــري)

وقال الشيخ الجليل جواد بن الشيخ محمد بن الشيخ شبيب مادحاً في قصيدة من ٣٥ بيتاً ، مطلعها :

صــفت بعــد رتــق بــالغري المناهــل　　　فــصبّت نميــر البُــشر منهــا المنــازل

ومنها :

وحــسبهمو عبــد الغنــي فتــى العُلــى　　　لأمــركم الــسامي مقــيم وكافــل

يؤيــده الهــادي بعــزم مــضائه　　　مــضى مرهــف مــا أرهفتــه الــصياقل

وفي الختام قال مؤرخاً :

بأقصى الهنا وفّى وقلت مؤرّخاً (بريّ صفت للوَرد منه المناهل)

وقال السيّد علي نجل كليدار الروضة الحيدريّة قصيدة في ٢٥ بيتاً مؤرّخاً جدول الحميدية بعد مدح السلطان :

غرّدت بالبشر ورقاء السعود فأعادت رونق العيش الرغيد

وفي الختام قال مؤرّخاً :

وبعون الفرد قد أرّخته (حفظ الله لنا عبد الحميد)

وقال الشاعر الشهير السيّد جعفر الحلّي مادحاً السلطان وغيره بقصيدة في ٣٦ بيتاً مطلعها :

دول الممالك طأطأت لك هامها قُدْها فقد ألقت إليك زمامها

ومنها :

لله ... والسيد الهادي الذي أدّى بخدمتك الفروض تمامها

هو والفتى عبد الغنيّ تعاطيا كأسَي صفا سكب الإخاء مدامها

وفي الختام ، قال :

ختما الإدارة مُعلنَين عصامها أرّخ (وطيب المسك نال ختامها)

وقال السيّد هادي نجل كليدار النجف مادحاً السلطان وعبد الغني في قصيدة من ٢٥ بيتاً مطلعها :

رَفَعت أعناقها أهل الغري بدعاءٍ لإمام البشر

ومنها :

وارتضى عبد الغني حامداً والرضا فيه عظيم المفخر

وآخرها :

وتولّى الحزن فرداً أرّخوا (وجرى الماء ... (؟) الكوثر)

وتبع ذلك ثلاث عرائض طلب مختلفة الصياغة إلى السلطان عبد الحميد مؤرّخة

في ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٥هـ موقعة من قبل طائفة من العلماء الأجلاّء والسادة العظماء رفعوها إلى أعتاب السلطان ونظارة الخزينة الخاصة ومقام الولاية ، جاء فيها - بعد مدح السلطان والثناء على عمله المبرور - طلبهم لتلطيف عبد الغني وكيل السنيّة في الجعارة ، وهي بتوقيع :

الشيخ عباس الشيخ علي كاشف الغطاء ، والشيخ محمد طه نجف ، والشيخ حسين نجف ، وغيرهم ، وعددهم اثنان وعشرون .

وفي عقب تلك العرائض عريضة بتوقيع بعض طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف وخدمة الروضة مرفوعة إلى السلطان .

وهذه صورة عريضة من قبل جماعة من علماء النجف ووجوههم وعددهم ٤٥ شخصاً تقدّموا بها إلى السلطان عبد الحميد لإرجاع مدير ناحية الحيرة ووكيل أملاك السنيّة في الحيرة (الجعارة) عبد الغني بعد عزله عن منصبه حيث كان ساهراً على ماء النجف من الفرات في النهر المعروف بالحميديّة (نهر عبد الغني) وهذا نصّ ما يلزم منها :

... والذي أوجب تقديم هذه العريضة هو أنّه لمّا كان المنتخب لإنفاذ هذه الأوامر الخيرية والمكرمة الحميدية وكيل سنيّة الجعارة سابقاً عبد الغني أفندي ، فإنّه قد جدّ في حفرها فأتقن صنعها واعتقد كلّ من في المملكة المحبّة أنّه سيكون مشمولاً بألطافكم مستحقّاً للمكافأة الجسيمة لا أنّه يُحرم من المأمورية ويكافأ بالعزل ، فالأمل كلّ الأمل أن يكون ملحوظاً بأنظاركم ، فقد أشرف نهر الحميدية على أن لايبقى له أثر وتندرس هذه الخيرية إذ ليس لها مباشر ولا وكيل ولا ناظر ، وكدنا نرجع ولا ماء يُطلب ولاعذب يُشرب على ماكنّا عليه من سوء الحال ونشرب الماء المالح بعد العذب الزلال ... .

والعريضة موقّعة من قبل كلّ من : السيّد محمد بحر العلوم زاده ، والشيخ حبيب جعفر زاده ، والسيد حسين القزويني زاده ، وخادم الروضة الحيدرية الحاج حسن شمسة زاده ، وأمثالهم ، وكانت بتاريخ ٣ رجب سنة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م .[1]

---

(١) مباحث عراقية : ٦٤/٢- ٦٩ . معارف الرجال : ٢٣١/٣ .

وقد جفّ نهر الحميدية الأول بصورة تامة سنة ١٣٠٨هـ لأسباب منها : أخذ الفلاّحين من مائه لسقي مزارعهم وبوقوع الرمال فيه من هبوب العواصف في الصيف ، ومن السيول في الشتاء .

وهذه صورة عريضة كتبها أهالي النجف إلى الوالي سرّي باشا في بغداد بعد انقطاع الماء عنهم طالبين أعادته ، وصدّرت بأبيات هي :

ياوالي الأمر إنّا غرس نعمتكم ... قدماً وَمُنْيَتُنا فيكم قد انتعشا

أجرى إلينا إمام العصر في يده ... ماءً تخلّلَ في أرياقنا ومشى

واليوم قد عاق ذاك الماء عائقة ... فإن بقي غرسكم يوماً يمُت عطشا

المعروض لدى ربيب الوزارة والمكفول بحجور الإمارة إنّا معاشر المجاورين لمرقد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، مازلنا بالدعاء لدوام دولتكم العليّة المستمدّة بالفيوضات الإلهيّة ، وقد تلطّف علينا سلطان هذا العصر ومن بيده النهي والأمر بماء سائغ الشراب ، فكان من أنفاسه الطيّبة أحلى من الرضاب ، وأعذب من ماء السحاب ، فكم برّد للصدور من غَلَل ، وشفى لجسوم المجاورين من عِلَل . فعند ذلك حمدنا الله تعالى شأنه لإجراء هذه الخيريّة على يد سلطان البريّة . واليوم جاورتنا رجال من الأمة لايرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّة . فمنعوا الماء الذي هو حياة الأبدان لأجل زراعات ليست بالعيان . وناهيك بذوي الزراعة من الأعراب وقساوة قلوبهم ، فانّ الفلاّح لو دار الأمر عنده بين أن يتلف الوجود أو يذوي من زرعه عُود ، لاختار أوّل هذين الأمرين ، فلا يبالي ولو بتلف الخافقين . فالرجاء من شفقتكم التصدّي لإجراء هذه الصدقة المستطابة ، لتحظوا من المجاورين بالدعوات المستجابة . لأنّ الأعراب لاقوّة لنا على دفعهم ولا طاقة لنا بمنعهم ، والذي علينا أن نرفع الشكاية لديكم وأمرنا إلى الله وإليكم والسلام .(١)

---

(١) عن بعض المجاميع المخطوطة .

٢٠- نهر الحميدية الثاني

كان نهر الحميدية الأول (نهر عبد الغني) معرّضا للإنقطاع بأخذ الفلاّحين من مائه لسقي مزارعهم وبوقوع الرمال فيه من هبوب العواصف في الصيف ، ومن السيول في الشتاء فتبقى الناس ظماءً نحو أُسبوع حتى يتمّ تنظيفه ، وتشتري الماء الذي يجلب من الكوفة بأغلى القِيَم ، ولاتجده إلاّ قليلاً . وقد جفّ النهر الأول تماماً سنة ١٣٠٨هـ ، وبقي الناس يقاسون شدّة العطش مدّة لا تقل عن ثلاث سنين ، وكان قائمقام النجف يومئذ خير الله أفندي ، فعرض الحالة على والي بغداد الحاج حسن باشا ، فراجع الباب العالي في الأستانة ، فأمر السلطان عبد الحميد بحفر جدول إلى جانب الجدول القديم لاستقاء الناس خاصة ، وبذل لذلك ألف ليرة ذهبية من خزانته الخاصة ، ولإصلاحه والمحافظة عليه كلّ سنة مئة ليرة ذهبية ، وأنجز المشروع في أواسط شهر شعبان سنة ١٣١٠هـ ، ووصل الماء في أوائل شهر رمضان .[١]

وبعد أنجاز المشروع قدم من بغداد المشير رجب باشا مع رتل من الجيش للاحتفال بافتتاح النهر ، وصادف ذلك يوم ميلاد السلطان عبد الحميد ، واحتفل بافتتاح النهرخارج البلدة في موضع النجف الجديدة أو محلّة الأمير غازي احتفالاً رسميّاً حضره طبقات النجف كافة ، وأنشدت فيه قصائد وتواريخ للسيّد جعفر الحلّي وغيره .

وفي هذا الاحتفال نهض العلاّمة الأديب السيّد محمد بن السيّد محمد مهدي القزويني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ ، وارتجل خطبة هذا لفظها :

أنّى يطيق لسان عريضة الدعاء إبراز الشكر والثناء إلى الساحة التي تقف ملوك الأرض على أبوابها ، وتقصر عن الدنو من حجّابها ، وتلثم المسك من ترابها ، وتمرّغ تيجان العزّة على شريف أعتابها .

حضرة ظلّ الله على العالمين وسلطان المسلمين ، الذي انتظم بسيف سطوته شمل

---

(١) تحفة العالم : ٢٩٢/١ . البابليّات : ٢٥/٤ .

الملّة المحمّدية فصار مشحوذ الغرار ، والتأم بعزم شوكته جمع الأمّة الأحمدية فظهر ظهور الشمس في رابعة النهار ، ولا زال لواء العز خفّاقاً على تاج سلطنته ، وبدر سماء العظمة بازغاً تحت أبّهته . فلقد كان من عواطفه الملكية ونعمائه على فقراء الرعية أن نظر بعين الرحمة والرأفة إذ كان هو المنعم المطلق على الأمّة وخاصّة سكّان أرض الغري والمجاورين للمرقد العلوي ، وقد نال العطش من أكبادهم ، وانقطع الماء عن بلادهم ، إلاّ وشلاً من الملح الأجاج لا يبلّ غليل ظمآن ، ولا ينقع كبد حرّان ، فكم تهافتت قلوبهم من الظماء ، وتنازع كلّ جمع منهم على سقاء . ولم تزل جملة من الملوك السابقين وذوي الخيرات من المسلمين تبذل الأموال وتخطّ الأنهار وتحفر القنوات والآبار ، فما حصلت لأحد منهم موفقية ولا استدامت لواحد خيرية إلى أن تعيّن لقضاء النجف الأشرف عبد الدولة الناصح في الخدمة قائمقامها الحالي العالي الهمّة ، ومذ شاهد أحوال هذا القضاء وما هم فيه من شدّة الظماء عرض وأكثر الاسترحام لدى والي ولاية دار السلام صاحب الدولة الناصح للملّة سميّ الإمام وحاج بيت الله الحرام ، فأشرف بذاته الزكيّة للاطلاع والاضطلاع برفع هذه البليّة ، فرأى الحالة أعظم من أن تذكر ، والداهية من العطش أكبر من أن تتصوّر ، فعندها أنهى وعرض الكيفيّة ، ووصف حال سكّان البقعة الحيدرية ، وقدّمها إلى أعتاب ملك الأمّة الإسلامية ، وبدر سماء السلطنة العثمانية ، فأنعم بصدور أمره السامي الذي هو أنفذ من السهام وأمضى من الصمصام ، بإجراء جدول من بحر نعمته الزاخر وسلسبيل من إنعامه الوافر ، يرد منه الصادي ويشرب منه الحاضر والبادي ، فأصبحت بلاد النجف مخضرّة الأرجاء قد أخصب حماها ، وأنبتت رُباها ، وأزهر مغناها ، وأشرق دجاها ، وفاخرت أرضها سماها ، قد رفع سلطان المسلمين سمكها فسوّاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وطاب للوافدين واديها ، وعمر ناديها ، وترنّم شاديها ، وارتوى صاديها ، وأنس حاضرها وباديها ، وفرّ باغيها وعاديها ، وكثر نعيمها ، وهبّ نسيمها ، وبرد جحيمها

وانتشر شميمها ، وانقطع سمومها ، وانتعش سقيمها ، وتدفّق عبابها ، وصفا شرابها ، وتباشرت علماؤها وطلاّبها ، واطّردت أنهارها ، وأورقت أشجارها ، وغرّدت أطيارها ، وصفت أوقاتها ، وأمن قفرها وفلاتها ، وعجّت بالدعوات أصواتها ، ولهجت بالشكر لغاتها ، قائلين : نسألك اللّهمّ يامنزل الماء المعين بشرف النبي الأمين وآله وأصحابه والتابعين أن تؤيّد الإسلام والمسلمين بدوام سلطان السلاطين مالك رقاب أهل العصر ومصدر النهي والأمر السلطان الغازي عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد ، اللّهمّ مكّن له في الأرض ، وأحي به السنّة والفرض ، واجعل كلمته العليا ، وكلمة أعاديه السفلى ، ما ارتوى ظام من الماء وبزغ كوكب في السماء .

ثمّ أبرق السيّد محمد القزويني إلى السلطان عبد الحميد في الأستانة يمدحه ويشكره بهذه الأبيات :

شكراً إمام المسلمين ... على صنايعك السنيّه
أجريت نهراً بالغر ... ي مننت به على الرعيّه
وسقيتها العذب الفر ... ات على الظما سقياً هنيّه
فإليك بالدعوات ... قد عجّت بأكباد رويّه[1]

ولأنّ النهر المذكور كسابقه يمرّ بأرض رمليّة منهارة تجرفها السيول وتسفي عليه الرياح ، ولذلك كانت النجف الأشرف لاتنفكّ عن كظة الظمأ شهرين أو ثلاثة في العام ، وعند نضوب المياه في الصيف في عمود الفرات لايدخل نهر النجف الماء ، الأمر الذي يلزم الحكومة التركية بأن تصنع سدّة من الحطب والتراب تكلّفها أموالاً طائلة تقوم بها العشائر وسط مجرى الفرات العمود الرئيسي كي يدخل الماء في هذا النهر بعد تطهيره من الرمال . وعند قطع نهر النجف حال تطهيره فأهالي النجف الأغنياء منهم يشترون الروايا من السقّائين الذين يأتون بماء الفرات من شريعة الكوفة ، والفقراء

(١) البابليّات : ٢٥/٤- ٢٦ .

يشربون مياه الآبار المالحة . فكم شربنا من مياه الآبار لكن عند خروجه من البئر بالدلاء بارداً ، فيمكن للمرء أن يتجرّعه ، وإذا تأخّر في الكيزان يصعب شرابه ، بل لا يمكن .

وسمّي هذا النهر بنهر الملك غازي عاهل العراق ، بعد إحيائه ثانياً في عهد وكيل متصرّف لواء كربلاء السيّد جعفر حمندي قائمقام النجف في رابع ذي الحجة عام ١٣٥٠هـ. وأرّخ الشيخ علي البازي هذه المناسبة بقوله :

آثار فيصل في العراق جليّة ... جلّت وعزّت أيّما إعزاز
قد حلّقت في الأفق ذكراها فلم ... تبلغ مداها فكرة ابن البازي
فالأرض شاء الله بعد مواتها ... أرّخت (يحييها بنهر الغازي)[1]

٢١- كري الميرزا الخليلي

وبعد خراب كري الكروري لقناة السيّد أسد الله أصلح هذه القناة المرجع الديني الأعلى الحاج ميرزا حسين الخليلي حيث بنى المنهدم منها وجعل لها مجرى من الفرات ، ابتدئ بالعمل سنة ١٣١٩هـ وفرغ منه سنة ١٣٢٧هـ . ولكن لانقطاع مجراه من النهر الكبير نهر الهنديّة إضافة إلى وفور ماء الآبار المالحة عليه تغيّر طعم الماء إلى المرورة فلا يطفئ الغلّة .

٢٢- محاولة ضخّ ماء الفرات من الكوفة

في سنة ١٣٣٠هـ في العهد العثماني بالعراق أُلّفت شركة تجارية في النجف الأشرف محاولة شراء آله بخارية رافعة من شركة ألمانية في برلين توضع على فرات الكوفة لتدفع الماء إلى النجف ، واستحضر لذلك أنابيب ضخمة الحجم ، ووصل إلى الكوفة أكثر الأنابيب وطرحت جنبي محجّة الحديد بين الكوفة والنجف ، والباقي بقي في البصرة مع مكائنها ولوازمها . ثمّ جاءت الحرب العالمية الأولى فأُهمل هذا المشروع ، وعادت النجف إلى حالتها السابقة تكابد الظمأ ولواقح الهجير في الصيف .

---

(١) شعراء الغري : ٣٨١/٦.

وفي أيام الثورة العراقية تلفت جملة من هذه الأنابيب وبقي الكثير منها مكدّساً في الطريق الواصل بين الكوفة والنجف .

ويروى أنّ محاولة إيجاد آلة ضخ الماء وتأليف الشركة النجفيّة كانت بإدارة الخازن السيّد جواد الرفيعي كليدار الروضة الحيدريّة ، ويعزى سبب إهماله إلى اندلاع الحرب العالميّة الأولى وموت مؤسّسها الكليدار السيّد جواد بن السيّد رضا . وبقيت الأنابيب الضخمة مطروحة بين الكوفة والنجف جنبي محجّة الحديد (الترامواي) سنين عديدة وقد نسفت عليها الرمال ، وبعد استقلال العراق وتحرّره من الإحتلال استولت على هذه الأنابيب الحكومة العراقية واستعملتها في عهد إحدى وزارت نوري السعيد في العهد الملكي . وأسّس ماء النجف من قبل الحكومة العراقية .[١]

وتأسيس ماء النجف هذا من قبل الحكومة العراقية متأخّر عن ثلاث محاولات ، كانت الثالثة منهنّ ناجحة ، وإلى القارئ الكريم بيانها برقم ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

٢٣- *ضخّ الماء في نهر الحميديّة*

بعد احتلال الإنـكليز للعراق سنة ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م نصبت السلطة الحاكمة ماكنة رافعة على نهر الفرات في قضاء "أبو صخير" لتدفعه إلى النجف عبر الجدول الثاني المعروف بـنهر الحميديّة في موضع يعرف بالبِرْكة أسفل مدينة النجف جنوباً في فسح بحر النجف ، وينقل السقّاؤن الماء العذب من البركة بالروايا على دوابهم لبيعه لسكّان مدينة النجف الأشرف ، واستمرّ الحال على ذلك خمسة عشر عاماً حتى سنة ١٣٤٧هـ فشرب أهالي النجف من ماء مضخّة الحاج معين التجّار ، كما سيأتي تحت رقم ٢٤ .

٢٤- *مشروع كري سعد*

وآخر من بذل جهداً لإرواء ساكني مدينة النجف الأشرف بالماء العذب من الفرات بمحاولة إعادة إحياء مشروع "كري سعد" في زمن الملك فيصل الأول ، هو

---

(١) أعيان الشيعة : ١١/ ١٦١ . الأحلام : ١٠٥ .

الحاج محمد علي الشوشتري الملقّب برئيس تجّار عربستان ، وهو والد الحاج مُشير نزيل دمشق الشام ، حيث تبرّع لهذا المشروع في سنة ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م بمبلغ ٣٠٠ ألف روبية ، على أن تصرف في حفر جدول من محلّ يعرف بالمزيديّات متّصل بجدول بني حسن ، وينتهي مصبّه إلى بحيرة النجف القديمة غربي المدينة .

وتقرّر رسميّاً مع الحكومة العراقية بأنّ ما يحدث على ضفة النهر من زروع وبساتين يصرف رَيعه - بعد أخذ العشر منه للدولة - على إصلاح الجدول وعلى مستشفيات ومدارس النجف ، وإن زاد ففي كربلاء . وأعطيت الرخصة بذلك من الدولة العراقية بتوقيع الملك فيصل الأوّل في غرّة رمضان سنة ١٣٤٢هـ وعند أوّل يوم من الشروع في هذا العمل الخيري حضر الملك فيصل وأخذ المسحاة بيده وحفر شيئاً من الأرض وحفر معه الحاج رئيس تجّار عربستان وجماعة من وجهاء النجف كالسيّد محمد علي آل بحر العلوم ، والسيد مهدي آل السيّد سلمان ، والحاج محسن شلاش ، والحاج عبد الرزّاق شمسة رئيس بلدية النجف ، وعلوان الحاج سعدون رئيس قبيلة بني حسن ، وغيرهم . واستمر عمل الحفريات بنشاط على أحسن ما يرام مدّة . إلاّ أنّ هذه المحاولة لم تتم حيث أنّ الحاج رئيس سحب ذلك المال الذي تعهّد به ، وكان قد وضعه في البنك ، لأمور يظن أنّ أهمّها معارضة كثيرين له في ذلك وطلبهم إليه العدول عنه لأنّه يضر بأهل النجف بزعمهم ولاينفعهم .

قال الحجّة السيّد محسن الأمين : وقد أطلعني الحاج رئيس التجّار وهو في دمشق على نحو من أربعين صحيفة جاءته في دفعتين من أناس يلومونه ويقولون له : أنت بعملك هذا تعمل شرّاً لا خيراً ، وذلك لأنّه بلغهم أنّ الدولة تريد أن تكلّفهم بتكاليف لهذا الأمر والله أعلم .[1]

ولمّا سحب الحاج رئيس ما رصده لهذا المشروع الخيري ، كانت مصروفات

---

(١) أعيان الشيعة : ١١/ ١٦١- ١٦٢ .

الحفريّات الأولى البالغة ٣٥ ألف روبية من مخصّصات الملك فيصل الأول ، وبعد فشل هذه المحاولة آل الأمر إلى الإلتجاء إلى نقل الماء من فرات الكوفة بطريقة الضخّ وهي الطريقة المتّبعة اليوم في تجهيز مدينة النجف بالماء .

٢٥- *ضخّ ماء الفرات من الكوفة إلى النجف*

وبعد أن قاست النجف أنواع المحن من قلّة الماء العذب خلال قرون متمادية ، جاء العلم فحلّ تلك المعضلة بايجاد المضخّات فغدت النجف تشرب ماءً هنيئاً فراتاً .

ففي أوائل عام ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م تقدّم المحسن الموفّق الحاج معين التجّار محمد البوشهري بطلبه إجازة امتياز من الحكومة العراقية لشراء مضخّة تنصب على الفرات في شريعة الكوفة تدفع الماء بأنابيب إلى النجف الأشرف ، فأجازته سريعاً ونصبت المضخّة على متن الفرات بـمحلّة السراي من جسر الكوفة ، وأخذ المهندسون والعمّال يجدّون في مدّ الأنابيب الرئيسية بين الكوفة والنجف .

وفي اليوم ٢٢ من جمادى الثانية سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م نودي في النجف أن سيقام احتفال بوصول ماء الفرات خلف سور المدينة الشرقي منها لتجربة ضخّ الأنابيب ، وقد حضر هذا الإحتفال أعيان ووجوه النجف وموظفوها ، وكان بإشراف المتولي لهذا المجهود الخيري الحاج ميرزا أحمد بن ملاّ زكي ، ابن أُخت رجل الخير والإحسان الباذل لمعظم نفقات المشروع الحاج معين التجّار وشريكه في الأجر والثواب عمدة التجّار الحاج محمد علي رئيس التجّار في عربستان .

وكنت ممّن خرج مع الجمهور لأرى المهرجان والفرحة الكبرى للنجفيين بجميع طبقاتهم ، وكان أهل النجف بعوائلهم وشيوخهم وشبابهم ينظرون إلى تدفّق ماء الفرات العذب بقوّة وغزارة من الأنبوب الضخم على رمال صحراء النجف حتى صارت منه بحيرة صغيرة ، وقد أخذ الشباب يعومون فيها من فرحتهم . هذا كلّه والأهازيج تدوّي وتعلو مسامع المحتفلين .

وممّن أرّخ وصول الماء إلى النجف الشاعر الأديب السيّد مهدي الأعرجي بقوله :

أجرى المعين مع الرئيس عليهما　　　كلّ الثنا ماء الفرات إلى الغري
فأقام طير البشر فيه مؤرّخاً　　　(إنّ المُعين له المَعين الكوثر)

وقال الشيخ كاظم بن عبد الجواد المعروف بالخطّاط :

وفي أنابيب الحديد قد جرى　　　كاللؤلؤ المكنون في جوف الصدف
قل للرئيس والمعين ذكركم　　　مؤرّخ (كالماء في أرض النجف)[1]

(١) شعراء الغري : ١٩٧/٧ .

الفصل الثالث عشر

بحر النجف

موقعه ومساحته

أسماء بحر النجف

الملاحة إلى جهات العراق والهند والصين

بحر النجف بعد جفافه

بحر النجف

موقعه ومساحته

يظهر من نصوص تاريخية عديدة سنعرض لها أنّ مساحة بحر النجف تغيّرت على طول التاريخ ، وكان بحر النجف في القديم أكبر مساحة بكثير ممّا هو عليه في أزمان متأخّرة ، ولذا فقد اختلفت تقديرات مساحته باختلاف أزمانها . وما يرى اليوم عند حافّة الهضبة الصحراوية إلى الجنوب الغربي من مدينة النجف منخفضات كان وجودها يساعد على اندفاع المياه وانحدارها من الفرات، فأصبحت هذه المنخفضات محلاً لاجتماع المياه ، وقد تغيّر بسبب ذلك مجرى نهر الفرات عدّة مرات .

يقال عن هذه المنخفضات بأنّها من أراضي الطفوف التاريخية ، وربّما تقدّر مساحتها السطحية بين ١٥٠ أو ٢٠٠ ألف مشارة ، وتقدّر مسافتها من حدود المشخاب إلى رأس المنخفض الكائن غرب النجف بمسافة قدرها ٣٠ كيلومتراً ، وهذه البحيرة تنخفض عن مستوى ماء الفرات بين الكوفة وأبو صخير بما يقدّر في أعمق نقطة منه ٤٠ متراً .[(١)]

قال الرحّالة بارلو الذي زار النجف سنة ١٣٠٧هـ- ١٨٨٩م : إنّ النهر المسمّى نهر الهنديّة يجري في الجهة اليمنى من الفرات وهو يحمل نصف مياه نهر الفرات ، فيترك مدينة كربلاء على جهته الغربية وأطلال بابل في الجهة الشرقية ، ثمّ يصل إلى مدينة النجف فيصبّ هناك في بحيرة تسمّى "بحر النجف" يبلغ طولها ٦٠ ميلاً وعرضها ٣٠ميلاً .[(٢)]

---

(١) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة : ٢/ ٢٦٦ .

(٢) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة : ٢/ ٢٦٥ .

أمّا الرحّالة الإنكليزي "لوفتس" الذي زار النجف عام ١٨٥٣م-١٢٧٠هـ، فقد قال: إنّ بحر النجف ممتد نحو الجنوب الشرقي إلى مسافة أربعين ميلاً، وينشأ من نهايته السفلى نهران، يقال لهما: شط الخفيف[١] وشط العطشان[٢] وحينما يطغى الفرات طغيانه السنوي المألوف يفيض إلى بحر النجف فتصبح المسافة الممتدّة بينه وبين السماوة كلّها قطعة واحدة من المياه يطلق عليها "خور الله".[٣]

أمّا ماء هذا البحر فيكون عذباً صالحاً للشرب حينما تصبّ فيه مياه الفرات كلّها، ويصبح مِلحاً أُجاجاً حينما تنقطع عنه، وعند ذلك يضطر أهالي النجف إلى جلب الماء من الكوفة.[٤]

---

(١) كذا في المصدر، والصواب "شط الخسف" كما هو معروف بين عشائر المنطقة وعليه الوثائق الرسمية. وعمدة تكوّن ماء شط الخَسف من "هور صليب"، ويبدأ من ضواحي مرقد الإمام عبد الله - أبي نجم - ابن الحسن المَكفوف الأفطسي شرقاً وينتهي بالمرتفع الأثري "إيشان الدهيميّة" ويصب بشط العطشان في أراضي السادة آل لُطف. أمّا القبائل العربية النازلة على شط الخسف ابتداءً من صدره فهم: آل شِبل، ثمّ بني عارض (الكويرَة)، ثمّ الغزالات (آلبو علي وآلبو علوان)، ثمّ آلبو هليل، وينتهي بقبيلة بني سلامة.

(٢) يبتدأ هذا النهر من الجانب الأيمن للفرات غربي سدّة الدغفولية (الدغافل) السدّ العشائري القديم المنهار، قبال "قرية الغَرَب" الواقعة على الضفة اليسرى للفرات، ويصل إلى غربي السماوة قرب "جسر السوير" ويصب هناك في عمود الفرات عند أراضي آل زياد. وشط العطشان جاف طوال السنة حتى إذا طغى الفرات في موسم الربيع دخله الماء.

(٣) كذا، والصواب "هور الله" كما في الوثائق الرسمية، والمشهور في المنطقة نفسها. وهو عبارة عن أرض منخفضة يغمرها ماء الفرات في موسم فيضان الفرات السنوي. يبتدئ من أرض "الهَرَر" حتى يتّصل بـ"أمّ الدشيش" الحدّ بين قبيلتي الأعاجيب وبني سلامة، ونزّال هور الله هم من قبيلة بني سلامة.

(٤) موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف): ٣٣٥/١.

أسماء بحر النجف

عرّف الأراميّون بحر النجف باسم "فرثا" بمعنى "البثقة"[(١)] . وأطلق اليهود عليه اسم "حاشير" ومعناه "مجموع المياه" ، وهذا اللفظ و"الحشر" بالعربية بمعنى "الجمع" من أصل واحد .[(٢)]

الملاحة إلى جهات العراق والهند والصين

كان بحر النجف في العصور القديمة مليئاً بالمياه ، تصله الجداول والأنهار ، ثمّ بالخليج ، ممّا جعله ميناءً ترسو فيه السفن للملاحة من وإلى جهات العراق والهند والصين ، وبقي صالحاً للملاحة حتى جفافه الأخير . وكان بحّار البندقيّة وجنوة في القرن السادس عشر الميلادي يسلكون باستمرار الطريق الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالسواحل الإيرانية وكانوا في طريقهم ينزلون خانات بغداد أو بابل ويشاهدون النجف أو يتلبثون أيام مرورهم .[(٣)]

ويظهر أنّ الخندق الكبير الذي بناه الملك الساساني سابور ذو الأكتاف كان أحد حلقات الوصل بين بحر فارس وبحر النجف في أحد أدواره .

قال ياقوت الحموي : وخندق سابور في بَرِّيَّة الكوفة ، حفره سابور بينه وبين العرب خوفاً من شرّهم ، قالوا : كانت هِيت وعانات مضافة إلى طسُّوج الأنبار ، فلمّا ملك أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م) بلغه أنّ طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد إلى البادية ، فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر ، كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب من البادية ، وأمر بحفر خندق من هِيت يشقّ طفّ البادية إلى كاظمة ممّا يلي البصرة وينفذ إلى البحر .[(٤)]

---

(١) بَثَقَ السيلُ موضع كذا : أي خَرَقه وشقَّه . وفلان باثِقُ الكَرَمِ أي غَزِيرُه . (لسان العرب : مادة "بثق")

(٢) مجلة لغة العرب : الجزء ٤ ، السنة ٣ ، صفحة ٣٦ .

(٣) تاريخ نصارى العراق : ١٢٤ .

(٤) معجم البلدان : ٣٩٢/٢ .

وقال أبو الفداء في وصف الحيرة : والحيرة اليوم على موضع يقال له : "النجف" زعم الأوائل أنّ بحر فارس كان يتّصل به وبينهما مسافة بعيدة .[١]

وقال ياقوت الحموي : كان بناء الحيرة في موضع يقال له : "النجف" ، إذ زعموا أنّ بحر فارس كان يتّصل به وبالحيرة .[٢]

وقال البحّاثة يوسف غنيمة : وعندنا أن ليس في ما ذكره ياقوت من غريب إذ أنّ مصبّ كلٌّ من دجلة والفرات كان يبعد الواحد عن الآخر شقّة بعيدة في بعض أدوار التاريخ ، وليس نضوب بحر النجف أو بحيرة النجف كما يدعوها بعض الكتبة المحدثين ببعيد عنّا فإنّه جفّ سنة ١٣٠٥هـ-١٨٨٧م .[٣]

أقول : وهناك من الأدلّة التاريخية ما خفيت على الحموي تؤكّد حقيقة اتّصال بحر النجف ببحر فارس ، وكونه ميناءً للملاحة مع العالم الخارجي كالهند والصين ، فقد ذكر الحموي نفسه أنّ في أرض النجف كان هناك مايسمّى بالقائم . وهو بناء في غاية الإرتفاع كالعَلَم لهداية السفن القادمة .

قال ياقوت الحموي في "دير حَنَّة" : هو دير قديم البناء بالحيرة منذ أيام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع تقابله منارة عالية كالمرقب تسمّى "القائم" لبني أوس بن عمرو بن عامر ، وفيه يقول الثرواني :

يا دير حَنَّة عند القائم الساقي ... إلى الخورنق من دير ابن بَرَّاق[٤]

ولا يخفى أنّ مثل هذا القائم لايتمّ إنشاؤه إلاّ لهداية السفن الكبيرة التي تستخدم عادةً في الملاحة مع العالم الخارجي .

---

(١) تقويم البلدان : ٢٩٩.

(٢) معجم البلدان : ٣٢٨/٢.

(٣) الحيرة المدينة والمملكة العربية : ١١.

(٤) معجم البلدان : ٥٠٧/٢.

وقال ابن خلدون في وقائع البساسيري : لمّا استولى طغرلبك على النواحي وأحاط بأعمال بغداد من جهاتها ، وأطاعه أكثر الأكراد وكثر فسادهم وعبثهم ، والتفّت عليهم الأعراب وأهمّ الدولة شأنهم ، سار إليهم البساسيري فظفر بهم وقتل وغنم ، وذلك سنة ٤٤٥هـ ، ثمّ دعاه دبيس صاحب الحلّة إلى قتال خفاجة فأدركهم بخفّان فأوقع بهم وحاصر حصن خَفّان وفتحه ، وأراد تخريب القائم الذي به وهو بناء في غاية الإرتفاع كالعَلَم يُهتدى به ، قيل إنّه وضع لهداية السفن لمّا كان البحر إلى النجف ، فصانع عنه ربيعة بن مطاعم بالمال ، وتركه وعاد إلى بغداد .(١)

وفي حديث ابن خلدون ما يشير إلى أنّ بناء القائم كان باقياً حتى سنة ٤٤٥هـ .

ويظهر من أبيات قالها علي بن محمد العلوي الحمّاني وجود قائمين في موضع النجف لا قائم واحد ، قال :

ألا هــل سـبيل إلــى نظـرة ... بكوفـان يحيـى بهـا النـاظران
يقلّبهـا الـصبّ دون الـسدير ... حيـث أقـام بهـا القائمـان
وحيـث أنـاف بأرواقـه ... محـلّ الخورنـق والماديـان(٢)

وسيأتي أنّ من المواضع التاريخية حول مدينة النجف المسوّرة هو "القائم المائل" الذي يعرف مكانه اليوم بمسجد الحنّانة ، كما ورد ذكره في أخبار كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنّهم مرّوا بالقائم المائل عندما أرادوا دفن أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف .

ويعضد ذلك ماذهب إليه بعض المؤرّخين من وجود مثل هذه الملاحة مع الأقطار البعيدة كالهند والصين .

قال أبو المظفر سبط بن الجوزي : وكان البحر المعروف بالنجف في ذلك الوقت جارياً ، وكان مرسى السُفن من الهند والصين إلى ذلك المكان يحمل فيه الأمتعة إلى

---

(١) تاريخ ابن خلدون : ٤٩١/٤ .

(٢) معجم البلدان : ٤٩٠/٤ .

ملوك الحيرة لمّا كانت عامرة ، ولمّا استحال الماء وانقطع عن مصبّه في النجف صار ذلك البحر برّاً ، وصار بين الحيرة مسافة .(١)

وقال أبو عبد الله الحِمْيَري : وكان البحر فيما سلف في الموضع المعروف بالنجف وهو بالحيرة ، وكانت ترفأ هناك سفن الهند والصين ترد على ملوك الحيرة ، فصار بين الحيرة وبين البحر الآن مسيرة أيام كثيرة .(٢)

وقال المسعودي : وكان البحر في الموضع المعروف بالنجف . وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد إلى ملوك الحيرة .(٣)

كما يظهر هذا المعنى فيما روي من أحداث عند فتح الحيرة .

روى أبو عبد الله الحِمْيَري حديثاً دار بين خالد بن الوليد وعبد المسيح بن بُقَيْلَة الغسّاني ، جاء فيه : ... قال خالد : فما أدركت ؟. قال : أدركت سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدمك .(٤)

ومن طريف ما يدعم ذلك ما أورده ابن الدبيثي في تاريخه ، عن عبد الجبار بن معيَّة العلوي ، قال : خرج قوم من أهل الكوفة يطلبون الأحجار الغَرَوِيّة(٥) يجمعونها لأيام الزيارات والمعيشة بها - وبالكوفة من يعمل ذلك إلى اليوم - وأبعدوا في الطلب

---

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان : ١/ ٣-٤ .

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٥٧٥ .

(٣) مروج الذهب : ١/ ١٠٣ .

(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٩ .

(٥) الأحجار الغَرَوِيّة : نسبة إلى الغري ، وهي حصيّات بيضاء اللون شفّافة تسمّى عند النجفيين بالدرّ النجفي ، تلتقط من حصباء صحراء النجف وتصاغ خواتيم ، وإليها يشير الشاعر الشهير علي بن محمد العلوي الحمّاني من قصيدته الفائية - كما ستأتي قريباً - في وصف هذه الصحراء وحصبائها بقوله :

درّيّة الحصباء كا فوريّة منها المشارف

إلى النجف وساروا فيه حتى خافوا التيه ، فوجدوا ساجة كأنّها سكّان مركب عتيقة وإذا عليها كتابة ، فجاؤا بها إلى الكوفة ، فقرأناها ، فإذا عليها مكتوب :

"سبحان مجري القوارب وخالق الكواكب ، المبتلي بالشدّة امتحاناً ، والمُجازي بالإحسان إحساناً ، ركبت في البحر في طلب الغنى ، ففاتني الغنى وكُسِرَ بي ، فأقلت على هذه الساجة وقاسيت أهوال البحر وأمواجه ومكثت عليها سبعة أيام ، ثمّ ضعفت عن مسكها فكتبت قصّتي بمُدية كانت معي في خريطتي ، فرحم الله عبداً وقعت هذه الساجة إليه فبكى لي ، وامتنع عن مثل حالي" .(١)

أقول : ومن هذه القصّة وما فيها من تصوير لأهوال البحر وأمواجه ، وبقاء ضحيّته المشار له سبعة أيام في البحر قبل غرقه ، يظهر أنّ بحر النجف القديم كان بحراً حقيقيّاً لا بطائح متّصلة ، كما ذهب إليه الدكتور مصطفى جواد ، بقوله :

ولكنّنا لا نعدّ ذلك تصديقاً لوجود بحر حقيقي وإنّما نفهم أنّ الفرات كان يسبح ماؤه في تلك البطايح ويرفده الخندق الذي شقّه سابور ذو الأكتاف (٣١٠-٣٨٠م) في غربي الفرات بين أعلى الفرات وغربيّه وأسافله ، وترفده كذلك الأودية التي تأتي من النجاد الغربية ، صحراء السماوة القديمة من شمالي جزيرة العرب ، فتكون بطايح واسعة ترى كأنّها البحر ، وكان من بقاياها بحر الشناقيّة وبحر النجف المعروف الاسم حتى اليوم ، ولايبعد اتّصال هذه البطايح ببحر فارس ، فخندق سابور كان واسعاً وعميقاً ويتّصل ببحر فارس في الخليج المعروف اليوم بخور عبد الله ، لأنّه إنّما حفره ووسّعه ليحمي بلاده من هجمات العرب الخاطفة ولإخصاب الأرض للأعراب الموالين له .(٢)

---

(١) الروض الأنف (تاريخ ابن الدبيثي) : ٢/ ٣١٩.

(٢) لاحظ : موسوعة العتبات المقدّسة (قسم النجف) : ١٥/١ .

بحر النجف بعد جفافه

بعد أن كان بحر النجف مجرى لسفن النقل الكبيرة ، تحوّل قسم منه بعد جفافه الأخير إلى أرضٍ زراعية ، وآخر إلى أرض جرداء . وكان جفافه في مرحلتين ، بينهما بما يزيد على ثلاثة عشر قرناً من الزمن . وقد ورد الجفاف الأول فيما قاله أبو المظفر سبط بن الجوزي ، وأبو عبد الله الحِمْيَري ، والمسعودي ، وتقدّمت أقوالهم آنفاً . أمّا الجفاف الثاني والأخير فكان سنة ١٣٠٥هـ نتيجة لصرف مياه الأنهار وتُرع الري عنه بإنشاء السدود على نهر الفرات والتي أدّت إلى انحساره ثمّ جفافه .

قال شيخنا محمد حرز الدين : وفي سنة ١٢٩٣هـ- ١٨٧٦م جفّ بحر النجف وربّما أرّخ جفافه بما دون هذا التاريخ ، حيث كان جفافه تدريجيّاً . ولمّا جفّ امتلأت المنطقة وقُراها من زحافاته البحرية ، وارتحلت السلاحف والضفادع البحرية الكبيرة إلى الفرات في الكوفة من الجانب البرّي ممّا يقارب "خان المصلّى الأوّل" في الطريق بين النجف وكربلاء .

حدَّث رجل كان فارساً متأخّراً عن القافلة يسير ليلاً في هذا الطريق فوق النجف بفرسخ تقريباً ، إنّه سمع صوت الزحافات وصدى سيرها على الأرض ، فظنّ أنّه أُحيط به من الأعراب الغزاة ، فأسرع ، ثمّ حقّق النظر فوجد الأرض مملوءة بالسلاحف والضفادع بكثرة لاتوصف متّجهة شرقاً نحو الفرات بضواحي الكوفة تطلب الماء والنجاة من الموت وهي تسير على النسيم وريح الماء ليلاً . ومن هنا قد يستدلّ بذلك على أنّ هذه الحيوانات تشمّ ريح الماء من الهواء على مسافة فرسخ وربع ، وقد ماتت الحيوانات الصغيرة والضعيفة في طريق سيرها على الرمال ، ولمّا أشرقت عليها الشمس حدثت عفونة في الهواء من موتى الزحافات في الرمال الشمالية للبلد ، ومن الأسماك الميّتة في البحر الجاف غربيّ البلد ، وقد أثّرت في صحّة النجفيين حيث كان الوقت صيفاً شديد الحر . وبجفاف البحر تمثّلت بقول أبي العتاهية :

تَسَلَّ فإنَّ الفقر يُرجى له الغنى ... وإنّ الغنى يُخشى عليه من الفقر
ألم تَرَ أنَّ البحر ينضب ماؤه ... وتجري على حيتانه نُوَبُ الدهر

ولجفاف بحر النجف شؤون من حيث تغيّر الهواء النقي في النجف، وانقطاع جملة من الأقوات والمكاسب، وتبدّل كثير من المنافع بالمضار كحدوث الأمراض والأوبئة في النجف. وكان سبب جفافه سدّ نهر الفرات عند جنوب البحر جانب القرنة (الگرنة) والمدلگ على يد علي أفندي، أحد وكلاء الدولة العثمانية لأجل زراعة المنطقة وإصلاح أراضيها.[(١)]

وفي الثالث عشر من جمادى الثانية من سنة ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م انفتق حاجز القرنة (الگرنة) فعبر الماء وظهر في بحر النجف في منتصف الشهر المذكور جدول جار منه إلى منتهى البحر من الشمال حيث يملأ الأودية والغيطان فملأها وغمر رقعة واسعة قرب "رأس الماي" شمالاً إلى "جماعة الشوافع" جنوباً.

وفي أول رجب من هذه السنة نفذ ماؤه إلى بساتين البحر المذكور ولا يزال آخذاً بالزيادة. وقد أعدّ بعضهم الزوارق لركوبه.

وقد جفّ ماء البحر تماماً في أواخر سنة ١٣٣٥هـ، وتبلور فصار قسم كبير منه ملحاً يعرض كالتراب، وفي كلّ يوم تجلب مقادير وافرة منه تباع بسعر تافه.[(٢)]

و"القرنة" هو منخفض يقع على الفرات في الجنوب الشرقي من الحيرة بين بحيرة النجف والشنافية، وهو غير القرنة الواقعة عند ملتقى نهري دجلة والفرات. و"المدلگ" منخفض آخر لايبعد كثيراً عن القرنة، وبين هذين المنخفضين منخفض آخر يسمّى "الفتحة". وعندما فتح جدول الهنديّة صبّت على البحيرة المياه من الفرات من ناحية أبو صخير حتى أمتلأت ودام الماء فيها مئة عام تقريباً.

---

(١) وشي البرود: ٤٤٠، ٧٠٦.

(٢) مذكرات الشيخ محمد رضا الشبيبي.

ولمّا شرعت الدوائر السنيّة في العهد العثماني بتعمير الأراضي في أبو صخير واشترت قطعة من أراضي البحيرة المذكورة وقطعة في جنوب أبو صخير ، شرعت في سدّ المياه عن هذه البحيرة لأجل استثمارها فجفّت المياه منها . وقد وزّعت هذه البحيرة وأُنشئت عليها البساتين حتى قاربت الآن الألفين ، وفتحت الجداول الفرعية لإروائها وإرواء أهل مدينة النجف ، فأصبحت هذه البحيرة معمورة بالنخيل والأشجار وغير ذلك من المزروعات ، سيما على جانب نهر الغازي المتواصل عمرانه حتى غرب النجف . غير أنّ تحامل المياه الشديدة منذ عامين على السدّة المعروفة بسدّة المدلـگ في القسم الشرقي من البحر المذكور بين الرحبة والدَسِم التابعين إلى ناحية الحيرة أدّى إلى انكسار سدّة المدلـگ في عام ١٩٤٠م ، وربّما الإهمال في هذا السداد من قبل المكلّفين بها أدّى إلى كسرها وانصباب المياه على بحيرة النجف ، وبهذا عادت المياه كما كانت قبلاً بحيرة تتلاطم أمواجها ، وذهبت جميع التعميرات التي أُنشئت طيلة أربعين سنة أدراج الرياح قبل السيطرة عليها مرّة أخرى وإصلاح هذه القطعة من أرض البحيرة من جديد .[١]

---

(١) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة : ٢/ ٢٦٦ .

الفصل الرابع عشر

المواضع الإسلامية في النجف

المواضع الإسلامية في النجف

١- مرقد آدم أبي البشر ونوح النبي عليهما السلام[١]

صرّحت أحاديث واردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام دُفن إلى جنب آدم أبي البشر ونوح عليهما السلام. وأنّ نوح عليه السلام نقل عظام آدم عليه السلام من الماء أو سرنديب إلى الغري ، كما أنّ موسى عليه السلام نقل عظام يوسف عليه السلام من مصر إلى بيت المقدس .

وكان في عهود سابقة يوضع على كلّ قبر من هذه القبور الثلاثة صندوقاً ، كما ذكره الرحّالة الشهير ابن بطوطة الطنجي عند زيارته النجف ووصفه مرقد علي عليه السلام سنة ٧٢٦هـ-١٣٢٦م .[٢]

أخرج ابن قولويه ، بإسناده عن المفضّل بن عمر ، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ، فقلت : إنّي أشتاق إلى الغري ، قال : فما شوقك إليه ؟. قلت له : إنّي أُحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : فهل تعرف فضل زيارته ؟. قلت : لا يا ابن رسول الله ، فعرّفني ذلك ، قال : إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام ، قلت : إنّ آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس وزعموا أنّ عظامه في بيت الله الحرام فكيف صارت عظامه بالكوفة ؟. قال :

---

(١) أوردنا مرقدي آدم ونوح عليهما السلام ضمن المواضع الإسلامية ، وكذا مرقدي هود وصالح عليهما السلام الآتيين ، لما وردت النصوص الإسلامية في الإشارة إليها وإثباتها في هذه المواضع .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ١٩٨/١ .

إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثمّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أن يطوف، ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها قال الله للأرض: ﴿ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾[1] فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها، وتفرّق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري. وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتّخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتّخذ عليه محمداً حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً. والله ما سكن فيه أحد بعد أبويه الطاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين عليه السلام. فإذا زُرت جانب النجف فزُر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّك زائر الآباء الأوّلين ومحمداً صلى الله عليه وآله خاتم النبيّين وعليّاً سيّد الوصيّين، فإنّ زائره تفتح له أبواب السماء عند دعوته، فلا تكن عن الخير نوّاماً.[2]

وقد ورد في زيارته عليه السلام: "السلام عليك يا أمير المؤمنين وعلى ضجيعيك آدم ونوح ورحمة الله وبركاته".[3]

٢- مرقد هود وصالح عليهما السلام

من الآثار القديمة في الشمال الشرقي لمدينة النجف المسوَّرة مرقدي هود وصالح عيهما السلام. وهما يقعان في جبانة النجف الكبيرة على بعد قرابة نصف كيلومتر عن سور المدينة.

كان هود قد أُرسِلَ إلى قوم عاد فكذّبوه واستهزؤا به، ونسبوا إليه الجنون لمّا كان

---

(١) سورة هود: الآية ٤٤.

(٢) كامل الزيارات: ٨٩.

(٣) إقبال الأعمال: ١٣٥/٣.

يعدهم بنزول العذاب عليهم ، فأنزل الله تعالى عليهم ريحاً صَرصَراً سبع ليالٍ وثمانية أيّام حُسوماً وأبادتهم كلّهم ، وقد أنجى الله تعالى نبيّه هود ومن آمن معه من العذاب .

وأرسلَ صالح عليه السلام إلى قوم ثمود ، فنهاهم عن عبادة الأوثان وأمرهم بتوحيد الله عزّ وجلّ وعبادته ، قال تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .[1]

أخرج نصر بن مزاحم المنقري ، عن عمر بن سعد ، قال : حدّثني سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال :

"ما يقول الناس في هذا القبر"؟ - وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله .

فقال الحسن بن علي عليه السلام : يقولون هذا قبر هود النبي عليه السلام لمّا أن عصاه قومه جاء فمات ها هنا .

قال عليه السلام : "كذبوا لأنا أعلم به منهم ، هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، بِكر يعقوب" .

ثمّ قال : "ههنا أحد من مهرة"[2] ؟ قال : فأُتي بشيخ كبير ، فقال له : "أين منزلك" ؟.

قال : على شاطيء البحر .

قال : "أين أنت من الجبل الأحمر" ؟

قال : أنا قريب منه .

قال : "فما يقول قومك فيه" ؟.

قال : يقولون قبر ساحر .

قال : "كذبوا ذاك قبر هود عليه السلام ، وهذا قبر يهودا بن يعقوب بِكره .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٧٣.

(٢) مَهَرة ، بالفتح ، ابن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهم حيّ من اليمن .

ثمّ قال عليه السلام : يُحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس يدخلون الجنّة بغير حساب .(١)

قال البحّاثة المحقّق الشيخ محمد حرز الدين : مرقد هود وصالح في الغري بوادي السلام مقبرة النجف الأشرف خلف سور المدينة ، كلاهما في حرم واحد عليه قبّة متوسطة الحجم والارتفاع فُرشت بالقاشي الأزرق ، وكان أمام قبريهما صحن دار صغير فيه نخلة .

ثمّ قال : في جمادى الأولى سنة ١٣٣٣هـ حدّثني سادنه المدعو إبراهيم - وكان من المعمّرين : بأنّ أوّل من وضع على قبريهما صندوقاً من الخشب هو العالم الربّاني السيّد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم . ونذرت الملاّ ظفيرة حَرَم الملاّ يوسف بن الملاّ سليمان المتوفى سنة ١٢٧٠هـ نقيب وخازن مرقد علي أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه إذا رزقها الله تعالى ولداً تبني على قبريهما قبّة ، فولد لها الملاّ محمود وسليمان ، فوفت بنذرها وبنت عليهما قبّة من آجر صغيرة .

ولمّا دفن الوزير العالم الجليل سلطان العلماء(٢) خارج باب مرقديهما من جهة المدينة ، قام آل السيّد المشار إليه ببناء قبّة عُليا فوق هذه القبّة مزيّنة بالقاشي الأزرق .

وكان على مرقديهما عليهما السلام صخرة حمراء قديمة ، طولها ذراع يد وأصابع وعرضها شبراً واحداً ، كتبت بالخطّ الكوفي تصرّح بأنّ هذا المرقد هو مرقد هود وصالح عليهما السلام ، وقد بُنيت هذا الصخرة في واجهة الأسطوانة الغربية في نصفها في عمق ذراع يد في البناء لئلا تسرق . وفي سنة ١٣٣٣هـ وما بعدها بسنوات صار للصخور القديمة الأثريّة والخزف والآجر المكتوب بخطّ كوفي وما قبله من الأزمنة والعصور التي مرَّت بالعراق سوق رائج ، لأنّ الإنـكليز المحتلّين وعمّاله في العراق صاروا يشترون الآثار القديمة ومنها

---

(١) وقعة صفين : ١٢٦ .

(٢) ستأتي ترجمته في الجزء الثاني سنة ١٠٦٤هـ.

الصخور التي على القبور في صدر الإسلام . وفي سنة ١٣٣٦هـ حاصر الإنكليز مدينة النجف الأشرف أربعين يوماً وهو الحصار الكبير ، وفي هذه الفترة هدموا قبرَي هود وصالح عليهما السلام كما عبثوا بكثير من الأماكن المشرّفة أيضاً . ولمّا ارتفع الحصار عن النجف خرجنا إلى قبريهما فوجدناهما ربوة من آجر وأنقاض والصخرة المذكورة مفقودة .[1]

وفي سنة ١٣٣٧هـ طرأت على قبريهما عمارة من قبل حكومة الإحتلال البريطاني وهي الماثلة اليوم .

٣- قُسُّ النَّاطِف

موضع بناحية الكوفة ، بين الحيرة والكوفة ، وإلى الحيرة أقرب ، واليوم هو في الجنوب الشرقي من مدينة النجف ، وفيه الواقعة التاريخية المعروفة بوقعة الجسر بين العرب المسلمين والفُرس سنة ١٣هـ - كما سيأتي في أحداث هذه السنة - وهي أوّل وقعة كانت بين الفرس والعرب واستشهد فيها أمير المسلمين يومذاك أبوعبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي ، وتعرف أيضاً بيوم قُسّ الناطِف .[2]

٤- الثويَّة

تقدّم الحديث عن موضعها في أسماء النجف ، وقد أصبحت الثويَّة في صدر العهد الإسلامي مقبرة لجماعة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله .

قال أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي ، المعروف بأُبي المتوفى سنة ٥١٠هـ[3] : مات بالكوفة ثلاثمئة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلاّ قبر أمير المؤمنين ، وهو هذا القبر الذى يزوره الناس الآن .[4]

---

(١) مراقد المعارف : ٢/ ٣٦٣- ٣٦٦.

(٢) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ٩٩ . معجم البلدان : ١٤٠/٢ .

(٣) ستأتي ترجمته في الجزء الثاني سنة ٥١٠هـ.

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ١٨٩/٩ .

فقد دفن بالثويّة الأحنف بن قيس . وكان قد بقي إلى زمن مصعب بن الزبير ، فخرج معه إلى الكوفة ، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة وقيل إحدى وسبعين وقيل سبع وسبعين عن سبعين سنة والأول أشهر ، وكان قد كبر جداً .[1] ومات زياد بن عبيد أخو فضالة بن عبيد الأنصاري بالكوفة ودفن بالثويّة ، وكان يكنّى أبا المغيرة ، فرثاه حارثة بن بدر ، فقال :

صلّى الإله على قبر وطهّره ... عند الثويّة يسفي فوقه المور
زفّت إليه قريش نعش سيّدها ... فالجود والحزم فيه اليوم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجّعة ... وإنّ من غرّ بالدنيا لمغرور[2]

وفي شهر شعبان من سنة خمسين للهجرة مات المغيرة بن شعبة ، ودفن بالثويّة ، وهو أول والٍ لمعاوية على الكوفة .[3] ولمّا توفيت أم كلثوم بنت العباس بن عبد المطلب في دار زوجها أبي موسى الأشعري بالكوفة ، دفنت بظاهرها .[4] وفيها دفن أبو موسى الأشعري في سنة خمسين أيضاً . ولمّا مات زياد بن أبي سفيان دفن بها أيضاً .[5]

روى شيخنا محمد حرز الدين حكاية عن معاصره داود الحجّار النجفي في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة قائلاً : كنت أنَقّب عن الحجارة الدفينة في ظهر الكوفة كي أبيعها ، فعثرت على موضع قرب الطريق العام القديم بين النجف والكوفة على بعد مئة خطوة من قبر الصحابي الجليل كُميل بن زياد ، فيه حجارة دفينة وصخرة كبيرة مكتوبة بالخط الكوفي ، فقلعتها وجئت بها إلى النجف الأشرف ، وأريتها العالم الزاهد

---

(١) وفيات الأعيان : ٥٠٤/٢ .

(٢) المستدرك على الصحيحين : ٤٧٣/٣ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢٠٦/١ .

(٤) أسد الغابة : ٦١٣/٥ .

(٥) معجم البلدان : ٨٧/٢ .

الشيخ ملاّ علي الخليلي النجفي وحكيت له قصّة وجدانها . ولمّا قرأها قال لي : إحملني إلى مكانها فحملته على دابّتي إليه ، فوضعها الشيخ بمكانها وسوّى عليها التراب بيده ، وأمرني أن لا أنبش في هذا الموضع ، وقال : إنّها الثويَّة مقبرة وجوه المسلمين الكوفيّين . وأمّا هذه الصخرة رسم قبر المغيرة بن شعبة الكوفي كما يحكيه نصّ ما كتب عليها .[1]

٥- مسجد الخبال

في "لسان العرب" : الخبال : الفساد ، والخابل : الشيطان والمفسد .

قال ابن سعد في طبقاته : إنّ عمرو بن عتبة ومعضد بن يزيد العجلي بنيا مسجداً بظهر الكوفة ، فأتاهم ابن مسعود ، فقال : جئت لأكسر مسجد الخبال ، فكسره ثمّ رجع .[2]

وقال يسار أبو الحكم : خرج رهط من القرّاء حتى بنوا مسجداً بنخلة قريباً من الكوفة ، فوضعوا جراراً من ماء ، وجمعوا أكواماً من الحصى للتسبيح ، ثم قاموا يصلّون في مسجدهم ويتعبّدون وتركوا الناس ، فخرج إليهم ابن مسعود ، فقالوا : يا مرحباً يا أبا عبد الرحمان ، انزل ، فقال : والله ما أنا بنازل حتى يُهدم مسجد الخبال هذا ، فهدموه ، ثم قال : والله إنّكم لمتمسّكون بذنب ضلة ، ولا أنتم أهدى ممّن كان قبلكم . أرأيتم لو أنّ الناس كلّهم صنعوا ما صنعتم من كان لجمْعهم ولصلاتهم في مساجدهم ولعيادة مرضاهم ولدفن موتاهم ، فردّهم إلى الناس . وقال ابن مسعود ﷺ : إنّ منكر اليوم معروف قومٍ ما جاؤا بعد ، وإنّ معروف اليوم لمنكر قومٍ ما جاؤا بعد .[3]

٦- الذكوات البيض

ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوّاً و ذَكاً واسْتَذْكَتْ : اشْتَدَّ لَهَبُها واشْتَعَلَتْ .[4] و"الذكوات" :

---

(١) كتاب النوادر : ٦٥/٥ . معارف الرجال : ١٦٠/٣ .

(٢) الطبقات الكبرى : ٢٠٦/٦ .

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث : ٦٨/١ .

(٤) لسان العرب : مادة (ذكا)

جمع ذكاة الجمرة الملتهبة من الحصى ، ومنه الحديث : "قبر علي بين ذكوات بيض ، وأحبّ التختّم بما يظهره الله بالذكوات البيض" .[١] فيمكن أن يكون المراد بالذكوات التلال الصغيرة المحيطة بقبره عليه السلام شبّهها لضيائها وتوقّدها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة بالجمرة الملتهبة .[٢]

روى ابن طاووس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ... ثم أرض كوفان فشرّفها بقبرك يا علي . فقال : يا رسول الله أُقبر بكوفان العراق ؟. فقال : نعم ياعلي ، تُقبر بظاهرها قتلاً بين الغريّين والذكوات البيض" .[٣]

وعن محمد بن مسلم ، قال : مضينا إلى الحيرة فاستأذنّا ودخلنا إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فجلسنا إليه وسألناه عن قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال : إذا خرجتم فجزتم الثويّة والقائم المائل وصرتم من النجف على غلوة أو غلوتين رأيتم ذكوات بيضاً بينها قبر قد خرقه السيل فذاك قبر أمير المؤمنين عليه السلام . قال : فغدونا من غدٍ فجزنا الثويّة والقائم المائل وإذا ذكوات بيض ، فجئناها ، فإذا هو القبر كما وصف قد خرقه السيل ، فنزلنا وصلّينا عنده ثم انصرفنا ، فلمّا كان من الغد غدونا إلى أبي عبد الله عليه السلام فوصفنا له ، فقال : أصبتم أصاب الله بكم الرشاد .[٤]

وأخرج ابن قولويه ، عن صفوان الجمّال ، قال : كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فقال له عامر : إنّ الناس يزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دُفن بالرحبة ، فقال : لا ، قال : فأين دُفن ؟ قال : إنّه لمّا مات احتمله الحسن عليه السلام فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة

---

(١) مجمع البحرين : مادة (ذكا) .

(٢) بحار الأنوار : ٢٣٧/٩٧ .

(٣) فرحة الغري : ١٩ .

(٤) فرحة الغري : ١٢٦ .

فدفن بين ذكوات بيض . قال : فلمّا كان بعد ذهبت إلى الموضع فتوهّمت موضعاً منه ثمّ أتيته فأخبرته ، فقال لي : أصبت رحمك الله - ثلاث مرات .[1]

وللربوات البيض الثلاث أثر باقٍ حتى اليوم حول مرقده عليه السلام في مدينة النجف الأشرف القديمة ، فالربوة الشمالية تقع في محلّة المشراق وتعرف بجَبَل الدّيك ، والربوة الجنوبية الشرقية تقع في محلّة البراق وتعرف بجَبَل النور ، والربوة الغربية تقع في محلّة العمارة وتعرف بجبل شرَفشاه . وقد تقدّم في محلاّت النجف تفصيل وبيان أوسع من ذلك .

٧- مقام الإمام علي عليه السلام ، وقبر اليماني

من الآثار التاريخية المشهورة عند العارفين وعند السواد الأعظم في النجف الأشرف مقام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، المعروف قديماً بمقام الصفا ، وبجنبه قبر اليماني المعروف أيضاً بمقبرة الصفا ، أي مقبرة الصخر . موقعه في الجهة الغربية لمدينة النجف على الضفّة المطلّة على بحر النجف ، وإلى الجنوب من مقام الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام .

كان المقامان خارجين عن مدينة النجف خلف السور الذي أشاده آصف الدولة الهندي سنة ١٢٢٦هـ . وعلى أثر تكرار غزو الأعراب الوهابيّين للنجف تبرّع الصدر الأعظم نظام الدولة الوزير محمد حسين خان العلاّف ببناء سور صغير يحوط المقامين ، فأدخلا في المدينة .

وصف شيخنا محمد حرز الدين قبر اليماني ، قائلاً : يقع مرقده بين المسجد الذي فيه مقام أمير المؤمنين عليه السلام غرباً وبين صحنه المستطيل شرقاً . وتحوط صحنه من الداخل دور عامرة تسكنها اليوم سدنة القبر . وفي الجانب الشمالي من صحنه حياض ماء بقربها بئر عبّاسية واسعة يستقي الزائروّن منها بالدلاء للوضوء والتطهير ، كلّ ذلك

---

(١) كامل الزيارات : ٨١.

وقفٌ على الزائرين . ومن هنا مسلك طريق ينفذ إلى مقام الإمام زين العابدين عليه السلام ، فالزائرون يتطهّرون بهذا الماء ويزوروا المقامين من هذا المسلك الضيّق .

وكانت بقعته تُعرف بمقبرة الصفا ، ثمّ عُرفت الجهة وما قاربها عندما اتّصل بها عمران مدينة النجف الأشرف بمحلّة المسيل ، ثمّ اشتهرت بعد بعمارة المؤمنين ، كما عُرفت هذه البقعة بمحلّة الشيلان - وهو دار ضيافة كما تقدّم ذلك في محلاّت النجف - وتولّى هذا الشيلان وتوابعه من الدور سدنة قبر اليماني من آل الدراويش ، وفيهم رجال ممدوحة بالصلاح والدين ومكارم الأخلاق وإطعام الطعام ، وكانوا يجلسون لعزاء سيّد الشهداء عليه السلام وباقي المناسبات الدينية في الشيلان .(١)

أمّا مايشعرنا بأنّ هذا الأثر هو مقام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، هو ما ورد مأثوراً ووجود الأثر التاريخي . فمن الآثار القديمة التي تصرِّح بأنّه مقام أمير المؤمنين عليه السلام وجود لوحين من الحجر الأبيض منقوش عليهما قصيدتان من الشعر كلّ منهما تصرّح بأنّه مقام علي عليه السلام . الصخرة الأولى كانت مثبتة في البناء فوق المحراب كتب عليها بالحفر قصيدة هائية في اثني عشر بيتاً من الشعر العربي مطلعها :

شــاد مقــام الطهــر مــولى رقــى أعــلا مقامــات الــورى قــدره

إلى أن قال :

إذ قـــد أتـــى تـــاريخ تعميـــره فيـــه تقـــيٌ واجـــب شـــكرُه

ستأتي القصيدة كاملة في أحداث سنة ١١٤٢هـ.

والصخرة الثانية هي أكثر وضوحاً من الأولى مثبتة في جدار المقام على ارتفاع قامة إنسان على يسار مستقبل القبلة قرب محراب المسجد ، تاريخها سنة ١١٧٠هـ ، كتب عليها قصيدة لاميّة في عشر أبيات فيها تصريح بأنّه مقام علي عليه السلام ، مطلعها :

فناهيــك صــرحاً يــزدري كــلّ منــزل أنــاخ علــى العليــا بــأعظم كلكــل

---

(١) معارف الرجال : ٩٩/١ . مراقد المعارف : ٢٨٣/٢ .

إلى أن قال :

ومـذ زار مـن أعتابـه الهـدّ أرّخـوا (مقـام الـصفا قـد شـاد أركانـه علـي)

وتاريخ الحروف (١١٧٩هـ) ، وهو يزيد على الرقم المكتوب أسفل الصخرة بتسعة ، وفي الصخرة اختلال كثير لقدمها . وستأتي القصيدة كاملة في حوادث سنة ١١٧٩هـ.

وهناك صخرة مؤرّخة كُتب عليها بيتان من الشعر الفارسي :

حجّ از شرف شريف وادي نجف است فيض دو جهان بكربلاء ونجف است

گـفت ارواح قـدس در ايـن تـاريخ (بـر جاده صـفة صـفا و نجـف اسـت)

وهناك صخرة على باب مدخل قبر اليماني يعود تاريخ كتابتها إلى القرن الثامن الهجري ، كتبت بالخط العربي ، وهذا نص ماكتب عليها :

"أجهد نفسه وسعى في إنشاء هذه القبّة الشريفة على مشرّفها السلام ، السيّد المعظّم علاء الدين بن مير مجيد بن محمد المدني المدّاح ، بمساعدة ملك الحاج المحتشم الفيحاني (القهستاني) في سنة تسع وخمسين وسبعمئة للهجرة النبوية" .

حديث جنازة اليماني

من الأخبار التي وردت في فضل دفن الموتى في أرض النجف ما أورده الديلمي ، قال : روي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه كان إذا أراد الخلوة بنفسه ، أتى إلى طرف الغري . فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ، وإذا برجل قد أقبل من البرّية راكباً على ناقة وقدّامه جنازة ، فحين رأى علياً عليه السلام قصده حتى وصل إليه وسلّم عليه ، فردّ علي عليه السلام ، وقال له : "من أين" ؟ قال : من اليمن . قال : "وما هذه الجنازة التي معك ؟ قال جنازة أبي أتيت لأدفنها في هذه الأرض . فقال له علي عليه السلام : "لم لا دفنته في أرضكم" ؟ قال : أوصى إليّ بذلك ، وقال : إنّه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر . فقال له علي عليه السلام : "أتعرف ذلك الرجل" ؟ قال : لا . فقال عليه السلام : أنا والله ذلك الرجل ، أنا والله ذلك الرجل . قُم فادفن أباك" . فقام ، فدفن أباه .[1]

---

(١) إرشاد القلوب : ٢/٣٠٦.

وقد ذكرنا في موضوع "خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النجف" مارواه الحافظ البرسي في قصّة جنازة اليماني .

وهناك مسوّغات عديدة لنقل الموتى ذكرت في كتب الفقه ، منها : النقل إلى الأماكن المشرّفة . على أنّ رعاية جوار سيّد الوصيّين علي بن أبي طالب عليه السلام والقرب منه ، واحتمال خلاص الميّت من عذاب القبر هي من أجلّ تلك المسوّغات وأعظمها شأناً .

قال الشيخ جعفر الكبير في كتابه "كشف الغطاء" عند ذكر الأمور المسوِّغة للنقل : ... ومنها : أن يكون ذلك لإيصاله إلى محلّ يُرجى فوزه بالثواب ، أو نجاته من العقاب كالنقل إلى المشاهد المشرّفة ، بل مقابر مطلق الأولياء والشهداء والصلحاء والعلماء ، وربّما كان هذا القسم أولى من غيره فيخرجه كلاً أو بعضاً عظما أو لحماً أو مجتمعاً . ولولا قيام الإجماع والسيرة على عدم وجوبه لقلنا بالوجوب في بعض المحال .[(١)]

وقال المحقّق الحلّي : وعليه عمل الأصحاب من زمن الأئمّة عليهم السلام إلى الآن ، وهو مشهور بينهم لا يتناكرونه ، لأنّه يقصد بذلك التمسّك بمن له أهلية الشفاعة ، وهو حسن بين الأحياء للتوصّل إلى فوائد الدنيا ، فالتوصّل إلى فوائد الآخرة أولى .[(٢)]

وقد نقل كثير من رجالات الإسلام وعلماء الفريقين قبل دفنهم إلى أحد الأماكن المشرّفة ، وعليه سيرة الشيعة الإمامية من زمن أئمتهم عليهم السلام إلى يومنا هذا ، كما نقل كثير من العلماء والأعيان في مختلف العصور بعد دفنهم وإيداعهم في الأرض إلى الأماكن المشرّفة ، وهو المعروف بعُرف الإمامية بالإيداع ، وهو مذهب جمع كبير من علماء المسلمين . وقد أحصى الشيخ الأميني في كتابه "الغدير" عدداً كبيراً من صحابة أجلاّء وأعلام وعلماء نقل جثمانهم من مكان لآخر قبل دفنهم ، وآخرين نقلوا بعد دفنهم .[(٣)]

---

(١) كشف الغطاء : ١٥٧/١ .

(٢) المعتبر في شرح المختصر : ٣٠٧/١.

(٣) راجع : كتاب الغدير : ٥/ ٦٨، ٧٥.

٨- مرقد كميل بن زياد النخعي

هو من الآثار الباقية في النجف . وكان في أواخر العهد العثماني مهجوراً في صحراء لا يقصده إلاّ عارفوه ، فهو يبعد عن مدينة النجف الأشرف القديمة المسوّرة حوالي كيلومتراً ونصف في الموضع الذي كان يقال له "الثويّة" . ولبعد قبره عن الطريق العام بين النجف والكوفة لم يتعاهده الناس بالزيارة لقراءة الفاتحة ونحوها إلاّ أهل العلم والفضل والعارفون بمنزلته وجلالة قدره ، وقليل من الزائرين البهرة الهنود والإيرانيين .

وكان الشيخ باقر بن الشيخ عبد النبي الدروبي يتعاهد قبره ومسجد الحنانة بإسراج الضياء والتنظيف ، فاختصّ بخدامتهما ، ومن بعده ولده الشيخ محمد علي ، وخلفه من بعده بالخدامة ولده الأكبر الشيخ محمد حتى عصرنا الحاضر .

واليوم عمّر أهل الخير والصلاح مرقده ، وجعلوا له حرماً فوقه قبّة عالية الذرى يحيط به صحن مستدير واسع . وقد أسّست حول صحنه من الداخل غرف وأواوين بُنيت من قبل وجوه من أهل النجف فجعلوها مقابر لهم ولأسرهم ، وأصبح القبر في وسط الحيّ الجديد المعروف بحي الحنّانة .

٩- القائم المائل ومسجد الحَنّانَة

ومن المواضع التاريخية التي تؤثر في النجف هو مسجد الحنّانة . يبعد عن سور مدينة النجف القديمة قرابة كيلومتراً واحداً أقرب إلى النجف من قبر كميل بنصف كيلو ، وهو في الموضع القديم المعروف بالثويّة .

قال الشهيد الأوّل محمد بن مكّي المتوفى سنة ٧٨٦هـ : لعلّ موضع القائم المائل الوارد في الأخبار هو المسجد المعروف الآن بمسجد الحنّانة قرب النجف ، ولذا يصلّي الناس فيه .[(١)]

(١) بحار الأنوار : ٤٥٥/٩٧ .

وفي الأثر أنّ القائم على مقربة من المرقد المطهّر لأمير المؤمنين علي عليه السلام .

أخرج إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن صفوان الجمال ، قال : حملت جعفر بن محمد عليهما السلام فلمّا انتهيت إلى النجف ، قال : "يا صفوان تياسر حتى نجوز الحيرة فنأتي القائم" . قال : فبلغت الموضع الذي وصف لي ، فنزل فتوضأ ، ثمّ تقدّم هو وعبد الله بن الحسن فصلّيا عند قبر ، فلمّا فرغا قلت : جُعلت فداك أيّ موضع هذا القبر ؟. قال : "هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام" ، وهو القبر الذي يأتيه الناس هناك .(١)

وتقدّم في موضوع "بحر النجف" أنّ هناك قائمين في موضع النجف لا قائم واحد وأنّ المائل منهما قرب المرقد المطهّر .

أخرج الشيخ الطوسي ، عن عبد الله بن مسكان ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام ، قال : سألته عن القائم المائل في طريق الغري ، فقال : نعم ، إنّه لمّا جاوز سرير أمير المؤمنين علي عليه السلام ، انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين عليه السلام ، وكذلك سرير إبرهة لمّا دخل عليه عبد المطلب انحنى ومال .(٢)

وفي هذا الموضع أنزَلوا سبايا كرائم آل بيت النبي صلى الله عليه وآله من عيالات الحسين عليه السلام بعد شهادته في كربلاء في العاشر من محرّم سنة ٦١هـ ليأخذ عبيد الله بن زياد والي الكوفة الحيطة لنفسه من الكوفيين ويستعدّ بشرطته خوف النهوض عليه عاجلاً ، حتى يطوفوا بعيال الحسين عليه السلام سبايا في سكك الكوفة وشوارعها ، ويعلم الناس صُنعه بآل النبي صلى الله عليه وآله.

روى الشهيد الأول محمد بن مكّي العاملي ، عن المفضل بن عمر ، قال : جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلّى ركعتين ، فقيل له : ما هذه الصلوة ؟. فقال : هذا موضع رأس جدّي الحسين بن علي عليهما السلام وضعوه ههنا لمّا توجّهوا من كربلاء ، ثمّ حملوه إلى عبيدالله بن زياد لعنة الله عليه .(٣)

---

(١) الغارات : ٨٥٠/٢.

(٢) الأمالي : ٦٨٢ .

(٣) المزار : ٣٢.

وورد مرسلاً أنّ حملة الرؤوس عبثوا برأس الحسين عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه البررة في الثويّة ، فحنّ السبي وحنّت الأرض جزعاً ممّا صنع بالرؤوس ، ومن هنا سُمّيت هذه البقعة بالحنّانة ، ثمّ حملت الرؤوس على أطراف الرماح أمام السبايا إلى الكوفة وطِيف بها سكك الكوفة وشوارعها .[1]

١٠- مقامَي الإمام علي بن الحسين عليه السلام

من الآثار التاريخية القديمة في النجف الأشرف مقامَي الإمام علي بن الحسين عليهما السلام .

المقام الأول

يقع في الجهة الغربية لمدينة النجف المسوّرة ممّا يلي جرف البحر ، في محلّة العمارة (محلّة المسيل القديمة) ، وهو مقام مشيّد معروف ومشهور . وقد تقدّم أنّ هذا المقام ومرقد اليماني كانا خارجين عن مدينة النجف خلف السور الذي أشاده آصف الدولة الهندي سنة ١٢٢٦هـ . وعلى أثر تكرار غزو الأعراب الوهابيّين للنجف تبرّع الصدر الأعظم نظام الدولة الوزير محمد حسين خان العلاّف ببناء سور صغير يحوط المقامين ، فأدخلا إلى المدينة .

قال شيخنا محمد حرز الدين : حدّث علماؤنا الأعلام ، عن مشايخ الغريّ الأقدس ، عن مشايخهم : أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان عندما يأتي من الحجاز لزيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام ينزل في هذا المكان ليوهم الرائي له أنّه جاء حاجّاً إلى بيت الله الحرام من هذا الطريق العام ببادية العراق ، وأنّه يريد الوضوء من قليب قديم[2] في هذا الموضع .

---

(١) مراقد المعارف : ٢/٢٢٠ .

(٢) يقع هذا القليب في رحبة المقام . وفي حدود سنة الألف للهجرة أوصلوه بمياه الآبار التي حفرها الشاه عباس الصفوي الكبير لشرب ساكني النجف . وهذا القليب القديم كان الناس في مدينة النجف تستقي من مائه لأنّه معتدل العذوبة ، واستمرّ ذلك حتى أواخر العهد العثماني في العراق . وقلّ استعمال الناس منه سنة ١٣٣٨هـ بعد الإحتلال البريطاني للعراق . ولمّا حوصرت مدينة

قال : ويحكى أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا أراد أن يزور جدّه أمير المؤمنين في العراق ، يأتي في طريقه إلى هذا المكان قرب القليب ، فيربط ناقته فيه ، ثمّ يذهب حافي القدمين فيزور القبر الشريف ، ثمّ يرجع ويبيت في هذا المكان ، وفي الصباح يرجع إلى الحجاز . وقد وردت أخبار كثيرة في زيارة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام للمرقد المطهّر ومبيته عنده ، أمّا أن يكون هذا المكان هو محلّ مبيته ، فليس لدينا ما يُثبته سوى الشهرة الطائرة عند النجفيّين وعلمائها ورواتها ، والاعتناء به كثيراً ، وعرفه النجفيون بهذا الاسم خلفاً عن سلف وصاغراً عن كابر .

وقد عقد عليه الصفويّون بنية وهي القائمة اليوم ، وطرأ عليها إصلاح في آخر أيام الحكومة العثمانية في العراق . والمقام يؤمّه الكثير من الغرباء الذين يردون النجف للزيارة ، وأكثرهم التزاماً بزيارته الهنود البُهرة الصورتيّة ، وتنسب له كرامات .[1]

وفي محراب المقام صخرة جميلة الشكل بديعة الصنعة منقوش عليها أحرف مقطّعة ، يقال إنّها من آثار الشيخ البهائي وإنّ هذه الأحرف هي طلّسم يمنع من لسع الأفاعي . فاتفق أنّ بعضهم سرقها ليبيعها في بغداد ، فحملها في محمل وأركب عليها زوجته ، ولمّا وصل إلى خان النصف المعروف بخان الحماد الواقع في منتصف الطريق بين النجف وكربلاء ، سقط المحمل من ظهر دابّته وبانت الصخرة ، فافتضح ، وأُرجعت الصخرة إلى مكانها ، وهي اليوم موجودة .[2]

النجف الأشرف سنة ١٣٣٦هـ من قبل المحتلّين ، وخصوصاً محلّة العمارة منها وهو الجانب الغربي ، ووضعوا الأسلاك الشائكة بشارع السور المحيط بالبلد ، لم تقدر الناس أن تستقي من هذا القليب فكلٌّ يستقي من بئر بيته الماء الأجاج . ثمّ بنيت فوهة هذا القليب الواسعة بعد استغناء سكان النجف عنه . (هامش المصدر)

(١) كتاب النوادر : ٧/٦٩ .

(٢) كتاب النوادر : ٧/٨٤ .

المقام الثاني

وفي النجف مقام آخر يُنسب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام موقعه غربي الصحن الغروي الشريف ، يبعد عنه ما يقدّر بمئة وخمسين متراً تقريباً ، في آخر سوق العمارة (سوق القاضي) في دار قديمة . واليوم لم يتغير بناء تلك الدار والمحراب الذي فيها .

في كتاب النوادر : إنّ في منتهى هذا الزقاق - الذي صار سوقاً يعرف بسوق العمارة بعد فتح باب الصحن الجديد - محراباً قديماً مجلّلاً يزعم الناس أنّه محل كان الإمام زين العابدين عليه السلام يربط ناقته فيه عندما يجيء لزيارة جدّة أمير المؤمنين عليه السلام ، ويتقدّم ماشياً إلى القبر الشريف ، ولذا سمّيت هذه المحلّة بعد بمحلّة الرباط ، ثمّ أُهملت أسماء هذه المحال وسمّيت بمحلّة عمارة المؤمنين .[1]

أقول : وهذا المحراب الذي يصفه شيخنا عطّر الله مثواه يقع قبال مدرسة السيّد البروجردي الصغيرة التي أشادها السيّد هاشم البهبهاني ، في دار منخفضة عن أرض سوق العمارة ، ويظهر أنّ أرضها ما يقارب أرض البلد القديمة . واليوم أصبح هذا المقام من الآثار الإسلامية المندرسة في النجف الأشرف بعد الهدم الأخير للقسم الأكبر من محلّة العمارة .

١١- مقامَي الإمام الصادق وموضع منبر القائم عليهما السلام

يؤثر في النجف الأشرف مقامان للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، صلّى فيهما عند مجيئه لزيارة مرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام . وصرّحت أخبار كثيرة - تقدّمت - أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يأتي تارة من الحجاز لزيارة المرقد المطهّر ، وأخرى من الكوفة أو الحيرة ، كما دلّ بعض شيعتهم على مرقده ، وأعطى صفوان الجمّال دراهم لإصلاح دكّة على القبر حتى ظهوره على يد هارون الرشيد العباسي .

---

(١) كتاب النوادر : ٨٥/٧.

المقام الأول

يقع المقام الأول للإمام الصادق عليه السلام بين الركن الجنوبي الغربي للصحن الشريف ومسجد الرأس.

قال شيخنا البحّاثة الحجّة محمد حرز الدين ما نصّه: يقع هذا المقام جنب جدار الصحن الغروي الغربي على يسار الداخل إلى الصحن من الباب السلطاني (باب الفَرَج) الذي فُتح باسم السلطان ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧هـ. وأدركنا بناء المقام فكان عبارة عن غرفة قديمة البناء كالصفّة فوقها قبّة بيضاء بُنِيَت بالجص والآجر القديم، طولها ثلاثون قدماً وعرضها كذلك، أمامه ساحة في وسطها بالوعة لصرف مياه الأمطار. وكان الأخيار والزوّار يصلّون فيه ركعتين. وروي أنّ السيّد حسين المقرّم النجفي كان يصلّي فيه جماعة، وسمعت أيضاً أنّ الميرزا محمد بن عبد النبي ابن عبد الصانع النيشابوري الهندي الأكبرآبادي المشهور بالأخباري صلّى فيه جماعة. وللمقام دار وقف سكنها العالم الجليل الشيخ محمد مهدي الفتوني. وفي زماننا أخرجوا من هذه الدار عدّة دكاكين حيث صارت في قلب السوق الجديد.[١]

أقول: وفي منتصف القرن الرابع عشر للهجرة لم يكن لهذا المقام عين ولا أثر سوى أنّنا أدركنا دكّاناً كبيراً عميقاً في الزاوية جنب الدعامة اليسرى للداخل من باب الفرج، يعلو عن أرضيّة باب الصحن حدود المتر، تحته سرداب بعمق مترين، بابه من مقدم الدكّان، كانت اللهجة السائدة عند النجفيّين أنّ هذا السرداب هو مقام الصادق عليه السلام. وكنت أسعى كثيراً للاطّلاع عليه ومشاهدته عن قرب حتى وفّقت يوماً بأخذ الإذن من صاحب الدكّان الذي كان يتولّى أمره، وقد جعل من السرداب مخزناً للخضروات الصيفيّة، فإذا السرداب معبّدة أرضه وجدرانه إلى السقف ببلاطات من القاشاني

---

(١) كتاب النوادر: ٩٤/٧. معارف الرجال: ٢٥٨/١.

الأزرق والمزركش الأثري القديم ، فتبيّن لي حينها أنّ الشهرة الطائرة بين النجفيين كانت عن عيان ومصدر تاريخي ، مع ما حدّثني به أحد أعلام العلماء المعمّرين المعروفين بالضبط والتثبّت في الرواية ووصف الآثار التاريخية عن أحد أساتذته في النجف الأشرف أنّه رأى في هذا المقام صخرة من المرمر مثبتة في إحدى جدرانه الجنوبية منقوش عليها بالحفر صورة رجل أعرابي متنكّر يرتدي عِمَّةً عربيّة راكباً ناقة ، وهي صورة رمزيّة للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حينما جاء زائراً قبر جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وحدّثني أنّ الصخرة المؤمى إليها فقدت من المقام هذا عندما تداعى بناؤه قبل تحويله إلى دكان .

وفي سنة ١٣٦٨هـ هُدِمَ ذلك الدكّان وما حوله لفتح الشارع العام المحيط بالصحن الشريف ، وأعيد بمكانه دكاكين جديدة . وبعد حدود ستة عشر عاماً هُدمَت هذه الدكاكين وأصبحت ساحة معبّدة ، فتح عندها باب خارجي لمسجد الرأس .[(١)]

المقام الثاني

يقع في وادي السلام جبانة النجف الكبيرة ، وبجنبه جنوباً في نفس المكان موضع مربّع الشكل والهيئة معبّد بالقاشي الأزرق القديم عليه قبّة زرقاء ، تزوره الناس وتصلّي فيه ، وتسمّيه العامّة "مقام المهدي" . وما عليه النصوص والأحاديث هو موضع منبر

---

(١) وإن كان ما دلّنا على الأثرَين المندرسَين - مقام الإمام علي بن الحسين ومقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام - هو التلقّي عن أسلافنا يداً عن يد إلى أصحاب الأئمّة عليهم السلام، فليكن جيلنا ممّن حفظ الأمانة وأوصلها إلى أجيالنا القادمة . لذا فنحن نهيب بأولي الأمر ومن يهمّهم الأمر من الغيارى على تراثنا الإسلامي إلى الالتفات لهذين الأثرين المندرسين وإحياء أثرهما من جديد عسى أن يلحقا بتوسعة للصحن الحيدري الشريف أو يصبحا جزءً من آثار آل البيت عليهم السلام في هذه المدينة المقدّسة . على أنّ التعرّف على موقع هذين الأثرين هو من مهمّات علم المساحة ، وهو أمر ميسور لدى أرباب هذا العلم بالاستعانة بخرائط مدينة النجف القديمة ، والله المستعان . رحم الله من أحيى أمرهم صلوات الله تعالى عليهم .(عبد الرزّاق حرز الدين)

القائم الإمام محمد بن الحسن المهدي عند ظهوره عجل الله فرجه ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . والذي دلّنا عليه وعيَّن مكانه في هذا الموقع هو التسالم عند رجال الشيعة ورواتها المتّصل بأصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام .

فمن النصوص الناصَّة عليه ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ، عن أبان بن تغلب ، قال : كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فمرّ بظهر الكوفة ، فنزل وصلّى ركعتين ، ثم تقدّم قليلاً ، فصلّى ركعتين ثمّ سار قليلاً ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثمّ قال : "هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام". قلت : جعلت فداك فما الموضعين اللذين صلّيت فيهما ؟. قال : "موضع رأس الحسين عليه السلام وموضع منبر القائم عليه السلام" .(١)

وأخرج الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ ، عن مبارك الخبّاز ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : أسرجوا البغل والحمار - في وقت ما قدم وهو في الحيرة - قال : فركب وركبت حتى دخل الجرف ، ثمّ نزل فصلّى ركعتين ، ثم تقدّم قليلاً آخر فصلّى ركعتين ، ثمّ تقدّم قليلاً آخر فصلّى ركعتين ، ثمّ ركب ورجع ، فقلت له : جعلت فداك ما الأولتين والثانيتين والثالثتين ؟. قال : "الركعتين الأولتين موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، والركعتين الثانيتين موضع رأس الحسين عليه السلام ، والركعتين الثالثتين موضع منبر القائم عليه السلام" .(٢)

وأخرج السيّد عبد الكريم بن طاووس المتوفى سنة ٦٩٣هـ ، عن أبي الفرج السندي ، قال : كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد حين قدم إلى الحيرة ، فقال ليلة : أسرجوا لي البغل ، فركب وأنا معه حتى انتهينا إلى الظهر ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثمّ تنحّى فصلّى ركعتين ، ثمّ تنحّى وصلّى ركعتين ، فقلت : جعلت فداك إنّي رأيتك صلّيت في

---

(١) كامل الزيارات : ٨٣.

(٢) تهذيب الأحكام : ٣٤/٦.

ثلاث مواضع . فقال : "أمّا الأوّل فموضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، والثاني موضع رأس الحسين ، والثالث موضع منبر القائم" .[١]

وممّن أشاد موضع منبر القائم وبنى عليه قبّة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري هو العالم الربّاني السيّد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم .

وفي سنة ١٣١٠هـ جدّدها السلطان الهندي السيّد محمد خان ، وهي العمارة القائمة اليوم ، وقد كسيت جدرانها والقبّة بالقاشاني الأزرق ، كما طرأت عليها إصلاحات وترميمات متواصلة إلى يومنا هذا .

وفي هذا الموضع يوجد لوح حجر نقش عليه زيارة الإمام الثاني عشر الحجّة القائم عجّل الله تعالى فرجه ، وكتب فيه ما نصّه : "حرّره الآثم الجاني قاسم بن المرحوم السيّد أحمد الفحّام الحسيني في ٩ شهر شعبان سنة ١٢٠٠هـ" .

وكان حول المقام دور لسدنته ينزلون فيها يوم لم تكن حوله القبور متشابكة كما هي اليوم ، وفي مستهل القرن الثالث عشر الهجري تركوا دورهم ودخلوا مدينة النجف المسوّرة خشية من غارات الوهابيين من أعراب البادية .

ونزل الشيخ يونس بن حسن بن حمود الأمير بعياله في وادي السلام وأقام في المقام المعروف بمقام المهدي عليه السلام يوم كانت القبور حواليه قليلة جدّاً ، ثمّ انتقل بعياله وحطّ رحله بمحلّة الرباط في الساحة الغربية الكبيرة الملاصقة للصحن الغروي بالقرب من المقام المشهور الذي صلّى فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .[٢]

وقد أدركت سادنه المدعو حمد - أبو دراغ - ابن مهدي بن جبر بن حسن بن علي الجشعمي ، وكانت له عادة حوليّة يقيمها في فصل الربيع ، فيصنع الغداء في المقام المذكور ويدعو إليه وجوه النجف وبعض العلماء وأهل العلم .

---

(١) فرحة الغري : ٨٦.

(٢) معارف الرجال : ٣/ ٣٠٨.

١٢- خان المُصلّى (خان الربع)

موقعه في الشمال الشرقي لمدينة النجف الأشرف على بعد ١٥ كيلومتراً منها . أُسّس كمرحلة أولى لمن خرج من النجف قاصداً كربلاء ، ومأوى لزائري الإمام الحسين عليه السلام ولعابري السبيل ليلاً ونهاراً . والمرحلة الثانية هي خان الحماد (خان النصف) ، والثالثة خان النُخَيْلَة ، ثمّ الحاير الحسيني الشريف .

قال شيخنا محمد حرز الدين : خان المُصَلّى معروف مشهور شُيِّدَ لغرض إيواء وحفظ الزائرين . يقع في كبد الصحراء الشمالية ، ويبعد عن النجف الأشرف بحوالي فرسخين ونصف ، وبالقرب منه قبائل بني حسن . وفي طريق الزائر الذاهب من النجف إلى خان المصلّى بئر تعرف عند السواد والمكاريّة ببئر السوگـة أي الفرسخ ، وبعدها بفرسخ آخر يمرّ الزائر ببئر أخرى تعرف ببئر السوگتين أي الفرسخين ، وعلى كلّ بئر بناء مسقّف بُنيَ للاستظلال واستراحة الزائر ، وفي كلّ بئر منهما مخرج درج محكمة وواسعة تفضي إلى النزول لتلك البئر للشرب من مائها . وكان المسافر إذا خرج من النجف صباحاً يصل هذا الخان عندما يحين وقت صلاة الظهر ، وإن خرج من النجف بعد الظهر يصل الخان وقت فريضة المغرب والعشاء ، ولهذه المناسبة عرف بخان المصلّى .

وكانت نفقة بناء هذا الخان من ثلث تركة الوجيه المرحوم الحاج حسن مرزه النجفي ، وهو أحد تجّار بيع وشراء الحبوب ، وكان معظم تجارته من الحبوب حَبّ الدُّخْن ، فاتّفق أن ترقّى سعر الدُّخن في السوق ترقّياً فاحشاً وبيع بثمنٍ غالٍ جدّاً ، فعظم ربحه وكثرت أمواله . وقد استفتي أستاذنا الأعظم الشيخ محمد حسين الكاظمي بأنّ الحاج حسن مرزه أوصى أن يُبنى بثلث تركته خاناً لزوّار سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في هذه المنطقة من طريق كربلاء ، فأجاب ببناء خان في هذا الموضع . وكانت هذه المنطقة مأوى لقطّاع الطريق وللسلب والنهب من غارات البدو وأعراب تلك المنطقة ، ولمّا كمل بناؤه أمن الزائرون بهذا الحصن وأطمأنّوا ، كما سكنه بعض المتكسّبين لسدّ لوازم الزائرين . وكم بِتْنا فيه ليالي وأيّاماً في مواسم زيارة الإمام الحسين عليه السلام .

وآل مرزه من الأسر النجفيّة الممدوحة بالتقوى وحسن الخلق ، وكانت لهم محلاّت تجارية في جبل حائل (جبل أجا وسلمى) أيام إمارة آل رشيد ، ولمّا دانت الأعراب هناك بمذهب الوهابية رحل التجّار النجفيّون ومنهم آل مرزة إلى النجف .

توفي الحاج حسن مرزه حدود سنة ١٣٠٤هـ وأعقب عدّة أولاد .[١]

١٣- المرقد المطهّر لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أخفى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام آله وذووه من أعدائهم الخوارج والأمويين خشية التعدّي عليه .[٢] وبإخفاء قبره المقصود صار تعيين قبره عسراً عند طائفة من المؤرّخين . وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام والخواص من شيعتهم يعلموا موضعه وأوصلوا لنا ذلك العلم عن طريق روايات كثيرة وكثيرة كلّها تحدِّد وتعيِّن موضع قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف حيث هو الآن - وقد تقدّمت هذه الروايات في موضوع "النجف في الحديث والأثر" . يضاف إلى هذا ما ذكره المؤرّخون والمحدّثون في تأييد الروايات الشيعيّة بهذا الخصوص ، وفيما يلي ما وقفنا عليه من أقوالهم :

أقوال المؤرّخين والمحدّثين في تعيين قبره عليه السلام

١- قال أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ ، في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام : وغسّله ابنه الحسن بيده ، وصلّى عليه ، وكبّر عليه سبعاً ، وقال : أما إنّه لا يكبّر على أحد بعده . ودفن بالكوفة في موضع يقال له : الغري .[٣]

٢- وقال أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤هـ : غسّله الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية يصب الماء ، ثمّ كفّن وحمل على أعواد المنايا ، وحمل ودفن في جوف الليل الغابر بموضع يقال له : الغري .[٤]

---

(١) كتاب النوادر : ٢٨/٥ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٣٩١/٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢١٣/٢ .

(٤) كتاب الفتوح (تاريخ ابن أعثم) : ١٤٥/٤ .

٣-وقال أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ، المتوفى سنة ٣١٧هـ[١]:

إنّ عليّاً عليه السلام لمّا قُتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أميّة أن يحدثوا في قبره حدثاً ، فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - إيهامات مختلفة ، فشدّوا على جمل تابوتاً موثقاً بالحبال ، يفوح منه روائح الكافور ، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبه ثقاتهم ، يوهمون أنّهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام ، وأخرجوا بغلاً وعليه جنازة مغطّاة ، يوهمون أنّهم يدفنونه بالحيرة ، وحفروا حفائر عدّة ، منها بالمسجد ، ومنها برحبة القصر ، قصر الإمارة ، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي ، ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بحذاء باب الورّاقين ممّا يلي قبلة المسجد ، ومنها في الكناسة ، ومنها في الثويّة ، فعمي على الناس موضع قبره ، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلاّ بنوه والخواص المخلصون من أصحابه ، فإنّهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان ، فدفنوه على النجف ، بالموضع المعروف بالغري ، بوصاة منه عليه السلام إليهم في ذلك ، وعهدٌ كان عهدَ به إليهم ، وعمي موضع قبره على الناس ، واختلفت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً ، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعّبت ، وادّعى قوم أنّ جماعة من طيء وقعوا على جمل في تلك الليلة ، وقد أضلّه أصحابه ببلادهم ، وعليه صندوق ، فظنّوا فيه مالاً ، فلمّا رأوا ما فيه خافوا أن يُطلبوا به ، فدفنوا الصندوق بما فيه ، ونحروا البعير وأكلوه ، وشاع ذلك في بني أميّة وشيعتهم ، واعتقدوه حقّاً ، فقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط من أبيات يذكره عليه السلام فيها :

فإن يك قد ضلّ البعير بحمله فما كان مهديّاً ولا كان هاديا

وشعره هذا يقصد فيه الردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : "إن تولّوها عليّاً ، تجدوه هادياً مهديّاً" .[٢]

---

(١) أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية ، وهوصاحب مقالات ، وكان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات في علم الكلام .(وفيات الأعيان : ٤٥/٣)

(٢) شرح نهج البلاغة : ٨٠/٤.



٤- وأخرج أبو الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ : بإسناده ، عن الحسن بن علي بن محمد الخلاّل ، عن جدّه ، قال : قلت للحسن بن علي : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟. قال : خرجنا به ليلاً حتى مررنا على مسجد الأشعث ، حتى خرجنا إلى الظهر بجنب الغري .[1]

٥- وقال الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي المتوفى سنة ٤٠٦هـ : واختلف الناس في موضع قبره ، فقال قوم في رحبة القضاء ، وقال قوم في دار الإمارة ، وقال قوم حمل إلى المدينة . والصحيح الذي لا شك فيه ولا لبس عليه إنّه عليه السلام بالغري من نجف الكوفة . وممّا يدل على ذلك أنّ الصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام ، زاره في هذا الموضع لمّا أشخصه المنصور إليه .[2]

٦- ونقل السيّد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس المتوفى سنة ٦٩٣هـ ، عن إبراهيم بن علي بن محمد بن بكروس الدينوري المتوفى سنة ٦١٠هـ في كتابه "نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول" ، قوله : واختلفت الروايات في قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام ، والصحيح إنّه مدفون في الموضع الشريف الذي على النجف الآن ويقصد ويزار .[3]

٧- وقال عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٦هـ : وقبره عليه السلام بالغري ، وما يدّعيه أصحاب الحديث من الاختلاف في قبره ، وأنّه حمل إلى المدينة ، أو أنّه دفن في رحبة الجامع ، أو عند باب الإمارة ، أو ندّ البعير الذي حمل عليه فأخذته الأعراب ، باطل كلّه لا حقيقة له . وأولاده أعرف بقبره ، وأولاد

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٢٦.

(٢) خصائص الأئمة : ٣٩.

(٣) فرحة الغري : ١٥٢ .

كلّ الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب ، وهذا القبر الذي زاره بنوه لمّا قدموا العراق منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم .(١)

وقال ابن أبي الحديد - بعد إيراده مارواه أبو الفرج الأصفهاني عن الإمام الحسين ابن علي عليه السلام قوله : "خرجنا بأمير المؤمنين ليلاً من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ، ثمّ خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري" :

وهذه الرواية هي الحق وعليها العمل ، وقد قلنا فيما تقدّم أنّ أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب ، وهذا القبر الذي بالغري ، هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً وحديثاً ، ويقولون : هذا قبر أبينا لا يشكّ أحدٌ في ذلك من الشيعة ، ولا من غيرهم ، أعني بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدّمين منهم والمتأخّرين ، مازاروا ولا وقفوا إلاّ على هذا القبر بعينه .(٢)

٨- وقال محمد بن علي بن ميمون أبو الغنائم النرسي ، المتوفى سنة ٥١٠ هـ : توفي بالكوفة ثلثمئة وثلاثة عشر من الصحابة لا يتبيّن قبر أحد منهم إلاّ قبر علي عليه السلام . وقال : جاء جعفر بن محمد ، ومحمد بن علي بن الحسين فزارا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي ، ولم يكن إذ ذاك القبر وما كان إلاّ الأرض حتى جاء محمد بن زيد الداعي وأظهر القبر .(٣)

٩- وقال علي بن أبي بكر العلوي الشهير بالسائح الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ : باطنة النجف به مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .(٤)

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٦/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٢٢/٦ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ١٨٩/٩ .

(٤) الإشارات إلى معرفة الزيارات : ٨٤.

وقال في موضع آخر : باطنة النجف مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعنده جماعة من العلويين والأشراف .[١]

١٠- وقال ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ : النجف بظهر الكوفة ، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .[٢]

وقال ياقوت أيضاً : والغريّان طربالان ، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب عليه السلام .[٣]

١١- وقال أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ : ولمّا قتل علي بن أبي طالب دفن عند مسجد الجماعة ، وقيل : في القصر ، وقيل : غير ذلك . والأصح أنّ قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرّك به .[٤]

١٢- وقال محمد بن طلحة الشافعي ، المتوفى سنة ٦٥٢هـ - في كلام له عن قبر علي أمير المؤمنين عليه السلام : ودفن في جوف الليل بالغري .[٥]

١٣- وقال علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي المتوفى سنة ٦٩٣هـ : كلّ الشيعة متّفقون على إنّه عليه السلام دُفن بالغري حيث هو معروف الآن يزار بأخبار يروونها عن السلف .[٦]

١٤- وقال محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤هـ : واختلفوا في موضع دفنه ، فقيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل في رحبة الكوفة ، وقيل بنجف الحيرة موضع بطريق الحيرة . قال الخجندي [إبراهيم بن أحمد بن محمد المتوفى سنة ٨٥١هـ] :

---

(١) الإشارات إلى معرفة الزيارات : ٧٧ .

(٢) معجم البلدان : ٢٦٦/٨ .

(٣) معجم البلدان : ١٩٦/٤ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٢٦١/٣ .

(٥) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : ٢٤٤ .

(٦) كشف الغمّة في معرفة الأئمة : ٦٦/٢ .

والأصح عندهم أنّه مدفون وراء المسجد الذي يؤمّه الناس اليوم .[١]

١٥- وقال محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي ، المتوفى سنة ٧٠٩هـ : واختلف في موضع قبره ، والصحيح أنّه في الموضع المشهور الذي يزار فيه اليوم . وقد روي أنّ عبد الله بن جعفر سئل : أين دفنتم أمير المؤمنين ؟. قال : خرجنا حتى إذا كنّا بظهر الكوفة دفنّاه هناك . ولم يزل القبر مستوراً لا يعرفه إلاّ خواص أولاده ومن يثقون به بوصيّة كانت منه ، لما عَلِمَه من دولة بني أُميّة من قبح اعتقادهم في عداوته وما ينتهون إليه من قبح الفعال والمقال بما يمكنوا من ذلك ، فلم يزل قبره مختفياً حتى كان زمن الرشيد هارون .[٢]

وقال ابن الطقطقي أيضاً : وأما مدفن أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه دفن ليلاً بالغري ، ثمّ عفا قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله عليه وسلامه .[٣]

١٦- وقال عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود المتوفى سنة ٧٣٢هـ : وقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه بالقرب من الكوفة ، عليه مشهد جليل يقصده الناس من أقطار الأرض .[٤]

وقال أيضاً : واختلف في موضع قبره فقيل دفن ممّا يلي قبلة المسجد بالكوفة ، وقيل عند قصر الإمارة ، وقيل : حوّله ابنه الحسن إلى المدينة ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة رضي الله عنها . والأصح وهو الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره ، أنّ قبره هو المشهور بالنجف ، وهو الذي يزار اليوم .[٥]

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى : ١١٤.

(٢) الأصيلي في الأنساب : ١٢١ .

(٣) الفخري في الآداب السلطانية : ٨٤.

(٤) تقويم البلدان : ٣٠١.

(٥) المختصر في أخبار البشر : ٩٣/٢.

١٧- وقال أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي الكندي المتوفى سنة ٧٣٢هـ: وظَهَرَ قبر بموضع بالقرب من الكوفة على ما قيل، واسم الموضع النجف، فشهر أنّه قبره كرّم الله وجهه، وتحقّق ذلك أنّه ما أتاه مبتلىً إلاّ عوفي سواء كان به عاهة أو له حاجة فتزول وتقضى.(١)

١٨- وقال حمد الله بن أبي بكر بن حمد المستوفي القزويني المتوفى سنة ٧٥٠هـ: ببعد فرسخ عن الكوفة مشهد مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويسمّى بالمشهد الغروي.(٢)

١٩- ونقل كلٌّ من كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدّميري المصري المتوفى سنة ٨٠٨هـ، و عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العصامي المكّي المتوفى سنة ١١١١هـ، عن ابن خلّكان قوله: أنّ الرشيد خرج مرّة إلى الصيد فانتهى به الطرد إلى موضع قبر علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فأرسل فهوداً على صيد، فتبعت الصيد إلى موضع قبره، ووقفت الفهود عند موضع القبر الآن ولم تتقدّم على الصيد، فتعجّب الرشيد من ذلك، فجاءه رجل من أهل الخبرة، وقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن دَلَلْتك على قبر ابن عمّك علي بن أبي طالب مالي عندك؟. قال: أثمّ مكرمة، قال: هذا قبره، فقال له الرشيد: من أين علمت ذلك؟. قال: كنت أجيء مع أبي فيزور قبره، وأخبرني أنّه كان يجيء مع جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه فيزوره، وأنّ جعفراً كان يجيء مع أبيه محمد الباقر فيزوره، وأنّ محمداً كان يجيء مع أبيه علي بن الحسين زين العابدين فيزوره، وأنّ عليّاً كان يجيء مع أبيه الحسين فيزوره، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر. فأمر الرشيد أن يحجر الموضع.(٣)

---

(١) السلوك في طبقات الملوك: ٨٠/١.

(٢) نزهة القلوب (فارسي): ٣٢- ٣٣.

(٣) حياة الحيوان: ١٥٨/٢. باب (فهد). سمط النجوم العوالي: ١٩/٣.

٢٠- وقال أبو الوليد محمد بن الشحنة الحلبي المتوفى سنة ٨١٥هـ : واختلف في موضع قبر علي أمير المؤمنين ، والأصح إنّه حيث يزار اليوم في النجف .[١]

٢١- وقال أحمد بن علي القلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١هـ : وقُتل علي لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق ، ودُفن بالنجف على الصحيح المشهور[٢]

وقال عند ذكر الكوفة : وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه حيث دفن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .[٣]

٢٢- وقال أحمد بن علي بن حسين الداودي المعروف بابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨هـ : وقد اختلف الناس في موضع قبره ، والصحيح أنّه في الموضع المشهور الذي يزار فيه اليوم .[٤]

٢٣- وقال نور الدين علي بن محمد بن أحمد المكي المعروف بابن الصبّاغ المالكي ، المتوفى سنة ٨٥٥هـ : ودفن في جوف الليل بالغري ، وقبره معروف إلى الآن ، وقيل بالنجف[٥] ، والغري والنجف إسمان لمسمّى واحد .

٢٤- وقال صفي الدين أحمد بن عبد الله بن أبي الخير الخزرجي الأنصاري المولود سنة ٩٠٠هـ : ودفن علي في النجف ، وفيه يقول القائل :

سقته سحائب الرضوان سحّاً ... كجود يديه تنسجم انسجاما
ولا زالت رواة المُزن تهدي ... إلى النجف التحيّة والسلاما[٦]

---

(١) روضة المناظر في علم الأوائل والأواخر : ١٩٥/٧ .

(٢) صبح الأعشى : ٢٦٦/٣ .

(٣) صبح الأعشى : ٣٣٧/٤ .

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٦١ .

(٥) الفصول المهمّة في معرفة الأئمة : ١١٨ .

(٦) وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل : ١٥٦ .

٢٥- واستشهد بالبيتين المتقدّمين جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي الحنفي المدني المتوفى سنة ٧٥٠هـ، فيظهر منه اعتقاده ذلك .[١]

٢٦- وقال الشيخ علي دده بن مصطفى الموستاري البُسنوي المتوفى سنة ١٠٠٧هـ : إنّ أوّل إمام خفي قبره علي بن أبي طالب عليه السلام . أوصى أن يخفى قبره لعلمه أنّ الأمر يصير إلى بني أميّة ، فلم يأمن أن يمثّلوا بقبره . وقد اختلف في قبره ، فقيل في زاوية الجامع بالكوفة ، وقيل في قصر الإمارة ، وقيل بالبقيع ، حمل إلى المدينة بوصيّة منه ، وقيل بالنجف بالمشهد الذي يزار اليوم ، وهو الأصح .[٢]

وقال في موضع آخر : وأوّل من نقل من قبر إلى قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصلّى عليه ابنه الحسن عليه السلام ، فدفن بدار الإمارة بالكوفة وغيّب قبره ، ونقل إلى محلّ يقال له نجف ، فأظهره هارون الرشيد وبنى عليه عماير ، حين وجد وحوشاً تستأنس بذلك المحل وتفر إليه التجاءً من أهل الصيد ، فسأل عن سبب ذلك من أهل قرية قريبة هناك ، فأخبره شيخ من القرية بأنّ فيه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع قبر نوح عليه السلام .[٣]

٢٧- وقال مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي الشافعي ، المتوفى بعد سنة ١٣٠٨هـ : دفن بالغري ليلاً في موضع معروف يزار إلى الآن .[٤]

---

(١) نظم دررالسمطين : ١٧٤ .

(٢) محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر : ١٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ١٥٥ .

(٤) نور الأبصار : ٩٧.

شبهات وردود

١- قال الخطيب البغدادي : حكى لنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ، قال : سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أنّ أبا جعفر الحضرمي مطيناً كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة قبر علي بن أبي طالب عليه السلام وكان يقول : لو علمت الرافضة قبر مَن هذا لرجمته بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . وقال مطين : لو كان هذا قبر علي ابن أبي طالب لجعلت منزلي ومقيلي عنده أبداً .[١]

قال ابن أبي الحديد في ردّه ما تقدّم : سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عمّا ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه ، إنّ قوماً يقولون : إنّ هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة ، فقال : غلطوا في ذلك ، قبر المغيرة وقبر زياد بالثويّة[٢] من أرض الكوفة ، ونحن نعرفهما ، وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا . وأنشدني قول الشاعر يرثي زياداً ، وقد ذكره أبو تمام في الحماسة :

صلّى الإله على قبر وطهّره ... عند الثويّة يسفي فوقه المور[٣]
أبا المغيرة والدنيا مفجّعة ... وإنّ من غرّت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة ... وكان عندك للمنكور تنكير
وكنت تغشى وتعطي المال من سعة ... فاليوم قبرك أضحى وهو مهجور

وقال ابن أبي الحديد : وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله عن ذلك ، فقال : صدق مَن أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثويّة ، وهي إلى اليوم معروفة ، وقبر المغيرة فيها ، إلاّ أنّها لا تُعرف ، وقد

(١) تاريخ بغداد : ١٤٨/١ .

(٢) لاحظ ما ذكرناه في موضع "الثوية" .

(٣) المور: هو التراب .

ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها ، فطُمست واختلط بعضها ببعض . ثمّ قال : إن شئت أن تتحقّق أنّ قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب "الأغاني" لأبي الفرج علي بن الحسين ، والْمَحْ ماقاله في ترجمة المغيرة ، وإنّه مدفون في مقابر ثقيف ، ويكفيك قول أبي الفرج ، فإنّه الناقد البصير ، والطبيب الخبير ، فتصفّحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور ، فوجدت الأمر كما قاله النقيب .

قال أبو الفرج : كان مصقلة بن هبيرة الشيباني قد لاحى المغيرة في شيء كان بينهما منازعة ، فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه ، حتى طمع فيه مصقلة ، فاستعلى عليه وشتمه ، وقال : إنّي لأعرف شبهي في عروة ابنك ، فأشهد المغيرة على قوله هذا شهوداً ، ثمّ قدّمه إلى شريح القاضي ، فأقام عليه البيّنة ، فضربه شريح الحد ، وآلى مصقلة ألاّ يقيم ببلدة فيها المغيرة ، فلم يدخل الكوفة ، حتى مات المغيرة . فدخلها ، فتلقّاه قومه فسلّموا عليه ، فما فرغ من السلام حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها ، فجعل قوم من مواليه يلتقطون الحجارة ، فقال لهم : ماهذا ؟. فقالوا : نظنّ أنّك تريد أن ترجم قبر المغيرة ، فقال : ألقوا ما في أيديكم ، فانطلق حتى وقف على قبره ، ثمّ قال : والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك ، ضارّاً لعدوّك ، وما مثلك إلاّ كما قال مهلهل في كُليب أخيه :

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وخصيماً ألدّ ذا معلاق
حيّة في الوجار أربد لا ... ينفع منه السليم نفثة راقي[1]

٢- قال ابن تيميّة : وأمّا المشهد الذي بالنجف فأهل المعرفة متّفقون على أنّه ليس بقبر علي بل قيل إنّه قبر المغيرة بن شعبة ، ولم يكن أحد يذكر أنّ هذا قبر علي ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمئة سنة مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢٤/٦ .

وحكمهم بالكوفة ، وإنّما اتّخذوا ذلك مشهداً في ملك بني بويه الأعاجم بعد موت علي بأكثر من ثلاثمئة سنة .[١]

أقول : ترى هل أنّ ابن تيميّة بقوله : "لايقصده أحد أكثر من ثلاثمئة سنة" لم يقف على ما أخرجه محدّثو الشيعة من أحاديث في زيارة أئمة أهل البيت عليهم السلام وأبنائهم وشيعتهم لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام قبل ظهور المرقد وبعده ، ولم يَرَ ما ألّفوا من كتب في هذا الشأن ، ولم يطرق سمعه ما قاله الكثير من أعلام أهل السنّة في تحقيق ذلك ، وكتب ابن تيمية كلماته قبل أن يراجع رجماً بالغيب . أو أنّه أراد من "اتّفاق أهل المعرفة" تكثير من يدّعي رأيه في إبطال الحق فنسب الاتّفاق المكذوب إلى أهل المعرفة ؟!.

عمائر المرقد المطهّر

طرأت على المرقد المطهّر منذ ظهوره عمارات عديدة تختلف في حجمها وأهميّتها . ونحن نشير هنا باختصار إلى أبرز تلك العمائر حسب تسلسلها الزمني ، ولمن أراد تفصيل ذلك مراجعتها ضمن سنة حدوثها في الجزء الثاني من كتابنا . كما حدثت على المرقد المطهّر الكثير من الإصلاحات في سنوات متفرّقة كتجديد أرضيّة الصحن وزخارف الروضة الشريفة وإعمار القبّة والمنائر وما إلى ذلك . على أنّ العمارة الأولى - وهي عمارة هارون الرشيد - قد سبقها وضع أوّل صندوق على القبر المطهّر من قبل داود بن علي العباسي والي الكوفة من قبل أبي العباس السفّاح ، وكان ذلك سنة ١٣٣هـ ، ثمّ كانت بعده الدكّة التي بناها صفوان الجمّال بأمر من الإمام الصادق عليه السلام حين وروده على أبي جعفر المنصور في الحيرة .

١- عمارة هارون الرشيد العباسي سنة ١٧٥هـ . وقد خرّبت من قبل المتوكّل العباسي سنة ٢٣٦هـ .

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميّة : ٥٠٢/٤ .

٢- عمارة ملك طبرستان محمد بن زيد المعروف بالداعي الصغير ، حوالي سنة ٢٨٣هـ. وفي سنة ٣١٧هـ زاد أمير الموصل أبو الهيجاء الحمداني في عمارة زيد الداعي هذه .

٣- في سنة ٣٣٨هـ بنى الزعيم الكوفي أبو علي عمر بن يحيى العلوي قبّة بيضاء على المشهد العلوي .

٤- عمارة عضد الدولة البويهي سنة ٣٦٦هـ ، وهي عمارة عظيمة كما وصفها الرحّالة ابن بطوطة حين وروده النجف سنة ٧٢٦هـ . وقد تمّ تعميرها سنة ٧٦٠هـ بعد الحريق سنة ٧٥٣هـ وسنة ٧٥٥هـ .

٥- عمارة الشاه عباس الصفوي الأول . ابتدئ بها سنة ١٠٣٣هـ ودام العمل بها ثلاث سنين .

٦- عمارة الشاه صفي عام ١٠٤٢هـ تمّ فيها توسعة الحرم المطهّر وتجديد القبّة . وفي سنة ١١٥٦هـ تمّ تذهيب القبّة والحرم المطهّر من قبل نادر شاه .

العمارة الحاضرة للمرقد المطهّر

العمارة الحاضرة للمرقد الشريف بديعة الصنع جميلة الشكل والمنظر فخمة البناء والتصميم يرجع تاريخ بنائها إلى العصر الصفوي ، تتألف هذه العمارة من الصحن والرواق والروضة المطهّرة .

أوّلاً : الصحن الشريف

نظرة تاريخية للصحن الشريف

لم يكن الصحن الشريف في القرن العاشر وما قبله كما هو اليوم ، بل كان الرّواق المحيط بالحضرة الشريفة هو الصحن ، وفيه غرف لطلبة العلم . وكانت هناك ساحة كبيرة مربّعة الشكل أمام الرّواق - الموجود اليوم من جهة الشرق - تعرف في ذلك الوقت بـ"حوش الحضرة" ، وكانت قبور العائلات المالكة للإيلخانيين في القرن السابع

والثامن بارزة فيه ، وتقدّر مساحته من الشرق إلى الغرب إلى ما يقرب من عشرين متراً ، ومثلها من الشمال إلى الجنوب ، فعلى هذا تكون مساحة الصحن القديم حوالي الأربعمئة متراً . تفصل حدوده الشرقية عن مسجد الخضراء حوالي سبعة أمتار حتى ينتهي إلى ما يحاذي باب الطوسي ، ومن جهة الشمال يبتدئ من أمام المدرسة الحيدرية الصغيرة الموجودة اليوم في الصحن الشريف حوالي سبعة أمتار إلى ما يقابل باب الصحن الشرقي الكبير .

وصف عام للصحن الحاضر

هو رحبة أرض فسيحة مكشوفة تحيط بأروقة الضريح الشريف والروضة المقدّسة من جهات ثلاث عدى الجهة الغربية ، فيكمل دورته من هذه الجهة بمَمَر (ساباط) معقود ، فوقه غرف يتخلّلها ممرّ ، كانت طلبة العلوم الدينية من المهاجرين يسكنونها في القرون السالفة .

والصحن شبه مربّع يحيط به سور خارجي شامخ البناء تحيط به الإيوانات والحجر . يبلغ طول كلٍّ من ضلعيه الشرقي والغربي من الخارج ٨٤ متراً ، ومن الداخل ٧٧ متراً . ويبلغ ضلعه الشمالي من الخارج ٧٤ متراً ومن الداخل ٧٢ متراً ، وضلعه الجنوبي من الخارج ٧٥ متراً ، ومن الداخل ٧٢ . ويبلغ ارتفاع سور الصحن في معظم أجزائه ١٧ متراً ، ومبانيه تتكوّن من طبقتين ، في كلّ طبقة من الأواوين والغرف مثل ما في الطبقة الثانية ، ومجموع ما فيهما من الغرف يقرب من مئة غرفة .

الطابق الأول عبارة عن صف من إيوانات مقبّبة فتحاتها معقودة ، ويبلغ عددها في كلّ من الجهتين الشمالية والجنوبية ١٣ إيواناً ، وفي الجهتين الشرقية والغربية ١٤ إيواناً في كلّ منهما . ويبلغ اتّساع بعضها ٤٠٠سم ، والبعض الآخر وهو القديم ٣٧٠سم ، وعمق الإيوان ٢٢٠سم ، والجدار الفاصل بينهما ١٣٠سم .

أمّا الطابق الثاني فيتكوّن من رواق معقود يتقدّم مجموعة من غرف مقبيّة مخصّصة لطلبة العلم والمتصوّفين المنقطعين للعبادة ، يبلغ عددها ١٩ غرفة في كلّ من الجهتين الشمالية والجنوبية ، وفي الجهتين الشرقية والغربية يبلغ عدد الغرف في كلّ منها ٢٠ غرفة . وعلى ذلك يكون مجموع عدد الإيوانات التي توجد بالسور الخارجي والتي تطلّ على صحن المشهد ٥٤ إيواناً بالدور الأول ، ومجموع الغرف التي بالدور الثاني ٧٨ غرفة .

كما يوجد في الصحن أربع إيوانات - ذات طابق واحد - كبيرة وشاهقة ، ينعقد على كلّ واحد منها قوس من القاشاني مطوي بشكل إطار ، وبجنب ذلك الإطار إطاران من القاشاني المكتوب بآي من القرآن الكريم ، واحد منها يقع في الجهة الشمالية وهو مقطع من رواق عمران بن شاهين أمير قبائل خفاجة في العراق ، وقد كتب عليه بالقاشاني قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾ [1] ، وفي هذا الإيوان دفن آية الله السيّد محمد كاظم الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ ، ومن مصادفة هذه الآية الشريفة فوقه قد يقال بأنّ الرّواق مسجد ، كما سيأتي . ويقابله الإيوان الثاني من جانب الحرم ، وهو أيضاً مقتطع من رواق عمران بن شاهين حيث كان رواقه متّصلاً بالقبّة الشريفة ، ويسمّى هذا الإيوان "إيوان العلماء" ، وسيأتي ذكر بعض من دفن فيه من جهابذة العلماء قريباً إن شاء الله تعالى . والإيوان الثالث في الجهة الجنوبية ، وقد دفن فيه العالم المجاهد السيّد محمد سعيد الحبوبي الحسيني المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وأصبح معروفاً به . ويقابله الإيوان الرابع من جانب الحرم أيضاً ، ويسمّى "إيوان ميزاب الذهب" .

وللصحن خمسة أبواب : في ضلعه الشمالي يوجد باب الطوسي ورواق عمران بن شاهين ، وفي ضلعه الجنوبي باب القبلة ، أمّا الضلع الشرقي من الصحن ففي وسطه

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

الباب الرئيسي الذي تعلوه قبّة الساعة ، وهناك باب آخر شرقي على يمين الداخل إلى الصحن من الباب الرئيسي ، وفي الضلع الغربي يوجد الباب السلطاني ويعرف أيضاً بباب الفَرَج .

وهناك أبنية كثيرة ملتصقة بسور الصحن من جهاته الثلاث . ففي الجهة الغربية توجد مجموعة من المباني أحدث عهداً من السور أهمّها تكية البكتاشية ، ومخازن كثيرة ، وساحات متعدّدة لإيواء الزوّار والوافدين ، ومسجد الرأس . وفي الجهة الشمالية يوجد البقية الباقية من رواق عمران بن شاهين ، وفي الطرف الشمالي الشرقي توجد المدرسة الغروية . أمّا الجهة الشرقية فيوجد بجوارها مسجد الخضراء ، وفي الركن الشمالي الشرقي توجد دورات للمياه .

ويتوسّط الصحن السور الخارجي للروضة الشريفة ، بداخلها مربّع ثالث هو الضريح المقدّس . ويتقدّم الجهة الشرقية من الروضة المطهّرة رُحبة (طارمة) تقوم عند طرفها الشمالي والجنوبي مئذنتا المشهد الشريف .

كما وإنّ حيطان الصحن مؤزّرة من الداخل إلى ارتفاع مترين بالصخر ، وكذا أرض الإيوانات ، وما فوق ذلك الإرتفاع قد كُسي بالقاشاني الملوّن بألوان بديعة تمثّل روضاً أنفاً من رياض الفن .

أرض الصحن الشريف

قبل أوائل القرن الثالث عشر الهجري كانت أرض الصحن منخفضة بكثير عمّا هو عليه اليوم ، ويبدو أنّها كانت تقرب من أرض الوادي الأصلية ، كما كانت أرض الصحن مزدحمة بدكاك القبور والقباب والمحاريب وهي ظاهرة بارزة على سطح الأرض ، ممّا جعل المشي على أرض الصحن متعذّراً لتوعّر كثير من أجزائه ، بالإضافة إلى ارتفاع أرض مدينة النجف وأزقّتها لتوالي العمارات وطمّ أزقّتها بالتراب والحجارة ،

فأصبحت أرض الصحن في منخفض شديد ، وبقيت أرضيّة صحن المشهد الغروي على تلك الحالة حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري . فقد صدر الأمر حينها من قبل والي بغداد العثماني بقلع هذه الدكاك والقباب والمحاريب من أرض الصحن وتبليطها بالرخام ، فتصدّى العالم الكبير السيّد محمد مهدي بحر العلوم بعد مشورة زملائه العلماء الأعلام في النجف الأشرف لمنعهم من هذا الإجراء ، واتّفقوا على أمر واحد هو أن تبقى هذه الآثار البارزة كما هي دون قلع ، وتقام فيما بينها أساطين محكمة ، ثم تسقف ليصبح السقف أرضاً جديدة للصحن ، وأفتى السيّد والعلماء الأعلام بجواز ذلك .(١)

وبعد أن أنشئت هذه الأساطين وصار سقف تلك القباب أرضاً ، ارتفعت أرضيّة الصحن وأصبحت - كما هي عليه اليوم - ملائمة لمستوى أرض مدينة النجف ، خصوصاً الأزقّة التي تفضي إلى الصحن . وقد عُبّدت أرض الصحن بالصخر الأبيض في سنة ١٢٠٦هـ ، وكتب تاريخ هذه العمارة في قصيدة بالعربية وأخرى بالفارسيّة نقشت على بلاطات من القاشاني تكسو جانبي الباب الكبير الشرقي ، وذكر فيها اسم الرجل الباذل لنفقات العمارة وهو "مير خير الله" ، والقصيدة للشاعر الشهير السيّد محمد زيني النجفي المتوفى سنة ١٢١٦هـ ، وهي مثبتة في ديوانه المخطوط مشتملة على مدح الباذل والثناء عليه وعدّة تواريخ أيضاً ، مطلعها :

لقد أنعم الباري وجلّ عطاؤه ... على (مير خير الله) وهو رجاؤه

إلى أن قال ، وهو المكتوب على واجهة باب الصحن :

جزى (مير خير الله) خيراً إلهه ... كما جلّ في الدارين منه جزاؤه
فقد كان تعظيم الشعائر دابه ... وفي كلّ ما يُرضي الإله اعتناؤه
توعّر حيناً صحن روضة حيدر ... فسوّاه سهلاً للمشاة فناؤه
ومهّده والشكر لله دابه ... فاثنت عليه أرضه وسماؤه

---

(١) كتاب النوادر : ٣٥/٢ .

فأنــشأتُ لمّــا أن بنــاه مؤرّخــاً (بنــا ميــر خيــر الله بــادٍ بهــاؤه)

وفي القصيدة تواريخ أخر لم تكتب على الواجهة ، وهي :

وإن شــئت تاريخــاً ليــوم بنائــه لــتعلم مــن قــد كــان منــه بنــاؤه

فقــل (ميــر خيــر الله وطّــأ بانيــاً) فجــلّ بــذا التــاريخ منــه رجــاؤه

وقــل (ميــر خيــر الله) لله حُبّــه فمــن ذلــك التــاريخ بــان ولاؤه

واتبــع تواريخــاً أتتــك مؤرّخــاً (بنــا ميــر خيــر الله بــادٍ بهــاؤه)

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أُعيد تصليح السراديب وأرض الصحن مرّة ثانية ، وهي ما عليه الآن .

قال شيخنا محمد حرز الدين : في ربيع الثاني سنة ١٣١٦هـ كانت الفَعَلَة تنبش أرض الصحن الشريف في النجف الأقدس بأمر السلطان عبد الحميد خان لنقض السراديب الغامرة لإعادتها عامرة تحت الأرض ، وقد هتك حرمة الموتى بما لا يوصف ، وكان ذلك على يد علاء الدين أفندي وكيل الأوقاف في النجف ، وقد ظهرت قبور بارزة عظيمة في الربع الشرقي الشمالي وعثر على سرداب متّصل بهذه القبور إلى باب المسجد المعروف بمسجد الخضراء . وخرج قريباً من الكيشوانية قبران عظيمان تحت بلاط الصحن ، يوشك أن يكونا على أرض وادي الغري ، وهما مبنيّان بالقاشاني الفاخر الأزرق كالفسيفساء بألوان ناصعة وطرز حسن ، ودورة القبرين من الجدران المصفّحة بالقاشاني المنبّت بالأوراد والأشجار ، وتحتهما سرداب واسع جدّاً ، بابه من حجر أبيض شفّاف ثمين ، ودرج ذلك السرداب أيضاً من هذا الحجر الأبيض ، وكتب في حجر أحدهما : توفي الشاه الأعظم السلطان معزّ الدين عبد الواسع ٣ جمادى الأولى سنة ٧٩١هـ ، وكتب على الحجر الثاني : ١١ محرّم يوم الأربعاء سنة ٨٣١هـ ، واسم صاحب القبر لا يُقرأ . وخرج قبر آخر إلى جنب هذه القبور كُتب على حجره : هذا قبر المرحومة شاهزاده سلطان بايزيد طاب ثراه جمادى الآخرة سنة ٨٠٣هـ .

وقبر آخر كُتب على حَجَره : هذا الطفل من سلالة الشيخ أويس . وقد نقض الفَعَلَة هذه الآثار بأمر مجلس الأوقاف العثماني في بغداد ، فلم يوفوهم حقّهم من الإحترام على أنّهم من سلاطين المسلمين المؤمنين ، جزى الله رئيس السَّدَنَة والفَعَلَة ووكيل الأوقاف بما يستحقّونه من جزاء .(١)

وقد أرّخ الحجّة السيّد جعفر آل بحر العلوم تجديد أرض الصحن بقوله :

وقد فرش السلطان ساحة حيدر   فراش عُلاً أرّخ (لقد فرش العرشا)

وفي سنة ١٣٧٠هـ جُدّد معظم بلاط الصحن الشريف في الجانب الجنوبي ، وبنيت جوانب أواوين الصحن الشريف بالمرمر الأبيض في الحملة العمرانية التي أرصدت لها الحكومة العراقية مبلغ ٢٥٥٠٠ ديناراً ، وقد شملت هذه الحملة العمرانية قلع الصفائح الذهبية من جانبي الإيوان الذهبي وجبهة الإيوان بما فيه الكتيبة الذهبية الكبيرة ، وترميم الجدران ، وصقل الصفائح الذهبية وإعادتها كما كانت ، إلى غير ذلك ، وقد انتهى عمران هذه الحملة في سنة ١٣٧١هـ .

أبواب الصحن الشريف

في أواسط العهد الصفوي حدود سنة ١٠٣٨هـ كان للصحن الشريف أربعة أبواب ، الباب الجنوبي المعروف بباب القبلة ، والباب الشمالي المعروف بباب الطوسي ، وبابان شرقيان الباب الكبير الذي عليه الساعة اليوم ، وباب صغير سُدّ من عهد كان ينفذ إلى خان دار الشفاء(٢) . وفتح بعد ذلك بابان : باب صغير في الجهة الشرقية سمّي باب القيساريّة وذلك عام ١٢٥٢هـ ، وباب في الجهة الغربية باسم السلطان ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧هـ سمّي الباب السلطاني أو باب الفَرَج . سنذكر كلّ باب من هذه الأبواب ضمن الكلام عن الآثار الواقعة في الواجهات الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية للصحن الشريف .

---

(١) معارف الرجال : ٢٤٤/٣ .

(٢) سيأتي الحديث عن دار الشفاء قريباً ضمن "الواجهة الشرقية للصحن الشريف" .

أواوين الصحن الشريف

في كلّ إيوان من أواوين الصحن حجرة صغيرة ، ويفصل كلّ إيوان عن إيوان ساريتان كلّ واحدة بعرض متر أو يزيد قليلاً ، يعقد بين الساريتين قوسان : القوس الأوّل تعلوه كتيبة من القاشاني البديع الصنع بعرض نصف متر لسقف الطابق الأول . والقوس الثاني فوقه كتيبة من القاشاني لسقف الطابق الثاني ، وكتيبة هذا القوس عليها كتابة بالقاشاني لبعض الآيات القرآنية ، وقد كتبت بالقاشاني الأبيض بالقلم النسقي البديع بخط باهر .

وهكذا تقوم عمارة الصحن إيوان على إيوان وبيت على بيت وسارية على سارية ، يمنطقها من الوسط نطاق من القاشاني بعرض نصف المتر ، وتعصبها من الأعلى كتيبة بعرض نصف المتر تقريباً ، إلاّ قسماً من الجهة الغربية يشكّل طاقاً (ساباط) يمتدّ من ظهر الحرم ومسانداً له على امتداده ، وذلك الطاق لا يستوعب الجهة الغربية كلّها بل يستوعب في الجنوب مسافة أربع إيوانات ومثلها في الشمال الغربي .[(١)]

والأواوين الكبيرة للصحن الشريف - عدى الإيوان الذهبي للحضرة الشريفة - على سمت واحد ، اثنان في سور الصحن الشمالي والجنوبي ، واثنان في سور الرّواق للمشهد المقدّس بالتقابل . سيأتي الحديث عنها ضمن الواجهات الشمالية والجنوبية للصحن والرّواق .

تجديد قاشاني الصحن الشريف

كانت أواوين الصحن وجدرانه مكسوّة بالأحجار القاشانيّة على عهد الشاه صفي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ ، فلمّا طال عهدها ومرّ عليها قرابة مئة سنة أو أكثر تكسّرت وسقط أكثرها . ولمّا فرغ السلطان نادر شاه من تذهيب القبّة والمأذنتين والإيوان الكبير الشرقي ، بذلت زوجته لتجديد القاشاني في الصحن مبلغاً طائلاً ، وكان الشروع في

---

(١) مشهد الإمام علي في النجف : ١٤١ .

العمل سنة ١١٥٦هـ وانتهاؤه في سنة ١١٦٠هـ.

وقد بذلت الخاتون گوهر شاد والدة نصر الله ميرزا وإمام قلي ميرزا ، مئة ألف نادري لترميم جدران الصحن الشريف وتجديد القاشاني وتذهيب منارتي الصحن والإيوان الكبير . كما أهدت للحضرة الشريفة مجمر من الذهب مرصّع بالجواهر .[1]

وطرأت ترميمات عديدة على الحجر القاشاني بعد ذلك وتلف أكثر تواريخه ، فلم يبق إلاّ بعض النصوص التاريخية في الإيوان الكبير مؤرّخة بسنة ١١٦٠هـ .

الواجهة الشرقية للصحن الشريف

الباب الشرقي الكبير

يعتبر الباب الكبير الشرقي وثيقة تاريخية هامّة تؤخذ بعين الاعتبار ويعتمد عليها في معرفة الترميمات والتجديدات التي أُجريت للمشهد منذ أوائل العصر الصفوي ، لوجود النصوص التاريخية في دهليز الباب وعلى واجهتا مدخل الباب الداخلية والخارجية ، كتبت على بلاطات ومقرنصات من القاشاني البديع الصنع والنوعية ، ويظهر فيها تاريخ التجديد ، وفي بعض الأحيان اسم الصانع والنقّاش واسم الخطّاط الذي صمّم الكتابات إذا كانت آيات قرآنية ، أو اسم الشاعر إذا كانت شعراً ، كما سيأتي لاحقاً .

ويلاحظ أنّ في وضع الباب الكبير بمكانه هذا هو جعل بزوغ الشمس في الضريح الأقدس طيلة فصول السنة الأربعة ، بحيث لو أنّ شخصاً وقف عند القبر الشريف جانب الرجلين يرى أوّل بزوغ الشمس من خلال الباب الكبير الشرقي والسوق الكبير وباب البلد الشرقي الرئيسي في سور المدينة على مدى أيام السنة . هذا يوم كانت مدينة النجف مسوّرة والجانب الشرقي منها مكشوف ، ولم تكن عمائر ولا أحياء جديدة ولا أشجار تحجب بزوغ الشمس . وفي عصرنا هذا في النصف الأخير من القرن الرابع عشر للهجرة ولتوالي العمائر في الجهة الشرقية انعدمت رؤية الشمس حين بزوغها .

---

(١) نادر نامه (فارسي) : ٣١٩- ٣٢٠.

وأشير إلى بزوغ الشمس عند القبر الشريف ببيت من الشعر الفارسي يعطي معنى يتناسب وعظمة العتبة المقدّسة ، كتب ذلك بالقاشاني في داخل الثلث الأعلى لطاق باب الصحن الشرقي الكبير جانب الصحن بحروف كبيرة زرقاء داكنة على أرضيّة صفراء ، كلّ شطر على جانب من الطاق ، ويبتدء بيمين الخارج من الصحن ويختم بشماله ، قوله :

زهـــى بخـــاك دَرت ازره پـريـــشانى بهـــر صـــباح نهـــد آفتـــاب پيـــشانى

معناه : أعظِم بأنّ الشمس تضع جبهتها كلّ صباح على تراب عتبة قبرك الطاهر .

ويتقدّم الباب الشرقي الكبير من خارج الصحن عقد مدبّب كبير يبلغ ارتفاعه ٢٠٫٥٠ متراً يعلوه شريط من الكتابة العربية بالخطّ الثلث الجميل منقوش على بلاطات من القاشاني باللون الأصفر على أرضيّة زرقاء ونصّ الكتابة الآيتين الشريفتين : ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ، وكُسي ركنا العقد ببلاطات من القاشاني المزخرف بنقوش نباتيّة جميلة . وفي وسط الركن الأيمن مرآة كتب عليها الآية الشريفة : ﴿هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ ، وفي المرآة اليسرى : ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ .[2]

ويؤدّي العقد الكبير الخارجي إلى رحبة مربّعة تعلوها قبّة ضحلة . وقد حوّل المربّع إلى دائرة عن طريق ستّة صفوف من المقرنصات المختلفة الأحجام والأشكال ولكنّها

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١١ – ١١٢.

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

جمعت في ترتيب هندسي بديع، وفي صدر هذه الرحبة جدار مقسوم إلى قسمين:

القسم الأوّل به عقد مُدبّب به مدخل الباب وعلى جانبي فتحة الباب توجد الأبيات الستّة التالية:

يـا علـي يـا أميـر المـؤمنين	أنـت بـاب الله والحـقّ المبـين
خـصّك الله وصـيّاً وأخـاً	للنبـيّ المـصطفى طـه الأمـين
كـلّ مـن مـات مـن النـاس رأى	عنـده شخـصك فـي عـين اليقـين
تُـورد الحـوض مواليـك غـداً	يـا مقـيلاً عثـرات المـذنبين
لـك مـن بـين الوصـيّين حمـىً	روضـة العـافين أمـنُ الخـائفين
جنـةُ جنـةُ عـدنٍ دونهـا	فادخلوهـا بـسلام آمنـين

والقسم الثاني العلوي به عقد يحيط به شريط من الكتابة العربية بالخطّ الثلث نصّها: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.(١)

وفي الدعامة اليسرى للواجهة الخارجية للباب الشرقي الكبير نجد بلاطات من القاشاني عليها كتابات آيات قرآنية باللون الأصفر على أرضيّة زرقاء داكنة مؤرّخة سنة ١١٩٨هـ، وفي آخر الكتابة اسم الخطّاط "محمد رضا". وتحت هذه البلاطات المحتوية على كتابات قرآنية توجد بلاطات أخرى تختلف عنها في طراز الزخرفة، وفي أسلوب الخط، فالكتابة هنا باللون الأبيض على أرضيّة زرقاء وصفراء، وهي عبارة عن أحاديث نبويّة، وبعضٌ من حِكَم علي عليه السلام وأقواله المشهورة مؤرّخة سنة ١٢٣٤هـ، ثمّ يأتي بعدها اسم من أجرى هذا الترميم وتلك الإضافة ومن أنفق عليها، وهو الحاج عبد الحسين بهادرخان.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

وزخرفت واجهة الباب الخارجية ببلاطات من القاشاني حديث الطراز ، يحتوي على آيات من القرآن الكريم ، وأحاديث نبويّة ، وأبيات من الشعر الفارسي مؤرّخة سنة ١٣٢٧هـ ، وأبيات من الشعر العربي ، منها :

خيـر البريّـة بعـد أحمـد حيـدر ... والنـاس أرض والوصـيّ سـماء

ومن الشعر العربي بيتان للعالم المقدّس الزاهد الشيخ حسين نجف الكبير المتوفى سنة ١٢٥١هـ :

أيـا علّـة الإيجـاد حـارَ بـكَ الفكـر ... وفـي فهـم معنـى ذاتـك التبس الأمـر

وقـد قـال قـوم فيـك والستر دونهـم ... بأنّـك ربٌّ كيـف لـو كُشف الستر[1]

واحتوت الواجهة الخارجية للباب الشرقي الكبير أيضاً على بلاطات من القاشاني ترجع إلى عهد السلطان العثماني عبد الحميد خان الثاني ، كان الغرض منها إلى جانب الزخرفة إثبات تاريخ الترميم التي أُجريت في عهده ، وقد أرّخ ذلك السيّد باقر الهندي المتوفى سنة ١٣٢٨هـ بأبيات تقتصر عليها زخرفة البلاطات وهي تمام الختام للقاشاني :

حضرة قُدْسٍ قد سما سَمْكها ... تزدحم الأملاك في بابها

يودُّ جبرائيل لو أنّه ... يُعَدُّ من جملة حُجّابها

الباب باب الله تاريخه ... (باب عليّ لُذْ بأعتابها)

أمّا من داخل الصحن فيتوسّط الباب الكبير السور الشرقي للصحن ، إذ توجد سبعة إيوانات على كلّ من جانبيه ، كُسيت واجهاتها جميعاً بالبلاط القاشاني الجميل الصنعة والزخرفة .

ويحيط بإطار الباب من داخل الصحن - كما يعلو كلّ رواق من الأروقة الجانبية - شريط من الكتابة العربية بالخطّ الثلث الجميل ، منقوشة على بلاطات من القاشاني ،

---

(١) هذان البيتان مطلع قصيدته الرائية الشهيرة في مدح أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وهي تزيد على أربعمئة وخمسين بيتاً .

فقد كتب في الشريط الذي يعلو الإيوان العلوي الكبير على يمين الباب ما يلي : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .(١)

وفي العهد العثماني سقطت من الطابق الثاني للجهة اليُسرى من الواجهة الداخلية الشرقية للصحن أحجار بعض الأواوين على الزائرين ومات بعضهم ، فحرّك هذا الحادث الحكومة العثمانية على الأمر بقلع الحجر القاشاني وتجديده . كان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني ، واستمر العمل أكثر من أربع سنين بسعي الخازن السيّد جواد الرفيعي ونظارة المعمار أبي جوهر النجفي ، فقلعت أحجار القاشاني جميعها وأعيد الصحيح منها على ما كان عليه وأبدلت الأحجار المهشّمة إلى ما شاكلها ، وكان ابتداء العمل سنة ١٣٢٣هـ . وقد أرّخ الفراغ من العمل سنة ١٣٢٧هـ العلاّمة الشيخ مرتضى بن الشيخ عباس آل كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٤٩هـ ، بأبيات خمسة مكتوبة بالحجر القاشاني على الدعامة اليمنى الداخلية للخارج من الصحن الشريف من الباب الشرقي الكبير ويساره في الطابق الثاني ، وهي :

خليفــــة الهـــادي البـــشير النـــذير	كَهْـــف أمـــان الخـــائف المـــستجير
عبـــد الحميـــد الثـــاني ســـلطان الـــورى	لطـــف مـــن الله اللطيـــف الخبيـــر
عمّـــر صـــحن المرتـــضى فاغتـــدى	كروضـــة تزهـــو بـــورد نـــضير
صـــحن أميـــر المـــؤمنين الـــذي	قـــد خـــصّه الله بـــنصِّ الغـــدير
بهمّـــة الـــشهم كليـــداره	وعزمـــه فيهـــا جـــواد جـــدير
وفـــاز بـــالأجر فأرّختـــه	(إذ جـــدّد الـــسلطان صـــحن الأميـــر)

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣- ١٤ .

قبّة الساعة

يعلو الباب الشرقي الكبير الساعة الكبيرة ، وهي تقوم على سطح سور الصحن على قاعدة مكوّنة من طبقتين مكعّبتين تعلوهما قبّة مقامة على ثمانية أعمدة من الرخام ، ويوجد جسم الساعة في الطبقة الثانية . يرجع تاريخ الساعة إلى سنة ١٣٠٥هـ ، وهي مُهداة من الوزير أمين الدولة . وقد أرّخ نصبها الشاعر الشهير السيّد إبراهيم الطباطبائي بحر العلوم بقصيدة مدح فيها الوزير ووصف الساعة المذكورة بها ، ورد فيها :

ألـوى يخاتِلها بالجدّ واللعب ... ظبي بملعب ذاك الرّبْرَب السرب
وافت بساعة يُمن الأُنس والطرب ... ساعٍ بسعي على المركز القطب
أتى بها السبب الداعي لخير حمىً ... ياربّما سببٌ قد جاء من سبب
قضى له النجف الأعلى بمأثرة ... في العزم فلّت شبا المأثورة القضب
أهدى الأمين أمير العُجْم معربةً ... هديّة لأمير العُجْم والعرب
أتى بما حَيَّرَ الألباب من عجبٍ ... والمرء في حالة يُدعى أخا العجب
ياحبّذا ساعة بالبشر قادمة ... بها علينا تباشير الحيا السكب
كنّا نراع إذا ما الساعة اقتربت ... إذ قال قائلنا للساعة اقتربي
نصغي لرنّة صافي الطاس إن قرعت ... إصغاء ذي طربٍ يصغى إلى طرب
نراقب الوقت منها كلّ آونة ... ياحُبّ مرتقبٍ منها لمرتقب
تدعو إلى الصلوات الخمس مؤذنة ... فتقتضى إربٌ ناهيك من إرب
عاضت عن الشمس قانوناً يبين لنا ... وقتاً فوقتاً إذا غابت ولم تغب
وطاردت في دجى الليل البهيم سرى ... عطارد النجم بين الأنجم الشهب
كأنّما قطب هذا الكون منتصبٌ ... فيها تدور به الأيام في الحقب
فهاكها سلسلة الألفاظ منجبة ... سادت على العشر يابن السادة النجب
ولم أكن حرفتي في رصفها أدبٌ ... وإن إليّ تناهت نوبة الأدب

بمنتهـــى أرب تـــمّ الحبـــور لنـــا أرّخ (بساعة أُنس العيش والطرب)[١]

وفي سنة ١٣٢٣هـ ، كسي أعلا الساعة بصفائح ذهبية من قبل الرجل المحسن التبريزي ، وقيل : إنّ تكاليف تذهيبها بلغت ما يقرب من عشرين ألف دينار .

كما جدّد تذهيب الساعة سنة ١٣٩١هـ ، بسعي المرجع الديني السيّد محمود بن علي الحسيني الشاهرودي .

الباب الشرقي الصغير (باب القيسارية)

ويسمّى هذا الباب أيضاً باب العبايـچيّة ، وقد فُتح في شهر رجب سنة ١٢٥٢هـ ، أيام خازن الروضة المشرّفة وحاكم النجف الملاّ يوسف .

كان موضع هذه القيساريّة داراً للضيافة ومحلاًّ للطبخ من قبل الشاه صفي بن صفي ميرزا بن السلطان شاه عباس الأوّل الصفوي ، وقد تُعرف بالشيلان ، على ذلك نصوص تاريخية نقلتها المجاميع النجفية . ولمّا آلت إلى الإنهدام لمرور السنين المتطاولة عليها وانقراض من ينفق عليها من الصفويين استملكها الملاّ يوسف المذكور بشراء من المرجع الديني الأعلى للشيعة في النجف الأشرف الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ، وبناها قيساريّة ذات فروع لها غرف كثيرة أمامها أواوين ، وفتح لها باباً على الصحن الشريف ، فعرف هذا الباب بباب القيسارية .

وقد أدركنا هذه القيساريّة عامرة مشغولة بالخيّاطين للعباءة والألبسة . وفي عام ١٣٦٨هـ هُدم معظم هذه القيساريّة عند فتح الشارع المحيط بالصحن الشريف من قبل الدولة . وفي عام ١٣٧١هـ أُبدل هذا الباب بأكبر من سابقه بعد تجديده ، بجهود قائمقام النجف الأستاذ أبي فريد ضياء شكارة ، وزخرفت واجهة الباب الخارجي بالبلاطات القاشانية ، وسمّي "باب مسلم بن عقيل" ، وكتب عليه ذلك . كما زخرفت

(١) ديوان السيّد إبراهيم بحر العلوم : ٣٩- ٤٢ . ويطلب المؤرّخ عددين لإكمال تاريخه .

واجهة هذا الباب الداخلية المطلّة على الصحن في الجزء المحصور بين عتبته وقمّة العقد ببلاطات من القاشاني كتب عليها الأبيات السّتة السالفة الذكر في الباب الشرقي الكبير :

يـــا علـــي يـــا أميـــر المـــؤمنين | أنـــت بـــاب الله والحـــقّ المبـــين

وقد أرّخ عام تجديد هذا الباب العديد من الشعراء ، منهم العلاّمة الشيخ مرتضى آل ياسين ، وذلك عام ١٣٧١هـ :

إذا جئـت ذا الـوادي فلج بـاب مـسلم | فوالجـه يلقـى مـن الخيـر مـا يلقـى
تمسّك بـه واسـلم وإنْ مـتّ لـم تُـضَم | فعروتـه أرّخ (هـي العـروة الـوثقى)

ومنهم السيّد أحمد الهندي بقوله :

حـي ضـياء الـدين الـذي شـهدت | لـــه الأيـــادي بـــالعلم والعمـــل
وزاده مـــن مجـــده الطريـــف عـــلاً | بنـــــسب للنبـــــي متّـــــصل
جـــدّد بابـــاً فـــي صـــحن حيـــدرة | خيـــر الـــورى بعـــد ســـيّد الرســـل
أحيـــى بـــه ذكـــر مـــسلم فـــأتى الـــ | ـــتاريخ بيتـــاً عبـــر الزمـــان تلـــي
(اليـــوم جـــدّدت ياهمـــام لبـــا | ب رســـول الحـــسين عنـــد علـــي)

ومنهم الشيخ كاظم السوداني :

بـــابٌ بنـــصر الله والفـــتح ســـما | عـــرّج بـــه لمـــسلمٍ وســـلّم
أنـــار فـــي ضـــوء (ضـــياء) وبـــه | تُهـدى إلـى قبـر الإمـام الأعظـم
بوســـــمه وإســـــمه أرّختـــــه | (نـور الـضيا يحكيـه بـاب مـسلم)[1]

مسجد الخضراء

ومن الآثار والعمائر التي في أقصى الشمال من الجهة الشرقية للصحن الشريف "مسجد الخضراء" ، وهو من المساجد القديمة ومن ملحقات الصحن .

---

(١) شعراء الغري : ٢٦٦/١١-٢٦٧ .

قال شيخنا محمد حرز الدين حول تسمية المسجد بهذا الاسم : الخضرة صنعها درويش هندي في الساحة المتّصلة بالمسجد فيما يقارب عصر الملالي في النجف ، واشتهر بمسجد الخضرة من ذلك التاريخ .[1]

أمّا بناء هذا المسجد فقد نسبه السيّد حسين البراقي[2] إلى علي بن المظفّر النجّار صاحب الرؤيا التي رواها السيّد ابن طاووس عن ابن المظفّر ، قال : كانت لي حصّة في ضيعة فأخذت منّي غصباً فدخلت إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام شاكياً وقلت : يا أمير المؤمنين إن رَدَدْتَ هذه الحصّة عليّ عملت مسجداً من مالي ، فردّت الحصّة عليه ، فغفل مدّة ، فرأى أمير المؤمنين عليه السلام وهو قائم في زاوية القبّة ، وقد قبض على يده وطلع حتى وقف على باب الوداع البرّاني ، وأشار إلى المجلس وقال : يا علي ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[3] ، قال : فقلت : حُبّاً وكرامة يا أمير المؤمنين . فأصبح فاشتغل في عمله .[4]

أقول : لم نجد اليوم في المسجد أثراً تاريخيّاً يستظهر منه شيء . وكانت أرض المسجد القديمة - في القرن السابع الهجري - مساوية لأرض الصحن قبل دفنه . وقد أدركنا بابه الصغير القديم من الصحن الشريف في دهليز ضيّق تحت إيوان الحجرة الثانية في أقصى شمال الجهة الشرقية ، يؤدّي إلى فضاء واسع من توابع أوقاف الصحن ، يقع المسجد من هذا الفضاء - على يمين الداخل إليه - في الزاوية الجنوبية منه .

والمسجد يتكوّن من ثلاث أُسطوانات قديمة إلى الشرق منخفضة البناء ، أمّا الفضاء الشمالي الواقع أمام المسجد فهو من توابع أوقاف الصحن ، وكان يصنع فيه الحجر

---

(١) معارف الرجال : ١/١٦٥ .

(٢) اليتيمة الغروية والتحفة النجفية : ٣٤.

(٣) سورة الإنسان : الآية ٧.

(٤) فرحة الغري : ١٧٨ .

القاشاني لبلاطات الحضرة الشريفة والصحن كما حدّثنا بذلك من أدرك صنعه فيه في العهد العثماني ، وقد أدركنا مواضع طبخ صفائح الفخار والحجر القاشاني في هذا الفضاء الواسع .

وفي سنة ١٣٥٢هـ -١٩٣٤م جدّد بناء هذا المسجد على نفقة الأوقاف بإشراف ونظر الحاج محسن شلاش النجفي .

وفي شهر رجب سنة ١٣٦٨هـ هَدمت الحكومة المحلّية ثلثاً من مساحته عند فتح الشارع الجديد العام المحيط بالصحن من جميع جهاته ، وبعد ترميم المسجد فتحت له باباً على هذا الشارع الجديد أيضاً .

وفي سنة ١٣٨٤هـ هُدم مسجد الخضراء وتوابعه ، وشيّد تشييداً ضخماً بالخرسانة المسلّحة ، فكانت عمارته الجديدة أوّل عمارة من نوعها يعمّر فيها مسجد في النجف الأشرف ، كما وقد شيدت في الطابق الثاني من الساحة التي أمام المسجد مكتبة عامّة يقدّر عدد كتبها بحدود ٢٠٠٠ كتاباً ، وكانت مدّة عمارته سنة كاملة ، وبلغ ما صرف عليه ومتعلّقاته ٢٥٠٠٠ ديناراً .

وكانت عمارة مسجد الخضراء هذه بأمر سماحة المرجع الأعلى رئيس الحوزة العلمية السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي ، تحت إشراف العلاّمة الشيخ أحمد الأنصاري . وقد أرّخ عمارته المغفور له الحجّة السيّد موسى آل بحر العلوم ، بقوله :

أحـــــقّ بتقديـــــسه للـــــصلاة ... بيـــــت الغـــــريّين لا المقـــــدس
غــــداة تجـــــدّد أرّختـــــه ... (تباركـــت مـــن مـــسجد أقـــدس)

وكتب هذا التاريخ في شبّاك الباب الداخلي المؤدّي إلى الصحن الشريف بحروف حديديّة . وقد تبرّع تجّار آذربيجان من سكنة مدينة طهران بـ(١٥) قطعة من السجّاد الإيراني الثمين لفرش هذا المسجد . واليوم يمتلئ المسجد على سعته بطلاّب العلوم الدينية لاستماع محاضرات الأستاذ السيّد أبو القاسم الخوئي دام ظلّه الوارف .

دار الشفاء

هي مستشفى للمجاورين والزوّار والفقراء ، أمر ببنائها الشاه صفي بن صفي ميرزا ابن السلطان شاه عباس الصفوي عند زيارته النجف الأشرف سنة ١٠٤٢هـ - ١٦٣٢م .

يعرف في عصرنا الحاضر بخان دار الشفا ، وهو عبارة عن دار مربّعة واسعة ضخمة الأسس والبناء ، تحوطها غرف أمامها أواوين . يقع في الجهة الشرقية من الصحن الشريف ، يفصل بينه وبين الصحن الشريف زقاق ضيّق يؤدّي لبعض الدور الجنوبية .

كان باب دار الشفاء متّجه نحو الشمال على يسار الداخل إلى الصحن الشريف من الباب الكبير الشرقي ، وكان الزائرون لحرم أمير المؤمنين عليه السلام يأوون إليه ليل نهار في مواسم الزيارات وغيرها . وفي سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٦٢م صار معظم هذا الخان ضمن الشارع العام المحيط بالصحن الشريف ، وبما تبقى من الخان بنيت مدرسة منتدى النشر .

الواجهة الغربية للصحن

الواجهة الغربية من الصحن الغروي الشريف تشتمل على آثار تاريخية كثيرة ، منها وآخرها الباب السلطاني .

الباب السلطاني

يعتبر هذا الباب الخامس للصحن الشريف ، وهو أحدث باب تمّ فتحه ، وإنّما سمّي بهذا الاسم لأنّ السلطان عبد العزيز العثماني أمر بفتحه لسلطان إيران ناصر الدين شاه القاجاري عند زيارته للعتبات المقدّسة في العراق سنة ١٢٨٧هـ ، وحين مجيئه إلى النجف الأشرف صنع له السلطان العثماني الكثير من التشريفات ، كان من ضمنها فتح هذا الباب الجديد الذي كان حُجْرة في جدار الصحن يتقدّمها إيوان كسائر الأواوين ، ويعرف هذا الباب أيضاً بباب الفَرَج ، كما أنّ السوق الجديد الذي أُحدث عند فتح هذا الباب عُرِفَ أيضاً بسوق باب الفَرَج .[١]

---

(١) لهذا السوق أسماء أخرى منها : السوق الصغير ، وسوق القاضي ، وسوق العمارة ، ذكرناها في محلاّت النجف .

وقد أُسندت الواجهة الخارجية لهذا الباب بدعامتين إلى جانبيه، تبرز عن الجدار الجانبي بمقدار ٧٥سم، كما زخرفت الواجهة الخارجية الجديدة ببلاطات من القاشاني.

وأرّخ فتح هذا الباب بقولهم: "باب المغرب". وأرّخه الحجّة الشيخ عباس بن الشيخ حسن آل كاشف الغطاء بأبيات كُتبت بالقاشاني على واجهة الباب بالخطّ الثلث باللون الأبيض والأحمر على أرضيّة زرقاء، يقول فيها:

(عبد العزيز) أعزّ الله جانبه	والدين حُصّن فيه أيّ تحصين
والي الرقاب إمام الخلق كلّهم	خليفة الله في فرضٍ ومسنون
هذي السلاطين في أبوابه وقفت	ترجو النوال على زيّ المساكين
وذي الحوادث أمست كالعبيد له	تكون مهما دهاها هكذا كوني
رأى على البُعد ضيق الداخلين إلى	مثوى الإمام أبي الغرّ الميامين
فجاد في فتح باب أورثت سعة	لزائري قبر باب العلم والدين
قف بها خاضعاً واسمع مؤرّخها	(جلّت عَلَتْ باب سلطان السلاطين)

وممّن أرّخ هذا الباب الشاعر الحاج جواد بدقت الكربلائي، إلاّ أنّه لم يكتب على الباب الجديد، قال:

حضيرة القدس ومثوى حيدر	لكلّ خير شرعت أبوابها
طاولت الأفلاك بارتفاعها	وإنّما أملاكها حجّابها
تنتابها من كلّ فجّ أُمّة	تلوي لها منيبة رقابها
فافتتح (العزيز) باب رحمة	للوفد إذ ضاقت بهم رحابها
بابٌ سما على السماء سَمْكه	كأنّما دُعامه أسبابها
ذو شُرفات قاب قوسين غدا	دنوّها للعرش واقترابها
إنّي لها مؤرّخ (لمّا أتى	مدينة العلم عليّ بابها)[1]

(١) هذا هو تاريخ هدم الغرفة التي فتح الباب عندها، وهو قبل مجيء الشاه بسنة.

وأرّخه أيضاً الشيخ محمد بن جعفر بن أحمد الحلفي الحويزي المتوفى سنة ١٣٠٦هـ:

قـــد فـــتح الـــسلطان مـــن يُمْنِـــه لـــدى البرايـــا بـــاب حـــصن أمـــين
بـــاب حمـــى حـــامي الجـــوار الـــذي مَـــنْ حَلَّـــه كـــان مـــن الآمنـــين
إنْ تـــدخلوها فـــادخلوا ســـجّداً فتلـــك بـــاب حطّـــة المـــذنبين
جـــرى علـــى وفـــق الرضـــا فتحهـــا فنـــال منـــه كـــلّ فـــضل مبـــين
أكمـــل نظمـــي الفـــرد تاريخهـــا (ذا بـــاب سـلطان الـــورى أجمعـــين)[1]

مسجد الرأس

ومن الآثار التاريخية المهمّة في الصحن الشريف الباقية من القرن السابع الهجري حتى اليوم هو مسجد الرأس. يقع هذا المسجد في الجهة الغربية للسور الخارجي الغربي لمشهد أمير المؤمنين عليه السلام يفصل بينه وبين الحضرة المطهّرة "الساباط" الممتد مع الحضرة من الشمال إلى الجنوب.

وصف بناء المسجد

المسجد مستطيل الشكل من الشرق إلى الغرب، يتوسّطه صحن كبير متّسع، وعلى جانبي الصحن من الجهتين الشمالية والجنوبية يوجد إيوانان بهما كثير من الأعمدة المقطوعة من حجر المرمر. وبالكشف على جدران المسجد، وجد أنّها من نفس النوع والحجم الذي بني به جدران المشهد الخارجية، كما أنّ الأجزاء الملاصقة لسور المشهد تدلّ دلالة واضحة على أنّها بُنِيَت مع الحرم العلوي.[2]

تاريخ بناء المسجد

إذا كانت مباني المشهد المقدّس الحالية ليس بها ما يدلّ على آثار عمارة الإيلخانيين نظراً للتجديدات والتغييرات التي قام بها الصفويّون بعدهم، فإنّه توجد

---

(١) معارف الرجال: ٢/٣٦٦.

(٢) مشهد الإمام علي في النجف: ١٣٤.

بعض العمائر التي ما تزال ملتصقة بالمشهد من الجهة الغربية ، مثل هذا المسجد الذي يعرف الآن باسم "مسجد الرأس" ، وكان يعرف أيضاً عند الإيرانيين في النجف بـ"مسجد زير دالان" أي جامع تحت الساباط ، أو "جامع سَرْ" . والمسجد متّسع الأرجاء يكون أكبر المساجد الموجودة بالسور الخارجي للصحن .

قيل : إنّ غازان ملك التتار حينما جاء زائراً مرقد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٩٨هـ ، أمر أن يُبنى مسجد على الموضع المعروف قديماً بموضع رأس الحسين عليه السلام ، وإنّهم أقاموا لبنائه سنة كاملة ضاربين خيامهم في الصحراء بين النجف ومسجد الحنّانة في الثويّة حتى أكملوه ، وعرف هذا المسجد بعد وإلى يومنا هذا بمسجد الرأس .(١)

وجاء في كتاب "مشهد الإمام علي" : أكّد لنا رجوع هذا المسجد إلى عهد الإيلخانيين القاشاني الذي عثر عليه في محراب المسجد ، وكذا البلاطة التي تعلو مستطيل المحراب . فنستطيع أن نقول : إنّ محراب مسجد الرأس يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري أو أوائل القرن الثامن ، وعلى ذلك فإنّ المسجد يرجع إلى ذلك التاريخ على أقلّ تقدير ، وبما أنّ المسجد يعتبر من المباني الملحقة بمشهد الإمام علي عليه السلام ، لهذا فإنّنا نؤيّد الرأي القائل بأنّ العمارة السادسة من عمل الإيلخانيين ، وإنّ بعض آثارها ما تزال باقية في مسجد الرأس .(٢)

تجديد وترميم المسجد

والمبنى الحالي للمسجد جدّد ورمّم عدّة مرات ، فقد جدّد في عهد الشاه عباس الأول عند تعميره الروضة والقبّة المطهّرة والصحن الشريف . كما جدّد في عهد نادر شاه الأفشاري وهو التجديد الأخير ، وذلك عندما قام بتذهيب القبّة والمأذنتين والإيوان الشرقي الكبير سنة ١١٥٦هـ .

---

(١) معارف الرجال : ٣/٢٧٢ .

(٢) مشهد الإمام علي في النجف : ١٣٤ ، ١٣٦ .

وفي "تاريخ نادري" : بذلت رضيّة سلطان بيگم بنت الخاقان شاه حسين وزوجة نادر شاه عشرين ألف نادري لعمارة مسجد الجامع الذي في جانب الرأس الشريف .[١]

وفي "أحسن السير" : أرسلت رضيّة بيگم البسط الفاخرة لأجل الحرم الشريف ، حملها عشرون جملاً ، وتمّ التعمير سنة ١١٥٧هـ.[٢]

ويقال : إنّه شُيّد ثانياً في أيام الحجّة السيّد محمد مهدي بحر العلوم النجفي المتوفى سنة ١٢١٢هـ وبأمره ، وإنّه كان يقول لبعض خواصّه : إنّه موضع رأس الحسين عليه السلام وإنّ المسجد بني عليه ولأجله .[٣]

كما رمّم مسجد الرأس أيضاً في عهد السلطان عبد الحميد ، وطليت جدرانه الداخلية بالطلاءات الزيتيّة ، وصنع له منبر من الرخام الأبيض الجميل ، وقد دوّن على باب المسجد تاريخ هذا الإصلاح ، جاء فيه : حرّر في يوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٠٦هـ .

وفي سنة ١٣٦٨هـ اقتطع من الطرف الغربي للمسجد حدود سبعة أو ثمانية أمتار وأضيف إلى الشارع العام المحيط بالصحن الشريف .

آثار مسجد الرأس

يتكوّن محراب المسجد من بلاطتين مستطيلتين من القاشاني تبلغ مساحتهما ٥٩ سم عرضاً و ١٣٩سم طولاً ، وتتكوّن زخارف المحراب من نقوش نباتيّة وكتابة بارزة على أرضيّة من البريق المعدني ، ويتدلّى من العقد الذي يعلوه رسم قنديل بارز ، ويحيط بالمحراب إطاران من الكتابة بالخطّ النسخي البارز . يتكوّن نصّ الإطار الداخلي من

(١) تاريخ نادري (فارسي) : ٢٣٧ .

(٢) أحسن السير (فارسي) : ٧٤ .

(٣) أوردنا تحت عنوان " مقامي الإمام الصادق" ما أخرجه ابن قولويه ، والشيخ الطوسي ، وابن طاووس ، من أحاديث تشير إلى أنّ رأس الحسين عليه السلام أقبر في النجف قرب مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، فلاحظ .

قوله تعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ٢٨٥ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ . وفي وسط المحراب ، داخل ساحة العقد توجد تكملة الآية الشريفة : ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[(١)]

أمّا الإطار الخارجي فيحتوي على أجزاء غير متّصلة من الآيات رقم ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ من سورة آل عمران ، أمّا الدائرة التي تعلو عقد المحراب فتحتوي على : ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

روى شيخنا الحجّة محمد حرز الدين ، عن الشيخ ميرزا هادي بن إسماعيل الخراساني ، عن الوجيه السادن السيّد داود الرفيعي ، عن أبيه ، عن آبائه : أنّ في المسجد الغربي المتّصل بالساباط إيوان صغير مربّع في الجدار القبلي بين محراب المسجد والساباط ، فيه قبر عليه شبّاك فولاذ ثمين ، وله باب صغير فيه قفل ، هو قبر موضع رأس الحسين بن علي عليه السلام، وإنّ السيّد داود المذكور أوقف الحافظ الراوي الميرزا هادي الخراساني على القبر ، وكانت عليه قطعة ستار خضراء ، وإلى جانب هذا الإيوان صخرة مربّعة بخطّ كوفي .

وقال شيخنا رحمه الله : دخلت إلى المسجد من بابه الأوّل يوم ٢٣ من ذي الحجّة سنة ١٣٥١هـ فنظرنا إلى رسم القبر المذكور فلم نجد شيئاً سوى صخرة على الجدار القبلي طولها أكثر من ذراع يد وعرضها ذراع ، مكتوب عليها مستديراً آيات من القرآن الكريم ، منها قوله : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ ، وفي وسطها سطر كوفي تقريباً .[(٢)]

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ – ٢٨٦ .

(٢) معارف الرجال : ٢٤١/٣ . وجاء في الهامش : كانت الإسماعيلية من الهنود تزور هذا القبر ، بل ترى

الســابــاط

يتّصل الرِّواق المحيط بالروضة الشريفة هو متّصل بالسور الغربي للصحن ولا يفصل بينهما سوى الساباط ، وهو ممرّ مقبيّ يمرّ به كلّ من أراد الالتفاف حول الرِّواق والروضة الشريفة . والساباط في نفس الوقت ملجأ لاستراحة الزائرين ، يقيهم الحرّ والبرد وهطول الأمطار .

يمتدّ الساباط من الشمال إلى الجنوب ، طوله بقدر طول الرِّواق البالغ ٣١ متراً ، وعرضه بقدر إيوان واحد أي حدود أربعة أمتار ونصف ، ويعلو هذا الساباط رواق علوي مقبىً بارتفاع الرِّواق والروضة الشريفة ، وفي مستوى ارتفاع مباني سور الصحن الخارجي .

وفي منتصف الساباط ساحة مربّعة مكشوفة . في حدّها الشرقي كان في القديم باب يفضي إلى غرفة من غرف الرِّواق ، وقد سُدّ ووضع مكانه شبّاك من النحاس الأصفر ، والغرفة لم تزل مغلوقة فيها بعض نفائس الحرم المطهّر . وفي حدّها الغربي إيوان منه مدخل مسجد الرأس في جانب اليسار ، وباب المخزن في جانب اليمين المتّصل بالتكية البكتاشية .

ويتكون هذا الجزء الغربي من الصحن الشريف بما فيه سقف الساباط من طابقين من الإيوانات ، ذات العقود المدبّبة والمقبيّة السقف ، وخلف هذه الإيوانات مجموعة من الغرف بُنيت لإيواء طلبة العلوم الدينية المهاجرين إلى النجف الأشرف والمدرّسين لهم يوم لم تكن مدارس دينية في النجف كهذا العصر الحاضر حيث توفرت فيه المدارس الدينية الحديثة كأقسام داخلية تضم آلاف الطلاّب .

زيارته كاللاّزمة عندهم ، وتكاثروا على زيارته . وعلى أثر هذا التكاثر فتحت إدارة الأوقاف العثمانية في النجف باباً للمسجد من تكية البكتاشية وسدّت باب المسجد الأول من الساباط ، وصار الهنود وغيرهم من الزائرين يدخلون من التكية ، ثم سدّوا هذا الباب وبقي المسجد مغلوقاً سنين عديدة حتى احتلال العراق وتشكيل حكومة عربية في العراق ، وفي هذا الدور صار الكشف الثاني للقبور في الصحن ، وبدأ التعمير سنة ١٣٥١هـ.

وفي حدود سنة ١٣٨٢هـ كُسي الممرّ (الساباط) ببلاطات القاشاني ، وكانت سقوف بعض أواوين الساباط الجنوبية حتى سنة ١٣٩٧هـ خالية من القاشاني .

تكية البكتاشية

هي بناية أثرية فخمة على غرار أُسس الصحن ، فيها غرف وأواوين أُعدّت للزائرين ، وفيها قاعات للإجتماعات ، وزوايا للمترهّبين من المتصوّفة للعبادة . موقعها في الجهة الغربية للصحن الشريف ، وبابها من أحد أواوين الصحن .

وتتكوّن التكية من قسمين رئيسيين : القسم الأول خاص للصلاة والدروس الجماعية ، وهو عبارة عن مربّع مكوّن من أربع إيوانات متعامدة يشبه شكل المدارس الدينية ذات الإيوانات المتعامدة ، يتوسطها صحن صغير مكشوف . أمّا القسم الثاني فخاص بسكن المتصوّفين ، وهو مربّع الشكل كذلك ، ويتكوّن من طابقين كلّ طابق به مجموعة من الغرف وما يلزمها من دورات المياه .

وكانت لهذه التكية أوقاف خاصّة كثيرة على ضفّة نهر الهنديّة (الفرات) ضمن ناحية الكفل ، وهي أرض زراعية تدرّ ثروة لا بأس بها ، وعليها موكّل بالصرف .(١)

قال المقريزي : إنّ أوّل بيت أُنشئ للمنقطعين للعبادة كان في البصرة في خلافة عثمان بن عفّان ، وذلك أنّ زيد بن صوحان بن صبرة عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرّغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلاّت فبنى لهم دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره . وقد انتشر هذا النوع من المساكن والعمائر الخاصّة بإيواء الصوفية في القرن الرابع الهجري وخاصّة في شرق العالم الإسلامي ، وقد عرفت في ذلك الوقت باسم "الخانقاه" ، واستمر لفظ الخانقاه مستعملاً في جميع أنحاء العالم الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري عندما تولّت

---

(١) الأحلام : ٦٨ . مشهد الإمام علي في النجف : ١٥٨ .

الدولة العثمانية زعامة العالم الإسلامي فاختفى لفظ "الخانقاه" وجعل محلّه لفظ "التكية" وهي كذلك عمائر يختلى فيها لعبادة الله تعالى .[١]

أمّا كلمة البكتاشية فهي اسم لفرقة صوفيّة تركيّة تنسب إلى السيّد محمد بن إبراهيم آتا ، الشهير بالحاج بكتاش . وهو وليّ تركيّ من أتباع الشيخ أحمد اليسوي ، قدم إلى الأناضول من خراسان في القرن الثالث عشر للميلاد .[٢]

وقال شيخنا محمد حرز الدين في "مراقد المعارف" : بكتاش الصوفي ، هو الشيخ محمد الرضوي الملقّب "بكتاش" المعروف عندهم أنّه من أولاد إبراهيم الثاني الرضاعي ، وقيل من أولاده النسبي الذي هو من أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام المتوفى بأرض التركمان سنة ٧٣٨هـ . هاجر من خراسان إلى العراق وأقام مدّة في النجف الأشرف مجاوراً مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، واعتكف في إحدى حجر صحن مرقده الشريف . وبعد توسعة الصحن الغروي عمّر موضع معتكف بكتاش هذا تعميراً جيّداً فخماً ، وجعلته البكتاشيّة من الأتراك "تكية" أي مقرّاً لهم في النجف الأشرف . وفي سنة ١٢٩٦هـ كنّا ندخل إلى التكية هذه بدعوة من علماء الأتراك وقُضاتهم ومرشديهم ، فنشاهد فيها شعارات الدروشة كالفؤوس الخاصّة والكشاكيل الثمينة معلّقة في الجدار القبلي من التكية . حدّث بعض مرشدي البكتاشيّة المعاصرين أنّ الشيخ محمد بكتاش اعتكف بالنجف الأشرف سنين عديدة ثم قصد بيت الله الحرام واعتكف فيه أيضاً ، وكان في أوائل عهد السلطان مراد بن السلطان أورخان بن عثمان الغازي المعروف بـ"غازي خداوندكار" المتوفى سنة ٧٩١هـ .[٣]

وللحاج بكتاش كتاب عربي اسمه "مقالات" ، يبدو منه اتّباعه لعقيدة الإثنى عشرية ، والتولّي والتبرئة .

---

(١) الخطط المقريزية : ٤/٢٧٢ .

(٢) مشهد الإمام علي في النجف : ١٥٧ .

(٣) مراقد المعارف : ١/ ١٩٥- ١٩٦ .

تاريخ بناء تكية البكتاشية

من المرجّح أن تكون تكية البكتاشية الموجودة بالصحن العلوي قد بُنيت في حياة الحاج بكتاش أي في القرن الثامن الهجري ، فمن الثابت أنّه اعتكف مدّة من الزمن في النجف الأشرف . أمّا المبنى الموجود حاليّاً فإنّه يشبه إلى حدّ كبير الإيوانات الجانبية للسور الخارجي للمشهد أي إنّه يرجع إلى العصر الصفوي . ولمّا استولى العثمانيون على العراق عنوا بهذه التكية عناية خاصّة ، فكانت محلّ المتصوّفة من الأتراك ، وفيها ضيافتهم ومنزلهم عند مجيئهم إلى النجف .

الواجهة الشمالية للصحن

كغيرها من واجهات الصحن الشريف يوجد في الواجهة الشمالية طابقان من الإيوانات . ويبلغ عدد الإيوانات على كلّ جانب من جانبي الباب الشمالي (باب الطوسي) ثمانية في الطابقين على الجانب الأيمن ، واثنا عشر إيواناً على الجانب الأيسر . وعقود الإيوانات مدبّبة ، وزخرفت أركان الإيوانات بصنفين من المقرنصات ، وقد كُسيت جدران إيوانات الطابقين ببلاطات القاشاني التي يرجع معظمها إلى العصر الصفوي .

وتوجد خلف إيوانات الطابقين مجموعة من الغرف مخصّصة لمبيت الوافدين لزيارة المشهد ، وللدارسين من الطلبة الغرباء . ويعلو رؤوس عقود الطابق الأول من الإيوانات شريط من الكتابة الفارسيّة محجوزة في بحور ، ترجمتها أقوال مأثورة للإمام علي عليه السلام .

أمّا الطابق الثاني من الإيوانات فيعلو رؤوس عقوده شريط من الخطّ الثلث الجميل يحتوي على الآيات القرآنية من سورة المُلك كلّها ، وهي : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ...﴾ إلى آخر السورة .[1]

ومن آثار الواجهة الشمالية للصحن الشريف :

---

(١) مشهد الإمام علي في النجف : ١٧٥ .

باب الطوسي

يعتبر باب الطوسي الباب الثاني للصحن الشريف ، ويقع في الجهة الشمالية منه . نسبة هذا الباب إلى الطوسي هو ما ورد من أنّ شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٠٦هـ كان يدخل ويخرج منها لزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، لقرب داره من هذا الباب . وقيل أيضاً : إنّ تأدية هذا الباب إلى مرقد الشيخ الطوسي جاءت منه هذه التسمية .

في سنة ١٣٦٩هـ قلع الباب القديم الصغير ووسّع المدخل (الدهليز) وزيد فيه بأخذ شيء من رواق عمران بن شاهين ، وجدّد بابه سنة ١٣٧٢هـ بأكبر منه ولا يزال الباب موجوداً حتى يومنا هذا . وكانت خمسة أبيات من الشعر العربي على الواجهة الخارجية لباب الطوسي كتبت بصفائح القاشاني قبل توسعة الدهليز والباب المؤدّي إلى الصحن الشريف ، وهي :

يا زائراً جدث الوصيّ المرتضى ... لُذْ في حماه وقف بجانب بابه
واخضع لعزّ جنابه والْثَمْ ثرى ... أعتابه وانشق عبير ترابه
وادخل بآداب السكينة واستلم ... أركانه عند الطواف بغابه
وقل السلام عليك يا مَن حُبّه ... كلّ الخطايا في غدٍ تمحى به
ومليك فازعة المعاد إيابه ... وحسابه وثوابه وعقابه

وكتب في آخرها : "نَمَّقَه الراجي ناجي" [(١)] . وقد أدركناها وقرأناها قبل هدمها .

مدخل (دهليز) باب الطوسي

هو عبارة عن مدخل معقود يبلغ ارتفاعه حدود خمسة أمتار ، وطوله ما يقارب ٢٠,٥ متراً ، وعقده مدبّب . وقد زخرف بطن العقد بأقباء متقاطعة ، كما زخرفت

---

(١) هو الشيخ ناجي بن الشيخ محمد بن الشيخ علي قفطان السَعدي من قبيلة بني سعد . ستأتي ترجمته في حوادث سنة ١٢٧٨هـ في الجزء الثاني من الكتاب .

أركان المدخل بالمقرنصات الدقيقة المتكوّنة من صف واحد ، وزخرف رأس العقد ببلاطات من القاشاني بها زخارف نباتية دقيقة .

ويحيط بالمدخل كلّه شريط عريض من القاشاني به كتابة بالخطّ الثلث الجميل مكتوب على مستويين ، ويتكون من الآيات الآتية : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ حتى الآية ١٤ من سورة الفتح .[١]

رواق عمران بن شاهين[٢]

يقع في الجهة الشمالية للصحن الشريف والحرم المطهّر مباشرة ، وهو من أقدم العمائر الباقية في النجف الأشرف ، إذ يعود تاريخ بنائه إلى أواسط القرن الرابع الهجري ، لنذر نذره عمران بن شاهين فوفى به . والموجود منه اليوم الجناح الشمالي ، وقد طرأت عليه ترميمات مع حفظ بقاء هيكله .

كان رواق عمران يقرب من الجهة الشمالية لرواق الحضرة الشريفة الموجود اليوم ، ومفصولاً عنه بخطوات قليلة . وعند مجيء الشاه عباس الأول إلى النجف وعمارته للصحن الشريف والروضة المطهّرة هدم قسماً كبيراً من رواق عمران وأدخله في الصحن ووسّع ساحة الصحن من الجهة الشمالية وجعله على سمت الصحن القديم (حوش الحضرة) . ولمّا جاء دور الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول وتشرّفه بزيارة النجف الأشرف قام بشراء الدور المجاورة للصحن من جهة الشرق والقبلة وأدخل أرضها في الصحن لتوسعته من جهاته الثلاث الشمال والشرق والجنوب ، وهي العمارة الموجودة اليوم .

---

(١) مشهد الإمام علي في النجف : ١٧٥ .

(٢) عمران بن شاهين الخفاجي ، أمير البطيحة . ستأتي ترجمته في الجزء الثاني من كتابنا في أحداث سنة ٣٦٩ هـ.

وهناك من يرى أنّ رواق عمران بن شاهين هو مسجد ، واستند في ذلك إلى تحكيم كتابة آية المساجد في كتيبة الطابق الثاني من الجهة الشمالية للصحن الغروي ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ .[(١)]

قال الشيخ عبد العزيز الجواهري : وكان مسجد النجف متّصلاً برواق الحرم المقدّس ثمّ فصل عنه بالصحن الشريف الذي بناه الشاه عباس الصفوي ، وله اليوم بابان : باب عند دهليز باب الطوسي ، وباب في الصحن اندرست آثاره حيث صار مدفن السيّد محمد كاظم اليزدي ، وأزيل عنه شعار المسجديّة مع قيام الشواهد والدلائل القرآنية المرسومة على طاق الإيوان الظاهر فيه الباب المذكور على مسجديته .[(٢)]

وقال جماعة من أهل التحقيق في الآثار : بأنّ المشهور والمأثور أنّ عمران بن شاهين بنى رواقاً ، وقد يقال إنّه بعد انفصاله عن الحرم العلوي بالصحن رتّبت على البقية الباقية منه آثار المسجديّة ولا دليل عليه . وعلى هذا فإنّ رواق عمران بن شاهين من جملة أروقة الحرم العلوي ، ولا ريب في جواز الدفن فيه ، وقد دفن فيه الشيخ محمد باقر المقدّس القمّي وغيره من العلماء قبل دفن آية الله السيّد محمد كاظم اليزدي ، ويستشهد على ذلك باللوحة التذكارية التي ما تزال مثبتة على بابه في دهليز باب الصحن المؤرّخة في شهر صفر سنة ٧٧٦هـ ، ويظهر أنّها كانت على مقبرة ما .

ومن الآثار النادرة النفيسة في داخل رواق عمران هذا لوحة من الفسيفساء مبنيّة في أعلى الجدار الجنوبي الشرقي قرب السقف للإحتفاظ بها ، وهي تُرى للناظر اليوم .

قال شيخنا البحّاثة محمد حرز الدين : وجد على أحد هذه القبور الجليلة - يعني قبور سلاطين الإيلخانيين في الصحن الشريف - قطعة من الفُسيفساء كبيرة ذات نقوش

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

(٢) آثار الشيعة الإمامية : ١٢٨/٣ .

فنيّة وثمن غير يسير ، فحُملت إلى بغداد ولم يعلم حالها مدّة عند تعبيد أرض الصحن بالمرمر وإزالة القبور البارزة في أوائل القرن الثالث عشر سنة ١٢٠٦هـ ، ثم أرجعت إلى النجف ، وقيل بعض منها ، وبنيت في أعلى جدار رواق عمران بن شاهين لحفظها ولا تزال تُرى أو شيء منها .[(١)]

المدرسة الغرويّة

تقدّم الحديث عنها في الفصل الخامس تحت عنوان "نشوء المدارس العلمية في النجف" .

الواجهة الجنوبية للصحن الشريف

باب القبلة

يتوسّط هذا الباب الجدار الجنوبي الخارجي للصحن ، وإنّما عُرف بباب القبلة لأنّ الخارج منه يواجه القبلة . وقد طرأ على هذا الباب تجديد وتصليح عدّة مرّات ، ولعلّ أقدم التواريخ المشيرة إلى إعمار الباب القبلي ما ورد في ديوان الشاعر الشيخ محسن الخضري :

هتف البلبل في تاريخها ... (أثر الشبل على باب الأسد)[(٢)]

سنة ١٢٧٦هـ .

وفي "كتاب النوادر" : إنّ هذا الباب كان صغيراً ومن جذوع النخل الأشرسي ، فاصطنع الوزير شبلي باشا باباً سنة ١٢٩١هـ ، وهو منذ ذلك التاريخ إلى سنة ١٣٤٠هـ كان قائماً قوياً . وذكر الشيخ أحمد قفطان الشاعر الأديب في مجموعه الشعري تاريخ تجديد الوزير هذا الباب ، وقد كتب بالقاشاني على واجهة الباب الخارجية للصحن الشريف :

إنّ هذا الباب قد جدّده ... ملك الدهر السري بن السري

---

(١) معارف الرجال : ٢٤١/٣ .

(٢) ديوان الشيخ محسن الخضري : ١٦١ .

شـــاده (شـــبلي باشـــا) واســـعاً بعـــد أن جـــاوز حـــدّ الـــصغر
وسـعى فيـه الجـواد بـن الرضـا خـادم الروضـة سـامي المفخـر
فـأتى مـن ذا وهـذا شـامخاً فـي علـوّ ورتـاج مبهـر
قـال شـبليّ ولـم يـرض الـذي أرَّخَتْـه فيـه أهـل الـسير
أنـت يـا شـبليّ أرِّخْـه وقـل (بـاب شـبلي لمثـوى حيـدر)[1]

كما أرّخه بهذا التاريخ السيّد إبراهيم بحر العلوم المتوفى سنة ١٣١٩هـ بقصيدة مثبتة في ديوانه، قال فيها:

لقـد فـتح الـشبلي للمرتـضى بابـا عـلا بعلـيّ ذروة العـرش أعتابـا
وحيث رأى الصحن الشريف تعاكفت عليـه وفـودٌ تبتغـي الرفـد طلاّبـا
فـشاد لـه بابـاً رفيعـاً يـودّ لـو يقـوم عليـه الـدهر رضـوان بوّابـا
ودام مـدى الأحقـاب بابـاً مـشيّداً وخيـر صـنيع الخيـر مـادام أحقابـا
هـو الـشبل لا غـاب لـه فيكنُّـه ولـم أرَ شـبلاً قـطّ لـم يفتـرش غابـا

إلى أن يقول مؤرّخاً

ومـذ وقـع الـشبلي فـي بـاب حيـدر وجيـز خطـابٍ قـد تـضمّن أطنابـا
ترصّـع بالـسبع[2] الـسواري فـأرّخوا (نعـم فـتح الـشبلي لحيـدرةٍ بابـا)[3]

وجاء في ترجمة الشيخ عباس بن الشيخ حسن كاشف الغطاء من "شعراء الغري" ما يلي: وله يؤرّخ أحد أبواب الصحن الحيدري الواقعة في جهة الغرب والمسمّاة بباب الفَرَج، وقد فتحها شبلي باشا في عهد السادن السيّد جواد الرفيعي، وذلك عام ١٢٩١هـ:

هـذا الأميـر الـشبل خيـر معظـم زمـر الملـوك العـز تحـت ركابـه

(١) كتاب النوادر: ٧/٤٤.

(٢) فيه إشارة إلى إضافة رقم سبعة.

(٣) ديوان السيّد إبراهيم بحر العلوم: ٣٩.

بالعـدل سـار فكـان أكـرم حـاكمٍ   حـق كـأنّ العـدل مـن نوّابـه
هـو للمطيـع شـراب عـذب سـائغ   وعلـى العـصاة يـضيب سـوط عذابـه
نظـرت عيـون البُعـد منه إلـى حمـى   مثـوى الوصـي وضـيق بـاب جنابـه
فقـضى ووسّـع بـاب مـن بيمينـه   يجـري القـضا بذهابـه وإيابـه
أمـر الجـواد فوسّـعت أرجـاؤه   للزائـرين وحـاز كـلّ ثوابـه
فتباشـروا بـالفتح للبـاب الـذي   جبريـل والأمـلاك مـن حجّابـه
رفعـوا لـواء الحمـد فيـه وأرّخـوا   (صـحن الأميـر الـشبل فـاتح بابـه)[1]

أقول : وهذا من سهو القلم ، فإنّ شبلي باشا وسّع الباب القبلي للصحن ، وأرّخها الشعراء ، منهم فضيلة الشيخ عباس بهذا التاريخ . وأمّا باب الفَرَج والمعروف بالباب السلطاني فقد فتح للسطان ناصر الدين شاه سنة ١٢٨٧هـ أيام الوالي مدحت باشا في ظل السلطان عبد العزيز العثماني ، وقد تقدّم .

الإيوان الكبير الجنوبي

الإيوان الكبير الجنوبي حجمه وارتفاعه كحجم إيوان ميزان الذهب الشمالي والمقابل له . أصبح هذا الإيوان مقبرة للعلماء والوجوه ، واشتهر أخيراً بإيوان العالم المجاهد الشهيد السيّد محمد سعيد الحبّوبي الحسني ، حيث أُقبر فيه سنة ١٣٣٣هـ بعد شهادته في جهاده الإنكليز غزاة العراق . وأُقبر فيه العالم الزاهد الشيخ علي رفيش عنوز سنة ١٣٣٤هـ ، والعالم السيّد ياسين آل صعبر سنة ١٣٤١هـ ، والعالم المقدّس الشيخ باقر القاموسي سنة ١٣٥٢هـ .

وقد كُتب في وسط هذا الإيوان بالبلاطات القاشانية ما نصّه : "قد تمّ بالملك الأقدس الأمجد بنظر عبد من عبيد تلك الحضرة (أحمد) سنة ١١٩٨هـ" .

---

(١) شعراء الغري : ٥١٦/٤ .

والمعروف أنّ أحمد هذا هو النوّاب الذي جاء إلى النجف الأشرف وبذل الأموال الطائلة لصنع الحجر القاشاني في الصحن الشريف .

وفي هذا الإيوان أيضاً أبيات شعر مكتوبة على بلاطات قاشانية ، هي :

سلامٌ على السيّد المصطفى — سلامٌ على العالم المرتضى
سلامٌ على بنت خير الأنام — سلامٌ على الطاهر المجتبى
سلامٌ على نور عين النبيّ — عظيم المصيبة في كربلا
سلامٌ على السيّد المصطفى — سلامٌ على العالم المرتضى
سلامٌ على بنت خير الأنام — سلامٌ على الطاهر المجتبى
سلامٌ على نور عين النبيّ — عظيم المصيبة في كربلا
سلامٌ على العابد المتّقي — حزين الفؤاد كثير البُكا
سلامٌ على الباقر المتّقي — سلامٌ على الصادق المُرتجى
سلامٌ على الكاظم المهتدي — سلامٌ على نجل موسى الرضا
سلامٌ على الفاضل المتّقي — سحاب مكارم بحر السخا
سلامٌ على ابن التقيّ النقي — عليّ المقام إمام الهدى
سلامٌ على السيّد العسكري — غياث المحبّين والأوليا
سلامٌ على الحجّة المختفي — إمام الهدى خاتم الأوصيا
سلامٌ عليهم كما ينبغي — سلامٌ سليم بلا منتهى

وكتب في هذا الإيوان بالبلاطات القاشانية هذان البيتان :

إنّ محمد ربيع مُذْ قد غدا — معمارها ما بفوزه شك
جنّة عدن بالمسك قد خُتمت — فقُمْ وأرّخ (ختامها مسك)

ثانياً : رواق الحرم المطهّر

الرِّواق ، في اللغة : سقف في مقدَّم البيت ، والرِّواق : سِتْر يُمَدّ دون السقف .(١)

ورواق مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو صرح أثري شامخ البناء ، ضخم الأسس والدعائم ، عجيب التصميم والهندسة ، مزدان بالمعلّقات الأثريّة الثمينة ، والمصابيح الكهربائية بأنواعها . ويحيط الرِّواق بالحضرة المطهّرة من جوانبها الأربعة . أضلاعه متساوية المساحة ، متّحدة الشكل والهيئة والمنظر الفنّي الجميل ، فكلّ ضلع منه طوله خمسة أساطين ، وكلّ أُسطوانة طولها حدود ٥ أمتار وعرضها ٦ أمتار ، بارتفاع متساوي الأضلاع في الجهات الأربعة بحدود ١٥ متراً .

يتوسّط الرِّواق المحيط بالروضة الشريفة الصحن من جهاته الثلاث عدى الجهة الغربية فإنّه يفصل بين الرِّواق والسور الخارجي للصحن الممر (الساباط) وقد تقدّم . ويبلغ طول الرِّواق الممتدّ من الشمال إلى الجنوب موازياً إلى طول الساباط ٣١ متراً ، وعرضه من الشرق إلى الغرب ٣٠ متراً ، وارتفاعه ١٧ متراً كارتفاع سور الصحن الخارجي . وكُسيت جدران الرِّواق الخارجية المطلّة على الصحن ببلاطات القاشاني القديم الذي يعود جلّه إلى العهد الصفوي ، وبعضه إلى عهد نادر شاه الأفشاري ، ذات النقوش المتعدّدة ، والزخارف المتنوّعة ، والألوان المتكثّرة التي يعجز الفن الحديث عنها ، كما كُسيت جدران الصحن وأواوينة من داخله كذلك .

ويعلو الجدار الخارجي للرواق المطلّ على الصحن الشريف شمالاً كتيبة من القاشاني باللون الأبيض على أرضيّة زرقاء ناصعة كتب عليها ﴿سورة المدثّر﴾ و ﴿سورة القدر﴾ .

وقد كُسيت واجهات الإيوانات المطلّة على الصحن جانب الشمال والجنوب

---

(١) لسان العرب : مادة (روق) .

ببلاطات من القاشاني التي يرجع معظمها إلى الطراز الصفوي والقليل منها إلى الطراز العثماني ، ويعلو الطابق العلوي من الإيوانات كتيبة في شريط من الكتابة العربية بالخطّ الثلث الجميل . ونصّ كتيبة الجزء الذي يحيط بأعلى الروضة ما يلي : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.[1]

أمّا الكتيبة التي تعلو الجانب الشمالي من الروضة والجزء الشمالي من السور الغربي فتحتوي على النصّ التالي : ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ..﴾ إلى آخر سورة الفجر .

ويحيط بالرّواق من جهاته الأربع طابقان من الغرف تطلّ على الصحن الشريف من خلفها ، أمّا غرف الطابق الأول فلها أبواب من داخل الرّواق ، يفصل بينها وبين الصحن شبابيك كبيرة ضخمة الهيئة ، معمولة من الفولاذ المكسو بالنحاس الأصفر على هيئة كرات متوسّطة الحجم ، وقد أصبحت هذه الغرف مقابر دفن فيها العلماء والوجوه والسلاطين والأمراء من الشيعة ، واشتهرت غرفة منها في الجانب الشمالي بمقبرة الشاهات ، كُتبت أسماؤهم على دكاك قبورهم .

وغرف الطابق الثاني من الرواق كانت مسدودة لا تعرف مداخلها ، حتى أن دخلت سنة ١٣٥٩هـ وشرعوا في إصلاح التجاويف والفراغات الهندسية في سُقف الأروقة والحرم ، فعثروا على أبواب هذه الغرف وأصلحوا سقوفها ، كما قامت اللجنة المشرفة على تعمير الحرم - المخوّلة من مديرية الأوقاف العراقية بعضوية الحاج عبد الزهراء فخر الدين والمعمار الفنّي الحاج سعيد - بفتح شبابيك صغيرة لتهوية هذه الغرف تطلّ على الصحن في الجهتين الشمالية والجنوبية ، واستعملت اليوم هذه الغرف كمخازن

---

(١) سورة الإنسان : الآية ١-٣.

لبعض أثريّات الحرم المطهّر مثل السيوف والبنادق القديمة المهداة من قبل سلاطين وملوك وأُمراء المسلمين عبر القرون.[(١)] وكانت هذه الأسلحة الحربية القديمة مخزونة في إحدى الغرف الجنوبية للصحن الشريف في الغرفة المجاورة لخزانة الكتب المخطوطة. وفي سنة ١٣٧١هـ نقلت هذه الأسلحة القديمة إلى الغرف الجنوبية في الطابق الثاني من الرواق، وقد شاهدناها بإمعان حين كان سدنة الروضة الشريفة والخدم يحملونها ويصعدون بها من مرقاة تقع خلف المصراع الأيسر لباب الرِّواق الجنوبي القبلي.

وفي سنة ١٣٦٠هـ عُثر على تصدّع في أُسس الرِّواق الجنوبي، فهبّ الرجل النبيل عبد الرحمان جودت قائمقام قضاء النجف، وأحضر اللجان والخبراء والمعمارين لفحص أُسس الرِّواق من مدخل تحت باب المراد جانب الصحن الشريف، ونزل هو مع الخبراء إلى سراديب الرِّواق وإذا بأُسس الحرم تنذر بالخطر من جرّاء نبش القبور قرب أُسس الرِّواق، فعجّل بمباشرة بناء ضبط الأُسس المفرغة المنهارة بأحسن وجه وبفنّ حديث، كما منع الدفن في الرِّواق في هذه السنة، وكان صرف هذه المبالغ من الأوقاف العامّة.

---

(١) استخدمت هذه الأسلحة في الدفاع عن مجاوري المرقد المطهّر في النجف الأشرف، فالقبر الشريف يقع في بلد مكشوف على حافّة الصحراء المتّصلة بصحراء الشام ونجد، وهو معرّض لغارات الأعراب والحروب الطائفية. ففي مستهل القرن الثالث عشر الهجري وحينما ابتليت مدينة النجف بغارات أعراب ابن سعود النجدي، استخدم هذه الأسلحة المذكورة الإمام الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، فأخرجها من خزائنها وحملها إلى رجال الدين ومن قدر على حمل السلاح من أهل النجف، وتدرّبوا على رمي البنادق خارج المدينة ليحفظوا بلادهم من الغزو. هذا قبل بناء سور مدينة النجف الأشرف الكبير والأخير، وسيأتي في أحداث القرن الثالث عشر الهجري سنة ١٢١٣هـ ماله صلة بالموضوع.

الواجهة الشرقية للرواق

في الواجهة الشرقية للرواق توجد آثار هامّة بارزة ، هي :

البهو (الطارمة)

يتقدّم الرُّواق من جهة الشرق بهو (طارمة) . يبلغ عرض هذا البهو ٢٠ متراً وطوله ٣٣ متراً ، ويرتفع عن أرضيّة صحن المشهد الغروي بمقدار مرقاتين ، والبهو يواجه الباب الرئيسي الشرقي للصحن الأقدس ، ويطل عليه الإيوان الذهبي الكبير والمنارتان .

الإيوان الذهبي الكبير

عرف بالإيوان الذهبي لأنّ جدرانه وقبو عقده كُسيت بصفائح من الذهب الخالص ، وتتدلّى في وسطه سلسلة ذهبيّة ربط بها نادرشاه في عنقه وأمر أن يُسحب إلى الحرم خاشعاً ضارعاً ، وأبقى هذه السلسلة ذكرى لذلك الإنقياد ، كما قيل . وقد حفل هذا الإيوان أيضاً بكثير من الزخارف بجانب الصفائح الذهبيّة ، كما نقش عليه كثير من الكتابات بعضها باللغة الفارسيّة . ففي وسط الإيوان الذهبي وعلى جانبي بابه كُتبت قصيدة فارسيّة حُفرت حروفها حفراً وطُليت بالذهب ، وهي في مدح الإمام علي عليه السلام ، للشاعر الشهير عَرفي الشيرازي المتوفى سنة ٩٩٩هـ ، وتعرف بـ"هراس ومماس" ، منها :

اين بارگاه كيست كه گويند بى هراس	كاى اوج عرش سطح حضيض ترا مماس
منقار بند كرده ز سستى هزار جا	تا اولين دريچه آن طاير قياس
آورده گوشوار مرصع بهديه عرش	كز وى علو شان بستاند بالتماس
نى سايه اش لباس ببر كرده از علو	نى كرده نور مهر زر اندوديش لباس
از بسكه نور بارد ازو در حواليش	خورشيد روشنى كند از سايه اقتباس [١]

مختومة باسم كاتبها محمد جعفر الأصفهاني ، ومؤرّخة سنة ١١٥٦هـ .

---

(١) وردت هذه القصيدة كاملة في ديوان الشاعر المسمّى "كلّيات عرفي شيرازي" : ٨٦.

وكتب على يمين الإيوان الذهبي بيتان من الشعر العربي ، هما :

لا تُقبـل التوبـة مـن تائـبٍ إلاّ بحـبّ ابـن أبـي طالـب

حُـبُّ علـي واجـب لازم فـي عنـق الـشاهد والغائـب

وكتب في أعلى جدار واجهة الإيوان الذهبي بالخطّ الثلث البارز الكبير بحروف ذهبيّة تاريخ تذهيب القبّة الشريفة والمأذنتين وهذا الإيوان بأمر السلطان نادر شاه الأفشاري ، ما نصّه :

الحمد لله تعالى قد تشرّف بتذهيب هذه القبّة المنوّرة والروضة المطهّرة الخاقان الأعظم سلطان السلاطين الأفخم المظفّر المؤيّد بتأييد الملك السلطان نادر أدام الله ملكه وسلطنته ، وأفاض على العالمين برِّه وعَدْله وإحسانه ، وقيل في تاريخه : "خلّده الله ودولته" ، سنة ستّة وخمسين ومئة بعد الألف ١١٥٦هـ.

وكانت جدران هذا الإيوان والقبّة الشريفة والمأذنتان في عهد الشاه عباس الصفوي مزدانة ببلاطات القاشاني النفيس ، ثمّ جدّده حفيده الشاه صفي ، حتى جاء عهد السلطان نادرشاه ، فأمر حين ورد النجف زائراً بقلع وإزالة بلاطات القاشاني عن القبّة المنوّرة والإيوان والمأذنتين ، وإبدالها بصفائح ذهبية ، وبذل لأجل ذلك أموالاً طائلة ، كما وضع في خزانة المشهد الغروي تحفاً جسيمة .

في كتاب "نادر نامه" ما ترجمته : حينما صدر الأمر من السلطان نادرشاه بتذهيب القبّة المباركة امتثل أمره بذلك خدّام العتبة الملوكية أحسن امتثال فاعتنوا بتذهيب القبّة المطهّرة أحسن عناية ، وقد ضبطوا حساب ما صرف لهذا المشروع فبلغ ما يعادل خمسين ألف تومان ، وقد أحال حساب ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام .[١]

وفي هذا الإيوان الذهبي دفن كثير من العلماء والوجوه والأعيان كانت أسماء جملة منهم مكتوبة على الصخر النجفي القديم ، وقد ضاعت أسماؤهم حينما أبدلوه بالمرمر اليزدي .

---

(١) نادر نامه (فارسي) : ٤٧٣ .

وفي سنة ١٣٦٨هـ قلع الصفيح الذهبي لهذا الإيوان وأُصلحت جدرانه ، ثمّ أُوقف العمل سنتين ، ثمّ صدر الأمر من الحكومة العراقية بإعماره ، فكانت مباشرة العمل بعمارته يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ ، وفي أواخر هذا العام أكمل بناء هذا الإيوان وتمّت إعادة الصفيح كلّه .

المئذنتان

من الأجزاء المعمارية الهامة في مشهد الإمام علي عليه السلام مئذنتاه . والمئذنتان عبارة عن أسطوانتين ترتكزان على قاعدتين متعدّدة الأضلاع إرتفاعها متر عن سطح البهو (الطارمة) ، وهذه القاعدة مغطّاة بكسوة من المرمر الأخضر ، وتستدق الأسطوانتان كلّما اتجهتا إلى أعلى حتى إذا وصلتا إلى ارتفاع ٢٥ متراً أحاط بالمأذنتين شريطان من الكتابة العربية عرضهما متر واحد ، بهما آيات من ﴿سورة الجمعة﴾ ، ويعلو شريطا الكتابة صفّان من المقرنصات ترتكز عليهما شرفة المؤذّن التي يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار ، ويعلو الشرفة أُسطوانة ضيّقة - منها خروج المؤذّن ودخوله - يبلغ قطرها متراً ونصفاً ، وارتفاعها ستّة أمتار ، ويتوّج الأُسطوانة طاقية مفصّصة يعلوها مشجّر من المصابيح الكهربائية .

تقع المأذنتان عند طرفي البهو (الطارمة) الذي يتقدّم الرّواق جانب الشرق ، وهما مستندان إلى جدران الرّواق ومتّصلان به مقدار ١٧ متراً من ارتفاعهما بقدر ارتفاع جدران رواق الحرم الشريف ، كما ويبلغ ارتفاع كلّ منهما ٣٥ متراً ، وقطرهما متران ونصف المتر . ويبلغ محيط قاعدة كلّ منهما ثمانية أمتار . وكُسيت المأذنتان بالصفائح الذهبية ، ويقال أنّ بكلّ منهما ٤٠٠٠ آلاف صفيحة من الذهب الخالص .

وتاريخ إنشاء المأذنتين وإن كان غير ثابت على وجه التحقيق بالنص إلاّ أنّهما من غير شكّ من الطراز الصفوي ، أي أنّهما يرجعان إلى عهد الشاه عباس ، فهما من طراز البناء الأصلي للمشهد الشريف .[1]

---

(١) مشهد الإمام علي في النجف : ١٧٠- ١٧١ .

وقد كتبت في المأذنة الجنوبية المجاورة لقبر الشيخ أحمد الأردبيلي خمسة أبيات عربيّة آخرها تاريخ تذهيبها ، والأبيات كتبت بحروف ذهبيّة ناتئة على ارتفاع مترين وربع عن أرض البهو ، ومن هنا تبتدئ الصفائح الذهبية ، الأبيات :

ويعجب كلّ نور من سناه — كما شمس الضحى بل صار أنور
تنوّر مسجداً بمنار عزّ — يدوم بقاؤه والليل أدبر
نهار مسرّة الأمثال أضحى — بذلك صُبح أُفق المصر أسفر
وقام مؤذّن التاريخ فيه — يكرّر أربعاً (الله أكبر)

سنة ١١٥٦هـ

وفي المأذنتين شبابيك بسعة صفيحة ، عبارة عن ٢٥ سم ، جانب الشرق للتهوية والضياء . وهذه الشبابيك صفائح ذهبية مخرّمة ، كتب في الشباك الأسفل من المنارة الجنوبية : "سعداً عظيماً" ، وهو تاريخ عام التذهيب .

وفي المأذنة الشمالية في أول الصفائح الذهبية من الأسفل أبيات فارسيّة فيها تاريخ تذهيبها ، وفي آخرها اسم كاتبها "محمد جعفر" ، مؤرّخة سنة ١١٥٦هـ ، الأبيات :

تعالى الله ازين گُلْدَسْته' فيض — كه بر نُه آسمان شد سايه گستر
مگر گُلْدَسْته نخل طور ايمن — مؤذّنها كليم سدره منظر
تجلّى را ز معنى بود دايم — تجلّي اين زمان بنمود از زر
برنگ زر شدم در بوته' فكر — پى تاريخ اين خورشيد مظهر
بكفتا مقرى طبع نواسنج — تعالى شأنه الله اكبر

وفي هذه المأذنة كتب في الشباك الأعلى "حمداً على إتمامها" .

الإصلاحات الطارئة على المئذنتين

بعد تذهيب السلطان نادر شاه للمأذنتين طرأ عليهما عدّة إصلاحات وترميمات ، هي :

١- في سنة ١٢٣٦هـ حدث تضعضع وميل في بعض جوانبهما وسقط قسم من

الصفيح الذهبي فأُصلح بأمر وزير فتح علي شاه ، الصدر الأعظم الحاج محمد حسين خان المتوفى سنة ١٢٣٩هـ والمدفون بمدرسته الشهيرة مدرسة الصدر الدينية في النجف الأشرف .

٢- في سنة ١٢٨١هـ حدث ميل في المأذنة الجنوبية فأصدر السلطان عبد العزيز خان العثماني أمراً بإصلاحها ، فقلع ما عليها من الصفائح الذهبية وهدمت إلى مستوى الأرض وأُعيدت على ما هي عليها اليوم.[1] وقد أرّخها السيّد محمد علي بن أبي الحسن العاملي النجفي بقصيدة طويلة ، ذكر فيها السلطان العثماني ، والخازن الملاّ محمود الذي حدث الإصلاح في عهده ، والمؤذّن ، والمعمار الأستاذ محسن ، مطلعها :

شمخت في الحمى منارة قدسٍ حيث شقّت قلب الفضاء صعودا

تتسامى وقصدها النجم ما إن تتسامى أم تنتحي المعبودا

أم لنارٍ على الكواكب نارت فتعالت لتدرك المقصودا

بعليٍّ عَلَت ولولاه حتماً ما انحنت هيبة وخرّت سجودا

ومنها :

وبذكر (المحمود) غرّد طيـ ـر السعد غنّى بذكره تغريدا

حامداً بالمديح فيض نداه شاكراً ربّ مجدها المحمودا

ومنها :

شادها (محسن) الثناء فأبدى لرحى الكائنات قطباً جديدا

قد زكى عنصراً وقد طاب غرساً وزكى والداً وراق وليدا

كملت عدّة الصناعة فيه وغدا مفرد الثناء وحيدا

ومنها :

منّ فيها (العزيز) قدراً تعالى مثلما قد علا أباً وجدودا

---

(١) تحفة العالم : ٢٩٠.

صنو (عبد الحميد) فرع حميد أبد الدهر لم يزل محمودا
هو (عبد العزيز) مليك له قد برأ البارئ الأنام عبيدا

إلى أن قال في التاريخ :

أترى مذ رَقَت وراقت مناراً وأعيدت كالبدر خلقاً جديدا
قلت تمّت منارة القدس أرّخ (فتباركت مُبدءاً ومُعيدا)

٣- وفي سنة ١٣١٥هـ أمر السلطان عبد الحميد خان العثماني بترميم وإصلاح المأذنة الشمالية للحرم الشريف ، فقلع ما عليها من الصفيح الذهبي ، وهدم ما يقرب من نصفها ، ثمّ عمّرت ، وأُعيد الصفيح على حالته الأولى السابقة ، وكان الفراغ من إصلاحها في اليوم العاشر من جمادى الثانية سنة ١٣١٦هـ.

٤- وفي عصرنا أصلحت المأذنة الجنوبية في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ ، وقد قلع الصفيح الذهبي منها بأجمعه ، وهدمت إلى مستوى سطح رواق الحرم الشريف ، ثمّ بُنيت من جديد ، وأُعيدت إليها الصفائح الذهبية سنة ١٣٥٣هـ ، وكانت نفقة التعمير من قبل الأوقاف العراقية . وأرّخ عام إكمالها الخطيب الشاعر الشيخ حسن سبتي الطفيلي النجفي بأبيات ، هي :

أقاصد قبر حيدر تمسّك بمن فيه تنل خيراً وتؤجر
كأنّ ضريحه غابٌ وفيه أقام المرتضى الأسد الغضنفر

وقال في التاريخ :

وداعي الحق أرّخ في هداها (يؤذّن فوقها الله أكبر)

٥- وفي عصرنا أيضاً في أوائل سنة ١٣٦٧هـ رمّمت المأذنة الشمالية ، وقلع ما عليها من الصفيح الذهبي وهُدم الجزء المنحني منها إلى سطح الحرم ، ثمّ أُعيدت على هيئتها السابقة ، وكان الفراغ من بنائها في آخر شهر رجب من السنة المذكورة .

الحجرتان الشرقيّتان

يفصل بين المأذنتين الإيوان الذهبي وحجرتان من حجر الرّواق . أمّا الحجرة الجنوبية فمنها مدخل لحجرة تحت أرض الرّواق فيها من أهم نفائس الأحجار الثمينة ، تعرف بالخزانة ، وقد بني هذا المدخل بصورة دائمة ، ووضع عليه باب من أبواب الحرم الفضّية . وفي هذه الحجرة دفن العالم المقدّس الشيخ أحمد الأردبيلي .

وأمّا الحجرة الشمالية فقد أصبحت في عصرنا سنة ١٣٧٣هـ مدخلاً من مداخل الرّواق وباباً جديداً . وفيها مدفن العلاّمة الحلّي نوّر الله مرقده ، والذي سعى في إبراز قبره والتنويه به العلاّمة المحقّق السيّد عبد الرزّاق المقرّم النجفي ، وسعى أيضاً بوضع شبّاك عليه ، فوضع عليه شبّاك فولاذ ثمين من شبابيك القبر المطهّر التي في الخزانة ، كما كتب السيّد المقرّم ترجمة العلاّمة الحلّي في لوح علّقه على رسم قبره . وإلى جنب رسم قبره مرقاة يصعد منها إلى سطح الحرم .

الواجهة الشمالية للرّواق

تتكون الواجهة الشمالية للرّواق من طابقين ، كلّ طابق يحتوي على خمس حجرات مداخلها من نفس الرّواق ، سوى الأخيرة الشمالية الشرقية فإنّها أحد مداخل الرّواق وأبوابه ، وهو مدخل الرّواق المقابل لباب الطوسي للصحن . ويتوسّط هذه الحُجر إيوان العلماء ، وهو الإيوان الكبير الشمالي المطل على الصحن .

إيــوان العــلمــاء

عرف بهذا الاسم من عهد إلى اليوم لكثرة من دُفن فيه من العلماء الأعلام ، وكان يعرف في الزمن القديم باسم "مقام العلماء" . فقد حرص العلماء وأهل الفضيلة من الشيعة الإمامية أن يكون لهم شرف الدفن عند حرم علي أمير المؤمنين عليه السلام وفي هذه البقعة الشريفة . وقد أُعيد بناء هذا الإيوان ضمن العمارة الكبيرة التي أُجريت للمشهد العلوي في العهد الصفوي ، ثم رمّم وأُدخلت عليه عدّة تجديدات ، كان أهمّها عمارة

السلطان نادر شاه والتي ما تزال آثارها باقية حتى الآن في بلاطات القاشاني التي تكسو جدران الإيوان والتي تعتبر أقدم بلاطات القاشاني الموجود بالمشهد لذا فإنّ قاشاني هذا الإيوان يعتبر وثيقة تاريخيّة هامة . وإلى جانب احتواء هذا الإيوان على تاريخ العمارة فإنّه يحتوي كذلك على قصيدة شملت أسماء الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وموقّعة باسم كاتبها "كمال الدين حسين گلستانة" ، مؤرّخة سنة ١١٦٠هـ . وقد كُتبت هذه القصيدة على بلاطات قاشانيّة صفراء بكتابة زرقاء ذات زخارف بيضاء تقع في نصف ارتفاع الإيوان المذكور بشكل عرضي لا عمودي ، تبتدئ بالجانب الأيمن وتنحني مع انحناء الإيوان حتى تنتهي بالجانب الأيسر الشرقي ، والتاريخ المذكور بعد آخر حرف من الكتيبة ، وكُتبت أبيات خمسة في منتصف واجهة الإيوان إلى أعلاه بشكل يقارب البيضوي ، والقصيدة هي :

يـــاربّ خيـــر المرســـلين	ســـلّم علـــى نـــوح الأمـــين
والمـــصطفى والمرتـــضى	غيـــث الـــورى ليـــث العـــرين
والبـــضعة الطهـــر التـــي	باتـــت علـــى القلـــب الحـــزين
وابنيهمـــــــا نوريهمـــــــا	ســـبطي حبيـــب الـــصالحين
والعابـــد الهـــامي البكـــا	زيـــن العبـــاد الـــساجدين
والبـــاقر العـــالي الـــسنا	والـــصادق النـــور الأمـــين
والكـــاظم الـــسامي العـــلا	ثـــمّ الرضـــا الحبـــل المتـــين
ثـــمّ التقـــي المتقـــي	أســـخى الكـــرام البـــاذلين
ثـــمّ التقـــي المهتـــدي	هـــادي الفريـــق الـــسالكين
ثـــمّ الزكـــي العـــسكري	مقـــصود أربـــاب اليقـــين
والحجّـــة الهـــادي إلـــى	نهـــج الطريـــق المـــستبين
يـــارب آل المـــصطفى	ســـلّم علـــيهم أجمعـــين

تـــسليم لطـــف فـــاتح   يـــذكي شـــذاه الياســـمين
واعطـــف علـــى أشـــياعهم   آمـــين ربّ العـــالمين
واغفـــر لمـــن والاهـــم   يـــا غـــافراً للمـــذنبين
وانظـــم (قوامـــاً) عبـــده   فـــي خيـــر أصـــحاب اليمـــين

العلماء الذين أُقبروا في الإيوان

نُقشت على ألواح صخور الإيوان أسماء كثير من العلماء الذين دُفنوا فيه عبر السنين والقرون ، وبعض هذه الأسماء لا تُقرأ لاندراسها ، كما ورد متفرّقاً في مناسبات تاريخية ذكر بعض أسماء من دفن في هذا الإيوان ، وفيما يلي ثبت بأسمائهم :

١- الشيخ أحمد بن الشيخ إسماعيل بن عبد النبي بن سعد الجزائري الغروي . كان من مشاهير علماء الشيعة الإمامية ، وهو صاحب كتاب "قلائد الدرر" في شرح آيات الأحكام ، توفي سنة ١١٥١هـ .

٢- المولى علي نقي الكمرئي الفراهاني ، توفي سنة ١٠٦٠هـ .

٣- السيد ميرزا رحيم العقيلي الإسترابادي ، الفقيه المتكلّم ، المتوفى في عشرة الستين بعد المئة والألف في أصفهان ونقل إلى النجف ودفن في إيوان العلماء .

٤- الشاعر الشهير المعروف بالداعي ، المؤلّف في التفسير والأدب ، وله ديوان شعر ، توفي سنة ١١٦٦هـ .

٥- الشاعر المعروف بالراهب الأصفهاني . له تآليف في الفقه والأصول ، توفي سنة ١١٦٦هـ .

٦- الشاعر المشهور بالرامي الهمداني ، توفي سنة ١١٧٣هـ .

٧- العالم السيّد حسن بن السيّد نور الدين الموسوي الجزائري ، توفي سنة ١١٧٣هـ .

٨- الشاعر أغا محمد المعروف بالعاشق الأصفهاني ، الأديب والفقيه الأصولي ، توفي ١١٨٠هـ .

٩- الميرزا علي رضا الأردكاني الشيرازي الشاعر المعروف بتجلّي ، توفي سنة ١١٨٨هـ .

١٠- الشاعر صهباء القمّي ، توفي سنة ١١٩١هـ .

١١- الأمير محمد مهدي ، توفي سنة ١١٩٣هـ .

١٢- الشيخ محمد باقر بن المير محمد باقر الهزار جريبي ، توفي سنة ١٢٠٥هـ .

١٣- الميرزا فتح الله الحسيني أبو المظفر بن علاء الدين محمد الاصفهاني ، توفي سنة ١٢٠٦هـ .

١٤- الأمير عبد الباقي بن الأمير السيّد محمد حسين الخاتون آبادي الحسيني إمام جمعة ، توفي سنة ١٢٠٧هـ .

١٥- الميرزا محمد علي بن ميرزا محمد إمام جمعة ، توفي سنة ١٢٢٤هـ .

١٦- الميرزا محمد هادي بن مير محمد صادق الواعظ الأصفهاني ، توفي سنة ١٢٢٤هـ .

١٧- الشيخ أحمد النراقي ، صاحب كتاب "المستند" ، ووالد الميرزا محمد مهدي النراقي ، توفي سنة ١٢٢٤هـ .

١٨- الشيخ محمد مهدي النهاوندي ، توفي سنة ١٢٣٥هـ .

١٩- الشيخ محمد ، القاضي بأصفهان ، توفي ١٢٢٠هـ .

٢٠- الشيخ محمد علي بن الأقا محمد باقر الهزار جريبي ، توفي سنة ١٢٤٥هـ .

٢١- السيد عبد الغفور اليزدي ، أحد تلامذة صاحب "الفصول" وشريف العلماء ، توفي سنة ١٢٤٦هـ .

٢٢- الشاعر السيد رضا خان إلهي الكرماني ، المولود سنة ١٠٨٥هـ ، وهو من أحفاد الشاه نعمة الله ، العارف المشهور .

٢٣- السيد عبد الرزّاق الكاشاني الحسيني نزيل أصفهان .

٢٤- الأمير السيّد رحمة الله الفتّال العلوي النجفي ، من علماء الشاه طهماسب الصفوي الأول .

٢٥- العلاّمة المجاهد السيّد علي الداماد ، توفي ١٣٣٦هـ .

الواجهة الجنوبية للرّواق

الواجهة الجنوبية لسور الرِّواق تحكي الواجهة الشمالية التي تقدّم ذكرها في تكوينها من طابقين من الحجرات يعلوها كتيبة نقش عليها سورة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورا﴾ . ويتوسّط الطابقين أيضاً كتيبة كُتب فيها ﴿سورة الرحمن﴾ يتوسّطهن إيوان كبير - كإيوان العلماء - فوقه ميزاب طلي بالذهب الخالص ، وقد كسيت جدرانه ببلاطات القاشاني بشتى أنواع الزركشة والزخرف ، ويعتبر هذا القاشاني أيضاً وثيقة تاريخية لاشتماله على تاريخ عمارته في العهد الصفوي ، والأفشاري النادري . وفي هذه الواجهة أيضاً باب مغلوق لم يفتح يعرف بباب المراد ، وفيها باب للدخول والخروج إلى الحرم .

الإيوان الكبير الجنوبي (إيوان ميزاب الذهب)

الإيوان الجنوبي لسور الحرم كسيت جدرانه بأفخر أنواع الزركشة ببلاطات القاشاني الأثري ، وممّا كُتب فيه قصيدة نونيّة عربيّة موقّعة باسم كاتبها كمال الدين حسين گلستانه ، مؤرّخة سنة ١١٥٧هـ ، وقد كُتبت هذه القصيدة على بلاطات القاشاني باللون الأزرق على أرضيّة صفراء بزخرفة بيضاء ، تكون في منتصف ارتفاع الإيوان ، تبتدئ من اليمين بشكل حلقات كلّ شطر في حلقة مستطيلة حتى اليسار ، وهذا نصّها :

صلِّ يا رب على شمس الضحى ... أحمد المختار نور الثقلين
وعلى نجم العلى بدر الدجى ... من عليه الشمس رُدّت مرّتين
وبسيفين ورمحين غزا ... وله الفتح ببدرٍ وحُنين
وعلى الزهراء مشكاة الضيا ... كوكب العصمة أُمّ الحسنين
وشهيدين سعيدين هُما ... آدم الآل عليّ بن الحسين
وعلى مصباح محراب الدعا ... للرسول المجتبى قرّة عين

وعلـى الكـاظم موسـى والرضـا شـمس طـوسٍ وضـياء الخـافقين
وأبـي جعفـرِ الثـاني التقـي مطلـع الجـود سـراج الحـرمين
نـور حـقّ يقتـدي عيـسى بـه عجّـل الله طلـوع النيّـرين
هـم أزاهيـر بهـم فـاح الثنـا هـم ريـاحين ريـاض الجنّتـين
نَظَـمَ العبـد (قـوام)[1] لهـم صـلوات لمعـت كالفرقـدين
يطلـب الجنّـة مـن رضـوانهم لا يـساويه بتبـرٍ ولُجَـيْن
هـم كـرامٌ لـم يَخـبْ قاصـدهم هـم مـرام للـورى فـي النـشأتين
سـرّه الله بـآل المـصطفى والمحبّـين لهـم والأبـوين

وكُتبت الأبيات الخمسة الآتية كما وصفنا أنّها تبتدئ من نصف ارتفاع الإيوان إلى الأعلى بشكل بيضوي تقريباً على بلاطات القاشاني في الإيوان :

زِد اللّهـم و صـلِّ وبـارك علـى طـه وصـلِّ علـى علـي
وسـيّدة النـساء وبـضعتيها وزيـن عبـادك الأتقـى علـي
وبـاقرهم وصـادقهم مقـالاً وموسـى والرضـا الأزكـى علـي
وصـلِّ علـى التقـي حليـف جـودٍ وصـلِّ علـى ابنـه الأهـدى علـي
وصـلِّ علـى الزكـيّ ومقتـدانا وكـن منّـا بمولانـا علـي

---

(١) هو السيّد الفاضل الكامل الأديب الشاعر الميرزا قوام الدين محمد بن محمد مهدي الحسيني القزويني ، المجاز من العلاّمة المجلسي سنة ١١٠٧هـ ، المتوفى حدود سنة ١١٥٠هـ . له قصائد مشهورة في الصلاة على النبي ﷺ والتوسّل بالأئمة عليهم السلام وتعداد أسمائهم ، منها هذه القصيدة والأبيات التي في هذا الإيوان ، والقصيدة التي كُتبت على باب المراد من خارج الصحن ، والتي في إيوان السيّد الحبّوبي ، وإيوان العلماء ، وله شعر كثير في المراثي ، وأرجوزة في التجويد ، وأخرى في متن اللعمة الدمشقية تسمّى "التحفة القواميّة" ، ونظم أكثر المتون .

الواجهة الغربية للرّواق

تقدّم الكلام عنها تحت عنوان الممر (الساباط) ، في الواجهة الغربية للصحن ، كما سيأتي قريباً الحديث عن الباب الغربية للرّواق الواقعة في هذه الواجهة .

أبواب الرّواق

أبواب الرّواق المعروفة بأبواب الإستئذان الأولى هي ستّة : بابان شرقيّان ، وبابان جنوبيّان ، وباب شمالي ، وباب غربي .

الأول : الباب الشرقي الكبير

يقع في وسط الإيوان الكبير الشرقي . وهو الباب الرئيسي للرواق الذي أنشأه عضد الدولة البويهي وذكره الرحّالة ابن بطوطة في رحلته إلى النجف الأشرف . وقد طرأت عليه عمارات وتغييرات .

ففي سنة ١٢١٩هـ أُنشئ في هذا الموضع بابان فضّيّان متّصلان للتوسعة على الزائرين من الزحام ، ونقش عليهما التاريخ المذكور ، وكان الباذل لهما الحاج محمد حسين خان ، الصدر الأعظم الذي بنى سور مدينة النجف الأخير ، وصاحب مدرسة الصدر الدينية في محلّة المشراق بالنجف .

وفي سنة ١٢٨٧هـ أُبدلا ببابين جديدين فضّيّين ، وكان الباذل لهذين البابين "مشير السلطنة" ، كما يظهر ذلك من أبيات شعرية على عضادتي البابين . وقد أدركنا هذين البابين الفضّيّين وقد تآكلت الألواح والنقوش الفضّيّة من كثرة لمس الزائرين وتقبيلهم حتى مسحت بعض الكلمات من الشعر المنقوش عليهما ، وهذا نصّ الموجود :

بفضل القادر الحيّ العليم	ويُمن يمن فتّاح عليم
أبو الحسن (المشير) ومن أبوه	سميّ المصطفى ....
علي سيّد الأكوان بدر	مضيء في دجى الليل البهيم
وصيّ المصطفى حقّاً وصدقاً	وباب العلم بل بحر العلوم

نفــــوز بحبِّــــه بجنــــان خُلــــد ونَنجــوا فــي المعــاد مــن الجحــيم
لقــــد كفــــر الــــذي عــــادى عليّــــاً وضــلّ عــن الــصراط المــستقيم
مودّتــه الــصراط إلــى الجنــان عداوتــه الطريــق إلــى الجحــيم
لزائـــره الـــسلام إليـــه يتـــرى علـــى عـــدد الملائـــك والنجـــوم

وكتب على مصراعي هذا الباب أبيات فيها تاريخ صنعه، وهي:

إنّ داراً ثـــوى بهـــا أســـد الله مقـــام الهـــدى ودار الـــسلام
وبهـــا تـــسجد الملائـــك طـــراً وعليهـــا تلـــوى رقـــاب الأنـــام
شـبله المهتـدي (المُـشير) فأهـدى بـــاب عـــزّ إلـــى علـــي المقـــام
بلــغ الكـلّ قــم فــأرّخ مــداه[1] فــادخلوا بــاب حطّــة بــسلام

وقد وضعت هذه الأبواب الفضيّة الأثرية في المخزن كما هي العادة في أثريّات الحرم الشريف.

وفي سنة ١٣٧٣هـ استبدل هذان البابان بباب واحد كبير، مصوغ من الذهب الخالص والفضّة، ومزخرف بالميناء النفيسة ذات الألوان الزاهية. وكان الباذل لصنع هذا الباب المُحسن الحاج ميرزا مهدي مقدّم، وابني أخيه المُحسنين الحاج كاظم أقا توكّليان، والحاج ميرزا عبد الله مقدّم، وهم من كبار تجّار طهران. بسعي فضيلة العلاّمة السيّد محمد كلانتر عميد جامعة النجف الأشرف الدينية.

وقد أنفق على هذ الباب من الذهب الخالص ما زنته ثلاثة آلاف وخمسمئة مثقال، ومن الفضّة خمسون ألف مثقال. وقد أبدعت أيدي الفنّانين المبدعين من مدينة أصفهان الحاج محمد تقي الأصفهاني، ومحمد حسين پرورش الأصفهاني، والحاج سيد محمد العريضي الأصفهاني في صياغة ورسم خطوط وأزهار وتقاسيم ونقوش

---

(١) أشار إلى إسقاط الحرف الأخير وهو الميم من التاريخ، فهو لا يحسب.

عليها جمال الصناعة وهيبة المنظر ، قد اجتمعت وامتزجت في لوحة فنيّة تمثّل روضاً أنفاً من رياض الفن الحديث .[١] وكتبت على الباب أبيات شعرية كثيرة ، واسم النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام ، وفي المصراع الأيمن للداخل ، قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٢] ، كما كتب في المصراع الأيسر ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٣] . وغطّي كلّ من مصراعي الباب وجبهته العليا بلوح زجاجي كبير لحفظه من التآكل والبلى من جرّاء لمس الزائرين واحتكاكهم به .

وقد أرّخ وضع هذا الباب عام ١٣٧٣هـ العديد من الشعراء ، منهم السيّد محمد بن حسين بن محمد الحلّي ، قوله :

حرم القدس تلالا وازدهى ... بسنا مرقد خير الخلق طرّا
وتعالى شرفاً فوق السهى ... وسما في أفق العلياء فخرا
حرم فيه ملوك الأرض كم ... طأطأت هاماتها ذلاً وذعرا
فتنال العز في أعتابه ... وبأخراها ترجو من الخالق يسرا
ويروم المذنب العاصي به ... فرجاً ممّا حبي سرّاً وجهرا
وبه الخائف يأوي آمناً ... يتّقي في ظلّه البوارف شرّا
حرم باهى السماوات العلى ... بوصي المصطفى شأناً وقدرا

---

(١) قالت خبيرة الآثار والتاريخ الدكتورة سعاد ماهر : إنّ صناعة مثل هذا الباب بالإضافة إلى قيمته المادية ، تدلّ على مدى تقدّم الفنون التطبيقيّة في إيران في العصر الحديث ، إذ أنّه يعتبر آية من أيات الفنون الزخرفية والتطبيقية في القرن العشرين . (مشهد الإمام علي في النجف : ١٦٦)

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٥ .

بابــه بــاب المــراد المرتجــى إذ غــدا كهفــاً ولـلــراجين ذخــرا
فتمـسّك فيــه تنجــو مــن لظــى واعتــصم فيــه لتلــق الخيــر وفــرا
إلــثم البــاب وأرّخ (هــا هنــا فــي علــي يـستلالا البــاب تبــرا)[1]

كما أرّخه الشيخ مسلم بن الشيخ محمد علي الجابري، قوله:

بــاب مــن العــسجد يهــدى إلــى روضــة بــاب الله فــي العــالمين
بــابٌ تــرى رضــوان مــن حولـه وحولــه الغــرّ مــن الــصالحين
أبــــرزه الفــــنّ لنــــا آيــــة مــن ذهــبٍ تــستوقف النــاظرين
يُهــدى إلــى مرقــد خيــر الــورى وصـــيّ طاهــا ســيّد المتّقــين
يــضفي علــى حــضرته روعــةً تمتــدّ مــن هيبــة ليــث العــرين
قــدّس مــن ســاعٍ ومــن بــاذلٍ فــاق بــه الــساعين والبــاذلين
هــذا هــو البــاب الــذي بــشّر الــ ــقرآن فيــه ســيّد المرســلين
وهــو الــذي أخبــر عــن فتحــه فقــل بــه عاشــت يــد الفــاتحين
أومــى إلــى تاريخــه (قولــه إنّــا فتحنــا لــك فتحــاً مبــين)[2]

وأرّخه الشيخ محمد علي اليعقوبي، بقوله:

إذا مــا الــدهر عفّــى كــلّ بــاب فبــاب الله بــاقٍ لــيس يبلــى
ولا يبقـــى مـــع التـــاريخ (إلاّ علــي الــدرّ والــذهب المــصفّى)

الثاني: الباب الشرقي الصغير

هو باب فضّي محلّى بالذهب، يقع جنب المأذنة الشمالية، نصب حديثاً سنة ١٣٧٣هـ، وكان موضعه غرفة من غرف الرّواق يُدخل إليها منه، كان قد دُفن فيها العلاّمة الحلّي قدّس الله روحه الطاهرة. وفي الغرفة مرقاة قديمة يصعد منها إلى سطح الحرم والرّواق.

---

(١) شعراء الغري: ١١/١٠٧.

(٢) شعراء الغري: ١١/٣٢١.

وقد أرّخ السيّد موسى بن السيّد جعفر بحر العلوم نصب الباب سنة ١٣٧٣هـ ، وكتب التاريخ على جوانبه ، قوله :

بـاب علـم المـصطفى شـيد لـه ... أنفـس الأبـواب أعلاهـا ثمـن
صـاغه مبدعـه مـن لطفـه ... ولقـد أودعـه مـن كـلّ فـن
ولـدى عتبـة بـاب المرتـضى ... طـاب مثـوى آيـة الله (الحسن)
شـيخنا العلاّمـة الحلّـي مـن ... نـوّر الله بـت وجـه الـزمن
سـمح الـدهر بـه مـذ أقبلـت ... تجـرف النـاس مـضلاّت الفـتن
معجـز يكفيـه فخـراً أنّـه ... ميّـت أحيـى بـه الله الـسنن
قـام فـي بـاب علـي حارسـاً ... وإذا لـم يحـرس البـاب فمـن
قلـت فـي تاريخـه (بـاب الهـدى ... لبيـوت أذن الله بـأن)[1]

وأرّخ السيّد محمد بن حسين بن محمد الحلّي ، بقوله :

تنبّـه الفـن وراء ... غفـوة مـن الـزمن
وجـاء فـتح الله يستـشـ ... ـفع مـن أبـي الحسن
وبابـه بـاب الرجـاء ... عـصمة مـن الفـتن
بـه يغـاث مبتلـى ... ويـستجير ممـتحن
جـادت بفتحـه يـد ... سـخيّة بغيـر مـن
لـم تـك فيـه ترتجـي ... سـوى الخلـود مـن ثمـن
بـاب يمـوج بهجـة ... تجلـي مـن القلـب الـشجن
فقلـت فـي تاريخـه ... (للبـاب منظـر حـسن)[2]

---

(١) شعراء الغري : ١١/٥٣٣.

(٢) شعراء الغري : ١١/١٠٩.

الثالث : الباب الجنوبي

هو الباب المقابل للباب القبلي للصحن الشريف ، وقد كُتب على واجهة عقد الباب المطلّة على الصحن الشريف ببلاطات القاشاني قصيدتان فارسيّة وعربيّة ، أمّا القصيدة الفارسيّة فقد كتبت بحروف كبيرة زرقاء على أرضيّة صفراء ناصعة اللون ، في أربعة وعشرين بيتاً ، كلّ اثني عشر بيتاً منها تشغل نصف القوس .

وكتبت القصيدة العربية بخط نستعليق بحروف صغيرة بيضاء اللون على أرضيّة زرقاء ، في ثمانية وعشرين بيتاً ، تحيط بالقصيدة الفارسية من الأعلى والأسفل وهي من نظم السيّد قوام الدين محمد الحسيني السيفي القزويني ، وأكمل قصيدته بالتوسّل بالأئمة والصلاة عليهم أجمعين . مطلعها :

صلِّ يا ربّ على بدر الدجى ... شمس أُفق السعد نور الثقلين
أحمد المحمود ختم الأنبياء ... باعث الإيجاد زينٌ كلّ زين
وعلى نجم العُلى غوث الورى ... صاحب الحوض وماء كاللجَيْن

وكُتب تحت القصيدتين :

لي خمسةٌ أُطفي بهم ... حرَّ الجحيم الحاطمة
المصطفى والمرتضى ... وابناهما وفاطمة

كما كُتب تحتهما في طُرَّتَين صغيرتين بحروف صغيرة بيضاء ، ما يلي :

"تشرّف لتجديد كتابة هذه الكتيبة الشريفة بقلم تراب أقدام الزائرين أشرف الكتّاب اليزدي" .

وفي مدخل هذا الباب (الكيشوانيّة) بيتان للشيخ البهائي كُتبا على ألواح القاشاني في جنبي الباب ، هما قوله :

هذا أُفقٌ مبينٌ قد لاح لديك ... فاسجد متذلّلاً وعفِّر خدّيك
ذا طور سيناء فاغضض الطرف به ... هذا حرم العزّة فاخلع نعليك

وفي شهر شعبان من سنة ١٣٦٩هـ قلعوا الأحجار والصفائح القاشانية الأثرية القديمة التي نقش عليها الشعر والتاريخ وأبدلوها بزخارف من المرايا كزخرف الحرم والرواق ، وكانت تبرّعاً من قبل شاه إيران محمد رضا بهلوي . وهكذا تُقلع الآثار القديمة النفيسة من المشاهد المشرّفة تبعاً للسياسات والمصالح الوقتيّة .

وفي سنة ١٣٤١هـ وضع في هذا المدخل (الكيشوانيّة) باب للرواق مكسوٌّ بالفضّة محلّى بالذهب ، بذلت مصروفاته الحاجّة "طَخَّة" والدة الحاج عبد الواحد سكر زعيم قبائل "آل فتلة" الفراتيين ، وقد كتب اسمها في وسط الباب بكتيبة مصنوعة من الذهب الخالص ، وبلغت نفقات هذا الباب ألفاً ومئتي ليرة ذهبيّة عثمانيّة .

كما كُتب على كلّ من مصراعي هذا الباب بشكل بيضوي مستطيل ست أبيات من قصيدة فيها تاريخ عام نصبه ، للحجّة الشيخ عبد الكريم الجزائري ، هي :

قِــفْ ببــاب المــراد بــاب علــيٍّ   تلــق للأجــر فيــه فتحــاً مبينــا
هــو بــابُ الله الــذي مــن أتــاه   خائفــاً مــن خطــاه عــاد أمينــا
واخلــع النعــل عنــده بــاحترامٍ   فهــو بالفــضل دونــه طــور ســينا
واطلــب الإذن وانْــحَ نحــو ضــريحٍ   فيــه أضــحى ســرُّ الإلــه دفينــا
قــد لجأنــا بحــبِّ مَــنْ حــلَّ فيــه   ويقينــاً مــن العــذاب يقينــا
أنــا فــي الحــبِّ والــولا رافــضيٌّ   لــم أجــد غيــر حُبِّــه لــي دينــا
ياســفين النجــاة لــم أرَ إلاّ   أملــي فيــك للنجــاة ســفينا
ياإمــام الهــدى ببابــك لُــذْنا   مــن ذنــوبٍ أبكــين منّــا العيونــا
لــك جئنــا فاشــفع لنــا وأجِرْنــا   يــوم لامــال نــافع أو بنونــا
فَــتَحَ الله للــورى بعلــيٍّ   بــابَ خيــرٍ يأتونــه أجمعينــا
قُــلْ لقــصّاد بابــه أدخلــوه   بــسلامٍ لكــم بــه آمنينــا
فهــو بــابٌ بــه الرجــا أرّخــوه   (ذاك بــابُ المــراد للزائرينــا)

الرابع : باب المراد

هو باب الرِّواق الجنوبي المغلوق . وكان السلطان العثماني مراد ابن السلطان سليم بن السلطان سليمان ، المتوفى ٤ جمادى الأولى سنة ١٠٠٣هـ ، لمّا قدم النجف الأشرف وتشرّف بزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام دخل الحرم المطهّر من هذا الباب الذي فُتح لأجله ثمّ سمّي باسمه . ولم يزل هذا الباب مغلوقاً لم يفتح إلاّ لسلطان مسلم قدم لزيارة الحرم الأقدس ، وآخر من دخل منه السلطان ناصر الدين شاه قاجار سنة ١٢٨٧هـ.(١)

وقد أدركنا الباب القديم ، فكان مطعّماً بالعاج مزداناً بالزخارف الهندسيّة ، قد شوّهت منظره ما تضعه النساء الزائرات عليه من الحنّاء بكثرة . واليوم قلع هذا الباب القديم ووضع في الخزائن مع الأبواب الأثريّة ، وأُبدل بباب جديد متواضع كان على وتيرة الباب الأول من الغلق وعدم الدخول منه .

الخامس : الباب الشمالي

مدخله الحجرة الشمالية الشرقية للرِّواق ، وهو يقابل باب الصحن الشمالية المعروفة بباب الطوسي .

السادس : الباب الغربي

يقع هذا الباب في الحدّ الشرقي للساحة المربّعة المكشوفة الواقعة في منتصف الممر (الساباط) . كان في القديم باب يفضي إلى الرِّواق وقد سُدّ من عهد بعيد ووضع مكانه شبّاك من النحاس الأصفر ، يفضي إلى غرفة مغلوقة ، فيها بعض نفائس الحرم المطهّر .

زخرف الرِّواق

كانت جدران وسقوف أروقة حرم أمير المؤمنين عليه السلام في القرون القديمة مزدانة بالحجر القاشاني الأزرق والمزركش بالألوان البديعة النفيسة .

---

(١) معارف الرجال : ٥/٢.

وفي سنة ١٢٨٥هـ هَبَّ الرجل التقي الحاج حمزة التركي النجفي إلى زخرفة الجانب الشرقي من الرِّواق القديم، متبرّعاً وباذلاً مصاريف الزخرفة الزجاجيّة المحمولة على ألواح خشبية فنّية ذات تعاريج ونقوش بديعة.

وفي سنة ١٣٠٧هـ تبرّع وبذل من ماله الخاص الموفّق الحاج أبو القاسم البوشهري وأخوه الحاج علي أكبر ابنا الحاج محمد شفي الكازروني، لزخرفة جهات الرِّواق الثلاث الباقية، وكانت زخرفة الجهات الثلاث الزجاجية على غرار الزخرفة الشرقية المذكورة. وكان الموكّل والمتولّي من قِبَلهما لبذل المصاريف الثقة التقي الحاج عبد الصاحب الكازروني النجفي، وفي هذا العام كان ابتداء العمل.

وقد أدركنا هذه الزخارف الأثرية والمرايا الكبيرة، وكذا يوم قلعها وتبديلها بزخرف من المرايا، من قبل شاه إيران محمد رضا، وسيأتي.

وفي سنة ١٣٥٨هـ طرأ تصليح وتبديل بعض المرايا الزجاجية والأخشاب الفنّيّة في الرِّواق من قبل إدارة الأوقاف العراقية، وشمل هذا التصليح قلع ألواح الصخور الكبيرة في جوانب جدران جهات الرِّواق الأربع.

وفي سنة ١٣٥٩هـ أصلحوا الشقوق والتجاويف في سقوف الأروقة والحرم الشريف، وأكملوا ما بقي ناقصاً من تبديل للمرايا وتصليح للزخرف الزجاجي القديم.

وفي سنة ١٣٧١هـ أكمل تركيب ما تبقّى من المرايا للأروقة الشريفة والزخارف الفنّيّة.

أرض الـــرِّواق

كانت أرض الرِّواق وجوانب جدرانه إلى ارتفاع مترين ونصف معبّدة بصفائح رخاميّة كبيرة بيضاء اللون، جُلبت من الضواحي الجنوبية للنجف الأشرف من مقاطعة تعرف اليوم باسم "مظلوم".

وفي أوائل الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري أُبدل هذا الصخر النجفي بالمرمر اليزدي الإيراني ، تزيّنه الرسوم الطبيعيّة ذات الألوان الزاهية ، وقد كُسي بهذا المرمر جميع أرض الرِّواق بجهاته الأربع مع جوانب جدرانه ، جزى الله الباذلين والعاملين خير جزاء المحسنين .

آثـــار الـــرِّواق

من الآثار المهمّة في الجهة الشرقية للرواق هو قبر عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة البويهي . يقع مرقده تحت الباب الشرقي الثاني لاستئذان الدخول إلى الحرم الأقدس ، في سرداب أنشأه عضد الدولة عند عمارته الحرم المطهّر سنة ٣٦٦هـ ، وأوصى أن يدفن في أقصاه قرب رجلي الإمام عليه السلام .

قال البحّاثة الشيخ محمد حرز الدين : والذي وقفنا عليه والمعروف أيضاً أنّ قبر عضد الدولة في أقصى الدهليز تحت الباب الثاني ممّا يلي مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، ويمتد الدهليز من الباب الشرقي الأول حتى عتبتي البابين اللذين منهما مدخل الروضة المطهّرة زادها الله شرفاً وقداسة ، وفي جنبتي الدهليز - تحت أرض الرِّواق الشرقي يمنة الداخل ويسراه من الباب الشرقي الأول - ستّة عشر دهليزاً تمتدّ على خطّ القبلة ثمانية ثمانية ، وباب هذا الدهليز الأول من زاوية إيوان الذهب جهة القبلة ، وكان له باب مأثور يُفتح عند الحاجة ويُبنى ، ثم طرأت تغيرات كثيرة على هذه الآثار في الدور العثماني بالعراق ، وأصبح لا يوجد لأكثرها عين ولا أثر .

وروى شيخنا محمد حرز الدين ، عن الشيخ ميرزا هادي بن إسماعيل الخراساني : أنّ باب السرداب الذي دفن فيه عضد الدولة البويهي تحت المسرجة[1] في الصحن ، وقد حصل له من يدلّه على هذا المدخل ليلاً وبيده ضياء ومعهم بعض الخواص .

---

(١) هي برج مشجّر في الصحن الشريف على كلّ فرع منه محلّ شمعة تُسرج ليلاً . موقعها قبال الباب الشرقي الكبير للصحن الشريف .

ونقل شيخنا عنه قوله : وقفنا على جَدَثه في محلّه ، وعلى قبره لوح حجر نفيس مكتوب عليه :

"هذا قبر السلطان بن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة سلطان الدولة البويهيّة ، أمر أن يُدفن عند رجلي أمير المؤمنين عليه السلام لتكون رجلاه على رأسي وأكتافي عند المزلقة" .

قال : وفي رقبة عضد الدولة سلسلة من فضّة تدخل قرب قبر أمير المؤمنين عليه السلام تحت الأرض ترتبط بوَتَد من فضّة ، وعلى وجهه رقعة مكتوب عليها قوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[1] .[2]

ثالثاً : الروضة العلويّة المقدّسة

"الرَّوْضَة" في اللغة : الأرض ذات الخُضْرَة ، والرَّوْضَة : البُسْتان الحَسَن[3] . وسمّيت هذه البقعة الشريفة بالرَّوْضة ، لأنّها من أطيب البقاع وأنزهها وأشرفها .

وتسمّى أيضاً بالحَضْرَة ، وهو أشهرها استعمالاً . والحَضْرَة ، لغة : قُرْبُ الشيء ، تقول : كنت بحضرة الدار . وحضرة الرجل : قُرْبُه وفناؤه .[4]

تقع الحضرة المقدّسة وسط الصحن تقريباً ، وهي مربّعة الشكل تحيط بالقبر الشريف من كلّ جهاته ، ويبلغ طول كلّ ضلع منها ١٣ متراً ، وارتفاع جدرانها والعقود الأربعة من جهاتها التي تركب عليها القبّة المنيفة يبلغ ١٧ متراً .

أبـــواب الـــروضة

للروضة الشريفة أبواب في جهاتها الأربع ، فكان في الجهة الغربية عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام :

---

(١) سورة الكهف : الآية ١٨ .

(٢) معارف الرجال : ٢٨٣/٣ .

(٣) لسان العرب : مادة (روض) .

(٤) لسان العرب : مادة (حضر) .

بابان فضّيّان لا يؤدّيان انفتاحاً إلى الرِّواق الغربي حيث وضع خلفهما شبّاك ثابت كبير من الفولاذ المغلّف بالنحاس الأصفر .

وباب شمالي تمّ نصبه يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٦هـ وكان المتبرّع به المرأة المُحسنة الكريمة بنت أمين الدولة زوجة علي شاه ، وهو باب من الفولاذ المغلّف بالنحاس الأصفر المشبّك ، وقد أدركناه .

وباب جنوبي نُصِبَ يوم الأربعاء الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٨هـ تبرّع به رجل الخير والصلاح الحاج غلام علي المسقطي .

وفي سنة ١٣٦٦هـ نُقل بابا الجهة الغربية الفضّيّين إلى الجهة الشمالية ووضعا مكان الباب المشبّك الكبير النحاسي ، ونُقل المشبّك إلى الخزانة مع الأثريّات . كما قُلِع الشبّاك النحاسي الغربي ووضع في الخزانة أيضاً ، وأُبدل بقطعة من الشبّاك الفضّي القديم الذي كان على القبر الشريف .

وبابان شرقيان رئيسيّان زيّنا بالذهب والفضّة :

أمّا الباب الذي على يمين الداخل إلى الروضة فقد أهداه لطف علي خان الإيراني ، وكتب اسمه على الباب مع تاريخ صنعه سنة ١٢٨٣هـ ، الموافق لمادة :

(ألا بــأمر الله عــزّ وجــل فــادخلوا البــاب ســجّدا)

وكان ذلك في عهد السلطان عبد العزيز خان العثماني .

والباب الثاني منهما على يسار الداخل إلى الروضة أهداه السلطان ناصر الدين شاه القاجاري عند زيارته لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام سنة ١٢٨٧هـ ، وكُتب اسم السلطان ناصر الدين مع التاريخ المذكور على ظهر الباب .

وفي سنة ١٣٧٦هـ أُبدل هذان البابان ببابين ذهبيّين صُنعا في أصفهان على نفقة المُحسن الموفّق الحاج محمد تقي إتفاق الطهراني ، وكانا في غاية الإتقان والدقّة ،

واستخدمت فيهما أحدث الفنون التي توصّلت إليها أيدي الصاغة ، كلّ ذلك بمسعى وجهود فضيلة الحجّة الجليل السيّد محمد كلانتر النجفي . وكُتب على إطار كلٍّ من البابين الشعر الفارسي مع التاريخ . وقد زُيّن كلٌّ من البابين بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة بالميناء ، وكُتب أيضاً على أطراف مصراعي البابين قصيدتان عربيّتان للمغفور له الحجّة السيّد موسى بحر العلوم ، فممّا كُتب على مصراعي الباب الشمالي للحرم مستديراً قصيدة لاميّة ، قوله :

يامن أتى زائراً قبر الإمام علي ... أُوتيت سؤلك فاستأنف من العمل
والحق أوضح من نارٍ على جبل ... نهضت للحق تستهدي مراشده
وكيف يخفى وسرّ الله فيه جلي ... هذا الوصيّ ولا يخفى له أثر
كأنّه سرمديّ في البقا أزلي ... كذكره قبره لا ينمحي أبداً
يد الولا حُلّةً من أجمل الحُلل ... تكسو من الذهب الأبريز قبّته
فعل المدام بلُبٍّ الشارب الثمل ... صفراء يفعل بالألباب منظرها
يضيق عنه نطاق الأعين النجل ... شمس من النجف الأعلى تشعّ سنى
الشمس ذات زوال وهي لم تزل ... إن قلت شمس الضحى قالوا أعد نظراً
خير الوصيّين تالي سيّد الرسل ... تقدّست قبّة ضمّت قرارتها
أجل فثمّ نعيم دائم الأُكل ... حظيرة القدس والأملاك تسكنها
من الجلال سوى أُنشودة القُبَل ... يسودها الصمت لم يسمع بحضرتها
إلاّ شفاه ذوي شوق بلا ملل ... أُنشودة لم يوقع لحن نغمتها
من الزحام يد الوفّاد لم تصل ... تهوي القلوب عليها غير أنّ لها
على رواحل لم تشكوا من الكلل ... تحمّلوا السفر المضني لبُلْغتها
رَوْح وعلقمه أحلى من العسل ... كأنّ وعثاءه من فرط وجدهم
عنه عوامل فقر أو أذى علل ... ميمّمين مقاماً لا تكفّهم

محطّ آمالهم قبر الوصيّ إذا ... باءت أماني ذوي الحاجات بالفشل
فلست تنظر ممّن حلّ بقعتها ... إلاّ إلى ذاكر لله مبتهل
ولابن جعفر موسى حاجة بسوى ... تاريخ أبواب هذا البيت لم تنل
لله كعبة قدس بالغريّ سعت ... لها الملوك على الهامات والمقل
سعياً تحفّزها الآمال طامحة ... وأخيب الناس من يسعى بلا أمل
قامت على بابها تدعو مؤرّخة ... (لُذْنا بباب أمير المؤمنين علي)

وكتب على باب الروضة الثاني الجنوبي مع التاريخ ، قصيدته النونيّة ، مطلعها قوله :

أيّها الراجون لله رضى ... يوم لا ينفع مال وبنونا
دونكم قبر ابن عمّ المصطفى ... فالع الباب أمير المؤمنينا
إنّها الجنّة والدار التي ... وعد الله العباد المتّقينا
تجد الأملاك مصطفّين من ... حولها صفّاً شمالاً ويمينا
يتلقّون على أبوابها ... بالتحيات وفود الزائرينا
فاخلعوا النعل بواد دونه ... شرفاً وادي طوى أو طور سينا
عنده الله تجلّى نوره ... لذوي الأبصار فازدادوا يقينا
ورأوا من جلوات الحق ما ... عشيت عنه عيون المُبْطلينا
وسقاهم ربّهم من خمرة الـ ... ـقدس كأساً لذّة للشاربينا
ثمّة الحق فخذ في وصفه ... وتعالى الله عمّا يصفونا
بل نفوس خلعت أبدانها ... وقلوب ركّبت فيها عيونا
إنّها الغبطة والبُشرى التي ... لمستها طبقات العارفينا
ورجال عجنت طينتهم ... بولا آل الرسول الأكرمينا
بذلوا لله زلفى فيهم ... كلّما كان رخيصاً وثمينا
سمعت فيهم رجال ما أتى ... من رسول الله في الإسلام دينا

فجـــزاهم ربّهـــم مـــن فـــضله ... وأياديـــه جـــزاء الـــسامعينا
ظهـــر الحـــق مبينـــاً وســـعت ... دولـــة الباطـــل أن لا يـــستبينا
وعلـــى نـــور الهـــدى بالمرتـــضى ... وبنيـــه رغـــم أنـــف الجاحـــدينا
هـــذه الجنّـــة والـــدار التـــي ... وعـــد الله العبـــاد المتّقينـــا
فتحـــوا أبوابهـــا واســـتفتحوا ... بعلـــيّ المرتـــضى فتحـــاً مبينـــا
وكـــسَوْها حُلـــلاً مـــن ذهـــب ... فـــاقع اللـــون يـــسرّ الناظرينـــا
فعلـــى اســـم الله أرّخ (وتَلـــوا ... أُدخلوهـــا بـــسلام آمنينـــا)

وللسيّد موسى بحر العلوم أيضاً كتبت قصيدة بالميناء على الأسطوانة التي تفصل بين البابين الشرقيّين للروضة المطهّرة سنة ١٣٨٢هـ:

صَـــرْحٌ تَكَلّـــل باللئـــالي والـــدُرَر ... للمرتـــضى حـــارت بـــصنعته الفكـــر
لـــن تخـــرق الأبـــصار نـــور جلالـــه ... ولـــو اســـتحالت هـــذه الـــدنيا بـــصر
الله أبـــدع صـــنعه لطفـــاً علـــى ... أيـدي الملائـك لا علـى أيـدي البشر
لـــــه خيـــــر بنيّـــــة قدســـــيّة ... دامـــت مـــدى الأيـــام خالـــدة الأثـــر
هـــذا النعـــيم وجنّـــة الخلـــد التـــي ... وعـــد الكتـــاب بهـــا وحـــدّثت الـــسير
تفـــد الملائـــك مـــن حـــضائر قُدســـها ... لتطـــوف حـــول ضـــريحه زمـــراً زمـــر
وكـــأنّ نـــور الكهربـــاء خلالـــه ... شـــهب الـــسما وكـــأنّ مرقـــده القمـــر
والـــشمس مـــصدر هـــذه الأنـــوار ... نـــور أخـــي النبـــيّ أبـــي الميـــامين الغـــرر

أرض الروضة المطهّرة

في سنة ١٣٥٩هـ قلعت صخور أرض الروضة وجوانب جدرانها، وكانت معبّدة بالصخر الأبيض المأخوذ من جنوب مدينة النجف الأشرف، وفُرشت بالصخر الإيطالي الصقيل المزخرف بأشكال طبيعية جميلة. وكان المتبرّع به - مع الشبّاك الفضّي - إمام البهرة طاهر سيف الدين.

زخرف الروضة المطهّرة وإصلاحاته

أُدخلت على عمارة عضد الدولة البويهي للروضة المطهّرة الكثير من الإصلاحات والترميمات والتحسينات من قبل أُمراء الدول الذين جاؤا بعد عضد الدولة ، بل من البويهيين أنفسهم ومن وزرائهم ، ومن الحمدانيين ، هذا بالإضافة إلى بعض خلفاء الدولة العباسيّة المتشيّعين الذين اهتمّوا بصيانة المشهد ، فقد عمّر الخليفة العباسي المستنصر الضريح وبالغ في تزيينه ، وزاره مراراً .[1] كما اهتمّ المغول من أسرة جنكيزخان بعمارة الضريح وتزيينه .

وكانت الروضة المطهّرة على عهد السلطان شاه صفي الصفوي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ وما بعده مستورة جدرانها بالبلاطات القاشانيّة ذات الألوان والزخرف الجميل . ثم طرأت عليها إصلاحات ، فقد جُرِّدَ الجدار الذي فوق الكتيبة السفلى الأولى من بلاطات القاشاني القديم إلى رؤوس العقود الأربعة من جهات الروضة الشريفة ، ووضع مكانها زخرف زجاجي ملوّن ومرايا كبيرة الحجم مثبّتة على قواعد خشبيّة في بيوت فنّيّة وأشكال هندسيّة ، وذلك سنة ١٢٠٤هـ . هذا ولم يعرف المتبرّع به . وقد ضبطوا تاريخ زخرفة الروضة الشريفة بالحساب الأبجدي بقولهم :

قـل لمـن يـسأل عـن تاريخهـا (هـي صـرح مـن قـوارير ممـرّد)

كان هذا التاريخ مكتوباً على زجاج الدعامة الجنوبية عند الرأس الشريف بارتفاع حدود أربعة أمتار ، وقد أدركناه مكتوباً . ثمّ رفعوه مع قلع الزخرفة القديمة كمقدّمة لزخرفة الروضة على نفقة شاه إيران محمد رضا .

ففي شهر شعبان من سنة ١٣٦٩هـ قلعت المرايا القديمة والزجاج الملوّن المثبت بألواح خشبية في جدران الروضة ، وأزيلت الكتابة من المثلثات العليا برؤوس العقود ، وبُدئ بزخرفة الجدران والمقرنص الكبير الذي يحمل رقبة القبّة بالمرايا المصنوعة

---

(١) فرحة الغري : ٥٣ .

على شكل مقرنصات صغيرة مصفوفة في ستّة صفوف. أمّا المثلثات الاثنا عشر المحيطة برقبة القبّة من الداخل والتي هي تحت الكتيبة الوسطى فبعد زخرفها بالزجاج الفنّي صنع في وسط كلّ مثلث منها طرّة كتب فيها اسم إمام من أئمة الهدى المعصومين الاثني عشر عليهم السلام.

وكانت ضمن زجاج الدعامة الجنوبية عند الرأس الشريف بارتفاع حدود أربعة أمتار لوحة زجاجيّة زيبقيّة تمثّل صورة رمزيّة لظهور القبر الشريف، يظهر في اللوحة الخليفة العباسي هارون الرشيد، بيده القوس والنشاب، أمامه ظبية تطاردها الفهود وهي مستجيرة بقبره عليه السلام، فقلعت هذه اللوحة ثمّ وضعت لاحقاً في منتصف المسافة الفاصلة بين الدعامتين عند الرأس الشريف بارتفاع حدود ثلاثة أمتار، ويمكن مشاهدتها اليوم بيسر، وهذه اللوحة الزيبقيّة من آثار العهد الصفوي.

واستمرّ عمل الزخرف الزجاجي في حرم علي عليه السلام إلى اليوم السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٧٠هـ، وكان على نفقة شاه إيران محمد رضا، وقد بلغت تكاليفه ما يقرب من ١٢ ألف دينار عراقي. وكان تصميم الزخارف من قبل الفنّان حسين كيانفر، وقام بتنفيذها المعمار الحاج سعيد النجفي. وقد أثبت تاريخ وضع هذه المرايا بيتان من الشعر الفارسي بجانب المرايا، كُتبا في داخل الروضة المطهّرة على جدار الزاوية اليمنى للداخل إليها من الباب الشرقي الثاني، والبيتان عن لسان الشاه محمد رضا بهلوي، وترجمها إلى العربية الأستاذ جعفر الخليلي نظماً، قوله:

أنا إن زيّنت هذا المرقد الـ ... ـطاهر الشامخ قدراً بالمرايا
لم تكن هذى هداياي فمن ... أنا كي أُهدي لعلياك الهدايا
إنّما زجّجْتها مصقولة ... تعكس الضوء وتستجلي الخفايا
كي أرى طلعتك الغَرّا بها ... من بعيد وترى الحقّ البرايا

ومن التواريخ المختارة ما نظمه الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، قال:

لرضا شاه كم تبدّت أياد خالدات مثل الكواكب تزهر
مرقد المرتضى كساه مرايا نيّرات من غرّة الشمس أزهر
طاء طه الأمين قد أكملتها أرّخوها (يَدٌ من الشاه تُشكر)

وأرّخه السيّد موسى بن السيّد جعفر بحر العلوم، بقوله:

مآثر بالولاء تشهد للبهلوي الرضا محمد
خير حمى للوصي أرّخ (شيد من لؤلؤ منضّد)[١]

كما أرّخه السيّد محمد بن حسين بن محمد الحلّي، قوله:

يامرقداً قد ضمّ أكرم راقد شرف الغري بفخره والطور
هو مركز الأفلاك أضحت حوله كلّ الكواكب في السماء تدور

إلى أن قال في التاريخ:

فمددت عشري للدعاء مؤرّخاً (حول الضريح أهلّة وبدور)[٢]

وكانت الجدران العليا المتكوّنة من رؤوس الزوايا الأربع فيها ما بين رأس كلّ عقدين خمسة مثلثات، ثلاثة في الأعلى واثنان في الأسفل، كتب فيها بعض السور وآيات من القرآن الكريم وأحاديث نبويّة، وقد صنعت كتابة هذه المثلثات والكتيبات الثلاث السُفلى والوسطى والعليا من الجص الناعم (البورق) بحروف كبيرة بارزة بخطّ الثلث قد صبغت بألوان من الصبغ، وكان بعضها مؤرّخ سنة ١١٢١هـ. ثم أُبدلت هذه الكتيبات بكتيبات أُخرى تحمل نفس الكتابة على بلاطات من القاشاني الجديد وإلى اليوم، كما أُلغيت كتابة المثلّثات.

---

(١) شعراء الغري: ٥٢٧/١١.

(٢) شعراء الغري: ١٠٨/١١.

أمّا الكتيبة الأولى السفلى المطوّقة للقبّة فقد كتب عليها ﴿سورة الدهر﴾ تبتدئ كتابتها من دعامة العقد الغربي اليمنى على بلاطات القاشاني بحروف بيضاء وأرضيّة زرقاء ، وكان المتبرّع بنفقات تجديد هذه الكتيبات رجل الخير ميرزا أحمد عبد الكهيان الخراساني بسعي الحاج سيد أحمد مصطفوي . وقد كتب على جانب الدعامة اليسرى للعقد الجنوبي بالبلاط القاشاني بحروف صغيرة اسم المتبرّع بالنفقات والساعي وكاتب الحروف ، وهذا نص ما كتب عليها :

"توفيق جناب ميرزا احمد عبد الكهيان خراسانى گرديده ، كتابت حرم مطهر را براى سعادت دنيا وذخيره آخرت خود تجديد نمودند ، باهتمام حاج سيد احمد مصطفوى ، سنة ١٣٧٠هـ" .

والكتيبة الوسطى تقع فوق المثلثات المذكورة ، أسفل عنق القبّة المنيفة مطوّقة لها ، تحت أبواب التهوية الاثني عشر ، وقد كتب فيها ﴿سورة النبأ﴾ على بلاطات القاشاني النفيس ، بخط ثلث كبير الحجم بحروف بيضاء وأرضيّة زرقاء ، تبتدئ كتابة السورة من الجانب الغربي كما ينتهي به ، وقد زيّنت الكتيبة من فوقها وتحتها بحقول صفراء مستطيلة ، رسم في كلّ حقل شطر بيت من القصيدة العينيّة لابن أبي الحديد المعتزلي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، مطلعها :

يـا رسـم لا رسـمتك ريـح زعـزع ... وسرت بليل في عراصك خروع[١]
لـم ألـف صـدري مـن فـوادي بلقعاً ... إلاّ وأنـت مـن الأحبّـة بلقـع[٢]
جـارى الغمـام مـدامعي بـك فانثنـت ... جون السحائب فهي حسرى ظُلّع[٣]

(١) الرسم : الأثر . ورسمتك : أي دَرَسَتْكَ . والزعزع : الريح الشديدة التي تزعزع الأشياء ، أي تحرّكها . والبليل : الريح الباردة النديّة . والخروع : كلّ نبت ضعيف ينثني .

(٢) البلقع : الخالي ، ويقال : اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع .

(٣) الجون : الأسْود أو الأبيض ، وهو من الأضداد . والظُّلَّع : جمع ظالع ، وهو الغامز في مشيه .

لا يُمْحِكَ الهُتَّن المُلث فقد محا   صبري دثورك مُذْ مَحَتْكَ الأدمع[١]

والكتيبة العليا كتب فيها ﴿سورة الفجر﴾ ، إلاّ أنّها أصغر حجماً من الوسطى ، كما تبتدئ كتابة السورة من الجانب الغربي وتنتهي به ، وكتبت بحروف بيضاء بخط الثلث ، تطوّق القبّة من داخل الحرم مع التزيينات الواقعة حول الكتيبة هذه . وقد ختمت باسم كاتبها "مِهر علي" ، في سنة ١١٥٦هـ ، وهذا التاريخ موافق لتذهيب القبّة المنوّرة التي هي من آثار نادرشاه الأفشاري .

ستائر الروضة المطهّرة

كانت هناك ستائر حريرية تؤزّر بها جدران الروضة والأروقة والإيوان الذهبي أيّام الإحتفالات ومجيء الملوك والسلاطين للزيارة ، حتى إذا كُسِيَت جدران الحضرة بالصخر الإيطالي الجميل لم يخرجوا تلك الستائر الحريرية ، وأُودعت في الخزانة التي في الرِّواق الغربي . وقد أدركنا هذه الستائر يوم كانت توضع عند مجيء ملوك العراق كفيصل الأول ومن تبعه . ويظهر أنّ تعليق هذه الستائر الحريرية في جدران الروضة المطهّرة هو تقليد قديم ، فقد ورد ذكرها في وصف الرحالة ابن بطوطة الروضة سنة ٧٢٦هـ ، بقوله : وللقبّة باب آخر عليه ستور الحرير الملوّن يفضي إلى المسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير ، وله أربعة أبواب عتابها فضّة وعليها ستور الحرير .[٢]

كما ورد ذكر هذه الستائر أيضاً في زيارة المؤرّخ البغدادي محمد رشيد بن داود السعدي للمرقد المطهّر عام ١٢٨٥هـ : وللقبّة أبواب أخر كلّ باب منها عليه ستور من الحرير الملوّن ، والمسجد مستورة سقفه وحيطانه بستور الحرير .[٣]

---

(١) الهُتّن : جمع هتون ، وهو المطر الضعيف . والمُلث : الدائم . والدثور : الدروس ، ويقال : دثر الرسم وتداثر .

(٢) رحلة ابن بطوطة : ١٩٩ .

(٣) قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين : ٤٢- ٤٣ .

شبّاك المرقد المطهّر

لا يعرف على وجه التحديد تاريخ وضع أوّل شبّاك على القبر الشريف ، والذي يظهر أنّه سابق لعام ١٠٧٣هـ ، وهو عام قصّة العجوز التي شفيت ببركة المرقد المطهّر ، وقد ذكرها العلاّمة المجلسي في بحاره ، ونظمها العالم الأديب المعاصر لتلك الواقعة الشيخ يوسف الحصري بمنظومة طويلة أوردناها في أحداث السنة المذكورة ، قال فيها :

فابتدرت تستلم الشبّاكا ... وكلّ مَن شاهدها تباكى
حتى إذا ما خفّت الزوّار ... ورام أن ينصرف النظّار
أراد أن يغلّق الأبوابا ... فلاحظ الحرمة والآدابا
فجاء للنساء ممّن معها ... مخاطباً بقوله مسمعها
هذا مقام خصّ بالإملاك ... بالليل فاجلسن ورا الشبّاك[1]

أقول : والتاريخ الذي ذكرناه هو سابق لما ذهبت إليه الدكتورة سعاد ماهر من أنّ الأسلوب الفنّي والزخرفي لأوّل شبّاك يؤكّد أنّه يرجع إلى العصر الصفوي في القرن الثاني عشر الهجري .[2]

وتمّ تجديد الشبّاك من قبل السلطان محمد شاه القاجاري[3] ، بشبّاك فضّي صنع في إيران سنة ١٢١١هـ ، وأُرسل إلى النجف الأشرف مع العالم الجليل الأقا محمد علي بن الأقا محمد باقر الهزارجريبي المتوفى سنة ١٢٦٢هـ[4] ، والمدفون في إيوان العلماء في الصحن الشريف .

وفي سنة ١٢٦٢هـ جدّد الشبّاك الفضّي على قبره عليه السلام للمرة الثالثة ، وكان المتبرّع

---

(١) نشوة السلافة ومحل الإضافة : ٧٥– ٧٨ .

(٢) مشهد الإمام علي في النجف : ١٦٤ .

(٣) المنتظم الناصري (فارسي) : ٦٣/٣ .

(٤) تحفة العالم : ٢٦٨/١ .

به المعتمد عباس قلي خان وزير السلطان محمد شاه بن عباس شاه بن فتح علي شاه ، وكتب على جوانبه في أعلى العقود آيات من القرآن الكريم وأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وبعض أبيات من الشعر الفارسي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام .

وقد وضعت فوق أركان الشبّاك الفضّي الأربعة كُرات تعرف باسم "الرمّان" ، وهي من الذهب الخالص .(١)

وفي سنة ١٢٩٨هـ وضع شبّاك فضّي رابع على مرقده عليه السلام ، تبرّع به المشير السيّد محمد الشيرازي ، وقد كتب اسم المتبرّع وتاريخ العمل به على باب الشبّاك بحروف فضّيّة كبيرة . وقد أدركناه منصوباً وقرأنا ذلك فيه ، وكان بديع الصنع ، نقشت عليه بدقّة فائقة الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، كما كتبت عليه أبيات من القصيدة العينيّة لابن أبي الحديد المعتزلي ، وشطر من قصيدة عينيّة للشاعر الشيخ إبراهيم صادق العاملي المتوفى سنة ١٢٨٨هـ ، كتب بالحروف الفضّية على صفحتي الوجه والرأس من الشبّاك ، وهذه هي عن ديوانه المخطوط :

هذا ثرى حطّ الأثير لقدره ... ولعزّه هام الثريّا يخضع
وضريح قدسٍ دون غاية مجده ... وجلاله خفض الضراح الأرفع
أنّى يُقاس به الضراح علاً وفي ... مكنونه سرّ المهيمن مودع
جدثٌ عليه من الإله سرادقٌ ... ومن الرضا واللطف نورٌ يسطع
ودّت دراريّ السما لو أنّها ... بالدرّ من حصبائه تترصّع
والسبعة الأفلاك ودّ عليُّها ... لو أنّه لثرى علي مضجع
عجباً تمنّى كلّ ربعٍ أنّه ... للمرتضى مولى البريّة مربع
ووجوده وسع الوجود وهل خلا ... في عالم الإمكان منه موضع
هو آية الله العظيم وسرّه ... ومنار حجّته التي لا تدفع

---

(١) مشهد الإمام علي في النجف : ١٦٥ .

هــو بــاب حجّتــه وخــازن وحيــه ولــسرّ غــامض علمــه مــستودع
هــو سـيفه البتّــار والنــور الــذي بظلالــه ظلــم الــضلال تقــشّع
كـشّاف داجيـة الخطـوب عـن الـورى بعــزائمٍ منهــا الخطــوب تــروّع
أنّــى تـساجله الغيــوث نــداً ومــن جــدوى نــداه كــلّ غيــثٍ يهمــع
أم هــل تقــاس بــه البحــار وإنّمـا هــي مــن نــدى أمــداده تتــدفّع
فـافزع إليـه مـن الخطـوب فـإنّ مـن ألقــى العــصا بفنائــه لا يفــزع
وإذا حَلَلْــتَ بطــور سـينا مجــده وشــهدت أنــوار التجلّــي تلمــع
فــاخلع إذاً نعليــك إنّــك فــي طـوى لجــلال هيبتــه فــؤادك يخلــع
وقــل الــسلام عليــك يــامن فـضله عمّــن تمــسّك بــالولا لا يمنــع
مــولاي جُـد بجميلـك الأوفـى علـى عبــد لــه بجميــل عفــوك مطمــع
يرجــوك إحــساناً ويأملــك الرضــا فــضلاً فأنــت لكــلّ فــضلٍ منبــع
هيهـات أن يخـشى وليّـك مـن لظـى ويهولــه يــوم القيامــة مطلــع
ويهولــه ذنــبٌ وأنــت لــه غــداً مــن كــلّ ذنــبٍ لا محالــة تــشفع
ويخـاف مـن ظمـأ وحوضـك فـي غـدٍ لــذوي الــولا مــن سلــسبيلٍ متــرع
يــامن إليــه الأمــر يرجــع فــي غــدٍ ولديــه أعمــال الخلائــق ترفــع
ولــه مــآل ثوابهــا وعقابهــا يعطـي العطـاء لمـن يـشاء ويمنـع
أعيـت فـضائلك العقـول فمـا عـسى يثنــي بمــدحتك البليــغ المــصقع
وأرى الأولـى لـصفات ذاتـك حـدّدوا قـد أخطـأوا معنـى عـلاك وضـيّعوا
عجبـي ولا عجـبٌ يلـين لـك الـصفا والمـاء مـن صـمّ الـصفا لـك ينبـع
ولـك الفـلا يطـوى ويعفـور الفـلا لدعاك من أقصى السباسب يسرع[(١)]

---

(١) اليعفور: الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب. وفي الحديث: "ما جرى اليعفور"، قال ابن الأثير: هو الخشف، وهو ولد البقرة الوحشيّة. سمّي بذلك لصغره وكثرة لزوقه بالأرض. والسباسب: جمع سبسب، وهي الأرض القفر البعيدة لا ماء بها ولا أنيس. (لسان العرب: مادة "عفر"، "سبب")

ولـك الرمـام تهـبّ مـن أجـداثها والـشمس بعـد مغيبهـا لـك ترجـع[(١)]
والـشمس بعـد مغيبهـا أن ردّهـا بالـسرّ منـك وصـي موسـى يوشـع
فهـي التـي بـك كـلّ يـوم لـم تـزل مـن بـدء فطرتهـا تغيـب وتطلـع
ولـك المناقـب كالكواكـب لـم تكـن تحـصى وهـل تحـصى النجـوم الطلّـع
فالـدهر عبـدٌ طـائع لـك لـم يـزل وكـذا القـضا لـك مـن يمينـك أطـوع
ولـئن أطـاع البحـر موسـى بالعـصا ضـرباً فموسـى والعـصا لـك أطـوع
ولـئن نجـت بالرسـل قبلـك أمّـة فلقـد نجـت بـك رسـل ربّـك أجمـع
وصـفاتك الحـسنى يقـصّر عـن مـدى أدنـى علاهـا كـلّ مـدح يـصنع
ورفيـع مـدح الخلـق مـنخفضٌ إذا كـان الكتـاب بمـدح مجـدك يـصدع
والحمـد مقـصورٌ عليـك ثنـاؤه وعلـى سـواك لـواؤه لا يرفـع[(٢)]

وفي أُخريات شهر ربيع الأول سنة ١٣٦١هـ شرعوا في تفكيك هذا الشبّاك وقلعه، ثمّ حُمل وخُزن في الغرفة الجنوبية الشرقية من الصحن الشريف، وبعد حدود ٢٥ سنة نُقل إلى الخزانة التي فيها أثريّات الحرم من نوعه.

الشبّاك الفضّي الخامس

في سنة ١٣٦١هـ نصب شبّاك فضّي خامس على قبر أمير المؤمنين عليه السلام، تبرّع به إمام البهرة الهنود السيّد طاهر سيف الدين، فكان الأضخم من نوعه وأغلاها ثمناً، وكان صنعه في الهند في مدّة خمس سنين. ويقال أنّه وضع فيه مليوني مثقال فضّة، وعشرة آلاف وخمسمئة مثقالاً من الذهب الأبريز، وأنّه بلغ مجموع ما صرف عليه في وقته ثمانين ألف ديناراً عراقياً.

يقوم هذا الشبّاك الفضّي في وسط الروضة على قاعدة من المرمر الإيطالي تحجّل

(١) الرمام والرميم واحد، ويقال رمّ العظم، إذا بلى. والجدث: القبر (غريب الحديث: ٢٩٤/١، ١٣٩)
(٢) ديوان الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي.

الشبّاك بارتفاع ٣٠ سم ، وللشبّاك باب فضّي يقع في أقصى الضلع الجنوبي من جهة الشرق ، كما كانت الشبابيك القديمة المذكورة كلّ أبوابها من هنا .

وكان هذا الباب في الأزمنة القديمة لا يفتح إلاّ بوجه كبير شأن من العلماء والملوك والسلاطين يدخل منه إلى ذلك الممرّ الفاصل بين الشبّاك وبين صندوق الخاتم وتقدّر سعة عرض هذا الممر بحدود المتر مستديراً .

ويحيط بالشبّاك أربعة أشرطة (كتيبات) كتبت بحروف ذهبيّة :

الشريط الأول : وهو الأسفل ، يحتوي على قصيدة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، من نظم طاهر سيف الدين زعيم البهرة الهنود ، وقد أُبدلت لركّتها بالقصيدة العينيّة لابن أبي الحديد المعتزلي في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ، كُتبت في إيران على شريط من الفضّة بالميناء الأزرق والألوان الأخرى ووضعت على قصيدة طاهر سيف الدين مستديراً ، وقد حوت هذه الكتيبة الكثير من روائع فنّ صناعة الفضّة والذهب ، وكان هذا الترصيع بالميناء المتعدّد الألوان في بحور من الكتابة يفصل بينها أحاديث نبويّة .

الشريط الثاني : فوق الأول ، كُتب عليه سور من القرآن الكريم ، وبدئ بـ﴿سورة الدهر﴾ من الركن الجنوبي الغربي ، ثم ﴿سورة الغاشية ، والإنشراح ، والكوثر ، والإخلاص ، وآية الكرسي﴾ .

الشريط الثالث : كتب عليه الأحاديث النبويّة الواردة في حق علي أمير المؤمنين والأئمّة المعصومينعليهم السلام ، وتنتهي بالركن الجنوبي الغربي . وفي الختام كُتب ما نصّه :

"عبد الله وعبد وليّه أمير المؤمنين عليه السلام ، الداعي إلى حب آل محمد الطاهرين أبو محمد طاهر سيف الدين من بلاد الهند سنة ١٣٦٠هـ" .

وتحت هذا الشريط زركشة على الفضّة تصوّر شجر الكرم يحمل عناقيد عنب كبيرة بارزة ، وفوقه تجسيم تيجان على أعمدة صغيرة تعدّ في طوله ٢٨ تاجاً وفي العرض ٢٢ ، وكتب في وسط كلّ تاج منها إسم من أسماء الله تعالى بحروف ذهبيّة بارزة .

الشريط الرابع : كتب عليه ﴿سورة الرحمن﴾ كاملة. وزيّنت شرفات الشبّاك العليا بكُرات ذهبيّة كبيرة قائمة على الشريط الرابع، تعدّ في الطول ٢٨ كرة، وفي العرض ٢٢ كرة. والشبّاك طوله إلى الغرب خمسة شبابيك صغيرة، وعرضه إلى الشمال في أربعة.

وقد أرّخ الشعراء نصب الشبّاك، منهم السيّد محمد بن حسين بن محمد الحلّي، قال:

سـما ضـريح طـاب بالمرتـضى ... خيـر الـورى وطـاب تمجيـده
ثـمّ فـأرّخ (لعلـي بـه ... شـبّاك قـدس راق تجديـده)

وله فيه تاريخ آخر، قوله:

ضـريح قـدس قـد سـما ... لـصنو سـيد البـشر
مـذ جـدّدوا شـبّاكه ... أرّختـه (نـور ظهـر)[1]

وللشيخ علي البازي قصيدة بهذه المناسبة، مطلعها:

قـف وسـلّم إن جئـت وادي الـسلام ... حيـث نهـج الهـدى وداعـي الـسلام

إلى أن يقول:

صـيغ مـن عـسجدٍ وصـافي لُجَيْن ... جـاء آيـاً فـي الفـن والانتظـام
وعلـى كـلّ جانـبٍ منـه خطّـت ... سـور بـالأبريز طبـق المـرام
فهنيئـاً (لطـاهرٍ) سـوف يُجـزى ... فـي غـدٍ بالاحـسان والاحتـرام[2]

صندوق القبر الشريف

في جميع العمائر التي توالت على المرقد المطهر كانت القباب والروضة تبنى بحيث يتوسطها القبر الشريف.

قال الرحّالة ابن بطوطة في وصفه القبر الشريف سنة ٧٢٥هـ: وفي وسط القبّة مصطبة مربّعة مكسوّة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل بمسامير

---

(١) شعراء الغري: ١٠٩/١١.
(٢) شعراء الغري: ٤٠٨/٦.

الفضّة قد غلب على الخشب بحيث لا يظهر منها ، وارتفاعها دون القامة .(١)

وفي سنة ١١٢٦هـ جدّد الوالي العثماني على العراق حسن باشا صندوقاً ثميناً لمرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وقد أرّخه الشاعر الأديب الشيخ محمد جواد بن عبد الرضا عوّاد النجفي البغدادي المتوفى سنة ١١٦٠هـ بقصيدة مادحاً فيها الوالي ، مطلعها :

لتباهي البلاد بغداد	بوزير عدوّه هابه
(حسن) من بحُسْن سيرته	غرض العدل سهمه صابه
فلقد نال حُسن توفيق	كان ربُّ السما وهّابه
عند تجديده لصندوق	نشر الحُسن فيه أثوابه
للإمام الذي لرِفْعَته	لَثَمَ العالمون أعتابه
ذي المعالي علي بن أبي	طالب مَن غدا التقى دابه
أسد الله من بصارمه	قَدَّ عمرو وصَدَّ أحزابه
ياله في البهاء صندوقاً	مدّ فيه السناء أطنابه
فهو برج بدا به قمرٌ	ظلم الغيّ فيه منجابه
ألهم الحق فيه تاريخاً	(أسدٌ جدّدوا له غابه)(٢)

وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري وضع على القبر الشريف صندوق من خشب الساج الهندي ، مطعّم بالصدف والعاج والأبنوس والصندل وأخشاب أُخرى متعدّدة الألوان ، وقد حفر على الصندوق كثير من الكتابات العربية المتعدّدة الطرز . فكان يحيط بالصندوق من أعلاه شريط عريض من الكتابة بالخطّ الثلث يحتوي على ﴿سورة الدهر﴾ كاملة ، ويلي ذلك كتابات بالخطّ الكوفي المزهر على أرضيّة مورقة ، وهي عبارة عن أحاديث نبويّة وردت في علي أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام .

---

(١) رحلة ابن بطوطة : ١/١٠٩ .

(٢) معارف الرجال : ٣/٣٢٠.

وفي أسفل الصندوق يوجد شريط عريض من الكتابة بالخط الفارسي والنستعليق كُتب فيه اسم الصانع والخطّاط والمُهدي، وهذا نص ما كُتب عليه:

"قد تشرّف ووفّق بإتمام هذا الصندوق الرفيع خالصاً لوجه الله تعالى وإخلاصاً لوليّه وأوليائه". التوقيع: "كلب عتبة علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد جعفر بن محمد صادق الزند أدام الله تأييده، في سنة ١٢٠٢هـ".

وفي آخر هذا التوقيع: "عمل بنده خاكسار محمد حسين نجّار شيرازي، وكتبه محمد بن علاء الدين محمد الحسيني، سنة ١١٩٨هـ".

جاء في كتاب "أحسن السير" عند ذكر علي مراد خان أحد ملوك الزند[١] ما تعريبه: وهيّأ صندوق الخاتم على القبر الشريف ومات قبل أن يتمّ الصندوق، فشرع ابنه جعفر خان في تكميله وتوفي قبل أن يتم، وأتمّه لطف علي خان بن جعفر خان المذكور.[٢]

وكان الابتداء بعمل الصندوق الخاتم سنة ١١٩٨هـ على يد محمد حسين خان نجّار الشيرازي، وكاتب الآيات الكريمة حوله بالعاج المرصّع: محمد بن علاء الدين محمد الحسيني، وكمل عمله سنة ١٢٠٢هـ.[٣]

قلت: وقد رأيت هذا الصندوق عن كثب سنة ١٣٦١هـ عندما قلع عنه الشبّاك الفولاذي القديم والشبّاك الفضّي، وأُريد نصب الشبّاك الجديد عليه الذي تبرّع به زعيم البهرة الهنود، وكان العمل جار على الصندوق بمسح الغبار عنه.

---

(١) سلاطين الزند في إيران حكموا بعد الأفشاريين، أوّلهم كريم خان الزند، تولّى الحكم سنة ١١٦٣هـ، وتوفي سنة ١١٩٣هـ، وحكم من بعده السلطان زكي خان المتوفى سنة ١١٩٤هـ، ثمّ محمد صادق خان المتوفى سنة ١١٩٦هـ، ثمّ علي مراد خان المتوفى سنة ١١٩٩هـ، ثمّ محمد جعفر خان المتوفى سنة ١٢٠٩هـ.

(٢) أحسن السير (فارسي): ١٣٥.

(٣) مجموع خطّي للشيخ علي بن محمد حرز الدين.

ونظم العديد من الشعراء في إتمام صندوق الخاتم ووصفه ، فمن الشعراء الفُرس قال "الصباحي الكاشاني" :

ايـن باصـره افـروز ضـريح فلـك آسـا　　كـز خجلـت آن قهـر فـرو شُـد بـسياهى
چون گشت تمام از پى آن كرد صباحى　　بـر صـفحه رقـم (مخـزن اسـرار الهـى)

ومن الشعراء العرب الشاعر الشهير عبد الباقي العمري الفاروقي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٨هـ ، بقوله :

ألا إنّ صـــندوقاً أحـــاط بحيـــدر　　وذى العـرش قـد أربـى إلـى حـضرة
فـإن لـم يكـن لله كرسـيّ عرشـه　　فـإنّ الـذي فـي ضـمنه آيـة الكرسـي

والشاعر العالم الجليل السيّد صادق الفحّام النجفي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ ، فقد وصفه وأرّخه بمقطوعة مطلعها :

لله صـــندوق بـــديع صُـــنعه　　لـيس لـه فـي الحُسن مـن مـضاهي
أودعـــه صـــانعه عجائبـــاً　　تجـلّ عـن حـصرٍ وعـن تنـاهي
يرمقـه الطـرف فيغـدو حـائراً　　فيـه فيرتـدّ حـسيراً سـاهي
جـلّ عـن المثـل جـلال مـن بـه　　جـلّ عـن الأنـداد والأشـباه
عيبـة علـم جـدّدت قـد حـوت الـ　　ـعلم الجليـل الكامـل الإلهـي
لـذاك قـد قلـت بـه مؤرّخـاً　　(قـد جـدّدت عيبـة علـم الله)(١)

كسوة صندوق القبر الشريف

يوجد في خزائن الحرم العلوي كسوة نفيسة ثمينة لصندوق قبر أمير المؤمنين عليه السلام أهمّها ثوب من اللؤلؤ المنظوم بأسلاك ذهبيّة وفضّيّة ، والمشهور أنّه يرجع إلى عهد حكومة البويهيّون في العراق التي امتدّت من عام ٣٣٤هـ حتى عام ٤٤٧هـ .

---

(١) ديوان السيّد صادق الفحام : ١٢٦ .

قال الشيخ علي الشرقي : وقد شاهدت هذه الكسوة بمناسبة زيارة أحمد شاه القاجاري في أيام الإحتلال البريطاني للعراق حيث أمر الحاكم العسكري جلوة الحرم العلوي بكلّ ما فيه من نفائس ، وقد رغب الخازن بتقديم هديّة للشاه فكانت عباءة مقصّبة من صنع النجفيين ، وطلب منّي الخازن نظم بيت من الشعر ينسج بشرائط من الذهب ، كلّ شطر على جانب من تلك العباءة ، فاشترطت دخولي الحرم مع الشاه ، ونظمت البيت وهو :

فــي يُمــن بُــردة أحمــد باركتهــا ومعــوّذاً بحـديث أصـحاب الكسا[١]

وقد ورد أنّ الكسوة الأولى التي كسيت بها الحجرة الشريفة لمرقد النبي ﷺ قد بقيت معلّقة نحو سنتين ثمّ بعث بها إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك في زمن الخليفة العباسي المستضيء بالله المتوفى سنة ٥٧٥هـ.

قال أحمد بن علي القلقشندي ، المتوفى سنة ٨٢١ هـ: حكى ابن النجار في "تاريخ المدينة" أنّ أوّل من كسا الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد ، والعاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، عمل لها ستارة من الدبيقي الأبيض عليها الطرز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر ، مكتوب عليها ﴿سورة يس﴾ بأسرها ، والخليفة العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله . ولمّا جهّزها إلى المدينة امتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتى يأذن فيه المستضيء ، فنفذ الحسين بن أبي الهيجاء قاصداً إلى بغداد في استئذانه في ذلك ، فأذن فيه ، فعلّقت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين ، ثمّ بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى طرازها اسم الإمام المستضيء بالله ، فقلعت الأولى ونفذت إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وعلّقت ستارة المستضيء مكانها .[٢]

---

(١) الأحلام : ٦٥.
(٢) صبح الأعشى : ٣٠٦/٤.

موضع الإصبعين

مكان الإصبعين معلوم اليوم ، وعلامته النقبة الواقعة في طرف الصندوق الخاتم من جهة الرأس الشريف ممّا يلي القبلة ، معلّقاً عليها مقدار من الأحجار الكريمة الثمينة والحلي أهداها السلاطين والملوك من أيران والهند[١] ، وهو اليوم ظاهر يرى للناظرين من وراء الزجاج المحيط بصندوق الخاتم الذي بعث به ملوك الزند سنة ١٢٠٢هـ.

ولهذا الموضع قصّة بلغت حد الإشاعة ، وذكرها غير واحد .

قال المحدّث النوري : وأمّا قصّة مرّة بن قيس فهي وإن لم توجد في الكتب المعتبرة ، إلاّ أنّها في الشهرة عند الشيعة بمكان لا تخفى على أحد ، بل قَلَّ معجزة بلغت إلى هذه الرتبة من الشيوع . وقد أشار إليها الحكيم سنائي الغزنوي في حديقته وعدّها من المناقب المسلّمات ، وهو في حدود سنة الخمسمئة . وكذا الحكيم الفردوسي ، وهو في حدود سنة الأربعمئة . وللمولى حسن الكاشي الآملي المعاصر للعلاّمة الحلّي فيها قصيدة مخصوصة . وملخّص هذه القصّة على ما نقله في الكتاب المذكور ، عن السيّد الجليل والعالم النبيل السيّد نصر الله الحائري ، عن المولى عبد الكريم ، عن كتاب "تبصرة المؤمنين" . ورواها السيّد محمد صالح الترمذي المتخلّص بالكشفي من علماء أهل السنة في كتاب "المناقب" ، وقال : إنّه ثبت ذلك بالأسانيد الصحيحة ، وهو أنّ مُرّة بن قيس كان رجلاً كافراً له أموال وخدم وحشم كثيرة ، فتذاكر يوماً مع قومه في شأن آبائه وأجداده وأكابر قومه ، فقيل له : إنّ أكثرهم قد

---

(١) كان الميرزا محمد تقي بن محمد كاظم الشمس آبادي الأصبهاني يعرف بالألماسي ، لأنّ والده الميرزا محمد كاظم نصب فصوصاً من الماس في موضع الإصبعين من ضريح أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت قيمته سبعة آلاف توماناً . وكان الميرزا محمد كاظم ابن أخي العلامة المجلسي وصهره على ابنته . والميرزا محمد تقي عالم فقيه موصوف بالفضل وحسن السجايا ، أديب شاعر بالفارسية ، متعبّد زاهد ناسك ، ينتفع به الناس من جمعته وجماعته ، وفوضت إليه إمامة الجمعة بأصبهان أيام السلطان نادر شاه . (تلامذة المجلسي : ٨٥)

قتلوا بسيف علي بن أبي طالب ، فسألهم عن محلّ قبره فدلّوه على النجف ، فجهّز معه ألفي فارس وألوفاً من الرجّالة وتوجّه إلى النجف ، فلمّا قرب من نواحي البلدة تحصّن أهلها في داخل البلدة ، فحاربهم مدّة ستة أيام حتّى ثلم موضعاً من السور ودخل البلدة عنوة ، ففرّ الناس وخرجوا هاربين على وجوههم ، وجاء حتى دخل الروضة المقدّسة وخاطب صاحب المرقد ، بقوله :

ياعلي أنت قتلت آبائي وأجدادي ، وأراد أن يشقّ الضريح بسيفه ، فخرج منه إصبعان مثل ذي الفقار فقطعه نصفين ، وفي ساعته انقلب النصفان حجرين أسودين ، فجاؤا بهما إلى باب النجف ، وكان كلّ من يزور المرقد الشريف يرفسهما برجله . ومن خواص ذلك إنّه كلّما مرّ عليهما حيوان من حمار وغيره بال عليهما ومضى مدّة من الزمان وكان الحال على ذلك المنوال ، فجاء رجل من خدّام مسجد الكوفة وحمل القطعتين إلى باب مسجد الكوفة وطرحهما هناك واتّخذها مرتزقاً له من الزائرين والمتردّدين .

وقال السيّد محمد صالح الترمذي : حدّثني الشيخ يونس ، وهو من صلحاء أهل النجف الأشرف : إنّي رأيت عضواً من أعضائه هناك .

ويحكى عن الشيخ قاسم الكاظمي النجفي شارح كتاب "الإستبصار" : إنّه كان كثيراً ما يدعو على من أخرج الحجر المزبور من النجف ، ويقول خذل الله من أخرج هذا الملعون من تلك العتبة المقدّسة وأبطل هذه المعجزة الباهرة .(١)

وأشار إلى هذه القصّة السيّد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي النجفي ، المذكور في "روضات الجنات" في ذيل ترجمة الفاضل الجواد في رسالته التي ألّفها لإثبات وجود جثّة الأنبياء والأوصياء في قبورهم ، وممّا قال فيها :

إنّ مرّة بن قيس الدمشقي كان له مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سابقة من حيث قتله آباءه ، فحمله ذلك إلى أن يأتي قبره عليه السلام ويستخفّ به . فلمّا أعدّ

---

(١) دار السلام فيما يتعلّق بالرؤيا والمنام : ٥٨/٢ .

واستعدّ أتى الكوفة وسأل عن ظهرها وعن مكان القبر الشريف ، وتوجّه إليه يقصده فجرى عليه ما جرى ، وقصّته مشهورة بين الورى .[1]

والمعلوم أنّ لهذا المكان خصوصيّة زائدة على غيره من الروضة المقدّسة .

قال العلاّمة الشيخ محمد حسن النجفي في موسوعته الفقهية "جواهر الكلام" في بحث اللعان من كتاب النكاح : وقد يغلظ اللّعان بالقول بذكر أسماء الله تعالى المؤذنة بالإنتقام وبالعظمة والهيبة ، والمكان بأن يلاعن بينهما في البقاع المشرّفة ، مثل : ما بين الركن والمقام أي الحطيم إن كان في مكّة المكرّمة ، وفي المسجد الأقصى عند الصخرة إن كان في بيت المقدس ، وعند قبر رسول الله ﷺ إن كان في المدينة المنوّرة ، وعند المكان المعروف بالإصبعين في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام قريباً من مكان رأسه المعظّم .... .[2]

القبّة الذهبيّة الشريفة

تمّ تصميم القبّة من داخلها على هيئة أواوين مسندة عددها إثنا عشر إيواناً يفصل بين كلّ إيوان وآخر دعامة سميكة ، وفي منتصف كلّ إيوان دعامة أقلّ سمكاً . ويبلغ قطر القبّة من الداخل ١٢,٤٠ متراً ، ومن الخارج ١٦ متراً ، ويبلغ ارتفاع رقبة القبّة ٦ أمتار ، وسمك الجدار ١,٨٠ متر . وارتفاع القبّة الداخلية يساوي أربعة أمتار ، أمّا القبّة الخارجية فيبلغ ارتفاعها إلى أسفل الرمّانة ١٣ متراً .

وبتحديد آخر : يعلو مبنى الضريح المربّع الشكل قبّتان : إحداهما خارجية بيضوية مدبّبة يبلغ سمك جدرانها ٨٠ سم ، وارتفاعها عن سطح الضريح ٤٢ متراً ، وقطرها ١٦ متراً ، ومحيطها ٥٠ متراً . وأمّا القبّة الداخلية فهي مستديرة الشكل تقريباً ، يبلغ سمك جدرانها ٦٠ سم ، وقطرها ١٢ متراً ، وارتفاعها عن سطح الضريح ٣٥ متراً .

---

(١) روضات الجنات : ٢/٢١٦ .

(٢) جواهر الكلام : ٣٤/٦٢ .

ويرتفع رأس القبّة العليا عن رأس القبّة السفلى إلى أربعة أمتار ، وهناك سُلَّم خشبي غير ثابت طوله ١٢ متراً ينتهي إلى أعلى القبّة العليا ، يفضي إلى نافذة يغطيها باب نحاسي صغير ظاهره مذهّب ، ووضع في أعلى طرف من القبّة السامية رمّانة ذهبيّة كبيرة جدّاً فوقها كفّ ذهبي كبير كتب فيه ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ .[(١)]

ومن طريف ما يروى أنّه سئل نادرشاه عند زيارته النجف الأشرف عمّا يكتب في الكفّ الذهبي الأعلى فوق القبّة الذهبيّة ، فقال : اكتبوا ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فأخبروا بذلك الوزير المرافق له فتعجّب وأنكر أن يكون هذا الإلتفات منه ، ثم قال : سلوه مرّة أخرى عمّا قال : فأجابهم : "هو ما قلت أوّلاً ولا أذكره" ، فعلم صدق فراسة الوزير .[(٢)]

وفي باطن تلك القبّة الداخلية نطاق من كتابة الآيات الكريمة كتبت بالميناء ، وفوق ذلك فكلّ باطن القبّة منقوش بالفسيفساء نقشاً بديعاً بلغ حدّ الإعجاز في الفنّ والروعة والجمال ، وفي أسفل نقشة باطن القبّة نقش يحكي رؤوس سهام عددها ٢٤ سهماً ، وفي منتهى قمّة باطنها نقشت حلقة من الطرر عددها ١٢ طرّة كُتب في كلّ طرّة اسم واحد من أسماء الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام .

وترتكز القبّة بدورها على مقرنصات ، المتوسط منها يقع في ركن المربّع قاعدته إلى أسفل ورأسه إلى أعلى ، بينما نجد أنّ قاعدتي المقرنصتين الجانبيّين واللذين يقعان في أركان العقود الجانبية إلى أعلى ، ورأسيهما إلى أسفل ، ومثل هذا الأسلوب لم يظهر في العمائر الإسلامية إلاّ في القرن العاشر الهجري .[(٣)]

---

(١) سورة الفتح : الآية ١٠ .

(٢) معارف الرجال : ١٩١/٣ .

(٣) مشهد الإمام علي في النجف : ١٨٠ .

تهوية القبّة والضريح الشريف

يبلغ عدد نوافذ القبّة اثنتي عشرة نافذة ، يفصل بين كلّ نافذة وأخرى دعامة ترتفع إلى ٦ أمتار من أرضيّة سطح الحرم إلى الكتيبة الذهبيّة المطوّقة للقبّة من خارجها ، والتي كتب فيها ﴿سورة الفتح﴾ ، والبعد بين كلّ دعامة وأخرى ٢٠ ,٢ متراً ، وعرض كلّ نافذة ٨٠ سم .

والطريقة التي اتّبعت في تهوية الضريح ، تعتبر أحدث ما وصل إليه الفن المعماري في تهوية القباب ، فقد عملت سراديب وممرّات وتجاويف فاصلة بين عقود سقف الضريح الأصلي وسقف السطح . أمّا طريقة تهوية هذا الفراغ فتتم بواسطة أنابيب من حديد قطرها حدود ١٥ سم ، تعلو رؤوسها سطح الحرم بمقدار ٢٥ سم ، فيحول هذا العلوّ دون دخول مياه الأمطار ، كما توجد في سطح الحرم أيضاً عدّة فتحات واسعة للدخول منها للتفتيش في السراديب والممرات لو احتاجت إلى ترميم وإصلاح .

في يوم الإثنين ١٩ شعبان سنة ١٣٩٠هـ - ١٩ تشرين الأول سنة ١٩٧٠م ، صعدت إلى سطح الحرم الشريف للوقوف على هذه الآثار بنفسي ، ودخلت إلى قسم من هذه التجاويف والممرّات المتشاكلة ، ولولا أنّي وضعت قراطيس فيها إشارة إلى اليمين والشمال والأمام لما استطعت الخروج منها ، لكثرة ما لاقيته من شُعب وفروع متشاكلة في التصميم والبناء ، كلّ ذلك للاطّلاع على كيفيّة بناء القبّة وشُعبها الكثيرة ، فكان أوسعها أن يدخل الرجل فيها بهيئة الراكع ، وبعضها لا يسعه إلاّ حبواً ، ثم هناك تجاويف لا يمكن الدخول إليها لضيقها علوّاً وعرضاً . وكان ذلك بمساعدة الأستاذ البنّاء الشيخ محمد علي نائب المعمار الحاج سعيد النجفي .

تاريخ تذهيب القبّة

أرّخ عام بداية تذهيب القبّة كثير من الشعراء المعاصرين للسلطان نادرشاه ، منهم السيّد حسين بن مير رشيد النقوي الهندي النجفي المتوفى سنة ١١٧٠هـ بقصيدة ، قال فيها :

أمطلع الشمس قد راق النواظر أم   نار الكليم بدت من جانب الطور
أم قبّة المرتضى الهادي بجانبها   منارتا ذكرُ تقديس وتكبير
وصدر إيوان عزّ راح منشرحاً   صدر الوجود به في حسن تصدير
بشائر السعد أبدت من كتائبها   آي الهدى ضمن تشطير وتحرير
قد بات تذهيبها عن أمر معتضد   بالنصر للحق عالي القدر منصور
غوث البرايا شهنشاه الزمان علاً   النادر الملك مغوار المغاوير
أدامه الله ذو العرش المجيد لنا   كهفاً ودافع عنه كلّ محذور
فحين تمّت وراقت بهجة وأتت   على المرام بسعي منه مشكور
ثنى الثناء ابتهاجاً عطفه وشدا   شخص السرور بلحن منه مأثور
يا طالباً عام إبداء البناء لها   أرّخ (تجلّى لكم نور على نور)

وممّن أرّخ تذهيب القبّة والمأذنتين والإيوان السيّد نصر الله الفائزي الحائري في قصيدة رائية في ٥٨ بيتاً، منها:

إذا ضامك الدهر يوماً وجارا   فلُذْ بحمى أمنع الخلق جارا
وما يبلغ التبر من قبّة   بها عالم الملك زاد افتخارا
تبدي سناها عياناً فأرخـ   ـت (آنست من جانب الطور نارا)[1]

عمارات القبّة الذهبيّة

كانت القبّة المطهّرة قبل تذهيبها مكسوّة بقاشاني أزرق مطعّم بالفسيفساء، وفي أعلاها جرّة خضراء جعلت بعد التذهيب في الخزانة مع النفائس.[2]

وقد طرأت على القبّة الشريفة عدّة عمارات إصلاحيّة بعد تذهيبها سنة ١١٥٦هـ.

فالعمارة الأولى: كان ابتداء العمل بها في شهر ذي الحجّة من سنة ١٣٠٤هـ، حيث

---

(١) معارف الرجال: ١٩٦/١.
(٢) معارف الرجال: ١٩١/٣.

حدث فيها شقوق لمرور قرن ونصف على عمارتهما الأولى ممّا اضطرهم إلى قلع الصفائح الذهبيّة ، وبعد ترميم القبّة ووضع حزام من صفائح حديديّة لها ، أعادوا الصفائح الذهبيّة . وكان الفراغ من عمل الترميم في آخر شهر ربيع الأول من تلك السنة ، وكان بنظر المعمار الحاج محسن والأستاذ النجّار حسين الشمس .(١)

العمارة الثانية : كان ابتداؤها سنة ١٣٤٧هـ، بعد أن حدثت في البناء فُرج وشقوق وتقلّص بعض الصفائع الذهبية فأخذت مياه الأمطار تتسرّب منها إلى داخل القبّة ، فقلعوا الصفيح كلّه وسدّوا الشقوق والفُرج وأعيد الصفيح كما كان ، وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨هـ على يد المعمار الحاج سعيد بن الحاج محسن المذكور ، وقد أدركنا هذا الإصلاح .

العمارة الثالثة : وهي ترميمات وتجديد للقبّتين الداخلية والخارجية كان الإبتداء بها سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

في يوم الثلاثاء ٢٠ شعبان سنة ١٣٩٠هـ - ٢٠ تشرين الأول سنة ١٩٧٠م ، صعدت إلى القبّة الشريفة ، وكان الدخول إليها من باب صغير مذهّب متّجه نحو الشرق يعلو منتصف الطاباق الذهبي ، وقد نُصب إليه في سطح الحرم سُلّم خشبي خارجي كثير المراقي ينتهي إلى الباب الذهبي ومنه إلى داخل القبّة الشريفة . هذا وكان البناؤون مشغولين بعمارة القبّة من داخلها بشكل خاص ، مراعين فيها عدم إزالة الجميع دفعة واحدة ، فيتم نقض البناء القديم أوّلاً بمقدار متر ونصف وتستخرج منه الأخشاب المتآكلة لمرور الزمن والتي جعلت كرباطات للبناء القديم ، ثمّ يوضع في البناء قطع من قضبان حديدية بطول ٥٠ ,١ متراً يربط أحدهما بالآخر كحلقات السلسلة ، يصبّ عليها الإسمنت بلوازمه ، وهكذا يكون البناء مستديراً حول محيط القبّة البالغ ٥٠ متراً ، وتكون قضبان الحديد كالأحزمة المسلّحة حول القبّة ، ثم يُنقض ما فوقه على هذا

(١) اليتيمة الغروية والتحفة النجفية .

المنوال ويعاد بناؤه ويُحكم حتى كمل بناء القبّتين الخارجية والداخلية من جديد ، والسبب في اتّخاذ مثل هذه الطريقة للبناء هو الحرص على حفظ الهيئة الأولى للقبّتين ، والحفاظ أيضاً على تركيب البلاط القاشاني النفيس وزخرفته للقبّة السفلى من داخل الروضة ، وعدم حرمان الزائرين من دخولهم للحضرة المطهّرة للزيارة .

وفي سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، هبّ الرجل المحسن الوجيه الحاج محمد رشاد مرزه النجفي وبذل الأموال الطائلة لإصلاح الصفائح الذهبية للقبّة الشريفة وتذهيبها من جديد كما كانت على هيئتها الأولى وقد مضى على تذهيبها من قبل السلطان نادرشاه ٢٣٥ عاماً ، فتغيرت نظارتها لتآكل أجزاء من بعض الصفائح الذهبيّة بفعل الضروف المناخيّة من شمس محرقة وأمطار غزيرة . وكان عدد الصفائح الذهبيّة الذي يعلو حدّ الكتيبة الذهبيّة الخارجية التي تطوّق ظاهر القبّة الشريفة قد بلغ ثمانية آلاف وسبعمئة وسبعة وثمانون صفيحة (٨٧٨٧) حسب الترقيم الرسمي في سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٦٩م المثبت على كلّ صفيحة . وقد قرأت وكتبت ذلك حينما أطلعني عليه البنّاء الأستاذ الشيخ محمد علي خليفة ، والمعمار الحاج سعيد بن الحاج محسن النجفي . أمّا ما قيل من أنّ عدد الصفائح الذهبية هو ٧٧٧٧ صفيحة ، ونظموه بالفارسي بقولهم : "هفت هزار وهفت صد وهفتاد وهفت" ، فهو غير صحيح .

خزائن الروضة المقدّسة

منذ ظهر مرقد أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنشئت بلدة النجف المقدّسة ، صار كلّ عظيم أو زعيم أو ذي شأن يقصد ذلك المكان المنيع ويقدّم أنفس ما لديه من التحف والنفائس تذكاراً وإذعاناً بعظمة تلك الذات المقدّسة ورمزاً للخضوع لها من قبل عصر البويهيين إلى أخريات هذه العصور . فمن ذلك وفي بحر هذه القرون المتطاولة والأعصار المتمادية اجتمع في خزانة هذه البقعة العظيمة الشأن من نفائس التحف وكرائم الحجارة والأحجار مالم يجتمع ولايوجد في خزانة أي ملك من ملوك العالم ،

أو أي دولة من الدول ممّا يقصر الوصف دونه وتحار العقول فيه .

قيل إنّ كنوز كربلاء والنجف عرضت على السلطان ناصر الدين شاه عند زيارته لها سنة ١٢٨٧هـ فبلغ وزن الذهب والفضّة سبعة أطنان ، وبين هذه النفائس سراج مصنوع من زمردة واحدة ، وثريّات من ذهب خالص مرصّعة بالياقوت ، وسجّادة مطرّزة باللؤلؤ ، وغيرها كثير . كما أنّ قبّة النجف ومنائرها مغشاة بالذهب الخالص .

وخزائن مرقد علي أمير المؤمنين عليه السلام أهمها أربع ، هي :

الخزانة الأولى

موضوعة في سرداب تحت الأرض ، مدخلها من حجرة بجنب المأذنة الجنوبية ، وقد دفن في هذه الحجرة المقدّس الشيخ أحمد الأردبيلي . وفي هذه الخزانة النفائس العظيمة وأكثرها من هدايا السلطان نادرشاه ، منها خمسة قناديل مثبتة بفصوص ثمينة ، وسادس تلك القناديل كان معلّقاً بسلسلة ذهبية فوق الضريح المقدّس ، والآن هو موضوع داخل الشبّاك الفضّي جهة القبلة على يسار الداخل من باب الضريح الأقدس فوق الصندوق الحديدي (القاصة) بغلاف زجاجي يرى للناظرين من الشبّاك ، ووضع مكانه فوق الضريح ثريّا بلّورية تنيرها مصابيح كهربائية معلّقة ، وفي هذه القاصة الشيء الكثير من الأحجار الكريمة والنفائس المصوغة ، كذا روي .

وفي هذه الخزانة أيضاً مجمر من ذهب وضع فيه ستّة أحجار من الياقوت الأحمر تشع وتلتهب كأنّها الجمر ، وفيها عقد كبير من الماس كتب عليه كلمة "نادر" ، وفيها فصوص وأحجار كريمة ولئالئ وتيجان مرصّعة بالأحجار الكريمة إلى غير ذلك . ويروي أنّ جُلّ هذه النفائس والتحف من هدايا السلطان نادر شاه .

الخزانة الثانية

فيها الكثير من النفائس والأحجار ، وهي في الضريح في الصندوق الحديدي (القاصة) يرى للناظر عند باب الشبّاك على يسار الداخل إلى الضريح ، وقد وضع القنديل المذكور فوقه.

الخزانة الثالثة

موقعها في الرواق ممّا يلي الرأس الشريف ، في غرفة مطلّة على منتصف الساباط الغربي ، ويكثر فيها السجّاد والستور والبردات المطعّمة باللؤلؤ والأحجار الكريمة الصغيرة مخيطة بأسلاك ذهبية .

ومن النفائس سجّادة في غاية من إبداع الصنع ، وقد نسجت من الإبريسم ولباس الصوف ، تقاس في الطول أكثر من مترين تقريباً ، وفي العرض أكثر من المتر تقريباً ، وقد وضعت بشكل محراب المصلّى ، ولها إطار مكتوب نسجاً بآية الكرسي وبأحسن خط ، وفي أعلاها نسجت صورة أسد يرمز بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وعلى الجانبين نسجوا أحد عشر صورة يرمزون بها إلى الأئمة من أولاده وأحفاده ، ونسجوا على تلك السجّادة ﴿سورة الحمد﴾ و﴿سورة التوحيد﴾ والتسبيحات التي ترد في الصلاة ، والتشهد ، والتسليم .

وهناك أربع قطع من السجّاد النفيس المنسوج من الإبريسم وهي عمل بعض الأميرات الصفويات ، وقد نسجن تواقيعهن وتواريخ النسج .

وثوب من اللؤلؤ المنظوم بأسلاك ذهبية ، كسوة صندوق القبر من عهد البويهيين .

وهناك سجّادة طولها ٩٢ متراً وعرضها ١٨٠سم أرضيّتها فضّية نقشت فيها ثلاث محاريب ، وتعتبر أثمن سجّادة في العالم .

كما أنّ هناك ثمانية قطع من السجّاد تماثل الأولى في الأوصاف . وهناك زوجان من الستائر مطرّزتان بالكلبدون واللؤلؤ .

ومن تحف الحرم المطهر أربع بردات ، منهن بردتين وضعتا على البابين الغربيين الفضّيين المسدودين عند الرأس الشريف ، وكانتا مطرّزتين بالكلبدون ، ومزيّنتين ببعض الأحجار الثمينة الصغيرة المنظومة بالأشرطة الذهبية . وبردتين أخريين وضعتا على البابين الفضّيين الشماليين خلف الإمام عليه السلام ، وكان صنعهما في غاية الإبداع والتصميم والنفاسة ، فقد طرّزتا بالأزهار المورقة الناتئة بألوان الأحجار الكريمة

الصغيرة المنظومة بأشرطة من ذهب ، فترى ورود زرقاء فاتحة وسطها أبيض اللون ، وورود بيضاء وسطها أحمر اللون إلى غير ذلك .[(١)]

الخزانة الرابعة

تقع في إحدى الحجرات الجنوبية للصحن الشريف ، وهي معروفة اليوم بخزانة الكتب والقرائين ، وفيها :

١- نسخة القرآن الكريم بخط البرنس إسماعيل الصفوي وبتاريخ سنة ٩٩١هـ ، وعليها غلاف أفرغ من ماء الذهب المذاب ، وقد ثبّت بالأحجار الكريمة .

٢- نسخة أخرى من القرآن الكريم على كرسي من العاج المرصّع بالحجر الثمين ، وقد لفّ بثوب من الإستبرق موشى بأسلاك الذهب في فن خارق وصناعة بارعة وغلاف ملوّن بالفسيفساء والميناء ، وهي غاية في جودة الخط بالقلم النسخي ، وليس فيه مادة للتاريخ .

٣- وهناك نسخة ثالثة على كرسي مبرقع وهي بتلك النفاسة التي نوّهنا عنها ، وعلى هذه النسخة تفسير بالفارسية ، وقد استخدم في كتابتها وتنقيحها كثير من الأصباغ ومحلول الذهب ، فكانت من أبدع الآثار المخطوطة .

أهم الهدايا الموجودة في الحضرة الحيدرية المطهّرة

تنقسم الهدايا الموجودة في الحضرة الحيدرية المطهّرة إلى قسمين :

القسم الأول : وهو الخزانة المثبتة في جدار الروضة المطهّرة ، وتحتوي على مجموعة كبيرة من التحف والنوادر التي لاتقدّر بثمن ، وكلّها مصنوعة من الذهب الخالص ومرصّعة بالمجوهرات والأحجار الكريمة ، ومن بين تلك الهدايا مجموعة من

---

(١) عن رسالة موجزة كتبها سماحة الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وكانت رؤياه لهذه الآثار عند زيارة وفد المحامين العرب لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف بتاريخ ١٩٦٤/٢/٢٧م - ١٣٨٣/١٠/١٤هـ.

القناديل الذهبية المشبّكة المرصّعة بالماس والياقوت والتيجان المرصّعة بالزمرد والماس ، ومختلف أنواع القلادات والأوسمة وأزهار ذهبية مرصّعة بالحجم الكبير ، ومصاحف خطّت بخط الإمام علي عليه السلام كما قيل في المصاحف ، ومجموعة كبيرة من الدرّ ، وباقة من اللؤلؤ ذات ٢٤ فرعاً يضمّ كلّ فرع ٩ لؤلؤات وزمردة وياقوتة كبيرة .

القسم الثاني : موجود في الخزانة الخارجية والمخازن الأخرى ، وتضمّ هذه الهدايا مجموعة كبيرة من السجّاد الإيراني والأسحلة والقناديل الذهبية الكبيرة ، والتي كانت معلّقة في داخل الحرم الشريف .

وكان في الروضة الشريفة الكثير من القناديل الذهبية الكبيرة الحجم المعلّقة في زوايا الحرم الأربع بسلاسل متينة بين الدعامتين ، حيث أنّ الكبار منها لايسهل على الإنسان حمله لثقله الذهبي ، وقد أدركناها سنين متطاولة . وفي سنة ١٣٦٩هـ رفعت تلك القناديل الذهبية وباقي المعلّقات الثمينة والشمعدانات والمسارج ، ومنها قرن الوعل كان في غاية من الإبداع ، له فروع كشجرة وكان مبالغ في وزنه ، ووضعت في خزانة أخرى من غرف الرواق المغلوقة عند كسوة جداران الحرم بالزخارف الزجاجية التي تبرع بها محمد رضا شاه إيران .

ومن النفائس مبخرة مرصّعة بالأحجار الكريمة ، وإناء من الذهب الخالص ليحرق فيه البخور في الروضة العلوية ، أهدتهما الإمبراطورة گوهر شاه بيگم زوجة السلطان نادر شاه .

ومن القناديل الذهبية في خزائن علي عليه السلام هي أربعون قنديلاً ذهبياً ، وأربعون شمعداناً مطعّم بالذهب والفضّة ، أهداها بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل ، حيث نذر على نفسه كلّ سنة يعيش فيها وهو أمير الموصل يكون على نفسه للمشهد العلوي قنديل ذهبي من ألف دينار ، ولم يزل على ذلك حتى مات سنة ٦٥٧هـ . فحكي أنّه عُدّ في المشهد من جهته أربعون قنديلاً وأربعون شمعداناً وعليها اسمه .

كما أنّ هناك تاج ذهبي كبير محفوظ داخل فانوس فضّي أهدي من قبل أحد الملوك . هذا بالإضافة إلى مجموعات كبيرة من السيوف الذهبية والفضّية والقناديل والمصاحف الشريفة التي خطّت بخط الإمام الحسن بن علي عليه السلام وكتبت على رّق الغزال .

مكتبة الحرم الشريف

هي مكتبة مهجورة في الصحن الغروي الشريف ، كانت في سالف الزمان مكتبة عظيمة فيها كثير من النفائس ، بل هي من أثمن مكتبات الدنيا لما ضمّت من أسماء آثار نادرة . ويعتقد أنّ أوّل من أوقف الكتب لها هو عضد الدولة الديلمي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ .

وقد ذكر هذه المكتبة علي بن موسى بن طاووس في كتابه "سعد السعود" المؤلّف سنة ٦٥١هـ ، فقال : فصل فيما نذكره من صحائف إدريس عليه السلام . وجدت هذه الصحف بنسخة عتيقة يوشك أن يكون تاريخها من مئتين من السنين بخزانة كتب مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذهب أوّلها وآخرها .[١]

وذكر السيّد عبد الكريم بن طاووس خازنين من خزّانها ، وهما : أبو عبد الله بن شهريار الخازن سنة ٥٠١ هـ وهو صهر الشيخ الطوسي[٢] ، ويحيى بن عليان في القرن السابع ، قال :

حدّثنا يحيى بن عليان الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه وجد بخط الشيخ أبي عبد الله بن محمد بن السري المعروف بابن البرسي رحمه الله ، بمشهد الغري سلام الله على صاحبه ، على ظهر كتاب بخطه ، قال : كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري ، في شهر جمادى الأولى في سنة أحدى وسبعين وثلاثمئة .[٣]

---

(١) سعد السعود : ٣٢.

(٢) فرحة الغري : ١٧١ .

(٣) فرحة الغري : ١٥٤ .

كما ذكر الشيخ جعفر محبوبة خازنين آخرين هما محمد جعفر الكيشوان ومحمد حسين كتابدار بن محمد علي الخادم ، وهما في أوائل العهد الصفوي .(١)

وكان الملاّ محمود بن الملاّ عبد المطلب سادن الحرم الشريف المتوفى سنة ١٢٣٠هـ ، يشرف على هذه المكتبة ويعنى بها ، وقد اجتمع به السيّد عبد اللطيف بن السيّد أبي طالب الجزائري التستري صاحب كتاب "تحفة العالم" عند زيارته للنجف ، وأطلعه على ما في الخزانة من آثار مهمّة استفاد منها كثيراً ، كما ذكر ذلك التستري في كتابه المذكور ، وقال عنها : إنّه لم ير مثلها في العالم !.(٢)

وفي سنة ٧٥٥هـ وقع حريق في المشهد العلوي واحترقت كتب منها .

قال ابن عنبة : وقد كان بالمشهد الشريف الغروى مصحف في ثلاث مجلّدات بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمئة .(٣)

وقد أحصيت كتب هذه الخزانة مؤخراً ووقع الفراغ من جردها وتسجيلها يوم الثلاثاء ٦ رجب سنة ١٣٩٠هـ - ٦ أيلول سنة ١٩٧٠م على يد العلاّمة المحقّق السيّد أحمد الحسيني ، بإشراف قائمقام قضاء النجف الأشرف السيّد عبد الرزاق الحبّوبي الحسيني ، والقاضي سماحة الشيخ حسن الشميساوي ، فكان مجموع الموجود فيها من الكتب بالتاريخ المذكور هو ٧٥٢ كتاباً ، منها الكتب المخطوطة ، والكتب المطبوعة القديمة وعددها ٦٠٠ كتاباً .(٤)

---

(١) ماضي النجف وحاضرها : ١/١٤٩.

(٢) شعراء الغري : ١٨٥ .

(٣) عمدة الطالب : ٢٠ .

(٤) الذريعة : ٨/٢٩٨.

إسالة الماء في الصحن الشريف

السقّخانة

هو بناء أعدّ لشرب الزائرين الماء ، وفيه ما يلزم من الأواني والأوعية . عمّر هذه السقّخانة سنة ١١٩٧هـ النواب أحمد خان المتوفى سنة ١١٩٩هـ بأمر السلطان علي مراد خان زند .[١] ولم يبق لهذا البناء اليوم أثر .

خزّان المياه في الصحن الشريف

ومن الآثار التي كانت في الجهة الغربية من الصحن الشريف تحت الساباط هو خزّان ماء واسع محكم البناء يملأ من مياه الأمطار التي تقع على سطح الحرم والصحن في الشتاء ، كما يضاف إليه من البئر التي حوله . وأُعدَّ هذا الماء لغسل أرض الحرم المطهّر والرواق والإيوان الذهبي الشرقي حيث كان الخزّان يرتفع عن أرض الحرم . ويتم إيصال الماء منه بواسطة أنابيب خزفيّة إلى أرض الحرم . كان ذلك في الزمان القديم عند فقد المياه في النجف وقلّتها ، ولمّا امتدّت شبكة الأنابيب في النجف هُدم ذلك للاستغناء عنه .

وقد ورد أنّه حينما توفي العالم الجليل الشيخ محمد تقي الگلبايگاني النجفي سنة ١٢٩٨هـ في غرفته بالصحن الشريف بالطاعون الصغير المؤرّخ بكلمة "مرغزان" قاموا بتغسيله في هذا الخزّان ، حيث منعت الحكومة العثمانية الدخول والخروج من البلد وأُقبر في وادي السلام .

أحواض المياه في الصحن الشريف

الحوض الجنوبي

يقع هذا الحوض في ساحة الصحن أمام الإيوان الجنوبي الكبير الذي أُقبر فيه العالم المجاهد السيّد محمد سعيد الحسني الحبّوبي . وكان هذا الحوض يملأ من بئر إلى

---

(١) أحسن السير (فارسي) : ١٣٢ .

جانبه في ساحة الصحن ، ويظهر أنّ هذه البئر تتّصل ببئر أخرى واسعة كالآبار العبّاسية الشهيرة في النجف الأشرف ، موقعها في حجرة بين الإيوان الكبير المذكور والباب القبلي للصحن ، وهذه الحجرة دفن فيها العالم الزاهد الشيخ محمد طه نجف .

وقفت على البئر الكبير في أوائل ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ - شباط ١٩٧٧م وقت ما كان البنّاؤن مشغولين في إحكام سدّ فوهة البئر لإحكام أسس جدران الصحن الجديدة التي شرعوا في بنائها وضبطها ، كما رأينا حينها الحوض القديم بجانب البئر في أرض الغرفة والسواقي المؤدّية إلى حوض الصحن الكبير . وكان الحوض وسواقيه معبّدان بالقير بإحكام ، ولم يزل باق على حاله ، وقد رُدِمَ الحوض وعُبّدت أرض الغرفة بالإسمنت المسلّح .

والظاهر أنّ الحوض الجنوبي المشار إليه هو الحوض الذي أنشأه محمد نجيب باشا في سنة ١٢٦١هـ . وقد مدحه الشاعر الشهير عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة ختمها بالتاريخ ، والقصيدة مثبتة في ديوانه مطلعها :

أجـرى (محمـدٌ نجيـب) الـوزرا ... حوضاً لساقي الحوض يحكي الكوثرا

إلى قوله في التاريخ :

ومـن جـرى يبغـي مجـاراة لـه ... بحلبـة يرجـع عنـه القهقـرى
يـا سـائلي عمّـا جـرى أنظـر تـرى ... تاريخـه (هـذا أرقّ مـا جـرى)[1]

وقد قلع الحوض الكبير في ساحة الصحن ووضع غيره قائماً محفوظاً للشرب دون الأول ، وله ميازيب خاصّة لإيصال الماء إليه . وقد بذلت لتعميره بنت شبلي باشا زوجة البيگ يحيى ، ثم قُلع هذا الحوض بعد سنين مضت حيث اندرست آثار القوم وانقطعت جرايات ماء الحوض .[2]

---

(١) ديوان عبد الباقي العمري : ٢٤٤- ٢٤٥ .
(٢) كتاب النوادر : ٧/ ٤٦ .

الحوض الشرقي

حينما زار الشاه صفي بن صفي ميرزا بن السلطان شاه عباس الصفوي النجف الأشرف سنة ١٠٤٢هـ أمر وزيره ميرزا تقي خان بتجديد القبّة المرتضوية وفسحة الحرم ، وكان فيما بنى حوض ماء في الجهة الشرقية من الصحن الشريف .(١)

أقول : والظاهر أنّ هذا الحوض هو الذي بنيت في وسطه المسرجة - كما ستأتي لاحقاً في "إنارة الصحن الشريف" - وهذا الحوض مستدير مثمّن الهيئة ، فيه تقاطيع وحواجز ، والمسرجة قائمة على دكّة مربّعة من الصخر الأبيض ، وفي كلّ ضلع من هذه الدكّة الصخرية المربّعة أسد مجسّم يخرج الماء من فمه بأنبوب ليراق في حياض صغيرة مستديرة ، ويشرب الزائرون منه . وكانت هذه الحياض محاطة بشبّاك ضخم يرتفع نحو ثلاثة أمتار . وكان موقعه قبال باب الصحن الكبير الشرقي ممّا يقرب من الطارمة للإيوان الذهبي بنحو المترين . وقد أُزيل الحوض من الصحن وسوّي مكانه الأرض حدود سنة ١٣٥٠هـ .

إنارة الصحن الشريف

كانت إنارة الصحن الشريف والروضة المقدّسة قبل ورود الكهرباء تتم بواسطة قناديل موزّعة في جوانب الصحن والروضة المقدّسة . وكانت في الجهة الشرقية للصحن ما يعرف بالمسرجة ، موقعها قبال الباب الشرقي الكبير للصحن الشريف ، وهي برج مشجّر قائم على دكّة مربّعة من الصخر الأبيض يتوسّط حوض كبير على كلّ فرع من البرج محلّ شمعة تُسرج ليلاً فيضيء منه الجانب الشرقي من الصحن الشريف . ثمّ صنعوا برجاً مشجّراً مجهّزاً بالمصابيح الكهربائيّة عام ١٣٤٢هـ حينما أسّس الحاج معين التجّار مشروع الكهرباء لإضاءة الصحن الشريف . وقد أدركنا المسرجة بهذه الصفة إلى أن أُزيلت مع الحوض لانقضاء دورها القديم حدود سنة ١٣٥٠هـ .

وقد ذكر العديد من الشعراء إضاءة الصحن الشريف بمصابيح كهربائية ، منهم السيّد عبد المهدي بن راضي الأعرجي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ ، بقوله مؤرّخاً :

---

(١) تاريخ روضة الصفا (فارسي) : ٤٤٦/٦ . المنتظم الناصري (فارسي) : ٢ / ١٨٢ .

لقـــد أضـــاء الكهربـــاء بعـــدما كانـــت ليالينـــا علينـــا مظلمـــه
كأنّـــه والـــصحن كـــالأفق لـــه مـــذ أرّخـــوه (شـــهبٌ منظّمـــه)[1]

وقال الشيخ قاسم حرج الوائلي :

(أديـــسن فكـــره لمّـــا تخطّـــى وزاول مـــستفيداً أو مفيـــدا
كقـــرن الـــشمس أفتـــق فاســـتنارت بـــه الـــدنيا وزوّدهـــا جهـــودا
بأنملـــةٍ يجلّـــي ليـــل مـــصرٍ إذا مـــا جـــسّت الـــسلك المديـــدا
ويـــسمع كالقريـــب بـــه بعيـــدٍ إذا ألقيـــت نثـــراً أو قـــصيدا[2]

طيور الحَمَام في الحرم الشريف

إهتمّ نقباء وسدنة المشهد الغروي منذ عهد بعيد بتربية الحمام الذي يأوي إلى المرقد العلوي الشريف ، وتعاهدوا شؤونه ومنعوا المساس به رعاية لحرمة المرقد المطهّر ، كما بالغ بعضهم بتلك الرعاية . فقد ورد أنّ نقيب المشهد الغروي السيّد جلال الدين عبد الله بن المختار العلوي الكوفي المتوفى سنة ٦٤٩هـ رتّب شرائح[3] الطيور الحمام ، ولم يزل على ذلك إلى أيام الخليفة المستعصم ، وضبط أنسابها في الدساتير .[4]

ومن المأثور في النجف أنّ الشاه عباس الصفوي المتوفى سنة ١٠٣٧هـ جلب الحمام الأزرق من الهند بعد تعميره العتبات المقدّسة ، وهو المعروف اليوم بحمام الحضرة تارة ، والطوارنيّة تارة أخرى ، نسبة إلى جبل الطور الذي يقع خلف بلدة النجف القديمة والممتد من شرقيّها إلى شمالها ، حيث كان يأوي إليه هذا الحمام .[5]

---

(١) شعراء الغري : ٢٧٤/١٢ .
(٢) شعراء الغري : ٨٠/٧.
(٣) الشريجة : جديلة من قصب تتّخذ للحَمام . (لسان العرب : مادة "شرج")
(٤) الحوادث الجامعة : ٢٥٦- ٢٥٧ .
(٥) والجبل هذا غطّاه تراب عمارة البلدة اليوم . وقد أنشئت إلى جانبه القلعة العسكرية العثمانية في النجف قرب خندق سور البلد الأخير ، ثمّ صار بمكانها مدرسة الغري الأهليّة وملحقاتها ، وقد هدمت أخيراً هذه المدرسة في توسعة الشارع المحاذي لسور المدينة .

الفصل الخامس عشر

ديـــارات النجف

ديــارات النجف

كان لموقع النجف الجغرافي المطلّ على البحر القديم واعتدال مناخه واعتناق ملوك الحيرة دين النصرانية أثر كبير في انتشار الأديرة في موضع النجف .

يحكى أنّ السبب في دخول النعمان بن المنذر النصرانية أنّه خرج يوماً إلى الصيد ومعه عدي بن زيد فمرّوا بشجرة ، فقال له عدي بن زيد : أيّها الملك أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟. قال : لا ، قال : تقول :

رُبَّ ركــب قــد أنــاخوا عنــدنا يــشربون الخمــر بالمــاء الــزلال
عــصف الــدهر بهــم فانقرضــوا وكــذاك الــدهر حــالاً بعــد حــال

قال : ثمّ جاوز الشجرة فمرّ بمقبرة ، فقال له عدي : أيّها الملك أتدري ما تقول هذه المقبرة ؟. قال : لا ، قال : تقول :

أيّهــا الركــب المخبّــون علــى الأرض المجــدّون
فكمــا أنــتم كنّــا وكمــا نحــن تكونــون

فقال له النعمان : إنّ الشجرة والمقبرة لا يتكلّمان ، وقد علمت أنّك إنّما أردت عظتي ، فما السبيل التي تُدرك بها النجاة ؟. قال : تَدَعْ عبادة الأوثان وتعبد الله وتدين بدين المسيح عيسى بن مريم ، قال : أو في هذا النجاة ؟. قال : نعم . فتنصّر يومئذ .[1]

وكان النعمان يركب في كلّ عيد ومعه أهل بيته عليهم حُلل الديباج المذهّب

---

(١) الأغاني : ٨٧/٢.

وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب وفي أواسطهم الزنانير المفضّضّة وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان . فإذا فرغوا من صلواتهم انصرفوا إلى مستشرفة في النجف .(١)

وتشير بعض المصادر القديمة أنّ في مدّة سلطنة الملك الفارسي يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠م) انتقلت المسيحية من أديرة النجف إلى شبه الجزيرة العربية ، وكان ذلك على يد أحد تجّار نجران ، يدعى حيّان . وقد تعرّف هذا الرجل في سفرة له على بعض المسيحيين في الحيرة ، وبعد رجوعه إلى نجران ، اعتنق كثير من أهل نجران وأميرهم المسيحية .(٢)

واستمرّت هذه العلاقة ، فكان في الحيرة سراة نصارى اشتركوا مع سراة قريش في الأعمال التجارية مثل كعب بن عدي التنوخي ، وهو من سراة نصارى الحيرة وكان أبوه أسقفاً على المدينة ، وكان هو يتعاطى التجارة وله شركة في تجارة البز مع عمر ابن الخطّاب في الجاهلية . وفي رواية أنّه قدم المدينة في وفد من أهل الحيرة إلى النبي صلى الله عليه وآله ورآه وأسلم .(٣)

ومن أديرة النجف :

١- دير الأسْكُون (الأسْكُول)

هو بالحيرة راكب على النجف ، وفيه قلالي وهياكل ، وفيه رهبان يضيفون من ورد عليهم ، وعليه سور عالٍ وحصين ، وعليه باب حديد ، ومنه يهبط الهابط إلى غدير بالحيرة ، أرضه رضراض ورمل أبيض ، وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء إذا انقطع النهر كان منها شرب أهل الحيرة .(٤)

---

(١) معجم ما استعجم : ٣٦٦ .

(٢) تاريخ كليساي قديم (فارسي) : ٣١٥ .

(٣) الإصابة : ٤٥١/٥ .

(٤) معجم البلدان : ٤٩٨/٢ .

٢- ديارات الأساقف

هذه الديارات بالنجف ظاهر الكوفة ، وهو أوّل الحيرة ، وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر أبي الخصيب - مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه - وعن شماله السدير ، وفيه يقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الحمّاني :

كـم وقفـةٍ لـك بـالخور نـق لاتـوازى بـالمواقف
بـين الغـدير إلـى السديـ ـر إلـى ديـارات الأسـاقف[١]

٣- قلاية القُس

القلاية : بناء كالدير ، والقُس : اسم رجل . وكانت بظاهر الحيرة ، وفيها يقول الثرواني :

خليلـي مـن تـيمٍ وعِجْـلٍ هـديتما أضيفا بحثّ الكأس يومي إلى أمس
وإن أنتمـا حييتمـاني تحيّـة فـلا تعـدوا ريحـان قلايـة القُـس

وكان هذا القس معروفاً بالعبادة ثمّ ترك ذلك واشتغل باللهو ، فقال فيه أحد الشعراء :

إنّ بـالحيرة قـسّاً قـد مجـن فُـتن الرهبـان فيـه وافتـتن
هجـر الإنجيـل مـن حُـبّ الـصبا ورأى الـدنيا متاعـاً فـركن[٢]

٤- دير سرجس

قال الشابشتي : كان هذا الدير بطَيْزَناباذ[٣] ، وهو بين الكوفة والقادسية على حافّة الطريق ، بينه وبين القادسية ميل . وكانت أرضه محفوفة بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكانت أحد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة ، وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها وتهدّمت أبارها ، ولم يبق من جميع رسومها إلاّ قباب خراب وحجر على قارعة الطريق تسمّيه الناس معصرة أبي نؤاس .[٤] وفيه يقول الحسين بن الصمان :

---

(١) معجم البلدان : ٢/٤٩٨ .

(٢) معجم البلدان : ٤/٣٨٦ .

(٣) هي من مواضع النجف ، سيأتي ذكرها في المواضع العامة .

(٤) الديارات : ١٥٠ .

أخـويّ حـيّ علـى الـصبوح صـباحا هبّـا ولا بعــد النـديم صــباحا
هــذا الــشميط كأنّــه متحيّــر فــي الأفــق سـدّ طريقـه فألاحـا
مهمـا أقـام علـى الـصبوح مـساعد وعلـى الغبـوق فلـن أريـد براحـا
عــوداً لعادتنــا صـبيحة أمـسنا فـالعود أحمـد مغتـدى ومراحـا
هـل تعـذران بـدير سـرجس صـاحباً بالـصحو أو تريـان ذاك جناحـا[١]

٥- دير الأعور

هو بظاهر الكوفة بناه رجل من إياد يقال له الأعور من بني حذاقة بن زهر بن إياد.[٢]

ولموضع الدير يقول أبو داود الشاعر واسمه جارية بن حمران بن بحر بن عصام بن نبهان بن منبه بن حذاقة الإيادي ثم الحذاقي

ودار يقــول لهــا الرائــدو ن ويــل أمّ دار الحــذاقي دارا

ولهذا الدير ذكر في فتح الحيرة، فالقائد الفارسي رستم نزل بحياله وجعل سرادقه إلى جنبه ودعا أهل الحيرة فأوعدهم وهمّ بهم، وقال: يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونا لهم علينا وأعنتموهم بالأموال.[٣]

٦- دير بني مرينا

بظاهر الحيرة، وكان من حديثه أنّ قيس بن سلمة بن الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار أغار على ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي، فهزمه حتى أدخله الخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو ولم يكن ولد له يومئذ المنذر بن المنذر، فجعل إذا غشيه قيس بن سلمة يقول: يا ليت هنداً ولدت ثالثا! وهند عمّة قيس وهي أم ولد المنذر، فمكث ذو القرنين حولاً ثم أغار عليهم بذات

---

(١) معجم البلدان: ٢/٥١٤.

(٢) معجم البلدان: ٢/٤٩٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٣/٢٥.

الشقوق فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر بن عمرو كانوا يتصيّدون وأفلت امرؤ القيس على فرس شقراء فطلبه القوم كلّهم فلم يقدروا عليه ، وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثمّ أرسل إليهم أن يؤتى بهم فخشي أن لا يؤتى بهم حتى يؤخذوا من رسله ، فأرسل إليهم أن اضربوا أعناقهم حيث ما أتاكم الرسول ، فأتاهم الرسول وهم عند الجفر فضربوا أعناقهم به ، فسمي "جفر الأملاك" ، وهو موضع دير بني مرينا ، فلذلك قال امرؤ القيس يرثيهم :

ألا يـا عـين بكّـي لـي شـنينا ... وبكّـي لـي الملـوك الـذاهبينا
ملـوك مـن بنـي حجـر بـن عمـرو ... يـساقون العـشيّة يقتلونـا
فلـو فـي يـوم معركـة أصـيبوا ... ولكـن فـي ديـار بنـي مرينـا
فلـم تغـسل جمـاجمهم بـسدر ... ولكـن بالـدماء مرمّلينـا
تظـل الطيـر عاكفـة علـيهم ... وتنتـزع الحواجـب والعيونـا[1]

٧- دير الجماجم

موقعه بظاهر الكوفة . قال أبو عبيدة : الجمجمة ، القدح من الخشب ، وبذلك سمّي دير الجماجم لأنّه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب ، والجمجمة أيضاً : البئر تحفر في سبخة ، فيجوز أن يكون الموضع سمّي بذلك .[2]

٨- دير الحريق

قال الحموي : سمّي بذلك لأنّه أُحرق في موضعه قوم ثمّ دفن فيه قوم من أهل من أُحرق هناك وعمل ذرى ، وهو بالحيرة قديم ، ووجدته بخط ابن حمدون بالخاء المعجمة في الشعر والترجمة ، وفيه يقول الثرواني :

ديـر الحريـق فبيعـة المزعـوق ... بـين الغـدير فقبّـة الـسنيق

---

(١) معجم البلدان : ٥٠١/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٠٣/٢ .

أشـهى إلـيّ مـن الـصراة ودورهـا   عنـد الـصباح ومـن رحـى البطريـق
فاغـدوا نبـاكر مـن ذخـائر عتبـة الـ   ـخمّار مـن صـافي الـدنان رحيـق
يـا صـاح واجتنـب المـلام أمـا تـرى   سـمجاً ملامـك لـي وأنـت صـديقي[(١)]

٩- دير حنظلة

هو بالحيرة ، منسوب إلى حنظلة بن عبد المسيح بن علقمة بن مالك بن ربى بن نمارة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد . وفيه يقول الشاعر :

بـساحة الحيـرة ديـر حنظلـه   عليـه أذيـال الـسرور مـسبله
أحييـت فيـه ليلـة مقتبلـه   وكأسـنا بـين النـدامى معملـه
والـراح فيهـا مثـل نـار مـشعله   وكلّنـا منتقـد مـا خولـه
فمـا يـزال عاصـياً مـن عذلـه   مبـادراً قبـل تلاقـي آجلـه[(٢)]

١٠- دير ابن بَرّاق

هو بظاهر الحيرة ، قال الثرواني :

يـا ديـر حَنَّـة عنـد القـائم الـساقي   إلـى الخورنـق مـن ديـر ابـن بَـرّاق

١١- دير الزرنوق

كان هذا الدير بطَيْزَناباذ[(٣)] بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق ، بينه وبين القادسية ميل .[(٤)]

١٢- دير السوا

موقعه بظاهر الحيرة ، ومعناه "دير العدل" لأنّهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون ،

---

(١) معجم البلدان : ٥٠٥/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٠٧/٢ .

(٣) هي من مواضع النجف ، سيأتي ذكرها في المواضع العامة .

(٤) معجم البلدان : ٥١١/٢ .

وقال الكلبي : هو منسوب إلى رجل من إياد ، وقيل : هو منسوب إلى بني حذاقة ، وقيل : "السوا" امرأة منهم ، وقيل : "السوا" أرض نسب الدير إليها ، وذكر في شعر أبي دواد الإيادي حيث قال :

بـــل تأمـــل وأنـــت أبـــصر منّـــي ... قـــصد ديـــر الـــسوا بعـــين جليّـــه
لمـــن الظعـــن بالـــضحى واردات ... جـــدول المـــاء ثـــمّ رحـــن عـــشيّه
مظهـــرات رقمـــاً تهـــال لـــه العيـــ ... ـــن وعقـــلاً[1] وعقمـــة[2] فارســـيّه[3]

١٣- دير الجَرَعَة

قال ياقوت الحموي : هو بالحيرة ، وهو دير عبد المسيح فيما أحسب ، قال عبد المسيح بن بُقَيْلَة :

كـــم تجرّعـــت بـــدير الجَرَعَـــة ... غصـــصاً كبـــدي بهـــا منـــصدعه
مـــن بـــدورٍ فـــوق أغـــصانٍ علـــى ... كثـــب زرن احتـــساباً بيعـــه[4]

١٤- دير عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة [5] الغسّاني

هذا الدير بظاهر الحيرة بموضع يقال له "الجَرَعَة" ، وعبد المسيح هو الذي لقي خالد بن الوليد ، لمّا غزا الحيرة وقاتل الفُرس فرموه من حصونهم الثلاثة حصون آل بُقَيْلَة بالخزف المدور ، وكان يخرج قدّام الخيل فتنفر منه ، فقال له ضرار بن الأزور : هذا من كيدهم ، فبعث خالد رجلاً يستدعي رجلاً منهم عاقلاً ، فجاءه عبد المسيح بن

---

(١) الرقم والعقل : ضرب من البرود . (الصحاح : مادة "عقل")

(٢) العقمة : ضرب من الوشي . (لسان العرب : مادة "عقم")

(٣) معجم البلدان : ٥١٧/٢ .

(٤) معجم البلدان : ٥٠٣/٢ .

(٥) سمّي بُقَيْلَة لأنّه خرج على قومه في حلّتين خضراوين فقالوا : ما هذا إلاّ بُقَيْلَة ، وكان أحد المعمرين .

عمرو وجرى له معه ما هو مذكور مشهور . وبقي عبدالمسيح في ذلك الدير بعدما صالح المسلمين على مئة ألف حتى مات . وخرب الدير بعد مدّة فظهر فيه أزج معقود من حجارة فظنّوه كنزاً ففتحوه فإذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح فيه مكتوب : "أنا عبدالمسيح بن عمرو بن بُقَيْلَة .

حلبت الدهر أشطره حياتي ... ونلت من المنى فوق المزيد
فكافحت الأمور وكافحتني ... فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ... ولكن لا سبيل إلى الخلود"[1]

١٥- دير العذارى

هو بالحيرة . ذكره الشابشتي .[2]

١٦- دير علقمة

بالحيرة ، منسوب إلى علقمة بن عدي بن الرميك بن ثوب بن أسس بن ربى بن نمارة بن لخم ، وفيه يقول عدي بن زيد العبادي :

نادمت في الدير بني علقما ... عاطيتهم مشمولة عندما
كأنّ ريح المسك من كأسها ... إذا مزجناها بماء السما
علقم ما بالك لم تأتنا ... أما اشتهيت اليوم أن تنعما
مَن سرّه العيش ولذّاته ... فليجعل الراح له سُلّما[3]

١٧- دير اللج

هو بالحيرة ، بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس في أيام مملكته ولم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منه ولا أنزه موضعاً ، وفيه قيل :

---

(١) معجم البلدان : ٥٢١/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٢٣/٢ .

(٣) معجم البلدان : ٥٢٤/٢ .

سقى الله ديـر اللـج غيثـاً فإنّـه ... علـى بعـده منّـي إلـيّ حبيـب
قريـبٌ إلـى قلبـي بعيـدٌ محلّـه ... وكـم مـن بعيـد الـدار وهـو قريـب
يهـيج ذكـراه غـزال يحلّـه ... أغـنّ سـحور المقلتـين ربيـب
إذا رجـع الإنجيـل واهتـزّ مائـداً ... تـذكّر محـزون وحـنّ غريـب
وهـاج لقلبـي عنـد ترجيـع صـوته ... بلابـل أسـقام بـه ووجيـب

وفيه يقول إسماعيل بن عمار الأسدي :

مـا أنـس سـعدة والزرقـاء يومهمـا ... بـاللج شـرقيه فـوق الـدكاكين

وذكره جرير فقال : نقلته من خط ابن أخي الشافعي ، وقال : هو بظاهر الحيرة :

يـا ربّ عائـذة بـالغور لـو شـهدت ... عـزّت عليهـا بـدير اللـج شـكوانا
إنّ العيـون التـي فـي طرفهـا حـور ... قَتَلْنَنـا ثـم لا يحيـين قتلانـا
يـصرعن ذا اللـب حتـى لا حـراك بـه ... وهـن أضـعف خلـق الله أركانـا
يـا ربّ غابطنـا لـو كـان يطلـبكم ... لاقـى مباعـده منـكم وحرمانـا(١)

١٨- دير مارفايثون

هو بالحيرة أسفل النجف ، له ذكر في دير ابن المزعوق ، الآتي .

١٩- دير ابن المزعوق

قال الشابشتي : وهذا الدير بالحيرة ، في وسطها ، قرب دير الحريق . وهو دير كثير الرهبان ، حسن العمارة ، أحد المتنزّهات المقصودة والأماكن الموصوفة .(٢)

وذكره الحموي بعنوان "دير المزعوق" ، وقال : هو قديم بظاهر الحيرة . قال محمد ابن عبد الرحمن الثرواني :

قلـت لـه والنجـوم طالعـة ... فـي ليلـة الفـصح أول الـسحر

---

(١) معجم البلدان : ٢/٥٣٠ .

(٢) الديارات : ١٤٩ .

هـــل لـــك فـــي مـــار فـــايثون ... وفـي ديـر ابـن مزعـوق غيـر مقتـصر
يقـتص منـه النـسيم عـن طـرق الـ ... ـشام وريـح النـدى عـن المـدر
ونـــسأل الأرض عـــن بـــشاشتها ... وعهـــدها بـــالربيع والمطـــر
فـي شـرب خمـر وصـدع محـسنة ... تلهيـــك بـــين اللـــسان والـــوتر[1]

٢٠- دير مارت مريم

هو دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير ، وبين قصر أبي الخصيب ، مشرف على النجف ، وفيه يقول الثرواني :

بمـــارت مـــريم والكبـــرى ... وظـــلّ فنائهـــا فقـــف
فقـــصر أبـــي الخـــصيب المـــشـ ... ـــرف المـــوفي علـــى النجـــف
فأكنـــاف الخورنـــق والـــسـ ... ـديـــر ملاعـــب الـــسلف
إلـــى النخـــل المكمّـــم والحمـــ ... ـــائم فوقـــه الهتـــف[2]

بقي هذا الدير عامراً إلى زمن الواثق سنة (٢٢٧-٢٣٢هـ) فزاره الواثق ومعه إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، وقد أعجب موقع هذا الدير وحسن بنائه إسحاق ، فقال فيه :

نعـم المحـل لمـن يـسعى للذتـة ... ديـر لمـريم فـوق الظهـر معمـور
ظـلٌ ظليـلٌ ومـاء غيـر ذي أسـن ... وقاصـرات كأمثـال الـدمى حـور

فقال الواثق : لانصطبح غداً إلاّ فيه . وأمر بأن يُعدَّ فيه مايصلح من الليل وباكروه ، وأمر الواثق بمال ففرّق على أهل ذلك الدير .[3]

٢١- دير حَنَّة

هو دير قديم البناء بالحيرة منذ أيام بني المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم "بنو ساطع" تقابله

---

(١) معجم البلدان : ٥٣٧/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٣١/٢ .

(٣) الأغاني : ٤٤٢/٥ .

منارة عالية كالمرقب تسمّى "القائم" لبني أوس بن عمرو ابن عامر ، وفيه يقول الثرواني :

يـا ديـر حَنّـة عنـد القـائم الـساقي ... إلـى الخورنـق مـن ديـر ابـن بَـرّاق

لـيس الـسلو وإن أصـبحت ممتنعـاً ... مـن بغيتـي فيـك مـن شـكلي وأخلاقـي

سـقياً لعافيـك مـن عـاف معالمـه ... قفـر ومـا فيـك مثـل الوشـم مـن بـاق[١]

وهو بالقرب من الأُكَيْراح ، وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض[٢] ، تقدّم ذكره .

٢٢- دير ابن وضّاح

هو دير مرعبدا اللآتي .

٢٣- دير مرعبدا

موقعه بذات الأُكَيْراح من نواحي الحيرة ، منسوب إلى مرعبدا بن حنيف بن وضّاح اللحياني ، كان مع ملوك الحيرة ، وهو دير ابن وضاح .[٣] وفيه قال بكر بن خارجة :

دع البـساتين مـن آسٍ وتفّـاح ... واقصد إلى الشيح من ذات الأُكَيْـراح

إلـى الدسـاكر فالـدير المقابلهـا ... لدى الأُكَيْـراح أو ديـر ابن وضّـاح[٤]

٢٤- دير هند الصغرى

بالحيرة يقارب خطة بني عبد الله بن دارم بالكوفة ممّا يلي الخندق في موضع نزه ، وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة .

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الدير ، فقال فيه معن بن زائدة الشيباني الأمير وكان منزله قريباً منه :

---

(١) معجم البلدان : ٥٠٧/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٢٤٢/١ .

(٣) معجم البلدان : ٥٣٦/٢ .

(٤) معجم البلدان : ٢٤٢/١ .

ألا ليــت شــعري هــل أبيــتنّ ليلــة لــدى ديــر هنــد والحبيــب قريــب
فنقــضي لبانــات ونلقــى أحبّــة ويــورق غــصن للــسرور رطيــب

وهند هذه صاحبة القصّة مع المغيرة بن شعبة .[1]

٢٥- دير هند الكبرى

هو بالحيرة على طرف النجف ، بَنَتْه أمّ عمرو بن هند وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي . وكان في صدره مكتوب : بَنَتْ هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الأملاك وأمّ الملك عمرو بن المنذر أمَة المسيح وأُمّ عبده وبنت عُبيده في مُلك مَلك الأملاك خسرو أنوشروان في زمن مار أفريم الأسقف . فالإله الذي بَنَتْ له هذا الدير يَغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها وبقومها إلى أمانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر .[2]

---

(١) معجم البلدان : ٥٤١/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٤٢/٢ .

الفصل السادس عشر

قـــصـــور الـــنـــجـــف

قـــصـــور النجف

١- قصر الخورنق

هو من أشهر قصور الحيرة . ذكره المؤرّخون والحوادث التي دارت حوله وما قيل فيه من أشعار حتى أصبح مضرباً للأمثال . وكان ممّا يزيد هذا القصر بهاءً وروعة موقعه الطبيعي الفتّان ، فكان يشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ممّا يلي المغرب ، وعلى الفرات ممّا يلي المشرق ، وخلفه البر وما فيه من رعي الإبل وصيد الظباء والأرانب ولقط الكمأة ، وفي الفرات من الملاّحين والغوّاصين وصيّادي السمك .[1]

واليوم هو أنقاض وأطلال تشاهد بين مدينتي الحيرة والنجف ، وإلى الحيرة أقرب . ويبعد عن مدينة النجف القديمة المسوّرة حدود ١٢ كيلومتراً . وإنّ أطلاله على حافة أودية وشعاب تشرف على منخفض البحر القديم الذي جفّ ويبس وصار بمكانه اليوم مزارع ونخيل وأشجار . وقد نبش حجارته بائعو الحجارة القديمة ، وشاهدنا بعض حجارته الكبيرة الحجم تنقل من موضعه وتبنى بها بعض آلات رفع الماء (النواعير) للمزارعين الذين بضواحي القصر .

وحول تسمية القصر بهذا الاسم تضاربت آراء الباحثين في أصل هذا الاسم ومعناه . فقال الخليل : ينبغي أن يكون مشتقّاً من "الخرنق" وهو الصغير من الأرانب .[2]

---

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ٦٨ .

(٢) معجم البلدان : ٤٠١/٢ .

وقال الأصمعي : إنّما هو من "الخورن قاه" ، يعني موضع الأكل والشرب بالفارسية ، فعرّبته العرب فقالت : "الخورنق" ، ردّته إلى وزن السفرجل .

قال ابن جنّي في ردّه كلام الخليل : ولم يؤت الخليل من قبل الصنعة ، لأنّه أجاب على أنّ الخورنق كلمة عربية ، ولو كان عربياً لوجب أن تكون الواو فيه زائدة كما ذكر ، لأنّ الواو لاتجيء أصلاً في ذوات الخمسة على هذا الحدّ ، فجرى مجرى الواو كذلك ، وإنّما أتى من قبل السماع ، ولو تحقّق ما تحقّقه الأصمعي لما صرف الكلمة ، أنّى وسيبويه إحدى حسناته !!! .(١)

وذهب "أندريا" : أنّه إيراني من "كوورنة" بمعنى السقف الجميل . وارتأى "نلدكه" الألماني : إنّه حرف من العبريّة الربّانيّة بمعنى "المزرعة والعريش".(٢)

والرأي الراجح هو ما ذكره الأصمعي .

واختلف المؤرّخون في مَن بنى هذا القصر .

فقال الهيثم بن عدي : الذي أمر ببنائه النعمان بن امرئ القيس ابن عمرو .

وقال ابن الكلبي : صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف ، وذلك أن يزدجرد كان لايبقى له ولد ، وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره علّة تشبه الاستسقاء ، فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام ليبعث بهرام إليه من العلّة ، فأشار عليه أطبّاؤه أن يخرجه من بلده إلى أرض العرب ، ويسقى أبوال الأبل وألبانها ، فأنفذه إلى النعمان وأمره أن يبني له قصراً مثله على شكل بناء الخورنق ، فبناه وأنزله إيّاه وعالجه حتى برأ من مرضه ، ثمّ استأذن أباه في المقام عند النعمان فأذن له ، فلم يزل عنده نازلاً قصر الخورنق حتى صار رجلاً ، ومات أبوه فكان من أمره في طلب الملك حتى ظفر بما هو متعارف مشهور .(٣)

---

(١) معجم البلدان : ٢/٤٠١.

(٢) مجلة لغة العرب : الجزء ٤ ، السنة ٣ ، صفحة ٣٦.

(٣) معجم البلدان : ٢/٤٠٢.

وقال أرثر كريستنسن : والمؤكّد أنّ بهرام كان يعيش في قصر الخورنق بالحيرة وهو القصر الذي يُنسب بناؤه إلى النعمان اللخمي ، ولكنّ تاريخه يرجع بغير شكّ إلى تاريخ أبعد قدماً .[١]

وقد أكثر العرب من ذكر الخورنق في نظم أشعارهم ومضرب أمثالهم وحكاياتهم وطرفهم ، فيظهر من كلّ ذلك أنّه كان طُرفة من طرف البناء جامعاً بين العظمة وبهاء الزخرف وروعة الموضع .

قال شريح القاضي للضحاك بن قيس[٢] : ياأبا أميّة أرأيت بناءً أحسن من هذا ؟. قال : نعم ، السماء وما بناها .[٣]

وذكروا أنّ رجلاً من الروم يقال له "سنِمّار" هو الذي بنى الخورنق ، فكان يبني السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك وأقلّ ، فيطلب فلا يوجد ، ثم يأتي فيحتج ، فلم يزل يفعل هذا الفعل ستّين سنة حتى فرغ من بنائه ، فصعد النعمان على رأسه ونظر إلى البحر تجاهه والبرّ خلفه فرأى الحوت والضبّ والظبي والنخل ، فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط . فقال له سنِمّار : إنّي أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كلّه ، فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟. قال : لا ، قال : لا جرم لأدعنّها وما يعرفها أحد . ثمّ أمر به فقذف من أعلى القصر إلى أسفله فتقطّع ، فضربت العرب به المثل ، فقال شاعر :

جزاني جزاه الله شرّ جزائه ... جزاء سنِمَّار وما كان ذا ذنب
سوى رصّه البُنيان عشرين حجّة ... يُعَلِّي عليه بالقراميد والسَّكْب

---

(١) إيران في عهد الساسانيين : ٢٦٠ .

(٢) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي ، أبو أميّة ، شهد صفين مع معاوية . وولاه معاوية على الكوفة سنة ٥٣هـ ، فتفقّد قصر الخورنق وأصلحه . (الأعلام : ٢١٤/٣)

(٣) معجم البلدان : ٤٠٣/٢ .

فلمّا رأى البنيان تمّ سموقه وآضَ كمثل الطود والباذخ الصعب
وظنّ سنمّار به كلّ حَبْوَة وفاز لديه بالمودّة والقرب
فقال اقذفوا بالعلج من فوق بُرجه فهذا لعمر الله من أعجب الخطب(١)

وذكروا أيضاً أنّ سنمّار لمّا فرغ من بناء الخورنق عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمت أنّكم توفوني أُجرتي وتصنعون بي ما أستحقّه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت، فقالوا: وإنّك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنه. ثمّ أمر به فطرح من أعلى الجوسق، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة، منها قول أبي الطمحان القيني:

جزاء سِنمّار جزوها وربّها وباللات والعزّى جزاء المكفَّر(٢)

بقي هذا القصر عامراً كما ترى من أقوال الشعراء فيه بعد الفتح الإسلامي وتخطيط الكوفة زمناً، وإنّ كلٌّ من ولاة الكوفة في العهد الأموي أحدث فيه شيئاً من الأبنية، وقد سكنه الأمراء العباسيون، وأصبح في القرن الرابع عشر للميلاد خراباً.(٣)

وقد روي أنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام ورد هذا القصر.

أخرج ابن كثير، وابن عساكر، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وعليه قطيفة وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت ترعد من البرد؟. فقال: إنّي والله لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال من المدينة.(٤)

---

(١) معجم البلدان: ٤٠٣/٢.

(٢) الأغاني: ١٣٧/٢.

(٣) مجلة لغة العرب: الجزء ٤، السنة ٣، صفحة ٣٦.

(٤) البداية والنهاية: ٤/٨. تاريخ مدينة دمشق: ٤٨١/٤٢.

وممّا روي من شعر في قصر الخورنق ما قاله علي بن محمد بن جعفر العلوي الحمّاني :

كـــم وقفـــةٍ لـــك بـــالخور ... نـــق لاتـــوازى بـــالمواقف
بـــين الغـــدير إلـــى الـــسديـ ... ـــرإلى ديـــارات الأســـاقف
فمـــدارج الرُهبـــان فـــي ... أطمـــار خائفـــةٍ وخـــائف
دمَـــنٌ كـــأنّ رياضـــها ... يكـــسين أعـــلام المطـــارف
وكأنّمـــا غُـــدرانها ... فيهـــا عـــشورٌ فـــي مـــصاحف
وكأنّمـــا أغـــصانها ... تهتـــزّ بـــالريح العواصـــف
طُـــرَرُ الوصـــائف يلتقيـــ ... ـــن بهـــا إلـــى طُـــرَرِ المـــصائف
تلقـــى أواخرهـــا أوا ... ئلهـــا بـــألوان الَرفـــارف
بحريّـــةٌ شـــتواتها ... برّيّـــةٌ فيهـــا المـــصائف
دُرّيّـــة الحـــصباء كـــا ... فوريّـــة منهـــا المـــشارف(١)

٢- قصر السدير

ومن القصور التي بضاحية النجف هو قصر السدير . ويقترن اسمه في أكثر الأحيان بقصر الخورنق .

عن القاموس الفارسي المسمّى "البرهان القاطع" تأليف الحسين بن خلف التبريزي : أنّ لفظة السدير معرّب "سَه دِير" لأنّه كان في داخله ثلاث قبب ، فإنّ "دِير" باللغة البهلوية معناها "القبّة" .(٢)

وكان السدير يلي الخورنق في العظمة والبهاء ، ويُنسب بناء هذا القصر إلى النعمان ابن امرئ القيس . وفي ذلك يقول : عدي بن زيد العبادي من قصيدته الرائية :

شـــاده مرمـــراً وجلّلـــه كلـــ ... ـــساً فللطيـــر فـــي ذُراه وكـــور

---

(١) معجم البلدان : ٢/٣٠٤.

(٢) الألفاظ الفارسيّة المعرّبة : ٨٦.

لـــم يهبـــه ريـــب المنـــون فبـــاد الــــ ـــــمُلك عنـــــه فبابــــه مهجـــور
وتـــــذكّر ربّ الخورنــــق إذ أشـــــ ـــــرَفَ يومــــاً وللهـــدى تفكيـــر
ســـــرّه مالــــه وكثـــرة مـــا يمــــ ـــــلك والبحـــر معرضـــاً والســـدير[(١)]

قال الشابشتي : السدير قصر عظيم أبنية ملوك لخم في قديم الزمان ، وما بقي منه فهو ديارات وبِيَع للنصارى .[(٢)]

وذكر علي بن محمد الحمّاني بعض هذه المواضع في قصيدته الفائية ، منها قوله :

بـــين الغـــدير إلـــى الـــسدير إلـــى ديـــارات الأســـاقف

٣- قصر أبي الخصيب

كان بظاهر الكوفة قريب من السدير ، بينه وبين السدير ديارات الأساقف ، وهو أحد المتنزهات ، يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كلّه . يصعد من أسفله في خمسين درجة إلى سطح آخر أفيح في غاية الحسن ، وهو عجيب الصنعة .[(٣)]

قال الشابشتي : هو أحد متنزهات الدنيا ، وهو مشرف على النجف وعلى ذلك الظهر . ويصعد من أسفله على درجة طولها خمسون مرقاة إلى سطح حسن ومجلس ، فيشرف الناظر على النجف والحيرة من ذلك الموضع ، ثمّ يصعد منه على درجة أخرى طولها خمسون مرقاة إلى سطح أفَيَح ومجلس عجيب . وأبو الخصيب هذا مرزوق بن ورقاء ، مولى أبي جعفر المنصور وحاجبه .[(٤)]

وقال البلاذري : أمر المنصور أبا الخصيب مرزوقاً مولاه فبنى له القصر المعروف بأبى الخصيب على أساس قديم . ويقال إنّ أبا الخصيب بناه لنفسه ، فكان المنصور يزوره فيه .[(٥)]

(١) الأغاني : ١٣٢/٢ .
(٢) الديارات : ١٥٢ .
(٣) معجم البلدان : ٣٥٤/٤ .
(٤) الديارات : ١٥٢ .
(٥) فتوح البلدان : ٣٥٢/٢ .

وفي قصر أبي الخصيب يقول الثرواني من أبيات تقدمت في دير مارت مريم :

بمـــارت مـــريم والكبـــرى وظـــلّ فنائهـــا فقـــف
فقـــصر أبـــي الخـــصيب المـــشـ ـــرف المـــوفي علـــى النجـــف[1]

وقال علي بن محمد العَلَوي الكوفي المعروف بالحمّاني :

ســـــقياً لمنزلــــة وطِيـــب بـــين الخورنـــق والكثيـــب
بمـــــدافع الجرعـــــات مـــــن أكنـــاف قـــصر أبـــي الخـــصيب
دارٌ تخيَّرَهـــــــا الملـــــــو كُ فهتّكـــــت رأيَ اللبيـــــب
أيــــام كنـــتُ مـــن الغـــواني فـــي الـــسواد مـــن القلـــوب
لـــو يـــستطعن خبـــأنني بـــين المخـــانق والجيـــوب
أيـــام كنـــت وكُـــنَّ لا متحـــرِّجين مـــن الـــذنوب
غـــرّين يـــشتكيان مـــا يجـــدان بالـــدمع الـــسَّروب
لـــم يعرفـــا نكـــداً ســـوى صَـــدّ الحبيـــب عـــن الحبيـــب[2]

٤- الزوراء

دار بناها المنذر بن امرئ القيس الثالث بن النعمان بن الأسود اللخمي بالحيرة . قال ابن السكّيت : وحدثني من رآها وزعم أنّ أبا جعفر المنصور هدمها ، وفيها يقول النابغة :

وأنـــت ربيـــع يـــنعش النـــاس ســـيبه وســـيف أعيرتـــه المنيـــة قـــاطع
وتـــسقى إذا مـــا شـــئت غيـــر مـــصرد بـزوراء فـي أكنافهـا المـسك كـارع[3]

أقول : وقد فرّق الحِمْيَري بينها وبين "زوراء" بغير ألف ولام ، وجعلهما اثنان ، وقال : هي دار كانت في الحيرة لملوكهم .[4]

---

(١) معجم البلدان : ٥٣١/٢ .
(٢) معجم البلدان : ٤٠٣/٢ .
(٣) معجم البلدان : ١٥٦/٣ .
(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٩٥ .

٥- قصر العذيب

أحد قصور الحيرة اتّخذه سعد بن أبي وقّاص مقرّاً له في وقعة القادسية ، كما سيأتي في أحداث سنة ١٤هـ في الجزء الثاني من الكتاب .

قال البلاذري : وكان سعد قد استخلف على العسكر والناس خالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة لعلّة وجدها ، وكان مقيماً في قصر العذيب .

وقال : كان أبو محجن الثقفي شرب الخمر في عسكر سعد فضربه وحبسه في قصر العذيب . فسأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل ثم يعود إلى حديده . فأحلفته بالله ليفعلن إن أطلقته . فركب فرس سعد وحمل على الأعاجم فخرّق صفّهم وحطّم الفيل الأبيض بسيفه وسعد يراه . فقال : أمّا الفرس ففرسي ، وأمّا الحملة فحملة أبي محجن . ثمّ أنه رجع إلى حديده . ويقال إنّ سلمى بنت حفصة أعطته الفرس .(١)

٦- الجَوسَق الخرب

الجَوسَق : القصر ، أو الحصن ، وهي كلمة فارسية معرّبة . قال الزبيدي : وأصلها بالفارسيّة "كوشك" .(٢)

قال الحموي : والجوسق الخرب ، موضع بظاهر الكوفة عند النخيلة ، وكانت الخوارج قد اختلفت يوم النهروان فاعتزلت طائفة في خمسمئة فارس مع فروة بن نوفل الأشجعي ، وقالوا : لا نرى قتال علي بل نقاتل معاوية ، وانفصلت حتى نزلت بناحية شهرزور ، فلمّا قدم معاوية من الكوفة بعد قتل علي عليه السلام ، تجمعوا وقالوا : لم يبق عذر في قتال معاوية ، وساروا حتى نزلوا النخيلة بظاهر الكوفة ، فنفذ إليهم معاوية طائفة من جنده فهزمتهم الخوارج ، فقال معاوية لأهل الكوفة : هذا فعلكم ولا أعطيكم الأمان

---

(١) فتوح البلدان : ٣١٦/٢.

(٢) تاج العروس : ٣٠٦/٦.

حتى تكفوني أمر هؤلاء ، فخرج إليهم أهل الكوفة فقاتلوهم فقتلوهم ، وكان عند المعركة جوسق خرب ربّما ألجأت الخوارج إليه ظهورها ، فقال قيس بن الأصم الضبّي يرثي الخوارج :

إنّي أدين بما دان الشراة به ... يوم النُخَيْلَة عند الجوسق الخرب
النافرين على منهاج أوّلهم ... من الخوارج قبل الشك والرّيب
قوماً إذا ذكّروا بالله أو ذكروا ... خرّوا من الخوف للأذقان والرُّكَب
ساروا إلى الله حتى أنزلوا غرفاً ... من الأرائك في بيت من الذهب
ما كان إلاّ قليلاً ريث وقفتهم ... من كلّ أبيض صافي اللون ذي شطب
حتى فنوا ورأى الرائي رؤوسهم ... تغدو بها قلص مهرية نجب
فأصبحت عنهم الدنيا قد انقطعت ... وبلغوا الغرض الأقصى من الطلب(١)

٧- القصور الحمر

هي في الحيرة . ورد ذكرها في حديث أبي الفرج الأصفهاني .

قال أبو الفرج : أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدّثني عمّي عبيد الله ، عن ابن حبيب ، عن ابن الاعرابي : أنّ أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ... وقد كان الوليد استعمل الربيع بن مري بن أوس بن حارثة بن لام الطائي على الحمى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة فأجدبت الجزيرة ، وكان أبو زبيد في بني تغلب نازلاً ، فخرج بإبلهم ليرعيهم ، فأبى عليهم الربيع بن مري ومنعهم ، وقال لأبي زبيد : إن شئت أرعيك وحدك فعلت ، فأتى أبو زبيد إلى الوليد فشكاه ، فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعلها له حمى ، فقال أبو زبيد فيه شعراً يمدحه فيه .(٢)

---

(١) معجم البلدان : ٢/١٨٥ .

(٢) الأغاني : ٤/١٨١ .

٨- قصر محمد بن الأشعث

سيأتي الكلام عنه في آثار طَيْزَناباذ ، وأنّها أُقطعت للأشعث بن قيس الكندي في خلافة عثمان بن عفان ، وكان لمحمد بن الأشعث فيها قصر فخيم على عهد الدولة الأموية .

٩- قصر الطـيــن

من قصور الحيرة ، بناه يحيى بن خالد بباب الشماسية .[١]

١٠- قصر الفِرْس

هو أحد قصور الحيرة الأربعة ، و"الفِرْس" : ضربٌ من النبات .[٢]

١١- دار عون العبادي

قال الشابشتي : ومن هذه الأبنية المسقطات دار عون العبادي ، وهو قصر فيه آزاج[٣] مستطيلة مسقطه شرقي الحيرة على طريق الحاج ثمّ القصر ، ثمّ كوّةُ البقال ، ثمّ قصر العدسيين ، ثمّ القصر الأبيض ، ثمّ قصر بنيُ بُقَيْلَة ، ومابعده دار عون وهي ممّا يلي النجف ، فهذه قصور الحيرة الباقية الآن .[٤]

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : ورأيت الحيرة البيضاء ، وما جعلها الله بيضاء ، وما رأيت فيها داراً يذكر إلاّ دار عون النصراني العبادي .[٥]

وفي خبر مقتل جعفر البرمكي ، روى الطبري ، عن الفضل بن سليمان بن علي ، أنّ الرشيد حجّ في سنة ١٨٦هـ ، وأنّه انصرف من مكة فوافى الحيرة في المحرّم من سنة ١٨٧هـ عند انصرافه من الحج فأقام في قصر عون العبادي أيّاماً .[٦]

---

(١) معجم البلدان : ٣٥٩/٤.

(٢) معجم البلدان : ٣٦٢/٤.

(٣) الأَزَجُ : بيْتٌ يُبْنى طُولاً ، و التَّأزِيجُ : الفِعْلُ ، والجمع آزُجٌ و آزاجٌ . (لسان العرب)

(٤) الديارات : ٢٣٩ .

(٥) كتاب البلدان : ٥٠٦ .

(٦) تاريخ الطبري : ٤٩٠/٦ .

وذكر الطبري ، عن علي بن محمد ، أنّ أباه حدّثه ، قال : دخلت على الرشيد في دار عون العبادي فإذا هو في هيئة الصيف في بيت مكشوف وليس فيه فرش على مقعد عند باب في الشق الأيمن من البيت وعليه غلالة رقيقة وإزار رشيدي عريض الأعلام شديد التضريج[١] وكان لا يخيش البيت الذي هو فيه لأنّه كان يؤذيه ولكنّه كان يدخل عليه برد الخيش ولا يجلس فيه وكان أوّل من اتّخذ في بيت مقيله في الصيف سقفاً دون سقف وذلك أنّه لمّا بلغه أن الأكاسرة كانوا يطينون ظهور بيوتهم في كلّ يوم من خارج ليكفّ عنهم حرّ الشمس فاتّخذ هو سقفاً يلي سقف البيت الذي يقيل فيه .[٢]

١٢- قصر بني مازن

ورد ذكره في فتح الحيرة .

قال الطبري : وسار خالد بن الوليد حتى نزل بين الخورنق والنجف ، ولمّا تتام أصحاب خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبه بين الغريّين والقصر الأبيض وأهل الحيرة متحصّنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيل من عسكره وأمر بكلّ قصر رجلاً من قوّاده يحاصر أهله ويقاتلهم ... وكان ضرار بن مقرن المزني عاشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني مازن ، وفيه ابن أكال .[٣]

١٣- القصر الأبيض

من قصور الحيرة . كان ضرار بن الأزور قد حاصره في فتح الحيرة بأمر خالد بن الوليد ، وكان فيه إياس بن قبيصة الطائي .[٤]

---

(١) التضريج : صبغ الثوب بالأصفر أو الأحمر كأنّه مضرّج بالدماء .

(٢) تاريخ الطبري : ٥٣٧/٦ .

(٣) تاريخ الطبري : ٥٦٣/٢ .

(٤) تاريخ الطبري : ٥٦٣/٢ .

قال الحموي : أظنّه من أبنية الرشيد . وجد على جدار من جدرانه مكتوباً : حضر عبد الله بن عبد الله ، ولأمر ما كتمت نفسي وغيبت بين الأسماء اسمي في سنة ٣٠٥هـ ، ويقول : سبحان من تحلّم عن عقوبة أهل الظلم والجبريّة . إخوتي ، ما أذلّ الغريب وإن كان في صيانة ، وأشجى قلب المفارق وإن كان آمنا من الخيانة ، وأمور الدنيا عجيبة والأعمار فيها غريبة .

وذو اللب لا يلوي إليها بطرفه ... ولا يقتفيها دار مكث ولا بقا
تأمّل تَرَ بالقصر خَلْقاً تحسّه ... خلا بعد عزّ كان في الجوّ قد رقا
وأمر ونهي في البلاد ودولة ... كأن لم تكن فيه وكان به الشقا[1]

ولهذا القصر ذكر في الآتي .

١٤- قصر ابن بُقَيْلَة

من قصور التي ورد ذكرها في الفتوح . وابن بُقَيْلَة هو عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلَة الغسّاني .

روي عن يزيد بن نبيشة العامري ، أنّه قال : قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا إلى مشلحة العذيب ، ثم أتينا الحيرة وقد تحصّن أهلها في القصر الأبيض وقصر ابن بُقَيْلَة وقصر العدسيّين ، فأجلنا الخيل في عرصاتهم ثمّ صالحونا .[2]

وكان خالد قد أمر بكلّ قصر رجلاً من قوّاده يحاصر أهله ويقاتلهم ، وكان المثنّى محاصراً قصر ابن بُقَيْلَة .[3]

---

(١) معجم البلدان : ٣٥٤/٤ .

(٢) فتوح البلدان : ٢٩٨/٢ .

(٣) تاريخ الطبري : ٥٦٣/٢ .

١٥- قصر العَدَسيين

العدسيّين : جمع العَدَسي ، الذي يطبخ العَدَس . وهو قصر كان بالكوفة في طرف الحيرة لبني عمار بن عبدالمسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عشير بن الرماح بن عامر المذمم بن عوف بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، وإنّما نسبوا إلى أمّهم عَدَسة بنت مالك بن عامر بن عوف الكلبي . كذا قال ابن الكلبي في جمهرته ، وهو أوّل شيء فتحه المسلمون لمّا غزوا العراق[(١)]، وكان القائد ضرار بن الخطّاب قد حاصر هذا القصر ، وفيه عدي بن عدي .[(٢)]

١٦- غمير اللصوص

هو قصر في مقابل الحيرة . قال عدي بن زيد :

مــــوازي القـــــارة أو دونهـــــا   غيــر بعيــد مــن غميــر اللــصوص

هكذا رواه حرمي العلاء عن بندار ، عن محمد بن حبيب . ورواه ابن الأنباري عن أحمد بن عبيد ، عن ابن الكلبي : "عمير اللصوص" بالعين المهملة .[(٣)]

١٧- قصر الفتحة

١٨- قصر الرُّهَيْمَة

١٩- قصر الدكاكين

هي اليوم أنقاض ظاهرة عند ضفة الصحراء إلى الشمال الغربي لمدينة النجف . ويظهر أنّها متوسطة القدم سوى قصر الدكاكين ، فلم يرد ذكرها في كتب الأماكن والبلدان القديمة .

وقف على هذه القصور الأستاذ الباحث كاظم الدُجَيْلي مدير "مجلّة لغة العرب" في

---

(١) معجم البلدان : ٣٦٠/٤.

(٢) تاريخ الطبري : ٥٦٣/٢ .

(٣) معجم ما استعجم : ١٠٠٤/٣ .

رحلته إلى "عريسات" الموضع الأثري قرب النجف ، قال :

خرجنا من باب المشهد الكبير ثمّ سرنا مع سور المدينة متّجهين إلى الغرب ، ثمّ انحرفنا إلى الجنوب الغربي ، وبعد مسافة ربع ساعة عارضنا في طريقنا تلّ ممتدّ يسمّونه جبلاً وهذا التّل هو الذي فيه عريسات ، ثمّ اخترقناه وملنا معه إلى الشمال الغربي ، وبعد مسافة ٤٥ دقيقة رأينا عن يمين الطريق على حافته آثار أنقاض تسمَّى "قصر الفتحة" وهو في جنوب فرجة من تل عريسات ، لأنّ التل هناك ينحني شيئاً قليلاً وذاك الإنحناء يسمّونه "فتحة" ، وبعد مسافة ساعة يلوح لك عن يسار الطريق على بعد ساعة منه "قصر الرُّهَيْمَة" وبعد مسافة ٧ دقائق مررنا بأثر أنقاض عن يسار الطريق يسمَّى "قصر الدكاكين" وهو ربوة يبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ٣ أمتار ومحيطها زهاء ٢٠٠ متراً .

والدكاكين عبارة عن مساطب متوالية تتفرع إلى دهاليز وأظنّها مقابر قديمة ، وإنّما سمّيت بهذا الاسم لأنّ العرب رأوا وضعها كبعض الدكاكين التي عندهم اليوم فظنوها كذلك فأطلقوا عليها هذا الاسم ، وقد رأينا في ركن جانب منها كتابة حِمْيَرِيّة مكتوبة بالحبر الأسود .[1] وفيها يقول إسماعيل بن عمار الأسدي :

ما أنس سعدة والزرقاء يومهما ... باللج شرقيه فوق الدكاكين[2]

واللج : هو دير اللج بناه النعمان بن المنذر أبو قابوس في أيام مملكته بالحيرة ، وقد تقدّم .

وكان قصر الدكاكين قبل خمسين سنة عامراً ، إلاّ أنّ بعض أهالي مدينة النجف نقضوا بناءه ونقلوا طاباقه إلى البلدة وبنوا به دورهم ، وكان طاباقه من الطاباق المعروف اليوم عند العراقيين بالسلطاني ، وهو مربّع الشكل طول ضلعه نحو ٢٠ سنتمتراً .

---

(١) مجلّة لغة العرب : الجزء ١٢ ، السنة ٢ ، ص٥٤١ .

(٢) معجم البلدان : ٥٣٠/٢ .

الفصل السابع عشر

المواضــع العــامّــة في النجف

المواضـــع العـــامّـــة في النجف

١- الـــغـــريّـــان

بناءان مشهوران بناهما ملوك الحيرة في النجف حيث قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد تقدّم في الفصل الأول الحديث عن سبب تسميتها بهذا الاسم تحت عنوان "الغري" .

قال أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الكناني المتوفى سنة ١١٠هـ يذكر الغريّين :

ألا طرقتنـــا بـــالغريّين بعـــدما ... كَلَلْنـا علـى شـحط المـزار جنـوب

أتـــوك يقـــودون المنايـــا وإنّمـــا ... هـــدتها بأولانـــا إليـــك ذنـــوب[1]

والظاهر من الأخبار الواردة أنّ كلاً من الغريّين كان على سفح جبل ، ولكنّهما انطمسا في توسعة مدينة النجف الأشرف .

وحول قصّة بناء الغريّين قيل أنّ المنذر بن ماء السماء كان قد نادمه رجلان من بني أسد أحدهما خالد بن المضلّل والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يحفر لكلّ واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ففعل ذلك بهما حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمّه . ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريّين عليهما فبنيا عليهما . وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريّين يسمّى أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس ، فأوّل من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مئة من الإبل شوماً أي سوداً ، وأوّل من يطلع

---

(١) تاريخ الطبري : ١٥٢/٥ .

عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود ، ثم يأمر به فيذبح ويغرى بدمه الغريّان .[١] وسيأتي في الفصل الثامن عشر حوادث ونوادر لها صلة بالغريّين .

٢- منارة القرون

منارة أمر ببنائها السلطان ملك شاه السلجوقي من حوافر صيده قرب الرحبة .

قال ابن الأثير : مضى السلطان ملك شاه ونظام الملك إلى الصيد في البرية ، فزار المشهدين مشهد أمير المؤمنين علي ، ومشهد الحسين عليه السلام ، ودخل السلطان البر فاصطاد شيئاً كثيراً من الغزلان وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي ، وعاد السلطان إلى بغداد .[٢]

وقال ابن الجوزي في أحداث سنة ٤٨٠هـ : خرج السلطان ملك شاه في رابع المحرّم إلى ناحية الكوفة للصيد ، فاصطاد هو وعسكره ألوفاً حتى بنى من حوافرها منارة كبيرة عند الرباط الذي أمر ببنائه بالسبيعي بقرب الرحبة في طريق مكّة ، وهي باقية إلى الآن وتسمى منارة القرون . وقيل إنّه كان فيها أربعة آلاف رأس .[٣]

٣- إصبع خفّان

بناء عظيم من أبنية الفُرس بظهر الكوفة . ذكره الحموي ، وقال : وأظنّهم بنوه منظرة هناك على عادتهم في مثله ، وعنده دير هو الآن خراب . وفيه يقول عبد الله بن مالك المغنّي - وقال الخالدي : هو لإسحاق الموصلي :

بدير القائم الأقصى ... غزال شادن أحوى[٤]
برى حبّي له جسمي ... ولا يدري بما ألقى

(١) الأغاني : ٩١/٢٢.

(٢) الكامل في التاريخ : ٤٤٩/٨.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : ٣٥/٩.

(٤) الشادن من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . والأحوى : الأسود الذي يضرب إلى الحمرة.

وأكتم حبّه جهدي | ولا والله ما يخفى[١]

٤- جفر الأملاك

هو موضع دير بني مرينا بظاهر الحيرة ، كان يسمّى الجفر ، وكان من حديثه أنّ المنذر بن النعمان بن امرئ القيس أغار على قيس بن سلمة بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بذات الشقوق فأصاب منهم اثني عشر شابّاً من بني حجر بن عمرو كانوا يتصيّدون وأفلت امرؤ القيس على فرس شقراء فطلبه القوم كلّهم فلم يقدروا عليه ، وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثمّ أرسل إليهم أن يؤتى بهم فخشي أن لا يؤتى بهم حتى يؤخذوا من رُسُله ، فأرسل إليهم أن اضربوا أعناقهم حيث ما أتاكم الرسول ، فأتاهم الرسول وهم عند الجفر ، فضربوا أعناقهم به ، فسمي "جفر الأملاك" وهو موضع دير بني مرينا ، فلذلك قال امرؤ القيس يرثيهم :

ألا يا عين بكّي لي شنينا | وبكّي لي الملوك الذاهبينا
ملوكٌ من بني حجر بن عمرو | يساقون العشيّة يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا | ولكن في ديار بني مرينا
فلم تغسل جماجمهم بسدر | ولكن بالدماء مرمّلينا
تظل الطير عاكفة عليهم | وتنتزع الحواجب والعيونا[٢]

وقال أبو الفرج الأصفهاني : أنّ حجر الكندي وهو حجر بن أم قطام كان قد غزا امرئ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ، ومع حجر جمع كثير من كندة ، وكانت بكر ابن وائل مع امرىء القيس ، فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده . فوجّه المنذر خيلا من بكر في طلب بني حجر فظفرت بهم ، فأتوا المنذر بهم وهم تسعة فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا بمكان يقال له جفر الأملاك . فذلك قول الحارث :

---

(١) معجم البلدان : ٢٠٦/١ ، ٥٢٦/٢ .

(٢) معجم البلدان : ٥٠١/٢ .

فرددناهم بطعن كما تنهز ... في أجمة الطوي الدلاء[(١)]
وفككنا غلّ امرىء القيس عنه ... بعدما طال حبسه والعناء
وأقدناه رب غسان بالمنذر ... كرهاً وما تكال الدماء
وفديناهم بتسعة أملاك ... كرام أسلابهم أغلاء[(٢)]

٥- الدَّبَا

الدَّبا : موضع بظهر الحيرة معروف . واستعمل خالد بن عبدالله القسري رجلاً من ربيعة على ظهر الحيرة ، فلمّا كان يوم النيروز أهدى الدهاقين والعمّال جامات الذهب والفضّة وأهدى هو قفصاً من ضباب وأبيات شعر ، وهي :

جبا المال عمّال الخراج وجبوتي ... محلّقة الأذناب حُمر الشواكل
رعين الدّبا والنقد حتى كأنّما ... كساهن سلطان ثياب المراجل[(٣)]

٦- أنْقِرة

موضع بظهر الكوفة أسفل من الخورنق كانت إياد تنزله في الدهر الأول إذا غلبوا ما بين الكوفة والبصرة ، وفيه اليوم طيء وسليح . وفي بارق إلى هيت وما يليها كلّها منازل طيء وسليح . هذا قول عمر بن شبة .

وقال غيره : أنقرة ، موضع بالحيرة ، قال الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
حلّوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد[(٤)]

---

(١) الأُجْمة : القصب . والطوي : البئر المطوية
(٢) الأغاني : ١١/٤٩- ٥١.
(٣) معجم ما استعجم : ٢/٥٣٩.
(٤) معجم ما استعجم : ١/٢٠٣.

٧- الصنين

بلد بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر ، وبه نهر ومزارع ، باعه عثمان بن عفان من طلحة بن عبيد الله ، وكتب له به كتاباً مشهوراً مذكوراً عند المحدّثين .[1]

٨- الأُكَـيْـراح

أُكَيْراح ، بالضم ثمّ الفتح وياء ساكنة وراء وألف وحاء مهملة ، وقد صحّفه أبو منصور الأزهري ، فقال : بالخاء المعجمة ، وهو غلط ، وهي في الأصل القباب الصغار . كذا ذكره ياقوت الحموي ، ونقل عن الخالدي ، قوله : "الأُكَيْراح" رستاق نزه بأرض الكوفة ، و"الأُكَيْراح" أيضاً بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لاقلالي لهم ، يقال لواحدها كرح ، بالقرب منها ديران يقال للأحدهما دير مرعبدا وللآخر دير حَنَّة . وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض ، وفيه يقول أبو نواس :

يـــادير حَنَّـــة مـــن ذات الأُكَيْــراح ... مـن يَـصْحُ عنـك فـإنّي لـست بالـصاحي
يعتـــاده كـــلّ محفـــوّ مفارقـــه ... مــن الــدّهان عليــه ســحق أمــساح
فــي فتيــة لــم يَــدع مــنهم تخــوّفهم ... وقـــوع مـــا حـــذروه غيـــر أشـــباح
لايـــدلفون إلـــى مـــاء بباطيـــة ... إلاّ اغترافـــاً مـــن الغُـــدران بـــالراح

قال ياقوت : وقرأت بخط أبي سعيد السكّري : حدّثني أبو جعفر أحمد بن أبي الهيثم البجلي ، قال : رأيت الأُكَيْراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة ممّا يلي مغرب الشمس من الحيرة وفيه ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء ، وفيه قال بكر بن خارجة :

دع البـــساتين مـــن آسٍ وتفّـــاح ... واقصد إلى الشيح من ذات الأُكَيْـراح
إلـــى الدســاكر فالـــدير المقابلهـــا ... لـدى الأُكَيْـراح أو ديـر ابـن وضّـاح
منـــازل لـــم أزل حينـــاً ألازمهـــا ... لـــزوم غـــادٍ إلـــى اللـــذّات رَوّاح[2]

---

(١) معجم البلدان : ٤٣١/٣ .

(٢) معجم البلدان : ٢٤٢/١ .

٩- الـجَـرَعَـة

قال ابن السكّيت : الجَرَع ، جمع جَرَعَة ، وهي دِعْص من الرمل لا يُنبت شيئاً . قال : والذي سمعت من العرب أنّ الجَرَعَة الرملة العذاة الطّيبة المنبت التي لا وعوثة فيها ، والجَرَعَة هُهنا : موضع بعينه(١) ، وقيّده الصدفي بسكون الراء : هو موضع قرب الكوفة ، وإليه يضاف "يوم الجَرَعَة" المذكور في كتاب مسلم ، وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة إلى سعيد بن العاص وقت قدم عليهم والياً من قبل عثمان فردّوه وولّوا أبا موسى ، ثمّ سألوا عثمان حتى أقره عليهم . وبخط العبدري لمّا قدم خالد العراق نزل بالجَرَعَة بين النجفة والحيرة ، وضبطه بسكون الراء .(٢)

وتقدّم في دير الجَرَعَة ودير عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيْلَة الغسّاني أنّه يقع بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجَرَعَة .

١٠- الـمَـرْدَمَـة

هو جبل أسود عظيم لبني مالك بن ربيعة بن أبي بكر بن كلاب . ذكره الحموي .(٣)

وفي "كتاب الفتوح" كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح بشهرين ، ثمّ قدم زهرة بن حوية إلى العراق واللّسان لسان البرّ الذي أدلعه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم ، قال عدي بن زيد :

ويـــح أمّ دار حَلَلْنــــا بهـــا ... بيـــن الثـويّـــة والمـردمــــه
بريـــة غرســـت فـــي الـــسواد ... غـــرس المـضيغة فـي اللهزمــه
لـــسان لعربـــة ذو ولغـــــة ... تولـغ فـي الريـــف بالهـنـدمـه(٤)

أقول : ومن هذه الأبيات يظهر أنّ جبل المردمة في طرف موضع النجف .

---

(١) معجم البلدان : ٥٠٣/٢ .
(٢) معجم البلدان : ١٢٧/٢ .
(٣) معجم البلدان : ١٠٤/٥ .
(٤) معجم البلدان : ١٦/٥ .

روى الطبري ، عن أبي مخنف ، أنّه قال : ومضى شبيب الخارجي وجماعته فمرّوا بمسجد بني ذهل فلقوا ذهل بن الحارث ، وكان يصلّي في مسجد قومه فيطيل الصلاة ، فصادفوه منصرفاً إلى منزله فشدّوا عليه ليقتلوه ، فقال : اللهمّ إنّي أشكو إليك هؤلاء وظُلمهم وجهلهم . اللهمّ إنّي عنهم ضعيف فانتصر لي منهم . فضربوه حتّى قتلوه ، ثمّ مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجّهين نحو المردمة .[١]

١١- النُّخَيْلَة

يظهر من الأخبار الواردة والأحداث التي دارت في النُّخَيْلَة أنّها تقع بظهر الكوفة ضمن موضع النجف العام ، فقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يخرج إليها إذا أراد أن يخطب الناس .[٢] كما اتّخذها عليه السلام معسكراً له قبل توجّهه لحرب أهل الشام بصفّين ، وكذا بعد فراغه من حرب الخوارج ، فأمر الناس أن يلزموا عسكرهم بالنخيلة وأن يقلّوا زيارة أبنائهم ونسائهم بالكوفة حتى يسيروا إلى عدوّهم ، فأقاموا فيه أياماً ثمّ تسلّلوا من معسكرهم فدخلوا الكوفة إلاّ رجالاً من وجوه الناس .[٣]

قال الحموي : النُّخَيْلَة ، موضع قرب الكوفة على سمت الشام .[٤] ونقل البكري عن الخليل قوله : النُّخَيْلَة ، موضع بالبادية .[٥]

وممّا يدل على وقوعها في البر ، وقربها الشديد من الكوفة ، ما ذكره ابن الأثير في رجوع الإمام علي عليه السلام من صفين إلى الكوفة ، قال : أخذوا طريق البر وساروا حتى جاوزوا النخيلة ورأوا بيوت الكوفة فإذا بشيخ في ظل بيت عليه أثر المرض فسلّم عليه أمير المؤمنين ... .[٦]

---

(١) تاريخ الطبري : ٥٦٨/٣ .
(٢) معجم ما استعجم : ١٣٠٥/٤ .
ستأتي خطبتان له عليه السلام في النخيلة في سنة ٣٦هـ وسنة ٣٩هـ ، في الجزء الثاني من كتابنا .
(٣) الكامل في التاريخ : ٢٢٣/٣ . البداية والنهاية : ٣٠٨/٧ .
(٤) معجم البلدان : ٢٧٨/٥ .
(٥) معجم ما استعجم : ١٣٠٥/٤ .
(٦) الكامل في التاريخ : ١٩٧/٣ .

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه خرج يوماً من القصر بالكوفة إلى النخيلة فصلّى بها الظهر ركعتين والعصر ركعتين ثمّ رجع من يومه ، وقال : أردت أن أعلّمكم سُنّة نبيّكم صلى الله عليه وآله .[١]

أقول : كلّ ذلك يدل على قرب النخيلة من الكوفة ، وأنّها لاتبعد عن مدينة النجف الحاضرة سوى بضعة عشر كيلومتراً . وكما ترى ممّا قدّمنا ، أنّ موقع النخيلة هو خلاف ما استظهره العلاّمة صاحب "جواهر الكلام" ، من أنّ النخيلة هي المسمّاة بذي الكفل .[٢]

والذي يظهر أنّ النخيلة بلدة لا موضع ، فقد ذكر وكيع في كتابه "أخبار القضاة" : أنّ عيسى بن المسيّب البجلي كان في أعوان قاضي الكوفة سعيد بن عمرو بن أشوع الهمداني ، فاستقضاه خالد القسري على النُّخَيْلَة ، وقد قيل لمّا مات ابن أشوع أنّ خالد القسري عزل عيسى بن المسيّب ، وولّى محارب بن دثار على النُّخَيْلَة .[٣]

١٢- الرصـــافــة

مدينة أحدثها المنصور العباسي بظهر الكوفة [٤] قبل بنائه مدينة بغداد . ذكرها الحسين بن السري الكوفي ، فقال :

ولقــد نظــرت إلــى الرصـا ... فـــة فالثنيّـــة فـــالخورنق
جَـــرَّ الـــبلى أذيالــه فيـــ ... ـــها فأدرســـها وأخلـــق[٥]

أقول : والظاهر من قوله أنّ الرصافة قرب قصر الخورنق .

---

(١) المحلّى : ٧/٥ . المغني : ٤٨/٢ .

(٢) لاحظ بحثه "حكم صلاة من سافر بريداً ولم يرد الرجوع ليومه" .(جواهر الكلام :٢٢٦/١٤)

(٣) أخبار القضاة : ٢٢/٣ .

(٤) تاريخ الطبري : ٢٣٤/٦ .

(٥) معجم البلدان : ٤٩/٣ .

١٣- سميا

قرية ذكرت مع بانقيا ، ذكرها ياقوت الحموي عن العبدري .[١] وقد تقدّم في أسماء موضع النجف أنّ بانقيا هي أرض بالنجف دون الكوفة .

١٤- الـرُّهَـيْـمَـة

الرُّهَيْمَة ، بلفظ التصغير ، ضيعة قرب الكوفة . قال السكوني : هي عين بعد خَفِيَّة[٢] إذا أردت الشام من الكوفة بينها وبين خَفِيَّة ثلاثة أميال ، وبعدها القطيفة مغرباً . وذكرها المتنبي ، فقال :

فيا لك ليلاً على أعكُش[٣] أحمّ البلاد خفيّ الصوى
وَرَدْنَ الرُّهَيْمَة في جوزه وباقيه أكثر ممّا مضى[٤]

والرهيمة اليوم قرية صغيرة تقع غرب مدينة النجف على طريق الحج البرّي ، وتبعد عنها بـ(٢٤،٥) كيلومتراً في طريق غير مستقيم . تحدّها شرقاً "حميرگان" وهي أثار عين ماء قديمة مندرسة ، وغرباً "غار دهام" وهي مجموعة من التلال الصخرية ، وشمالاً "رملة جعيفر" وهي مجموعة من التلال الرملية المتنقلة ، وجنوباً "أمّ الوْراگ" وهي مجموعة من المياه المتناثرة هنا وهناك ، وتسمّى عندهم "الفيضة" .

وتشتهر قرية الرهيمة بعيونها القديمة الكثيرة التي كانت تعيش عليها وكلّها اندرست بمرور الزمن ، وأهم تلك العيون : عين الرهيمة تبعد عن القرية بنحو ٣ كيلو

---

(١) معجم البلدان : ٢٥٥/٣ .

(٢) خَفِيَّة : أجمة في سواد الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلاً . يُنسب إليها الأسود فيقال أُسود خَفِيَّة . وهي غربي الرحبة ، ومنها إلى عين الرُّهَيْمَة مغرباً . (معجم البلدان : ٣٨٠/٢)

(٣) أعكُش : هو موضع قرب الكوفة . ذكره الحموي ، وأورد أبيات المتنبّي أعلاه . (معجم البلدان : ٢٢٢/١)

(٤) معجم البلدان : ١٠٩/٣ .

مترات وتعتمد عليه للزراعة ، وعين غانم وتبعد عن مركز القرية الآن بـ ٣ كيلومتراً ، وعين أم جمل وتبعد عن مركز القرية الآن بـ ٥ كيلومتراً ، وعين الشرعمية وتبعد عن مركز القرية الآن بـ ٨ كيلومتراً .[(١)]

وسيأتي في سنة ٦١ هـ أنّ الإمام الحسين عليه السلام نزلها في طريقه إلى كربلاء .

١٥- الرحبة

قال ياقوت الحموي : الرحبة قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكّة ، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب ، لأنّها في ضفة البر ليس بعدها عمارة . قال السكوني : ومن أراد الغرب دون المغيثة خرج على عيون طف الحجاز فأولها عين الرحبة وهي من القادسية على ثلاثة أيام ، ثمّ عين خفية .[(٢)]

وتبعد الرحبة اليوم عن مدينة النجف الأشرف بـ(٣٥) كيلومتراً . وكان طريق الحج البرّي الذي فتح عام ١٩٣٦م يمرّ عليها ، وهي أول نقطة يقف عندها الحاج لفحص جوازات السفر ، وكانت تلك الفترة من الأيام الذهبية التي انتعش فيها اقتصاد الرحبة ، كما هو الحال بالنسبة لقرية الرهيمة .

وأمّا عيونها فأهمّها عين الرحبة وهي مصدر الحياة فيها ، وتبعد عن القرية بنصف كيلو متر خارجاً . وهناك عيون أخرى مندرسة تحيط بها أهمّها : عين بـجاي ، وعين يازي ، وعين الخريبة .[(٣)]

قال شيخنا محمد حرز الدين في "مراقد المعارف" : الرحبة من سواد العراق جهة البادية في الجنوب الغربي لمدينة النجف الأشرف ، تبعد عنها قرابة تسعة فراسخ في

---

(١) الرهيمة : ٨.

(٢) معجم البلدان : ٣/٣٣.

(٣) الرهيمة : ٨٢.

نواحي القادسية أو هي القادسية على خلاف قيل . وفيها مرقد محمد بن الحسن - قرب عين الرحبة الموجودة في زماننا - معروف مشهور عليه قبّة وله مزار تزوره الأعراب ، وكان هذا القبر مندرساً وأظهره وشيّده السيّد محمود الرحباوي .(١) والسيّد محمود هذا هو الذي أظهر "عين الرحبة" المطمورة بالرمال لحوادث الدهر بعد الإسلام ، واستنبط ماءها ورمّم القصر القديم بجانبها ، وأقام في قصر عين الرحبة كدار سكنى له ، وصار مزارعاً بمائها وأرضها .

وفي إحدى غارات أعراب ابن سعود على النجف الأشرف في عصر الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء في سنة ١٢٢٢هـ ، رجعوا من هذه الغارة بالخيبة والفشل حيث وجدوا النجفيّين وأهل العلم محصّنين مسلّحين بقيادة العلماء الأعلام ، وصار مرور ابن سعود وأعرابه عند عودتهم بالرحبة فرأى قبر السيّد العلوي محمد بن الحسن المذكور مشيّداً عامراً عليه قبّة عالية ، فأمر السيّد محمود الرحباوي بأن يهدمه ويقلع القبّة التي فوق القبر والسقف ويصيّره مكشوفاً خراباً ، ففعل السيّد ما أمر به بنفس الوقت خشية سطوتهم ، ثمّ عمّره السيّد محمود ثانية بعد سنوات وهي عمارته القائمة اليوم في زماننا .(٢)

---

(١) هو السيّد محمود بن السيّد أحمد مير جمال الموسوي الصفوي ، المقتول في قصر عين الرحبة حدود سنة ١٢٢٨هـ على أيدي جماعة من النجفيين ، وبقتله نشأ الحزبان المعروفان في النجف "حزب الشمرت" و"حزب الزقرت" .

والسيّد محمود هذا هو أحد ثلاثة إخوة هربوا من همدان من جور السلطان أشرف الأفغاني ، لمّا قتل الصفويين وأتباعهم حتى السجناء قتلاً فضيعاً ، ثمّ أخذ يتتبّع الصفويين في أنحاء إيران ، فهرب هؤلاء الإخوة من إيران ، أحدهم هرب إلى الهند وانقطع خبره علينا فلم نعرف عنه شيئاً ، وثانيهم السيّد محمود هذا قدم العراق ، وثالثهم أيضاً قدم العراق - بعد توطن أخيه السيّد محمود - وتوفي فيه ولم يعقّب أولاداً ، والعقب كلّه من السيّد محمود . واشتهر عقبه في النجف وخارجه بالسادة "آل محمود" سادة الرحبة ، ثمّ اشتهروا أخيراً بالسادة "آل فوّاز" . (مراقد المعارف : ٢/٢٨٠)

(٢) مراقد المعارف : ٢/٢٧٩-٢٨١ .

١٦- القُـطْـقُـطـانَــة (الحياضية)

في "معجم البلدان" : القُطْقُطانَة ، موضع قرب الكوفة من جهة البرّ بالطفّ ، به كان سجن النعمان بن المنذر . وقال أبو عبد الله السكوني : القُطْقُطانة ، بالطف بينهما وبين الرُهَيْمَة مغرباً نيّف وعشرين ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام ، ومنه إلى قصر مقاتل(١) ثمّ القُريّات ثمّ السماوة ، ومن أراد خرج من القُطْقُطانة إلى عين التمر ثمّ ينحطّ حتى يقرب من الفيوم إلى هيت .(٢)

وقال ابن خرداذبة : هي أوّل مرحلة من الحيرة للسائر إلى دمشق .(٣)

ولا تزال عين القُطْقُطانة معروفة حتى يومنا هذا باسمها المصحّف "طقطقانة" عند أعراب البادية وأهل العيون التي حول النجف ، ويظهر هذا الاسم المصحّف في المصوّرات الحديثة .(٤)

وتُعرف القُطْقُطانة اليوم بالحياضيّة . وهي قرية فيها النخيل الكثير ، وتستقي من عيون ماء نابعة أهمّها ثلاث عيون : عين الحياضيّة الكبيرة ذات الماء الدفّاق الوافر ، وعين المَعزوبة ، وعين آل خليف . وهي تقع غرب الرهيمة على بعد ٢٥ كيلو متراً ، ويكون بذلك طول الطريق بين النجف الأشرف والحياضية ٤٩ كيلو متراً .(٥)

وقد دُعيت إلى الحياضية سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م من قبل الوجيه الحاج غانم بن خليف آلبو غنيم ، بمناسبة عقد قران ولده سمير ، فكانت ليلة طيّبة تناولنا فيها طعام

---

(١) منسوب إلى مقاتل بن حسّان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عُصيّة ابن امرئ القيس . وخرّبه عيسى بن علي بن عبد الله ثمّ جدد عمارته فهو له . (معجم البلدان : ٣٦٤/٤)

(٢) معجم البلدان : ٣٧٤/٤ .

(٣) المسالك والممالك : ٩٩ .

(٤) الحيرة المدينة والمملكة العربية : ٢٧٣ .

(٥) الرهيمة : ٧٧ .

العشاء على ضفاف عين آل خليف ، وقد اجتمع عندنا وجوه القرية ، ودار الحديث عن هذه العيون وكيف كانت في العهود الغابرة وما عليها اليوم من الهوان .

١٧- العزّيّة

تقع العِزِّيَّة غرب مدينة النجف الأشرف ببعد ١٨،٥ كيلومتراً شرق الرهيمة . وكانت في السابق قرية مأهولة بالسكّان تعتمد عليها الرهيمة في اقتصاديّاتها ، ولكنّ ضعف عين العِزِّيَّة وموتها في النهاية أدّى إلى اندراسها . وإلى جانب العين قصر متوسّط القدم في البناء يسمّى قصر العِزِّيَّة .

ولم نجد في كتب البلدان القديمة لها ذكر ، فيظهر أنّها أنشئت لاحقاً ، أو أنّ اسمها قد تغيّر .

١٨- طَـيْـزَنَـابَـاذ (طُـعـيـريـزات)

طَيْزَنَاباذ ، مدينة شهيرة من أقدم مدن العرب في الجاهلية . وهي بين الكوفة والقادسية على حافة طريق الحج ، بينها وبين القادسية ميل . وكان يظن أنّ آثارها طمست ولم يبق لها أثر يذكر بعد أن جرّ الزمان عليها ذيله فعفى ما كان قد بقي من أطلالها .

في سنة ١٩١٣م-١٣٣١هـ ، زار هذه الأطلال الباحث إبراهيم حلمي أفندي مُرْسَل هيئة "مجلّة لغة العرب" ، وكتب عن رحلته بقوله :

كان مسيرنا إلى طعيريزات عن طريق قضاء "أبو صخير" ، فأشرفنا عليها بعد أن قطعنا قراب ٩ كيلو متراً . وأهمّ الشواخص القائمة هناك هي تلول ورواب يتراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٢٥ متراً ، وعلى جوانب تلك التلول آثار أبنية قديمة العهد ، وتمتد التلول إلى نحو كيلومترين تبتدئ من موضع اسمه المصعاد[١] وتتقدّم إلى ما يقرب من الخورنق .

---

(١) "المصعاد" على بعد مرحلة من النجف . أرضه كلسيّة ، وفيه آثار أبنية قديمة العهد جليلة الوضع كلّها من الطاباق الكبير . وقد قيل في سبب تسميته بهذا الاسم أنّ القادم من الحيرة إلى النجف عن طريق البحر لا يزال في صعود دائم ، ومنها اسمه . وكنّا نمرّ على طعيريزات عند رجوعنا من بساتيننا

وبين هاتيك التلول والهضاب أبنية قد شيدت في عصر الجاهلية وقد عقد بعضها عقداً محكماً قد غارت به الأرض حتى كادت تبتلعه عن آخره ، ولا يظهر منه إلاّ أثر بناء السُقُف ومعدّاته الطاباق الصلب ، وقد شُدَّ بعضه إلى بعض بالجص القوي وطلي بالبورق .

قال رفيقي الأعرابي : هذا البناء كان سرداباً بعيد الغور وقد دخله والدي قبل ٣٠ سنة ولمّا خرج منه كاد يُغشى عليه ، وهو لم يخرج منه إلاّ لأنّه أحَسَّ بسلب قواه ولهذا لم يتمكّن من رؤية شيء . وبين هاتيك الربوات آثار أُسس أبنية بارزة للعيان قد هدمها الأعراب ، واستلّوا حجارتها واحداً بعد واحد ونقلوها إلى أراضيهم ليبنوا بها دوراً يتحصّنون فيها يسمّونها قلاعاً ، ولم يبق من ارتفاع هذه الأبنية إلاّ متر ونصف ، وأكثرها بهيئة دعائم مفتولة ، ومحيط أكثر هذه الأساطين يتراوح بين المترين وثلاثة أمتار .

وقد ذكر لي دليلي الأعرابي نقلاً عن أجداده أنّ هذه الأنقاض كانت قبل نحو نصف قرن دوراً فسيحة الأفناء والجنبات ، فنقضها أهل البادية انتفاعاً بآجرها ، وقد مسحنا هذه الأبنية الباقية فوجدنا طولها قراب ٣٥ متراً وعرضها زهاء ٢٨ متراً على شكل مستطيل .

وفي شمال هذه الدوارس بئر مهجورة بين يديها حوض من الرخام مستطيل ويبلغ طوله نحو مترين في عرض متر ، والبئر مملوءَة تراباً ، ولا يرى من عمقها سوى مترين ونصف وهي مطويّة بالطاباق الحسن ، وعلى بعد ما يقارب ٥٠ متراً من غربي هذا البئر قبر قد ابتلعته الأرض ولا يرى منه الا مقدار ٢٠سنتمتراً . وهناك بناء معقود طوله متران ونصف وعرضه متران قوسي الشكل وليس عليه كتابة تدلّنا على صاحبه وتشير إلى عهده .

وهناك أقوال في باني هذه الآثار كلّها لا يقوم عليها دليل يعضدها ، والرأي الوجيه

في الجعارة (الحيرة) عن طريق بحر النجف ، فنجتاز المصعاد ثمّ الظهر . وكانت يومئذٍ الروابي والمرتفعات الأثريّة المعروفة لدى السواد الأعظم بـ"طعيريزات" ظاهرة للعيان على يمين الطريق مطلّة على البحر .

الذي يعضده الدليل أنّها من بناء الضيزن الذي قتله سابور ذو الأكتاف[1] بين سنة ٣٢٦ و ٣٢٨ للميلاد وسيأتي .

وحدة الإسمين (طعيريزات) و (طيزناباذ) ومرادفاتهما

لا تُعرف اليوم طَيْزَناباذ باسمها هذا القديم المشهور . أمّا الاسم الذي يدور على الألسنة فهو طعيريزات ، وما هذه اللفظة إلاّ تصحيف طَيْزَناباذ وذلك أنّ العوام استثقلوا اللفظة الدخيلة الوزن والتركيب وأبدلوها بكلمة تقرب منها صوتاً ويسهل عليهم حفظها ويفهمها جميعهم ، وذلك أنّ طعيريزات جمع طُعَيْريزة مصَّغر طعروزة ، والطعروزة عندهم أو التعروزة أو الترعوزة تصحيف الترعوزي وهو القثّاء بلسان سواد أهل العراق .[2]

وأمّا أهل النجف وإن شئت فقل أيضاً أصحاب القوافل التي تتردّد بين الجعارة (الحيرة) والنجف فإنّهم يُسمّون هذه التلول المار وصفها باسم "أم فيس" أو "أم طربوش" أي ذات الطربوش ، وذلك لأنّ في أعلى تلك الروابي تلاً في أعلاه تراب قائم بصورة دائرة مجصَّصة الخارج ، توهم الناظر إليها أنّها طربوش أو فيس ، وإن سألت بعض أبناء النجف عن طعيريزات وعن موقعها فلا يفهمون شيئاً من هذا السؤال ، لأنّهم يجهلون هذا الاسم ويعرفون له إسماً آخر ، فيجب أن يُعاد على أسماع المخاطب المرادفات كلّها ليعرف منها ما قد ألفه سمعه .[3]

---

(١) كذا في المصدر ، والصواب أنّه سابور الجنود بن أردشير ، وليس بذي الأكتاف ، لأن سابور ذا الأكتاف هو سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور الجنود صاحب هذه القصة .

(٢) كذا في المصدر ، والذي أعتقده أنّ تسمية طعيريزات بهذا الاسم لا ربط لها بهذا النوع من القثّاء ، ولا مناسبة بين التسميتين سوى التشابه اللفظي في المفردات لاغير ، فلا يصح الإشتقاق .

(٣) مجلّة لغة العرب : الجزء ٨ ، السنة ٢ ، ص ٣٢١ – ٣٢٦ .

طَيْزَناباذ القديمة

تقدّم القول عن موقع أطلال طَيْزَناباذ في الزمن الحالي . وأراد الباحثون ممّن اشتهروا بطول الباع وبُعد النظر في المسائل الأثرية فيما كان لهذه المدينة القديمة العهد في القرون الماضية من الآثار الخطيرة المؤيّدة لحدودها والناطقة بخطورة شأنها هذا ، لأن بُعدها عن القادسية وتوسّطها حافة طريق الحجاج من البراهين التي لا تحتمل النقض ، هذا فضلاً عمّا رأيناه هناك من الدوارس والأطلال التي أثبتنا وصفها في رسالتنا السابقة . بقي علينا هنا أن نأتي على ما كان لها في القرون الخالية والعصور الغابرة من العزّ والسؤدد وما بلغته من العمران والتقدم ، ذلك مع الإلماع إلى ما قاله شعراء العرب فيها ، وتدوين نبذ صغيرة من تأريخها المتفرّق أيدي سبأ في بطون الكتب معتمدين في ذلك على أصدق الكتب التاريخية وأصحّ الروايات وأوثق المصادر ، وعلى ذلك نقول :

مؤسّس طَيْزَناباذ ونبذ من أخباره

لا يختلف اثنان في أنّ مؤسّس طَيْزَناباذ هو الضيزن أحد ملوك العرب ابن معاوية ابن العبيد السليحي ، واسم سَليح عمر بن طريف بن عمران بن الحاف بن قضاعة .(١)

وقال الكلبي : الضيزن معاوية بن الاحرام بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .(٢)

وقد اختلف في نسبه وهو المعروف عند الجرامقة بـ"الساطرون" ، وضيزناباذ منسوبة إليه ، وهي مركّبة من كلمتين الأولى "ضيزن" وهو اسم هذا الأمير والثانية "آباذ" وهي كلمة فارسيّة معناها "العمارة" أي "عمارة الضيزن" وكانت العرب تتلفّظ بها بالضاد ، إلاّ أنّه لمّا غلبت الفارسيّة ضرّتها العربيّة في هذه الأرجاء وكانت الفارسيّة خالية من الضاد تكلّموا بها بالطاء فاشتهرت بها .

---

(١) لاحظ : فتوح البلدان : ٣٤٨/٢.

(٢) لاحظ : معجم البلدان : ٥٤/٤.

وكان الضيزن ملكاً من ملوك العرب المعاصرين لسابور ذي الأكتاف ملك الفُرس ، وكان ذا هيبة ووقار وسطوة تخشى بأسه قبائل العرب وملوكها وكانوا يهادنونه ويسالمونه خوفاً من بطشه وهرباً من سيطرته ، وكان قد ملك الجزيرة إلى الشام وأخضعها لسلطانه ، وممّا يشهد على ذلك التاريخ . فإنّ سابور عدوّ العرب لمّا سمع بما وصل إليه أحد ملوكهم من العزّ والسطوة آلَ على نفسه أن يذلّه فسار إلى بلاد الجزيرة حتّى وصل "الحضر" وكان الضيزن كثير الجنود مهادناً للروم ومتحيّزاً إليهم ، يُغير رجاله على العراق والسواد ، فكانت في نفس سابور عليه ، فلمّا نزل "الحضر" تحصّن الضيزن فأقام عليه سابور شهراً لا يجد إلى فتحه سبيلاً ولا يتأتّى له في دخوله حيلة ، فنظرت "النضيرة" بنت الضيزن يوماً وقد أشرفت على الحصن فهوته وأعجبها جماله وكان من أجمل الناس وأمدَّهم قامة ، فأرسلت إليه إن أنت ضمنت لي أن تتزوّجني وتفضلني على نسائك دَلَلْتُك على فتح هذا الحصن ، فضمن لها ذلك ، فأرسلت إليه إيت "الثرثار" وهو في نهر أعلى الحصن فانثر فيه تبناً ثمّ اتبعه فانظر إليه أين يدخل فأدخل الرجال منه فإن ذلك المكان يفضي إلى الحصن ، ففعل سابور ذلك فلم يشعر أهل الحصن إلاّ وأصحاب سابور في الحصن ، وقد عمدت النضيرة فسقت أباها الخمر حتّى أسكرته طمعاً في تزويج سابور إيّاها ، وأمر سابور بهدم الحصن بعد أن قتل الضيزن ، وكان ذلك بين سنة ٣٢٦ و ٣٢٨ بعد الميلاد ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الضيزن وحصنه وخيانة إبنته النضيرة وزوال ملكه .

تصحيف الكتّاب لاسمها

"طَيْزَناباذ" بفتح الطاء المهملة وسكون الياء بعدها زاء معجمة مفتوحة يليها نون وبعدها ألف ثمّ باء يليها ألف ثمّ ذال معجمة ، كذا ضبطها ابن خرداذبه والطبري وابن الأثير ، وقد صحّفها غيرهم تصحيفاً مشيناً ، وضبطوها بكسر الطاء كما نبّه عليه ياقوت الحموي .(١)

---

(١) لاحظ : معجم البلدان : ٤/٥٤ .

والأفصح الفتح تقريباً للاسم من أصله المفتوح الأوّل على رواية جميع اللغويّين ، ولعلّ النسّاخ هم الذين صحّفوها ، لأنّها كلمة أعجميّة ، وإذا أردنا أن ، نتتَبَّع كلّ التصحيفات التي وردت في هذا الصدد يطول بنا الكلام .

ذكرها في مؤلّفات العرب

لم تكن طَيْزَناباذ مدينة خاملة الذكر بل كانت مدينة شهيرة عريقة في القدم ، والذي أذاع صيتها فطبّق الخافقين طيب هوائها ، وحسن مناخها ، وجَودة شرابها حتى أنّه كان يوصف كالقطربلي ، ولهذا كانت ملوك الفُرس الأقدمين ، وأمراء المسلمين من بعدهم يتّخذونها دار نزهة ومصيفاً يقضون فيها أيام الفراغ في اللهو واللعب والتمتع بالملذّات ، وكانت في الزمن الخالي ذات أشجار قنواء ، ونخيل حسناء ، ورياض غنّاء ، وجنائن فيحاء ، تخرقها الأنهار من كلّ البقاع تحمل إليها من الفرات .

وقد ورد ذكرها في أشعار العرب ودواوينهم فوصفوها وصفاً دقيقاً ، وكانت آثارها قد عفت منذ عهد ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، إذ يقول في معجمه : وهي الآن خراب لم يبق بها إلاّ أثر قباب يسمونها "قباب أبي نؤاس" ولأهل الخلاعة فيها أخبار يطول ذكرها .

قال أبو نؤاس يذكرها :

قالوا تنسّك بعد الحجّ قلت لهم ... أرجو الإله وأخشى طَيْزَناباذا
أخشى قُضَيِّب كَرْمٍ أن ينازعني ... فضل الخطام وإن أسرعتُ إغذاذا
فإن سلمتُ وما نفسي على ثقة ... من السلامة لم أسلم ببغداذا
ما أبعد النسك من قلب تقسّمه ... قُطْرُبُّل فقرى بنا فكلواذا(١)

قال علي بن يحيى : حدّثني محمد بن عبيد الله الكاتب ، قال : قدمت من مكّة فلمّا صرت إلى طَيْزَناباذ ذكرتُ قول أبي نواس ، حيث قال :

---

(١) قُطْرُبُّل وكلواذى : قريتان ، الأولى في شمال بغداد ، والثانية في جنوبها . (معجم البلدان : ٣٧١/٤)

بطَيْزَنابــاذ كَــرْمٌ مــا مــررتُ بــه إلاّ تعجّبــتُ ممّــن يــشرب المــاء
إنّ الـشراب إذا مـا كـان مـن عنـب داءٌ وأيّ لبيـــب يـــشرب الـــداء

فَهَتَفَ بي هاتف أسمع صوته ولا أراه ، فقال :

وفــي الجحــيم حمــيمٌ مــا تجرّعــه خَلْـقٌ فـأبقى لـه فـي الـبطن أمعـاء[(١)]

تاريخ وقايعها وسقوطها

لم نقع على تاريخ بناء هذه المدينة ، ولكن يمكننا أن نقول : إنّ التواريخ أثبتت أنّ سابور ذا الأكتاف[(٢)] قتل الضيزن ما بين سنة ٣٢٦ و ٣٢٨ بعد الميلاد ، فإذا فرضنا أنّها تأسّست قبل هذه الحادثة بأقلّ من نصف قرن فتكون قد بُنِيَتْ قبل ستة عشر قرناً ، وكانت طَيْزَناباذ في ذلك العهد إحدى المدن الفخيمة الجليلة القدر وما زالت كذلك حتى الفتح الإسلامي ، وكان الفُرس قد عرفوا حسن موقعها الحربي والسياسي ، ولهذا اتّخذها رستم قائد الفُرس الكبير في حرب القادسية مباءة لعسكره ، ولمّا اندحر الفُرس في تلك الحرب ، وتشتّت شملهم وسقطت بأيدي المسلمين سنة ١٥هـ - ٦٣٦م مع ما سقط من مدن الفُرس وحواضرهم أخذت منذ ذلك الحين تسير نحو التأخّر . وفي زمان خلافة عثمان بن عفان أُقطعت الأشعث بن قيس الكندي ، وكان لمحمد بن الأشعث فيها قصر فخيم على عهد الدولة الأموية ، وبقيت كذلك وهي تقارع الدهر والدهر يقارعها ، تارة تغلبه وأخرى يغلبها ، حتى أدركت في أواخر عمرها أوائل الدولة العباسية ، فتوالت عليها المصائب في أواسط الدولة العباسية ، وما زالت في نزاع واحتضار حتى فاضت نفسها وأصبحت أثراً بعد عين في القرن الرابع للهجرة ، فعبثت يد الزمان برسومها ولم يبق منها اليوم إلاّ تلك الأطلال الدارسة والآثار الطامسة التي أشرنا إليها في النبذة السابقة ، ومع ذلك فإنّ تلك الأنقاض تنطبق بما كان لها في العهد العهيد من الشأن الخطير والعمران الذي ليس له نظير .[(٣)]

---

(١) لاحظ : معجم البلدان : ٤/٥٥ .

(٢) هو سابور الجنود بن أردشير ، وليس بذي الأكتاف ، كما أشرنا لذلك آنفاً فلاحظ .

(٣) مجلة لغة العرب : الجزء ٩ ، السنة ٢ ، ص ٣٧٦- ٣٨١ .

طَيْزَناباذ في الأثر

روى الشهيد الأول محمد بن مكّي، عن ابن أبي قرّة، بإسناده، عن إسحاق بن عمار، قال: لقيت أبا عبد الله عليه السلام بالقادسية عند قدومه على أبي العباس، فأقبل حتى انتهينا إلى طَيْزَناباذ، فإذا نحن برجل على ساقية يصلّي وذلك عند ارتفاع النهار، فوقف عليه أبو عبد الله عليه السلام وقال: "يا عبد الله أيّ شيء تصلّي"؟. فقال: صلاة الليل فاتتني أقضيها بالنهار. فقال: "يا معتب حطّ رحلك حتى نتغدّى مع الذي يقضي صلاة الليل". فقلت: جعلت فداك أتروي فيه شيئاً؟. فقال: حدّثني أبي، عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنّ الله يباهي بالعبد يقضي صلاة الليل بالنهار، يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي يقضي ما لم أفترضه عليه أُشهدكم إنّي قد غفرت له".[1]

١٩- عـريـسـات

اختلفت الأقوال في عريسات[2] وموقعها اختلافاً تاماً، فقد وصفها بعضهم أنّها مدينة تحت الأرض، والبعض الآخر أنّها معابد للأقدمين، وقال آخرون: إنّهم رأو في بعض مغاورها إيواناً فيه محراب إسلامي ومنبر، إلى غير ذلك.

وقد رحل إليها الأستاذ الباحث كاظم الدُجَيْلي مدير "مجلّة لغة العرب" بغية الوقوف على حقيقتها، فكتب مشاهداته عنها، قال:

ولمّا لم نقف على الحقيقة لم نَرَ بدّاً من البحث عن هذا الأثر النفيس بأنفسنا، فرحلنا من بغداد إلى النجف في يوم الأربعاء ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٣١هـ - ١٩ آذار ١٩١٣م، ثمّ وردنا النجف.

---

(١) الذكرى: ١٣٧.

(٢) عريسات من اصطلاح الأعراب في تلك الأرجاء، بقولهم: عرّس الخشّاف (الخفّاش) أي اجتمع طوائف طوائف لعرس أو لموسم فرح حسب تصوّرهم، فقالوا: عريسات، جمع عريسة، والعريسة تصغير العرس.

الطريق المؤدّية من النجف إلى عريسات

في يوم الاثنين ٣٠ ربيع الثاني رحلنا صباحاً من النجف قاصدين عريسات ، وكان دليلنا الخرّيت رجلاً من أهل محلّة العمارة إحدى محلاّت النجف الأشرف اسمه هَجْوَل بن أحمد سِرّان[1] ، وقد قضّى هذا الرجل مقدار ٤٠ سنة في عريسات لطلب ذرق الخفّاش وبيعه لأهل الحدائق ، والبساتين ولم تزل هذه مهنته حتى اليوم ، ولذا نراه من أعرف الناس بمتايهها الباطنة لكثرة انتباهه إليها وإلى دهاليزها العديدة .

قال الأستاذ الدجيلي : خرجنا من باب المشهد الكبير ثمّ سرنا مع سور المدينة متّجهين إلى الغرب ، ثمّ انحرفنا إلى الجنوب الغربي ، وبعد مسافة ربع ساعة عارضنا في طريقنا تلٌ[2] ممتدّ يسمّونه جبلاً وهذا التّل هو الذي فيه عريسات ، ثمّ اخترقناه وملنا معه إلى الشمال الغربي ، وبعد مسافة ٤٥ دقيقة رأينا عن يمين الطريق على حافته آثار أنقاض تسمَّى "قصر الفتحة" وهو في جنوبي فرجة من تل عريسات ، لأنّ التل هناك ينحني شيئاً قليلاً وذاك الإنحناء يسمّونه "فتحة" ، وبعد مسافة ساعة يلوح لك عن يسار الطريق على بعد ساعة منه "قصر الرُّهَيْمَة" وبعد مسافة ٧ دقائق مررنا بأثر أنقاض عن يسار الطريق يسمَّى "قصر الدكاكين" وهو ربوة يبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ٣ أمتار ومحيطها زهاء ٢٠٠ متراً ، وبعد ٧ دقائق مِلْنا عن الطريق إلى اليمين مسافة ٣٠ متراً ، ثمّ مَرَرْنا بوادٍ بين تلَّين عظيمين علوّ كلّ منهما نحو ١٠ أمتار وفيهما الدكاكين التي نُسب القصر إليها .

---

(١) وآل سران من وجوه حمائل خفاجة المكريّة (المجريّة) النازلة في أرياف الحلة . وكان جملة من آل سِرّان يسكنون النجف ومنهم يوسف سرّان وأولاده ، ومنهم هَجْوَل سِرّان هذا ، يسكن داراً جوار دارنا .

(٢) يمتد هذا التل من الشرق إلى الغرب ، ومبدأه من "أبو صخير" على بعد ثلاث ساعات من النجف ومنتهاه عند "القصير" تصغير قصر ، الواقع دون قصر الأخيضر بساعة ممّا يلي شفاثا ، وأعلى مكان في التل المذكور يبلغ ١٥ متراً ، وأخفض موضع منه ٤ أمتار . (هامش المصدر)

والدكاكين عبارة عن مساطب متوالية تتفرع إلى دهاليز وأظنّها مقابر قديمة ، وإنّما سمّيت بهذا الاسم لأنّ العرب رأوا وضعها كبعض الدكاكين التي عندهم اليوم فظنوها كذلك فأطلقوا عليها هذا الاسم ، وقد رأينا في ركن جانب منها كتابة حِمْيَريّة مكتوبة بالحبر الأسود ، وكان عدد الدكاكين نحو الأربعين وهي متقاربة ببعد الواحد عن الآخر زهاء ٣ أمتار ، وعرض الواحد قرابة متر أو متر ونصف ، وطولها يتفاوت بين الأربعة أمتار والعشرة ، وهي منحوتة نحتاً في الحجارة إلى هنا في أعلى جانبي الوادي . وبعضها في الجانب الآخر من الجبل الذي هو تجاه الشمال ، وينفذ بعضها إلى الجهة الأخرى ويمر يميناً ويساراً ، وبعد مسافة ٢٠ دقيقة وقفنا على "أمّ الغرف" وهي أشبه بالدكاكين إلاّ أنّها أكبر وأعمق ، وعددها ١١ ، ثلاث منها في أعلى الجبل الذي وجهه تجاه الشمال ، وثمان في صفحة الجبل التي هي تجاه الجنوب ، وأربعة فقط من هذه الـ(١١) يوصل إليها بطريق ، أمّا الباقي فلا سبيل إلى وصولها ، ويبلغ عرض كلّ واحدة من الأربع التي صعدنا إليها نحو مترين في غور سبعة أمتار في سمك ٣ أمتار وهي مقابلة للجنوب ، ويتفرّع منها ثلاث طرق مثلها أيضاً ، ورائحتها كريهة جدّاً لكثرة ذرق الخفاش وبوله الذي فيها ، وهناك كثير من كسر الصخور الصغار التي يسميها الأعراب "رَضَماً" بالتحريك . وفي أغلب جدرانها سواد أشبه بالسناج ، أي بسواد دخان السراج ، وليس فيها أثر كتابة ، وهي منحوتة نحتاً في الحجارة ، وفيها زوايا منحوتة أيضاً ، وعند سفح الجبل الذي فيه أمّ الغرف على بعد ١٥ متراً ماء تحت الأرض يَبِضُّ من عين هناك لاتُرى ولم يقف الأعراب عليها إلى الآن ، وقد شربنا منه فكان عذباً ، إلاّ أنّ فيه عفونة لقلّة الإستقاء منه وعدم تجدّد الهواء هناك .

ثمّ جاوزناه فسرنا متّجهين إلى الشمال الغربي . وبعد مسافة ساعة وردنا عين ماء تسمّى عين السطيح[١] يبلغ محيطها نحو ١٢ متراً وماؤها حلو ، وهي واقعة جنوبي

---

(١) السطيح : تصغير سطح ، لعلوّه عمّا يجاوره من الأرضين .

الجبل أو التل على بعد ٢٠٠ متر منه ، وفي جنوبها على بعد ٢٠ متراً عين أخرى مثلها . ثمّ مِلْنا إلى ركن بارز من التل ، وقطعنا التل من هناك متجهين إلى الغرب . وبعد مسيرنا مسافة ١٠ دقائق رقينا أرض السطيح ، وهي أرض ذات صخور وأفهار تعلو الأرض قراب مترين ومحيطها مسافة نصف ساعة .

الوصول إلى عريسات

ثمّ سرنا من أرض السُطيح وبعد مسافة ساعة وربع وقفنا على عريسات عند العصر وهي في الجبل الذي لازم طريقنا من سور النجف حتى وردناها .

وعند وصولنا إليها دخلنا مغارة من مغاورها وهي التي تُسمّى "أبو سبعين"[1] ولمّا دخلناها وعلمنا أنّ الوقت لايساعدنا على الإطّلاع عليها في وقت وجيز لأنّ الشمس كانت قد قاربت الغروب عزمنا على المسير إلى "قصر الرُّهبان" - أعني القلعة الحديثة - للمبيت فيه والرجوع في اليوم الثاني إليها . فنزلنا ذلك اليوم ضيوفاً على رئيس القلعة حمود العكايشي ، وهو من أهل النجف ، وعند الصباح من يوم الثلاثاء عدنا إليها .

وقبل وصولنا مقدار نصف ساعة عارض طريقنا "وادي النعمان" الذي كان يحميه النعمان بن المنذر وهو الذي يمرّ أمام "قصر الأخيضر" أيضاً ممّا يلي الشمال .

قال الأستاذ الدجيلي : ثمّ عبرنا وسرنا حتى وردنا عريسات ودخلنا تلك المغارة التي دخلناها عصر أمس ودليلنا هَجْوَل السالف الذكر ، فكانت مدّة دخولنا وخروجنا في مغارة "أبو سبعين" ساعتين وعشر دقائق ، وقد أنهكنا النصب قبل استقصاء طرقها ، ثمّ استرحنا هنيهة ودخلنا مغارات أخرى في شرقيّها وغربيّها . ولمّا علمنا أنّ التجوال في عريسات على الطريقة العلمية - التي لاتغادر صغيرة ولاكبيرة إلاّ تحصيها وتصفها -

---

(١) إنّما سمي "أبو سبعين" لأنّها على زعم الأعراب تتفرّع إلى سبعين طريقاً نحو الداخل فسمّيت بهذا الاسم ، وكذلك أخبرنا هَجْول الدليل ، ولمّا دخلناها وجدنا فيها ما يربو على السبعين والله أعلم .(هامش المصدر)

يستقرب على الأقل مدّة شهر وليس لدينا من المؤونة والمعدّات ما يلزم. ركبنا خيلنا ورجعنا وقد أجّلنا التجوّل فيها إلى وقت آخر، وإليك وصف عريسات كما شاهدناه وسمعناه.

وصف عريسات

عريسات عبارة عن دهاليز غائرة كالمغاور عديدة تتجاوز المئة عدداً، وهي واقعة في أعلى الجبل أو التل، وأبوابها مقابلة للقبلة، ويتفاوت علوّ أبوابها تفاوتاً بيّناً، فأعلى مايكون منها نحو متر ونصف متر وأدناها قراب ٨٠ سنتمتراً، وكذلك يتفاوت بُعد أبواب بعضها عن بعض فهو نحو المتر والمترين والثلاثة أمتار.

والمغاور صفّان أو طبقتان عُليا وسُفلى، وبين الطبقة والطبقة نحو ٤ أمتار أو أكثر. أبواب الصف الأعلى لا طريق إليها ولا يمكن وصولها إلاّ بسُلَّم. وأكثر تلك المغاور تتفرّع إلى طريقين وثلاث وأربع وخمس طرق ماعدا "أبو سبعين" السالف الذكر، ومسافة الطرق المذكورة نحو مترين و٤ و٧ و١٠ أمتار لاغير.

والتّل الذي فيه عريسات يبلغ علوّه نحو ١٢ متراً وهو دليل الخارج من النجف إلى عريسات لأنّه يمتدّ مع الطريق إلى عريسات كما مرّ ذكره، وجميع مغاور عريسات منحوتة في حجر ذلك التل أو الجبل نحتاً وليس ثمّ أثر بناء بالطاباق أو اللبن والجص أو غير ذلك البتّة.

إذا دخلت إلى مغارة من مغاور عريسات وتقدّمت فيها إلى الأمام مقدار ١٠ أمتار يعتريك في الحال دوران - دوخة في الرأس - وضيق في التنفّس وذلك ممّا تشمّه من الرائحة الكريهة رائحة بول الخفّاش وذروقه الذي تمرّ عليه المئات من السنين ولايمرّ عليه الهواء. والدخول في مغاور عريسات بدون ضياء بعيد التحقيق أو محال لأنّك إذا جاوزت باب المغارة وتقدّمت إلى الأمام مقدار عشرة أمتار صرت في ظلمة لايبصر فيها العقاب. وإذا انطفأ سراجك وأنت داخل عريسات فلابدّ لك من الوقوف في مكانك حتى تسرجه لأنّك لاتدري أين تضع قدمك أفي البحر أم في النار.

دخلنا عريسات وفي يد كلٍّ منّا شمعة مسرجة ، وقد أخبرنا جماعة من أهل النجف أنّ السراج ينطفئ فيها لانحباس الهواء هناك فوجدنا خلاف ذلك .

ولنكتفي الآن بوصف ما في داخل مغارة "أبو سبعين" عن باقي المغاور لأنّا قد قلنا فيما سلف أنّ أكثر تجوالنا فيها ، وهي واقعة على حدّ المغاور المقابلة للقبلة في طرف الشمال الغربي منها .

سرنا في دهليز أو ديماس يبلغ سمكه دون القامة بقليل ووجهنا إلى الشمال الشرقي ، وبعد مسافة ٢٠ متراً ملْنا إلى طريق عن اليسار طوله مقدار ٢٥ متراً ، وبعدما سلكناه رجعنا القهقرى لأنّ لامنفذ فيه . ثمّ سرنا ووجهنا أيضاً إلى الشمال الشرقي وقد أخذ ارتفاع الدهاليز أو الدياميس يقلّ ويضيق وتتفرّع الطرق ، فكنّا كلّما مشينا خمسة أمتار أو عشرة أمتار وجدنا طريقين أحدهما عن اليمين والأخرى عن اليسار ، وفي وسط الطريق التي تتفرّع إلى أربع طرق أو ثلاث طرق نقرة شبيهة بالبئر منحوتة نحتاً بسيطاً تتّصل حافاتها بجوانب الطرق الأربع ، فلا بدّ للسالك وقتئذٍ من أن يتعدّاها طفراً ، على أنّ بعضها لايمكن تعدّيها لعرض فمها . وإن عزم السالك على عبورها فلا حيلة له سوى التثبّت عند وضع رجله على حافتها لأنّها ملساء وليس فيها موضع يضع الإنسان فيه قدمه - وقد سقط أحد أصحابنا في إحداها ولولا حضورنا لتعسّر عليه الخروج آنئذٍ - أمّا عمق تلك الحفرة فيختلف إذ يبلغ عمق بعضها قامة . وبعضها دون القامة بنصف ذراع ، وبعضها أعلى من القامة ، وأعمق ما فيها يبلغ بين ٢ و ٣ أمتار لاغير ، وقد ألقينا في الحفر العميقة منها حجارة لنعلم ما في قعرها فسمعناها وقعت على كسر أحجار ، ولم نجد فيها ماءً البتّة بخلاف ماروي لنا .

ثمّ مررنا في تلك الطرق المتفرّعة ذات اليمين وذات الشمال ، وكلّما سلكنا طريقاً منها وجدنا فيها طرقاً أخرى تتفرّع منها فنسلكها ونترك تلك الطريق الأولى ، وإذا صدّنا حائط ينتهي إليه طريقنا رجعنا القهقرى وسلكنا الطريق الأولى التي ذكرناها آنفاً .

أما عرض الطريق وسعتها وكيفيّة وضعها فبعضها لايمكن السلوك فيها إلاّ حَبْواً كما يحبو الطفل لقرب سمائها من أرضها ، وبعضها لايسلك فيه الماشي إلاّ كالراكع في الصلاة أو كالمنحني انحناءً بحيث تقف البيضة على ظهره ، وبعضها يرتفع بعلوّ القامة أو مايقرب من القامة ولم نجد فيها أعلى من القامة إلاّ قليلاً ، وبعضها لايمكنك أن تمشي فيها والطريق أمامك ولكن تمشي مجانباً (صفحاً) ويكون وجهك أمام الجدار .

أمّا نحتها فهو بسيط جداً يظنّه الرائي لأوّل وهلة نحتها طبيعيّاً لخلوّه من دقّة الصناعة والهندسة ، وفي كثير من أرضها وجدرانها وسقوفها شقوق أو فطور طبيعية تدخل فيها يد الإنسان ، وأرضها وجدرانها وسقوفها غير مستوية وكلّها مضلَّعة أي ذات أركان بارزة إلاّ بعض السقوف - وهي قليلة - فإنّها مقوّسة ولم نشاهد فيها أثر كتابة أو نقوش ، وإن كان ثَمّةَ شيء منها فلا يمكن الإهتداء إليه ، لأنّ جميع الجدران والسقوف مغشّاة ببول الخفّاش وتعسر إزالته أو كشطه بدون آلة واعتناء في مدةٍ مديدة ، ولم نسمع فيها أيضاً سوى وَطوَطَة الخفاش ، وقد شاهدنا في أثناء الطريق عظام حيوانات غير مفترسة .

وبعد مسافة نصف ساعة نزلنا في نقرة واقعة في وسط فسحة بين مفرق أربعة طرق يبلغ محيطها نحو ٦ أمتار وعرض فم النقرة على قدر جسم الإنسان الذي هو ليس بالسمين ولا بالضعيف ، وعمقها نحو ٣ أمتار تقريباً ، ومن هناك سلكنا طريق تتفرّع منه طرق متعدّدة كما وصفنا ، وقد نزلنا في حفرة عند منتهى إحدى تلك الطرق يبلغ عمقها ثلاثة أمتار ومحيطها ٦ أمتار فوجدنا فيها كثيراً من كسر الحجارة (رَضَماً) وبين تلك الرضام عظم زند إنسان لا غير ، عليه وسخ كثير .

ومازلنا نخرج من دهليز ونسلك آخر حتى مَلَلْنا ، وفي أثناء مرورنا شاهدنا ضياء الشمس فسألنا الدليل من أين هذا الضياء ؟ فقال : هذا من مغارة بابها من الجهة الأخرى من التل أو الجبل تجاه الشمال .

ثم سِرْنا ووجهنا إلى القبلة وإلى الجنوب الغربي حتى مررنا بِحفرة لها باب كأبواب

مغاور عريسات في الجدار الذي عن اليسار من الدهاليز وأطللنا من الباب عليها لننظر ما فيها فلم نتحقّق شيئاً لأنّها واسعة وعميقة ومظلمة جدّاً ، وليس هناك طريق للنزول بدون سُلَّم ، ويبلغ طولها نحو ٤ أمتار في سُمك مثل ذلك في عرض مترين ، وفيها كثير من كسر الأحجار الصغيرة والكبيرة .

ثمّ جاوزنا وسرنا متوجهين إلى الجنوب أيضاً ، وبعد مسافة بين ٢٠ و ٣٠ متراً أفضينا إلى باب مغارة على البرّ باتجاه الجنوب ، وهي غير المغارة التي دخلنا منها أوّلاً وهي واقعة شرقيّها نحو ١٥ متراً ، وفي تلك المسافة أبواب أربع مغاور فسألنا الدليل هل أبواب هذه المغاور تؤدّي إلى الدهاليز التي سلكناها ؟. فقال : نعم تؤدّي إليها . فكانت إذاً أبواب المغاور التي تؤدّي إلى دهاليز "أبو سبعين" سبعة : ستّة منها مقابلة للجنوب ، وواحد في الجانب الآخر من الجبل أو التل مقابل للشمال وهو الذي أشرنا إليه آنفاً .

أمّا مسافة تلك الدهاليز فهي من ٣ أمتار إلى ١٠ أمتار إلى ١٥ إلى ٢٥ متراً ، وليس فيها طرق سويّة غير ستّة طرق والباقي تميل يميناً وشمالاً . وقد سألنا الدليل كيف حالة عريسات في الصيف والشتاء ؟.

فقال : في أيام الحر كصبّارة الشتاء وفي أيام البرد كحمّارة القيض .[1] وسألناه أيضاً هل وجدت فيها شيئاً ؟ فقال : وجدت في بعض حفائرها جوزاً فلمّا كسرته وجدته فارغاً ، ووجدت أيضاً في وسط حفرة من تلك الحفر جسم إنسان ميِّت قائم على قدميه . ولمّا مَسَستُه بيدي انقلبت عضامه رماداً فكان هامداً ، ولم أجد في عريسات من الحيوانات والأحناش سوى هِرّ البر (بَزّون البر) والعقاب .

ثمّ بعدما استرحنا هنيهة دخلنا بعض المغاور الواقعة في شرقي وغربي مغارة "أبو سبعين" ، وبين تلك المغاور التي سلكناها مغارة واقعة غربي كهف "أبو سبعين" على

---

(١) إنّ حرارة تلك المغاور واحدة صيفاً وشتاءً ، لكنّ في أيام الشتاء يظن داخلها أنّها حارة لكونه آتياً من محلّ بارد . وفي الصيف يتوهّم داخلها بارداً لكونه يأتي من مكان حار .(هامش المصدر)

بعد ١٥ متراً منها تقريباً . مشينا بعدما جاوزنا بابها في دهليز طوله مسافة ١٠ أمتار في عرض دون الذراع ، ووقفنا على حفرة واسعة الفوهة عميقة لا يمكن تجاوزها قفزاً وأمامها طريق واسع يبلغ عرضه نحو ٢٤ متراً في طول سبعة أمتار في علوّ مترين ونصف متر وسقفه مركّن النحت ولم ندر ما فيه لأنّا لم نتمكن من الوصول إليه كما ذكرنا من أمر الحفرة الواقعة بينه وبين الدهليز الذي نحن فيه ولم يكن لدينا شيء نضعه عليها كالجسر ونمرُّ عليه ، فلم يكن لنا بُدّ من الرجوع فرجعنا كما جئنا صفر الأيادي من الإطّلاع على ما فيه .

موقع عريسات الجغرافي وأبعادها عمّا يجاورها

عريسات واقعة في الشمال الغربي من النجف أو مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام على بعد ٦ ساعات للراكب و ٧,٥ للراجل ، وفي غربي "أمّ الغرف" على بعد ٢,٥ أو ٣ ساعات ، وفي الشمال الغربي من "السطيح" على بعد ساعة وربع الساعة ، وفي غربيّ "الرُّهَيْمات" على بعد ثلاثة أرباع الساعة ، وفي الشمال الغربي من "قصر الرهبان" على بعد ساعة وربع الساعة . وتقابل الحياضيّة (القُطْقُطانة) من الشمال على بعد ساعتين تقريباً . وفي جنوبي خان الحماد - الواقع في منتصف الطريق بين كربلاء والنجف - مقابلة له على بعد بين ثلاث ساعات وأربع ساعات ، فهذه حدود عريسات المتداولة الاسم عند أهل تلك الأطراف .

وما كانت عريسات ؟

يستدلّ من كيفيّة وضع عريسات وهيئتها أنّها كانت مدافن (قبور) قوم تقادم عصرهم ، وطوت حديثهم الدهور ، والذي يساعد على هذا القول هو ما رأيناه من مغاورها المسدودة الأبواب بالحجر الكبير الذي لا يُزَحْزِحُه أربعة رجال حتى اليوم ، وهي علامة القبور القديمة ، وهذه المغاور والكهوف المسدودة الأبواب واقعة تجاه الجنوب الشرقي وهي أربع مغاور فقط ولا يمكن الوصول إليها إلاّ بسُلَّم لأنّ ليس ثَمّة

طريق تؤدّي إليها وهي في أعلى الجبل وتعلو عن الأرض بين سبعة أمتار وعشرة أمتار ، والحجر الذي سُدّت به أبواب تلك المغاور منحوت على قدر الباب كأنّه صُبَّ في قالب ، ومنه يظهر أنّ وضعه قديم .

وقد سمعنا كثيرين من معمّري الأعراب يقولون إنّ عريسات كانت في القديم مَحْبَساً للنعمان بن المنذر ، والبعض الآخر منهم قال : كانت عريسات مَحْبَساً لبختنصّر .[1]

٢٠- خندق سابور (كري سعد)

ومن الآثار التي تحدّ مدينة النجف شرقاً هو الخندق الذي أمر ببنائه سابور ذو الأكتاف .

قال ياقوت الحموي : وخندق سابور في بَرِّيَّة الكوفة ، حفره سابور بينه وبين العرب خوفاً من شرِّهم ، قالوا : كانت هِيْت وعانات مضافة إلى طَسّوج الأنبار ، فلمّا ملك أنوشروان من سنة (٥٣١ - ٥٧٩م) بلغه أنّ طوائف من الأعراب يغيرون على ما قرب من السواد إلى البادية ، فأمر بتجديد سور مدينة تعرف بـ"النسر" كان سابور ذو الأكتاف بناها وجعلها مَسْلَحَة تحفظ ما قرب من البادية ، وأمر بحفر خندق من هِيت يشقّ طفّ البادية إلى كاظمة ممّا يلي البصرة وينفذ إلى البحر ، وبنى عليه المناظر والجواسق ونظّمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية من السواد ، فخرجت هِيت وعانات بسبب ذلك من طَسّوج شاه فيروز ، لأنّ عانات كانت قرى مضمومة إلى هِيت .[2]

وقال البلاذري : كانت عيون الطف مثل عين الصيد والقُطْقُطانة والرُّهَيْمَة وعين جَمَل وذواتها للموكّلين بالمسالح التي وراء السواد وهي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب الموكّلين بمسالح الخندق وغيرهم ، وذلك أنّ سابور أقطعهم أرضها فاعتملوها من غير أن يلزمهم لها خراجاً ، فلمّا كان يوم ذي قار ونَصَرَ الله العرب بنبيّه صلى الله عليه وآله غلبت العرب على طائفة من تلك العيون ، وبقي في أيدي الأعاجم بعضها .

---

(١) مجلّة لغة العرب : الجزء ١٢ ، السنة ٢ ، ص ٥٣٧ - ٥٤٩ .

(٢) معجم البلدان : ٣٩٢/٢.

ثمّ لمّا قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد أن طمّت عامّة ما في أيديهم منها وبقي الذي في أيدي العرب فأسلموا عليه، وصار ما عمروه من الأرضين عشريّاً.[١]

وذكر المؤرّخون أنّ سعد بن أبي وقّاص عندما فتح أرض العراق طلب منه دهاقين الأنبار أن يحفر لهم نهراً كان عظيم الفُرس قد حفره، فأوعز ابن أبي وقّاص إلى عامله سعد بن عمرو بن حزام أن يحفر هذا النهر فقام الأخير بحفره من موضع يقرب من الأنبار ماراً باتجاه خندق سابور القديم فوصل الحفر لهذا النهر إلى الجبل المعروف اليوم بجبل سعدة الواقع غربي الحبّانيّة في طريق الرحالية (الرمادي)، ثمّ لم يتمكّن من شقّه فترك حتى ولي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٣هـ فأمر بفتح النهر المذكور، فجمع الفعلة من كلّ ناحية، وقال لقومه:

انظروا إلى قيمة ما يأكل الرجل من الحفّارين في اليوم فإن كان وزنه مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا عن الحفر. فاتّفقوا عليه واستتمّوه فنسب ذلك الجبل إلى الحجّاج، ونسب النهر إلى سعد بن عمرو بن حزام فعرف بكري سِعدة.[٢]

أمّا الإتّجاه الذي كان هذا النهر يسلكه، فيذهب الأستاذ أحمد نسيم سوسة إلى أنّ هذا النهر كان يسلك المنطقة الواقعة في الجهة الغربية من بحيرة الحبّانيّة وهو طريق يمرّ بجبل سعدة ثمّ يتّصل بوادي أبي فروخ الحالي فينحدر فيه إلى الجنوب الشرقي باتّجاه غدير المالح فيسلك بعد ذلك اتّجاه وادي الغضاوي ثمّ يترك هور أبي دبس إلى جنوبه، ويمتد حتى يصل أكناف طفّ كربلاء من ناحية الغرب، ومن هناك يمتدّ بمحاذاة نهر سورا من جهة الغرب حتى يقرب من مدينة الكوفة، ثمّ يسير حتى هور البطايح. وقد جرت تطوّرات على هذا النهر بغية إيصال الماء منه إلى مدينة النجف.[٣]

---

(١) فتوح البلدان: ٣٦٥/٢.

(٢) وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة: ١/ ٢.

(٣) وادي الفرات ومشروع سدّة الهندية: ١/ ٣.

وقد تقدّم في الفصل الثاني عشر تحقيقاً في أنّ نهر السدير الذي ذكره المؤرّخون هو خندق سابور (كري سعد) بعينه .

ويبعد هذا الخندق عن مدينة النجف الأشرف المسوّرة القديمة قرابة خمس كيلومترات ، هذا قبل توسعة مدينة النجف وازدهارها بإحداث الأحياء الجديدة المتّصلة بها ، فكان الحدّ الفاصل بين النجف والكوفة هو "خندق سابور" .

٢١- جــبــل الــطــور

هو قطعة جبل تقع خلف مدينة النجف القديمة المسوّرة ، تمتد من شرقيّها إلى شمالها . وكانت قد أنشئت إلى جنبه القلعة العسكرية العثمانية[١] في النجف قرب خندق سور البلد الأخير السادس .

وكان الجبل بارزاً يأوي إليه الحمَام الأزرق الذي جلبه الشاه عباس الأوّل الصفوي من الهند إلى العتبات المقدّسة في العراق ، والمعروف بحمام الحضرة تارة ، والطوراني - نسبة إلى هذا الجبل - تارة أخرى . وهذا الجبل غطّاه تراب عمارة البلد اليوم .[٢] ذكره شيخنا محمد حرز الدين ، وقال في أبيات له :

إلى الذكوات البيض خفّت مطيّتي ... فلاح لها قبر الوصي فحنّت
وهيّجها العهد القديم من الهوى ... بوادي الحمى بين الرحال فأنّت
ولمّا رأت طور الغري يحوطه ... سنا القبّة العليا حنّت ورنّت[٣]

(١) صار بمكانها مدرسة الغري الأهليّة وملحقاتها ، وقد هدمت هذه المدرسة في توسعة الشارع المحاذي لسور المدينة .

(٢) معارف الرجال : ٥/٢ .

(٣) وشي البرود : ٤٦ .

٢٢- بئر النصف

يقع في منتصف الطريق بين مدينة النجف المسوّرة ومسجد الكوفة الأعظم ، ويبعد عن المحجّة الحديديّة (الترامواي) التي أقيمت بين النجف والكوفة قرابة عشرين متراً شمالاً . كان يُنزل إليه بمرقاة طويلة ، ويجري ماؤه تحت الأرض بقناة هي فرع من قناة النجف التي تجري من الفرات شمالاً . وهو من آثار سلاطين الشيعة الذين عمّروا العتبات المقدّسة ، وخدموا مجاوريها وزوّارها ، فحفروا الآبار والقنوات لشرب أهل النجف الأشرف الماء العذب ، وقد تقدم ذلك .

وقد أدركنا بعض دعائم بناية صغيرة مهدومة تعرف عند السواد ببئر النصف يوم كانت المحجّة الحديديّة عامرة بين النجف والكوفة فتقف هناك القاطرات التي تجرّها الخيول في منتصف الطريق للاستراحة ، فينزل المسافرون في بناية صغيرة مربّعة تُعرف بسبيل بئر النصف ، فيها كيزان ماء يملؤه أهل الخير والثواب لعابري السبيل والزائرين .

قال شيخنا محمد حرز الدين : وقد هدم أمراء آل عثمان في آخر دولتهم بالعراق هذه الآثار التاريخية . وكان لبئر النصف درج عريض يشرب منها كلّ ظمآن في البادية ، وقد شربنا منها يوم جئنا عائدين من زيارة الإمام الحسين عليه السلام في إحدى زياراتنا مشياً على الأقدام بعد الظهر في شهر تموز ، وقد كان معنا من رفقائنا العلماء الأعلام العالم المقدّس الشيخ علي الخاقاني ، والشيخ علي كشكول ، والشيخ محمد لائذ . والسيّد محمد بن السيّد هاشم الشرموطي ، والشيخ مهدي الخاجة ، والسيّد كاظم الكيشوان ، والسيّد صالح الكيشوان ، والشيخ ياسين ذهب ، والشيخ علي الغراوي .[١]

وسيأتي في القرن الثالث عشر أحداث سنة ١٢٦٧هـ ما له صلة بالموضوع .

---

(١) معارف الرجال : ٣٨٠/٢. كتاب النوادر : ٩٦/٤.

٢٣- قلعة النشامة

هي من الآثار التي كانت في شرقي مدينة النجف الأشرف . تقع على بُعد قرابة ٥ كيلومترات ، على يسار الذاهب من النجف إلى الكوفة . وهي مَسْلَحَة تقع على الضفة الغربية اليمنى لخندق سابور (كري سعد) .

وقد أدركناها متماسكة كأحد المخافر المهجورة يوم كانت المحجّة الحديدية (الترامواي) عامرة بين النجف والكوفة ، وقد بُنيت على هيئة مَسْلَحَة حربيّة محكمة بالآجر الأحمر القديم ، وكان في الجهة العليا من محيط بنائها ثقوب مشرفة على الجهات الأربع . وقد هُدمت تدريجيّاً من قبل طالبي الحجارة القديمة لبيعها .

أمّا سبب بنائها فقد ذكر شيخنا البحّاثة طيّب الله ثراه ، بقوله : كانت الأعراب في عهد آل عثمان بالعراق دأبها النهب والسلب والقتل للزائرين خصوصاً في صحراء كربلاء والكوفة ، فأقيمت مسالح بين الكوفة والنجف ، وما قاربها لصدّ الغارات الفجائية عن النجف من جانب البر . وقد هدمها أمراء آل عثمان في أواخر دولتهم ، كما عبثوا أيضاً بقلعة صغيرة ضخمة البناء على الضفة اليمنى للخندق (كري سعد) اسمها قلعة النشامة .

وذكر شيخنا رحمه الله في وجه تسميتها بهذا الاسم : هو أنّ سبعون رجلاً من قبيلة بني مُسلم[1] كانت لهم نوبة من الحراسة والتصدّي ورصد البر قد دهمتهم جيوش الوهابي ابن سعود في طريقهم للهجوم على النجف في عصر الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ، فضايقتهم جيوش الوهابي المغيرة ، فتحصّنوا بالقلعة هذه ودامت الحرب بينهم ثلاثة أيام حتى نفد ماعندهم من السّلاح والماء والمتاع ، فقتلوهم جميعاً في هذه القلعة ، ولهذا سمّيت قلعة النشامة .[2]

---

(١) هي قبيلة مؤلّف الكتاب رحمه الله .

(٢) معارف الرجال : ٢/٣٨٠.

٢٤- بُـسَـيْـطَـة

قاعدة سوق النجف التجاري البرّي . وهي رحبة واسعة في ضاحية مدينة النجف الأشرف ، تبعد عن سور المدينة حدود كيلومتراً واحداً ، إلى الجنوب منها .كانت محطّة للقوافل ، تأتي إليها وتغدو حاملة الأطعمة والسلع التجارية ، وتجري عندها مساومة بيع الإبل والأغنام . وقد أدركنا بعض شيوخ النجف تذكر بُسَيْطَة في بعض الحوادث وقصص التاريخ والتجارة .

قال ابن منظور : بُسَيْطة ، اسم موضع ، وكذلك بُسَيِّطَة . وعن ابن بري : بُسَيْطة ، اسم موضع ربّما سلكه الحُجّاج إلى بيت الله ولا تدخله الألف واللام . و البَسِيطة ، هو غير هذا الموضع : بين الكوفة ومكّة ، وقول الراجز :

إنّـكِ يـا بـسيطة التـي التـي ... أنْذَرَتـيك فـي الطَّريـقِ إخْوتـي

قال : يحتمل الموضعين .(١)

وفي "معجم البلدان" : بُسَيْطَة ، بلفظ تصغير بسطة ، أرض في البادية بين الشام والعراق ، سلكها أبو الطيب المتنبي لمّا هرب من مصر إلى العراق ، فلمّا توسّطها قال بعض عبيده وقد رأى ثوراً وحشياً : هذه منارة الجامع ، وقال آخر منهم وقد رأى نعامة : وهذه نخلة ، فضحكوا ، فقال المتنبي :

بـسيطة مهـلا سـقيت القطـارا ... تركـت عيـون عبيـدي حيـارى

فظنّـوا النعـام عليـك النخيـل ... وظنّـوا الـصوار عليـك المنـارا

فأمـسك صـحبي بـأكوارهم ... وقـد قـصد الـضحك مـنهم وجـارا

والبَسِيطة ، بفتح أوّله وكسر ثانيه : موضع بين الكوفة وحزن بني يربوع ، وقيل : أرض بين العذيب والقاع وهناك البيضة ، وهي من العذيب ، وقال عدي بن عمرو الطائي :

---

(١) لسان العرب : مادة (بسط) .

لـولا توقّـد مـا ينفيـه خطوهمـا   على البسيطة لـم تـدركهما الحـدق[١]

أقول : تُرى إلى أي المواضع المذكورة نسبت بسيطة النجف ؟. لعلّ مرجعها لإحدى الأخيرتين .

وفي عصرنا هجر اسم بُسَيْطَة وحلّ مكانه اسم المُناخَة[٢] ، ولمّا اتّسعت مدينة النجف الأشرف بالأحياء الجديدة أصبحت بُسَيْطة ضمن محلّة الأمير غازي (الجديدة) ، والمحلاّت التجارية البرّية اليوم في شارع المدينة المنوّرة .

وكانت بُسيطة النجف هذه مُناخة للقوافل ، وسوق بدويّة ، مثلما هو في بلاد الضاحية كعين التمر (شفاثا) والسماوة والرحبة والخميسيّة ، وبُليدة الزبير . وتزهو البُسَيطَة عندما تنتهي قافلة الحج التي تنسلّ إليها من كلّ حدب وصوب ، يوم كان الطريق البرّي للحجّاج من النجف وحائل . لقد صار علم الحجّاج وسرايته من النجف .

ويذكر أنّ بعض أمراء الحجّاج لطريق النجف البري هو الشيخ عبد الواحد الكعبي المشهور عند النجفيين سابقاً ، وله آثار عمارة ومسجد في النجف ، وآخر أمير من قبلهم يسمّى ابن سَبهان .

فما أبدع البُسيطَة يوم الاستعداد والتحضير لسفر الحجّاج حينما تُمَرَّن الإبل على شدّ المحامل عليها ، أو كما يقول النجفيون "الكجايو"[٣] فكان الرفقة للحجّاج يخزّمون الإبل ويقودونها ، وتتراكض صبْيَة النجف لتلك المحامل الجديدة بالركوب عليها وتنشر الخلع الملوّنة على متون "العَكاكيم"[٤] وفي ذلك المخيّم الواسع تضرب

---

(١) معجم البلدان : ٤٢٣/١ .

(٢) المُناخ : مبرك الإبل أي الموضع الذي تناخ فيه .

(٣) جمع كجاوة : وهو الهودج ، والكلمة فارسيّة .

(٤) عكم البعير : شدّ عليه العكم . والعكام : الحبل الذي يعكم به ، أي يشدّ به .(لسان العرب)

المضارب الزاهية وترفع القباب العالية وتفرش بالسجّاد النفيس ، وتطوف أباريق القهوة وأقداح الشاي ، وأطباق الحلوى على الذين يحضرون لوداع الحاج إلى بيت الله الحرام .

وتدوم أعراس البُسيطة ثلاثة أيام ، وفي صبيحة اليوم الثالث يُقرع طبل السفر (الدَمّام) ويرفرف فوقه علم أمير الحجّاج ، وتمتدّ سطور الإبل ، وهي تتهادى بين الزغاريد مزفوفة ومتّجهة إلى قرية الرحبة الواقعة في بادية النجف الجنوبية وهي على مرحلة منها .

وكانت البُسيطة ، قاعدة تجارية للنجف ترتبط بمدينة حائل الواقعة حول جبلي "أجا وسلمى" . كان النجفيون يسيطرون على هذا الطريق البرّي من القديم وكانوا خُبّارَه كما نوّه بذلك ابن بطوطة عند مروره بهذه المواضع في القرن الثامن للهجرة سنة ٧٢٦هـ - ١٣٢٦م وزار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام .

وكان للنجفيين بيوت تجارية في حارة كبيرة من حائل تكوّنت منها ، وحيّاً معروفاً ، مثل بيت شُكر ، وبيت حبّوبي ، ولفظة حبّوبي البدويّة جاءت لهذا البيت العلوي الحسني الجليل من حائل ، ومثل بيت مرزه البيت الأسدي ، وبيت عجينة ، وبيت زَيني ، وبيت الشاوي وهوغير بيت الشاوي البغدادي ، وبيت الصايغ ، وغيرها من البيوتات النجفية . ولم تنقطع صلة النجف التجارية مع بادية النجف ونجد وإلى اليوم ، فأبدلت حائل القديمة بعَرْعَر ورفحة وسكاكة والجوف .[١]

٢٥- الحـيـرة

إرتبط تاريخ النجف بتاريخ الحيرة ارتباطاً وثيقاً ، بل كان متّحداً في نواحٍ شتّى ، باعتبار أنّ موقع الحيرة ضمن حدود موضع النجف الجغرافي . وكان موضع النجف قبل بزوغ الإسلام مصيفاً ومصحّاً لملوك الحيرة والفرس الساسانيين وأمرائهم يختلفون إليه للراحة والاستجمام لطيب هوائه وصفاء مناخه ، كما تقدّم أنّ من أسماء النجف "دومة الحيرة" .

---

(١) الأحلام : ٦٩-٧٠.

قال عماد الدين أبو الفداء : الحيرة ، مدينة جاهلية كثيرة الأنهار على موضع يقال له النجف ، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر وبها تنصّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة .[١]

الحيرة لغة ومعنى

قال الجوهري : حَارَ يحار حَيْرَةً وحَيْراً ، أي تَحَيَّرَ في أمره فهو حَيْرانُ . وقومٌ حَيَارَى . وتَحَيَّر الماء : اجتمع ودار . والحائر : مجتمع الماء . ورجلٌ حَائرٌ بائر ، إذا لم يتّجه لشيء . والحَيْر : شبه الحضيرة أو الحمى . والحِيرةُ ، بالكسر ، مدينة بقرب الكوفة .[٢]

وفي "لسان العرب" : الحِيرَةُ ، بالكسر ، بلد بجنب الكوفة ينزلها نصارى العِبَاد ، والنسبة إليها حِيرِيٌّ و حارِيٌّ ، على غير قياس . قال ابن سيده : وهو من نادر معدول النسب ، قُلبت الياء فيه ألفاً ، وهو قلبٌ شاذ غير مقيس عليه غيره . وفي التهذيب : النسبة إليها حارِيٌّ كما نسبوا إلى النَّمْرِ نَمريٌّ فأراد أن يقول حَيْرِيٌّ ، فسكن الياء فصارت ألفاً ساكنة ، وتكرّر ذكرها في الحديث . قال ابن الأثير : هي البلد القديم بظهر الكوفة . والسيوف الحارِيَّةُ : المعمولة بالحِيرَة .[٣]

ويقال لها : الحيرة الرَّوحاء ، والحيرة البيضاء . والحيرتان تثنية الحيرة والكوفة ، كقولهم : القمران .[٤]

واختلف في معنى الحيرة وسبب تسميتها بهذا الاسم ، وفيما يلي أقوالهم في ذلك :

١- إنّه مشتق من "الحَيْرَة" .

قال عماد الدين أبو الفداء : إنّ تُبّعاً لمّا سار من اليمن إلى خراسان وانتهى إلى

---

(١) تقويم البلدان : ٢٩٩.

(٢) الصحاح : ٦٤١/٢.

(٣) لسان العرب : مادة (حير) .

(٤) معجم البلدان : ٣/ ٣٧٦. الجبال والأمكنة والمياه : ٤٥ .

موضعها ليلاً تحيّر ونزل وأمر ببنائها ، فسمّيت الحيرة .[١]

٢- وقال الزمخشري : وعندي أنّ اشتقاقه من قولهم : حيروا بهذا الموضع ، أي أقيموا . ويحكى عن تُبّع الأكبر الذي يقال له "ذو المنار" أنّه لمّا رأى أن يأتي خراسان خلّف ضَعَفَةَ جُندِه بالموضع الذي كان به ، قال لهم : حيروا بذا ، أي بهذا المكان ، فسمّي الحيرة .[٢]

٣- وعن الجوهري : أنّ اشتقاق تسمية الحيرة هو من "الحَيْر" ، وهو بناء شبه الحظيرة أو الحِمى .[٣]

قال الزجاجي : كان أوّل من نزل بالحيرة مالك بن زهير بن عمرو بن فهم بن تيم الله ، فلمّا نزلها جعلها حَيْراً وأقطعه قومه فسمّيت الحيرة بذلك . وفي بعض أخبار أهل السِيَر : سارَ أردَشير إلى "الأردوان" ملك النَبَط وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له "بابا" فاستعان كلّ واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل بهم الآخر ، فبنى الأردوان حَيراً فأنزله من أعانه من العرب فسمّي ذلك الحَير "الحيرة" كما تسّمى القيعة من القاع .[٤]

وقال الطبري : إنّ التجّار العرب كانوا يقدمون إلى بابل في عهد نُبوخذنصّر بالتجارات وبالبياعات ، فوثب عليهم نبوخذنصّر وجمع من ظفر منهم ، فبنى لهم حَيراً على النجف وحصّنهم ، ثمّ ضمهم فيه ووكّل بهم حَرَساً وحفظةً .[٥]

٤- وقيل : بل سمّيت الحيرة من الحوار ، أي البياض ، لبياض أبنيتها .[٦]

---

(١) تقويم البلدان : ٢٩٩.

(٢) الفايق في غريب الحديث : ٣٠٠/٢.

(٣) الصحاح : ٦٤١/٢.

(٤) معجم البلدان : ٣٢٩/٢.

(٥) تاريخ الطبري : ١/ ٢٩١.

(٦) العرب قبل الإسلام : ٢٢٣.

٥- وقال الأستاذ يوسف غنيمة : والرأي الراجح اليوم أنّ كلمة الحيرة أرميّة ، وهي المُعسكر والدير والحصن[١] ، ولذلك كانوا يعرفونها بقولهم "حيرة النعمان" أو "حيرة المنذر" أي حصنه أو معقله على جاري العادة في إنشاء المدن يومئذ . فكان الملك أو الأمير يبني معقلاً لنفسه وحاشيته ، ثمّ يبني الناس حوله ، فيتّسع المكان بتوالي الأزمان ويصير مدينة . وعلى هذا النمط نشأت البصرة والكوفة والفسطاط وبغداد .[٢]

وقال الأستاذ غنيمة : وعندنا أنّ الحيرة الأرميّة والحيْر العربي من أصل سامي واحد ، إذ أنّ المضرب والمعسكر والحمى ألفاظ يدلّ أصلها على معنى واحد .[٣]

موقع الحيرة قديماً وحاضراً

قال ياقوت الحموي : مدينة الحيرة في اللِّسان الذي أدلَعَهُ البَرّ في الريف ، عليه الكوفة اليوم ، والحيرة قبل اليوم .[٤]

وقال جرجي زيدان : كانت الحيرة على ثلاثة أميال من الكوفة ، وفي موضع يقال له النجف على ضفة الفرات الغربية ، في حدود البادية بينها وبين العراق ، وتقع الآن في الجنوب الشرقي من مشهد علي عليه السلام .[٥]

وتشاهد اليوم أطلال مبانيها وقصورها ودياراتها وكنائسها في ناحية "الجعّارة" قبلاً ، وتسمّى اليوم "ناحية الحيرة" من نواحي قضاء "أبو صخير " ضمن محافظة الديوانية . وفي العهد الجمهوري في العراق أصبحت تابعة إلى محافظة النجف الأشرف وحوالي النجف من الغرب حتى الجنوب حيث كانت بلاد العيون وتسمّى اليوم بلاد القصور .

---

(١) الحيرة المدينة والمملكة العربية : ١١ .

(٢) العرب قبل الإسلام : ٢٢٣ .

(٣) الحيرة المدينة والمملكة العربية : ١١ .

(٤) معجم البلدان : ٧/ ٣٢٨.

(٥) العرب قبل الإسلام : ٢٢٣ .

الحيرة في الحديث الشريف

روي عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر الحيرة غير مرّة في حديثه ، وأنّ الله تعالى سيفتحها على العرب .

١- أخرج أحمد بن حنبل ، عن أبي عبيدة ، عن رجل ، قال : قلت لعدي بن حاتم : حديث بلغني عنك أحبّ أن أسمعه منك . قال : نعم . لمّا بلغني خروج رسول الله ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة ، خرجت حتى وقعت ناحية الروم . قال : فكرهت مكاني ذلك أشدّ من كراهيتي لخروجه ، قال : فقلت : والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرّني وإن كان صادقاً علمت . قال : فقدمت فأتيته ، فلمّا قدمت قال الناس : عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ، قال : فدخلت على رسول الله ﷺ . فقال لي :

"يا عدي بن حاتم أسلِم تَسْلَم" - ثلاثاً .

قال : قلت : إنّي على دين .

قال : أنا أعلم بدينك منك .

فقلت : أنت أعلم بديني منّي ؟ .

قال : "نعم ، ألستَ من الركوسيّة ، وأنت تأكل مرباع قومك" .

قلت : بلى .

قال : "فإنّ هذا لا يحلّ لك في دينك" .

قال : فلم يعد أن قالها ، فتواضعت لها .

فقال : "أما إنّي أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام . تقول : إنّما اتّبعه ضعفة الناس ومن لا قوّة له وقد رمتهم العرب . أتعرف الحيرة" ؟.

قلت : لم أرَها ، وقد سمعت بها .

قال : "فوالذي نفسي بيده ليتمّنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت جوار أحد . وليفتحنّ كنوز كسرى بن هرمز" .

قال : قلت : كسرى بن هرمز .

قال : "نعم ، كسرى بن هرمز . وليبذلنّ المال حتى لا يقبله أحد" .

قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت جوار . ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز . والذي نفسي بيده لتكوننّ الثالثة ، لأن رسول الله ﷺ قد قالها .(١)

٢- أخرج الطبري ، عن جميل بن عدي بن حاتم الطائي ، عن أبيه ، قال : لمّا أعطى شويل كرامة بنت عبد المسيح ، قلت لعدي بن حاتم : ألا تعجب من مسألة شويل كرامة بنت عبدالمسيح على ضعفه ؟. قال : كان يهرف(٢) بها دهره . قال : وذلك إنّي لمّا سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفع له : "وكأنّ شُرف قصورها أضراس الكلاب" عرفت أن قد أريها ، وأنّها ستفتح ، فلقّنته مسألتها .(٣)

٣- أخرج الطبري ، عن عوف المزني ، قال : خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ... فحفرنا حتى بلغنا الندى ، فأخرج الله عزّ وجلّ من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة ، فكسرت حديدنا وشقّت علينا .

فقلنا : يا سلمان إرق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة ... فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة ... ثمّ أخذ بيده سلمان فرقى .

فقال سلمان : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط .

فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم ، فقال : "هل رأيتم ما يقول سلمان ؟.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل : ٢٥٧/٤ .

(٢) يهرف : أي يمدح ويطنب في الثناء . (لسان العرب)

(٣) تاريخ الطبري : ٥٦٩/٢ .

قالوا : نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمّنا ، قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج ، فرأيناك تكبّر فنكبّر ولا نرى شيئاً غير ذلك .

قال : "صدقتم . ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنّها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أنّ أمّتي ظاهرة عليها" ... فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر .[1]

٤- قال البلاذري : حدّثني أبو مسعود الكوفي ، عن ابن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي ، أنّ خريم بن أوس بن حارثة بن لام الطائي قال للنبي ﷺ : إن فتح الله عليك الحيرة فاعطني ابنة بُقَيْلَة . فلمّا أراد خالد صلح أهل الحيرة قال له خريم : إنّ النبي ﷺ جعل لي بنت بُقَيْلَة ، فلا تدخلها في صلحك . وشهد له بشير بن سعد ومحمد بن مسلمة الأنصاريان . فاستثناها في الصلح ودفعها إلى خريم ، فاشتريت منه بألف درهم . وكانت عجوزاً قد حالت عن عهده . فقيل له : ويحك ! لقد أرخصتها ، كان أهلها يدفعون إليك أضعاف ما سألت بها . فقال : ما كنت أظنّ عدداً يكون أكثر من عشر مئة . وقد جاء في الحديث أنّ الذي سأل النبي ﷺ بنت بُقَيْلَة رجل من ربيعة ، والأوّل أثبت .[2]

٥- أخرج الهيثمي ، عن خريم بن أوس ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي ، وهذه الشيماء بنت بقيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود ، قلت : يا رسول الله ، فإن نحن دخلنا الحيرة ووجدناها على هذه الصفة فهي لي ، قال : هي لك ، ثم ارتدّت العرب فلم يرتد أحد من طيء ، فكنّا نقاتل قيساً على الإسلام ومنهم عيينة بن حصن ، وكنّا نقاتل طليحة بن خويلد الفقعسي ... ثمّ سرنا على طريق الطف حتى دخلنا الحيرة ، فكان أوّل من تلقّانا فيها الشيماء بنت بُقَيْلَة على

---

(١) تاريخ الطبري : ٢/٢٣٦ .

(٢) فتوح البلدان : ٢/٢٩٨ .

بغلة شهباء بخمار أسود كما قال رسول الله ﷺ فتعلّقت بها وقلت : هذه وهبها لي رسول الله ﷺ ، فدعاني خالد عليها البيّنة ، فأتيته بها فسلّمها إلي ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لي : بعنيها ، فقلت : لا أنقصها والله من عشر مئة شيئاً ، فدفع إلي ألف درهم ، فقيل لي : لو قلت مئة ألف لدفعها إليك ، فقلت : ما أحسب أنّ مالاً أكثر من عشر مئة .

وبلغني في غير هذا الحديث أنّ الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر .(١)

أصناف سكّان الحيرة

أهل الحيرة ثلاثة أصناف : فَثُلْثٌ تنوخ ، وهم أصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار فما فوقها . والثُلث الثاني العباد ، وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها ، وهم قبائل شتّى تعبّدوا لملوكها وأقاموا هناك . وثلث الأحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ، ونزلوا فيها .(٢)

طيب هواء الحيرة وخصب أرضها

تقدّم الحديث عن طيب هواء الحيرة وصفائه في موضوع "مناخ النجف" . أمّا خصب مملكة الحيرة فحدّث عنه ولا حرج ، فمن وقف على أشهر قصورها الخورنق وبعث بنظرة إلى الغرب رأى النجف وما يليه من النخل والبساتين والأنهار ، وإذا التَفَتَ إلى الشرق رأى الفرات وما فيه من الخضرة والنور والأنهار الجارية ، ورأى الإبل والملاّحين وصيّادي السمك ، يتيه خيلاءً وعُجباً .(٣)

وكانت المرأة من أهل الحيرة تضع مكتلها على رأسها لاتُزوَّد إلاّ رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام .(٤)

---

(١) مجمع الزوائد : ٦/٢٢٢ .

(٢) معجم البلدان : ٢/٣٣١ .

(٣) تارخ سني ملوك الأرض والأنبياء : ٦٨ .

(٤) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٩ .

وذكر أنّ أحد ولاة الكوفة كان يذمّ الحيرة أيام بني أميّة ، فقال له رجل من أهلها وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟ . قال : وبماذا تمدح ؟ . قال : بصحة هوائها وبطيب مائها ونزهة ظاهرها : تصلح للخُفّ والظلف ، سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارهم ومسكنهم ومثواهم . وقد قدمتها أصلحك الله مُخفّاً فرجعت مُثقلاً ، ووردتها مُقلاً فأصارتك مكثراً . قال : فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل ؟ . قال : بأن تصير إليّ ، ثمّ ادع ما شئت من لذائذ العيش فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !. قال : فاصنع لنا صنيعاً ، واخرج من قولك . قال : أفعل ، فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خبزها وسمكها ، وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وأرانب وحُبارى ، وسقاهم ماءها في قلالها ، وخمرها في آنيتها ، وأجلسهم على رقمها ، وكان يتّخذ بها من الفُرُش أشياء ظريفة . ولم يستخدم لهم حرّاً ولا عبداً إلاّ من مولديها ومولداتها من خدم ووصائف ووصفاء كأنّهم اللؤلؤ ، لغتهم لغة أهلها . ثمّ غنّاهم حنين[1] وأصحابه في شعر عدي بن زيد شاعرهم وأعشى همدان ، لم يتجاوزهما ، وحيّاهم برياحينها ، ونقّلهم على خُمرها ، وقد شربوا بفواكهها .

ثمّ قال له : هل رأيتني استعنت على شيء ممّا رأيت وأكلت وشربت وافترشت وشممت وسمعت بغير ما في الحيرة . قال : لا والله ولقد أحسنت صفة بلدك ، ونصرته فأحسنت نصرته والخروج ممّا تضمنته ، فبارك الله بكم في بلدكم .[2]

ملوك الحيرة

اتّخذ ملوك العرب في الجاهلية الحيرة مسكناً لهم ، وعاصمة لدولتهم . وكان تُبّع أبو كرب قد سار في غزوته الثانية من اليمن ، فلمّا أتى موضع الحيرة ، خلف هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله ، فمالك أوّل ملوك الحيرة وأبوهم .[3]

---

(١) حنين بن بلوع الحيري الشاعر ، تقدّمت ترجمته .

(٢) الأغاني : ٣٤٥/٢.

(٣) معجم ما استعجم : ٤٧٩/٢.

وذهب المسعودي إلى أنّ عدّة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر، وغيرهم، وأنّ مدّة ملكهم ستمئة سنة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر.[١]

وفي "صحاح الجوهري": إنّ العرب كانت تسمّي ملوك الحيرة - أي كلّ من مَلَكَها - النعمان، لأنّه كان آخرهم.[٢]

وفيما يلي أشهر ملوك الحيرة:

١- أوس بن قلام (نحو ٢٣٣ ق هـ - ٣٨٢ م)

أوس بن قلام: من ملوك العراق في الجاهلية. ولأّه سابور الثاني ملك الفرس على الحيرة وأعمالها، بعد وفاة عمرو الثاني ابن امرئ القيس اللخمي. وكان الملك من قبله لبني لخم، ولم يكن أوس منهم، فثاروا عليه فقتلوه.[٣]

٢- امرؤ القيس الثاني (نحو ٢١٢ ق هـ - ٤٠٣ م)

امرؤ القيس الثاني بن عمرو بن امرئ القيس الأول، من بني لخم، من قحطان: ملك الحيرة وأعمالها. ولي بعد مقتل أوس بن قلام (نحو سنة ٣٨٢ م) وكان بطاشاً جباراً، يعرف بالمحرق، لأنّه أول من عاقب بالإحراق بالنار في قومه. قال ابن خلدون: هلك في أيام يزدجرد الأثيم.[٤]

٣- النعمان السائح (نحو ١٩٨ ق هـ -٤٣١ م)

النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي: ملك الحيرة من قبل الفرس، في الجاهلية. وليها بعد موت أبيه (نحو ٤٠٣ م) وكان شجاعاً كثير الغارات، داهية، رفيع الذكر. يُعرف بالأعور السائح. غزا الشام مراراً بتحريض الفرس. وهو باني القصرين

---

(١) مروج الذهب: ٢٨/٢.

(٢) الصحاح: ٢٠٤٤/٥.

(٣) الأعلام: ٣١/٢.

(٤) الأعلام: ١٢/٢.

الشهيرين الخورنق و السدير ، ويقال له : "فارس حليمة" . طال عمره ، وزهد عند اكتهاله ، واستعاض عن رداء الملك بقباء النسك ، وانصرف سائحاً في البلاد ، فانقطع خبره ، بعد أن حكم نحواً من ثلاثين سنة .(١)

أخرج الطبري ، عن هشام ، قال : كان النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس قد غزا الشام مراراً وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم ، وكان من أشدّ الملوك نكاية في عدوّه وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين يقال لإحداهما دوسر وهي لتنوخ وللأخرى الشهباء وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب .

قال : فذكر لنا والله أعلم أنّه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ممّا يلي المغرب وعلى الفرات ممّا يلي المشرق وهو على متن النجف في يوم من أيام الربيع فأعجبه ما رأى من الخضرة والنور والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيت مثل هذا المنظر قط ؟ . فقال : لا ، لو كان يدوم . قال : فما الذي يدوم ؟ . قال : ما عند الله في الآخرة . قال : فبما ينال ذاك قال بتركك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج مستخفياً هارباً لا يعلم به . وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم عليه كما كان يفعل فلمّا أبطأ الإذن عليهم سألوا عنه فلم يجدوه .(٢)

وفي ذلك يقول عدي بن زيد العبادي في قصيدة مطلعها :

أيّها الشامت المعيّر بالدهـ ـر أأنتَ المبرّأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الأيا م بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلّدن أم من ذا عليه من أن يُضام خفير

(١) الأعلام : ٣٥/٨.

(٢) تاريخ الطبري : ٥٠٠/١.

أيـــن كـــسرى الملـــوك أنوشـــر ... وان أم أيـــــن قبلـــــه ســــابور
وبنـــو الأصـــفر الكـــرام ملـــوك الـــ ... ـــروم لـــم يبـــق مـــنهم مـــذكور
وأخـــو الحـــضر إذ بنـــاه وإذ دجـــ ... ـــلة تُجبـــى إليـــه والخـــابور
شـــاده مَرْمَـــراً وجلّلـــهُ كِلْـــ ... ـــساً فللطيـــر فـــي ذراه وكـــور
لـــم يهبـــه ريـــب المنـــون فبـــاد الـــ ... ـــملك عنـــه فبابـــه مَهجـــور
وتـــذكّر ربّ الخورنـــقِ إذ أشـــ ... ـــرَفَ يومـــاً وللهـــدى تفكيـــر
سَـــرّهُ حالَـــه وكثـــرة مـــا يملـــ ... ـــلكُ والبحـــر معـــرض والـــسدير
فـــارعَوَى قلبُـــهُ فقـــال وماغبـــ ... ـــطةُ حـــيٍّ إلـــى الممـــات يـــصير
ثـــمّ بعـــد الفـــلاح والملـــك والإ ... مـــرة وارتهـــم هنـــاك القبـــور
ثـــمّ صـــاروا كـــأنّهم ورَقٌ جَـــفَّ ... فـــألْوت بـــه الـــصبا والـــدَّبور[1]

٤- الأسود اللخمي (نحو ١٦٤ ق هـ - ٤٩٣ م)

الأسود بن المنذر الأول بن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي : من ملوك العراق في الجاهلية . تولّى بعد أبيه ، ونشبت حروب بينه وبين الغسّانيين ملوك الشام ، فقهرهم ، ثم قُتل في إحدى معاركه معهم .[2]

وكان قد أسر عدّة من ملوك الغسّانيين وأراد أن يعفو عنهم ، ولكنّ ابن عمته أُذينة أغراه بقتلهم انتقاماً منهم ، لأنّهم كانوا قد قتلوا أخاً له ، وأنشد في ذلك قصيدته المشهورة المعروفة بالغسّانيّة ، منها :

مـا كـلّ يـومٍ ينـال المـرء مـا طلبـا ... ولايـــسوغه المقـــدار مـــا وَهَبـــا
فـأحزم النـاس مَـن إن نـال فُرْصَـتَهُ ... لـم يجعـل الـسببَ الموصـول مُقْتَـضَبا
وأنصف الناس في كلّ المـواطن مـن ... سـقى المعـادين بالكـأس الـذي شـربا

---

(١) الأغاني : ٢/١٣٢ .
(٢) الأعلام : ١/٣٣٠.

وليس يظلمهم من بات يضربهم ... بحدّ سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غير الذي قد قلته كذبا
لا تقطعنْ ذنب الأفعى وترسلها ... إنْ كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا
هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جزراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم له حطبا[1]

٥- المنذر بن النعمان (نحو ١٥٤ ق هـ - ٤٧٣ م)

المنذر بن النعمان الأول بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي : أول المناذرة ملوك الحيرة والعراق . تولّى بعد أبيه (نحو سنة ٤٣١ م) وبنى دير حنة في الحيرة ، وكان ديراً عظيما . وفي أيامه حاصر الروم مدينة نصيبين فقهرهم المنذر . وزحف إلى سورية فأوغل في أراضيها . ثمّ زحف يريد القسطنطينية فحدث اضطراب في عسكره ، فعقد الصلح مع الروم وعاد إلى الحيرة مقرّ ملكه .[2]

٦- المنذر بن المنذر (نحو ١٢٧ ق هـ -٥٠٠ م)

المنذر الثاني بن المنذر الأول بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي : أحد المناذرة أصحاب الحيرة والعراق من قبل الفُرس . تولّى بعد أخيه الأسود بن المنذر (نحو سنة ٤٩٣ م) وأقام إلى أن مات في الحيرة .[3]

٧- النعمان بن الأسود (نحو ١٢٣ ق هـ - ٥٠٤ م)

النعمان الثاني بن الأسود بن المنذر الأول بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي : ملك العراق في الجاهلية . ولي بعد وفاة عمّه المنذر الثاني (نحو سنة ٥٠٠ م) واستنصر به قباذ الأول ملك الفرس على فتح مدينة الرها ، فانصرف إليها بجيش من العرب ، ومات على أبوابها محاصراً لها .[4]

---

(١) محاضرات الأدباء : ٣٠١/١.
(٢) الأعلام : ٢٩٥/٧.
(٣) الأعلام : ٢٩٥/٧.
(٤) الأعلام : ٣٥/٨.

٨- امرؤ القيس الثالث (نحو ١٠٤ ق هـ - ٥١٤ م)

أمرؤ القيس الثالث بن النعمان الثاني بن الأسود اللخمي : من ملوك العراق في الجاهلية . ولي (نحو ١١١ ق هـ - ٥٠٧ م) وبنى الحصن المعروف بالصنبر ، وحارب بني بكر فغلبهم .(١)

٩- ابن ماء السماء (نحو ٦٠ ق هـ - ٥٦٤ م)

المنذر بن امرئ القيس الثالث بن النعمان بن الأسود اللخمي ، وماء السماء أمّه ، ثالث المناذرة ملوك الحيرة وما يليها من جهات العراق في الجاهلية ، ومن أرفعهم شأنا وأشدّهم بأساً وأكثرهم أخباراً . غلب "بليزار" أحد أبطال الروم في عهده وكبير قوّاد "يستنيان" . وكان له ضفيرتان من شعره ، ويلقّب بذي القرنين بهما . انتهى إليه ملك الحيرة بعد أبيه (نحو سنة ٥١٤ م) وأقرّه كسرى قباذ مدّة ، ثمّ عزله سنة ٥٢٩م لامتناعه عن الدخول في "المزدكية" وولّى الحارث بن عمرو بن حجر الكندي مكانه ، فأقام الحارث إلى أن مات قباذ وملك أنوشروان سنة ٥٣١ م فأعاد ملك الحيرة والعراق إلى المنذر ، فصفا له الجو . وهو باني "قصر الزوراء" في الحيرة ، وباني "الغريّين" وهما الطربالان اللذان بظاهر الكوفة ، قيل : أقامهما على قبري نديمين له من بني أسد قتلهما في إحدى ليالي سكره ، أحدهما عمرو بن مسعود ، والثاني خالد بن المضلّل . وقيل : هو صاحب يومي البؤس والنعيم . عاش إلى أن نشأت فتنة بينه وبين الحارث بن أبي شمر الغسّاني ، فتلاقيا بجيشيهما "يوم حليمة" في موضع يقال له "عين أباغ" وراء الأنبار ، على طريق الفرات إلى الشام ، فقتل فيه المنذر .(٢)

١٠- عمرو بن هند (نحو ٤٥ ق هـ - ٥٧٨ م)

عمرو بن المنذر اللخمي : ملك الحيرة في الجاهلية . عرف بنسبته إلى أمه هند -

---

(١) الأعلام : ١٢/٢ .

(٢) الأعلام : ٢٩٢/٧ .

عمّة أمرئ القيس الشاعر - تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر بن أمامة . أمّا نسبه فهو : عمرو بن المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود ، من بني لخم ، من كهلان . ويلقّب بالمحرق الثاني ، لإحراقه بعض بني تميم في جناية .(١)

١١- قابوس بن المنذر (نحو ٤٢ ق هـ - ٥٨٢ م)

قابوس بن المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود اللخمي : من ملوك الحيرة عاصمة العراق في الجاهلية . تولأها بعد مقتل أخيه عمرو بن هند (نحو ٤٥ ق هـ) ولم تطل مدّته .(٢)

١٢- المنذر بن المنذر (نحو ٣٢ ق هـ - ٥٩٢ م)

المنذر الرابع بن المنذر الثالث بن امرئ القيس بن النعمان بن الأسود اللخمي : رابع المناذرة أصحاب الحيرة . تولأها بعد وفاة أخيه قابوس (نحو سنة ٥٨٢ م) . وكرهه أهلها ، فهمّوا بقتله . قال الأصفهاني : لأنّه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه . فبعث إلى زيد بن حماد وجعل لـه الحكم في ملكه ، واستبقى لنفسه اسم الملك ورضى بذلك أهل الحيرة (نحو سنة ٥٨٥ م) ومات زيد (نحو ٥٩٠ م) فخلفه ابنه عدي ابن زيد . واستمر المنذر إلى أن قتل في وقعة له مع عرب الشام بعين أباغ . وهو أبو النعمان المعروف بأبي قابوس .(٣)

١٣- النعمان بن المنذر (نحو ١٥ ق هـ - ٦٠٨ م)

النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، أبو قابوس : من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية . كان داهية مقداماً . وهو ممدوح النابغة الذبياني ، وحسّان بن ثابت ، وحاتم الطائي . وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى - والقصة

---

(١) الأعلام : ٨٦/٥.

(٢) الأعلام : ١٧٠/٥.

(٣) الأعلام : ٢٩٥/٧.

مشهورة - وباني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى ، وصاحب يومي البؤس والنعيم ، وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر ، في يوم بؤسه ، وقاتل عدي بن زيد ، وغازي قرقيسيا بين الخابور والفرات . كان أبرش أحمر الشعر ، قصيراً . ملك الحيرة إرثاً عن أبيه ، نحو سنة ٥٩٢ م ، وكانت تابعة للفُرس ، فأقرّه عليها كسرى فاستمر إلى أن نقم عليه كسرى أبرويز أمراً ، فعزله ونفاه إلى خانقين ، فسجن فيها إلى أن مات . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة ، فوطئته ، فهلك .(١)

عن عمارة بن قابوس ، قال : لقيت أبا زبيد الطائي ، فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر ، قال : إي والله لقد أتيته وجالسته . قال : قلت : فصفه لي ، فقال : كان أحمر أزرق أبرش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيسرّك أنّه سمع مقالتك هذه وأنّ لك حُمر النعم ، قال : لا والله ، ولا سودها . فقد رأيت ملوك حِمير في ملكها ، ورأيت ملوك غسّان في ملكها ، فما رأيت أحداً قطّ كان أشدّ عزّاً منه . وكان ظهر الكوفة يُنبت الشقائق . فحمى ذلك المكان فنُسب إليه ، فقيل شقائق النعمان .(٢)

١٤- المنذر المغرور (١٢ هـ - ٦٣٣ م)

المنذر بن النعمان الثالث بن المنذر الرابع بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي : آخر المناذرة أصحاب الحيرة في الجاهلية . يلقّب بالمغرور . وليها بعد زاديه بن ماهان الهمذاني الفارسي . ولم تطل مدّته ، قيل : حكم ثمانية أشهر . وقتل أيام فتح البحرين . وفى مقتله ثلاث روايات ، الأولى : في الخط حين افتتحها العلاء بن الحضرمي ، والثانية : قتل مع مسيلمة ، والثالثة : قتل يوم "جواثا" بالبحرين . وبموته انقرضت دولة اللخميين بالحيرة ، ولا تزال آثارهم فيها شاخصة إلى اليوم .(٣)

---

(١) الأعلام : ٤٣/٨.

(٢) الأغاني : ١٥٦/١٢ .

(٣) الأعلام : ٢٩٥/٧.

١٥- إياس بن قبيصة (٤ ق هـ - ٦١٨ م)

إياس بن قبيصة الطائي : من أشراف طيء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية . اتّصل بكسرى ابرويز ، فولاّه الحيرة ، ثم نحاه وولّى النعمان أبا قابوس . وتعدّى الروم تخوم العجم في أيام ابرويز فوجّه إياساً لقتالهم فظفر بهم ، وبالغ كسرى في تقديمه . ثم كانت غضبة أبرويز على النعمان وقتله إياه فأعاد إياساً إلى ولاية الحيرة سنة ٦١٣ م وحدثت في أيامه وقعة ذي قار التي انتصف بها العرب من العجم ، وكان على العجم إياس ، فانهزم ولم يبرح والياً على الحيرة إلى أن مات .(١)

١٦- المنذر بن عمرو (... - ...)

المنذر بن عمرو بن المنذر ، من بني الأسود بن النعمان اللخمي : من ملوك الحيرة . قال المسعودي : ملك بعد أبيه ، ستين سنة ، وكانت أمّه أخت عمرو وقابوس ، من آل نصر .(٢)

١٧- الحارث بن عمرو (... - ...)

الحارث بن عمرو بن عدي بن نصر اللخمي : من ملوك الدولة اللخمية في الحيرة . ولي بعد موت أخيه امرئ القيس ، وطالت مدّته .(٣)

الخلفاء العباسيّون والحيرة

نزل الحيرة غير واحد من خلفاء بني العباس .

فكان فيها السفّاح سنة ١٣٤هـ - ٧٥٢م ثمّ انتقل منها إلى الأنبار في ذي الحجّة من تلك السنة . ونزلها المنصور سنة ١٣٧هـ - ٧٥٥م .

---

(١) الأعلام : ٣٣/٢.

(٢) الأعلام : ٢٩٤/٧.

(٣) الأعلام : ١٥٦/٢.

وحلّ بها هارون الرشيد سنة ١٨٠هـ فسكنها وابتنى بها المنازل وأقطع من معه الخطط ، وأقام نحواً من أربعين يوماً ، فوثب به أهل الكوفة وأساؤا مجاورته ، فارتحل إلى مدينة السلام .[١] ونزلها ثانية في محرّم سنة ١٨٧هـ عند انصرافه من الحج ، فأقام في قصر عون العبادي .[٢]

وزار الواثق الحيرة ودخل دير هند ودير مارت مريم وكان معه إبراهيم الموصلي . وقد تقدم تحت عنوان "مناخ النجف" قصيدته الفائيّة التي يمدح بها الواثق . وأقام في الحيرة الكثير من وزرائهم وأمرائهم .

خراب الحيرة

لم يزل عمران الحيرة يتناقص مُذ بُنيت الكوفة سنة ١٧هـ إلى أيام المعتضد العباسي فإنّه استولى عليها الخراب ، وكان فيها ديارات كثيرة ورهبان لحقوا بغيرها من البلاد لاستيلاء الخراب عليها .[٣]

وقد بُني بعض قصور الكوفة وبيوتها بآجر وأساطين رخام قصور الحيرة[٤] ونهج أعراب تلك الديار هذه الطريقة وهدموا قصور الحيرة وبيوتها على مرّ القرون وتتابع الأجيال للإستفادة من أنقاضها في الأبنية الحديثة التي بنوها ، ولاتزال آثار ذلك التخريب بادية للعيان .

ومع ذلك بقيت الحيرة مأهولة عهداً غير قليل في عصر العرب المسلمين ، ووقعت فيها حوادث منها القتال الذي وقع بين مضريَّة الكوفة والحيرة ، ولم يصطلحوا ويصبح

---

(١) تاريخ الطبري : ٤٧٠/٦ .

(٢) تاريخ الطبري : ٤٩٠/٦ .

(٣) مروج الذهب : ٢١٣/٣ . الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٨ .

(٤) تاريخ الطبري : ١٤٩/٣ .

أمرهم واحداً إلاّ بظهور الضحّاك بن قيس الشيباني سنة ١٢٧هـ.[١]

وفي سنة ٣١٥هـ قصد الأعراب سواد الكوفة فنهبوه وخرّبوه ودخلوا الحيرة فنهبوها، فسيَّر إليهم المقتدر جيشاً فدفعوهم عن البلاد.[٢]

ومع انقراض الدولة العباسية في منتصف القرن السابع الهجري أصبحت الحيرة خرائب وأطلال. مملكة سادت ثمّ بادت ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.[٣]

وقد زار الحيرة سنة ٣٩٢هـ - ١٠٠١م، السيّد الشريف الرضي رحمه الله، فطافها وأنشد قصيدة معبّرة في وصف خرابها، قال فيها:

ما زلت أطّرق المنازل بالنوى	حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت	شمُّ العماد عريضة الأعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها	وتُبين بالبنيان فضل الباني
ماينفع الماضين إن بقيت لهم	خُطَطٌ معمّرةٌ بعمر ثان
ورأيت عجماء الطلول من البلى	عن منطق عربيّة التبيان
باقٍ بها حظُّ العيون وإنّما	لاحظّ فيها اليوم للآذان
وعرفت بيوت آل محرّق	مأوى القِرى ومواقد النيران
ومناط ما اعتقلوا من البيض الظُّبى	ومَجَرَّ ما سحبوا من المُرّان
ورأيت مرتبط السوابق للمها	ومعاقل الآساد للذؤبان
الهاجمين على الملوك قبابهم	والضاربين معاقد التيجان

(١) تاريخ الطبري: ٦١١/٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣٧/٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦٢.

وكـأنّ يـوم الإذن يبـرز منهم ... أسـد الشّرى وأسـاود الغيطـان[١]
ولقـد رأيـت بـدير هنـد منزلاً ... ألمـاً مـن الضرّاء والحـدثان[٢]
أغضي كمستمع الهوان تغيّبت ... أنصاره وخـلا مـن الأعـوان
بـالي المعـالم أطرقـت شـرفاته ... إطـراق منجـذب القرينـة عـان[٣]
أو كـالوفود رأوا سـماط خليفـة ... فرمـوا علـى الأعنـاق بالأذقـان
وذكـرت مسحبها الريـاط بجـوّه ... مـن قبـل بيـع زمانهـا بزمـان
وبمـا تـردّ علـى المغيـرة دَهْيَـهُ ... نـزع النَّـوار بطيئـة الإذعـان[٤]
أمقاصـر الغـزلان غيّـرك البلـى ... حتـى غـدوت مـرابض الغـزلان
وملاعب الإنس الجميع طوى الردى ... منهم فصرت ملاعـب الجنّـان
مـن كـلّ دار تستظلّ رواقهـا ... أدمـاء غانيـةٌ عـن الجيـران[٥]
ولقـد تكـون محلّـةً وقـرارةً ... لاغـرّ مـن ولـد الملـوك هجـان[٦]
يطـأ الفـرات فناءهـا بعُبابـه ... ولهـا السُّلافةُ منـه والرُّوقـان[٧]
قـدحت زفيـري فاعتصرت مدامعي ... لـو لـم يـؤل جزعـي إلـى السلوان
ترقـى الـدموع ويرعـوي جزع الفتى ... وينـام بعـد تفـرّق الأقـران
مـسكيّة النفحـات تحسب تُربهـا ... بُـرْدَ الخليـع معطّـر الأردان

---

(١) الشرى : مأسدة مشهورة بأسودها . الأساود : الحيّات ، الواحد أسود .

(٢) دير هند : من أديرة النجف ، تقدّم .

(٣) القرينة : الناقة المقرونة بأخرى .

(٤) المغيرة : وصف لصفة محذوفة ، تقديره الخيل المغيرة . دهيه : أصابه بداهية . النوار : المرأة النفور .

(٥) الأدماء : أي ضبية أدماء ، أي سمراء .

(٦) الهجان : الكريم الحسيب .

(٧) عبابه : معظم سيله وارتفاعه . السلافة : كلّ شيء عصرته . الروقان : الصافي من الماء .

وكأنّما نشر التجار لطيمةً ... جرت الرياح بها على العقيان[1]
حُلَلُ الملوك رمى جذيمة بينها ... والمنذرَيْن تغاير الأزمان[2]
طرداً كدأب الدهر في طرد الأُلى ... وإلى الحفائظ في بني الديّان
نعق الزمان بجمعهم عن لَعْلَعٍ ... وأقَضَّ منزلهم على نجران[3]
وكآل جفنة أزعجتهم نَبْوَة ... نقلت قبابهم عن الجولان[4]
وعلى المدائن جَلْجَلَت برعادها ... عركاً لكلكلها على الإيوان[5]
وإلى ابن ذي يزنٍ غدت مرحولة ... نفضت حويّتها على غمدان[6]
قصفت قنا جَدَلَ الطعان وثوّرت ... بعد الأمان بعامر الضحيان[7]
زفر الزمان عليهم فتفرّقوا ... وجلوا عن الأوطار والأوطان[8]

---

(١) اللطيمة : وعاء المسك . العقيان : الذهب ينبت نباتاً ، وليس ممّا يستذاب من الحجارة .

(٢) جذيمة : هو جذيمة الأبرش . المنذرين : المنذر الأول والثاني ، من ملوك الحيرة .

(٣) لعلع : جبل وماء بالبادية . نجران : بلد باليمن .

(٤) آل جفنة : الغساسنة . النبوة : البُعد . الجولان : كانت من عواصم الغسّانيين .

(٥) المدائن : أي مدائن كسرى . الإيوان : إيوان كسرى ، وهو مشهور .

(٦) ابن ذي يزن : أراد سيف بن ذي يزن ، من ملوك اليمن . الحوية : كساء محشو حول سنام البعير .
غمدان : قصر لملوك اليمن .

(٧) عامر الضحيان : أحد فرسان العرب .

(٨) ديوان الشريف الرضي : ٢/ ٤٦٨- ٤٧١ .

الفصل الثامن عشر

حــوادث ونــوادر فـــي الــنــجــف

حوادث ونوادر في النجف

النعمان ملك الحيرة في مقابر النجف

أخرج ابن عساكر ، عن سهل بن علي الأصبهاني ، قال : زعموا أنّ النعمان بن المنذر خرج يوماً يسير بظهر الكوفة ومعه عمرو بن عدي ، فمرّوا بالمقابر ، فقال النعمان : لو أنّ هؤلاء تكلّموا ما كانوا يقولون ؟. قال : كانوا يقولون :

يا أيّها الركب سيروا إن قصدتم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حلّوا الركاب وارخوا من أزمّتها ... قبل الممات وقضوا ما تقضونا
إنّا كما أنتم كنّا وإنّكم ... عمّا قليل كما صرنا تصيرونا

كذا قال ، والشعر لعدي بن زيد .[1]

النعمان وأعرابي

أخرج ابن الجوزي ، عن عبيد راوية الأعشى ، قال :

خرج النعمان إلى ظهر الحيرة وكان معشاباً وكانت العرب تسمّيه "خدّ العذراء" ، فيه نبت الشيح والقيصوم والخزامى والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان ، فمرّ بالشقائق فأعجبته ، فقال من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كفّه ، قال : فسمّيت شقائق النعمان . قال : فإنّه ليسير فيها يوماً فانتهى إلى وهدة[2] في طرف النجف وإذا شيخ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٢٣/٤٠ .

(٢) الوهدة : المكان المنخفض والمطمئن من الأرض كأنّه حفرة . (لسان العرب : مادة "وهد")

يخصف نعلاً فوقف عليه وقد سبق أصحابه ، فقال ممّن أنت يا شيخ ؟. قال : من بكر ابن وائل ، فقال : يا شيخ مالك ههنا ؟. قال : طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً ووجدت وهدة خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن ، فقال : أو ما تخاف النعمان ؟. قال : وما أخاف منه ، والله لربّما لمست بيدي هذه ما بين سرّة أمّه وعانتها كأنّه أرنب جاثم ، قال : أنت أيّها الشيخ ، قال : نعم ، قال : فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله ، فقالوا : حييت أبيت اللعن ، قال : وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه ، فقال النعمان : أيّها الشيخ كيف قلت ؟. قال : أبيت اللعن لا يهولنّك ذاك ، والله لقد علمت العرب أنّه ليس بين لابتيها أكذب منّي ، فضحك النعمان ثم مضى .[1]

بناء الغريّين ومقتل عبيد بن الأبرص

كان المنذر بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد أحدهما خالد بن المضلّل والآخر عمرو بن مسعود بن كلدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يحفر لكلّ واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا في الحفرتين ، ففعل ذلك بهما حتى إذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما فندم على ذلك وغمّه .

وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل الأسديين يقول شاعر بني أسد :

يا قبر بين بيوت آل محرّق ... جادت عليك رواعد وبروق

أمّا البكاء فقل عنك كثيرة ... ولئن بكيت فللبكاء خليق

ثم ركب المنذر حتى نظر إليهما فأمر ببناء الغريّين عليهما فبنيا عليهما . وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغريّين يسمّى أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس ، فأوّل من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مئة من الإبل شوماً أي سوداً ، وأوّل من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان أسود ، ثم يأمر به فيذبح ويغرى بدمه الغريّان ، فلبث بذلك برهة من دهره يقتل في يوم البؤس .

---

(١) كتاب الأذكياء : ١١٥/١ .

ثمّ إنّ عبيد بن الأبرص كان أول من أشرف على المنذر في يوم بؤسه ، فقال : هلاّ كان الذبح لغيرك يا عبيد ، فقال : "أتتك بحائن رجلاه" ، فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر : أو أجل بلغ إناه ، وقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : "حال الجريض دون القريض ، وبلغ الحزام الطُّبْيَيْن" ، فأرسلها مثلاً . فقال له النعمان : أسمعني ، فقال : "المنايا على الحوايا" ، فأرسلها مثلاً . فقال له آخر : ما أشدّ جزعك من الموت ، فقال : "لا يرحل رحلك من ليس معك" ، فأرسلها مثلاً . فقال له المنذر : قد أمللتني فأرحني قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : "مَن عزّ بزّ" ، فأرسلها مثلاً . فقال المنذر : أنشدني قولك : أقفر من أهله ملحوب ، فقال عبيد :

أقفر من أهله عبيد ... فليس يبدي ولا يعيد

عنت له عنّة نكود ... وحان منها له ورود

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك أنشدني قبل أن أذبحك ، فقال عبيد : والله إن متّ لما ضرّني وإن أعش ما عشت في واحدة . فقال المنذر : إنّه لا بدّ من الموت ، ولو أنّ النعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئت الأكحل ، وإن شئت الأبجل ، وإن شئت الوريد ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شرّ وراد وحاديها شرّ حادٍ ومعادها شرّ معاد ولا خير فيه لمرتاد ، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت لها ذواهلي فشأنك وما تريد . فأمر المنذر بحاجته من الخمر حتى إذا أخذت منه وطابت نفسه ، دعا به المنذر ليقتله ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول :

وخيّرني ذو البؤس في يوم بؤسه ... خصالاً أرى في كلّها الموت قد برق

كما خيّرت عاد من الدهر مرّة ... سحائب ما فيها لذي خيرة أنق

سحائب ريح لم توكل ببلدة ... فتتركها إلاّ كما ليلة الطلق

فأمر به المنذر ففصد ، فلمّا مات غري بدمه الغريان .[1]

---

(١) الأغاني : ٢٢/٩٣ .

خبر الطائي الذي يرمز إلى وفاء العرب بالعهد

لم يزل المنذر بن ماء السماء كذلك حتى مرّ به رجل من طيء يقال له حنظلة بن أبي عفراء أو ابن أبي عفر ، فقال له : أبيت اللعن والله ما أتيتك زائراً ولأهلي من خيرك مائراً فلا تكن ميرتهم قتلي . فقال : لا بدّ من ذلك ، فاسأل حاجة أقضيها لك ، فقال : تؤجّلني سنة أرجع فيها إلى أهلي وأحكم من أمرهم ما أريد ، ثمّ أصير إليك فأنفذ فيّ حكمك . فقال : ومَن يكفل بك حتى تعود فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك ابن عمرو أبا الحوفزان بن شريك ، فأنشد يقول :

يا شريك يا بن عمرو ... ما من الموت محاله
يا شريك يا بن عمرو ... يا أخا من لا أخا له
يا أخا شيبان فكّ الـ ... ـيوم رهناً قد أناله
يا أخا كلّ مضاف ... وحيا من لا حيا له
إنّ شيبان قبيلٌ ... أكرم الله رجاله
وأبوك الخير عمرو ... وشراحيل الحمالَه
رقياك اليوم في المجد ... وفي حسن المقاله

فوثب شريك ، وقال : أبيت اللعن ، يدي بيده ودمي بدمه إن لم يعد إلى أجله . فأطلقه المنذر . فلمّا كان من القابل جلس في مجلسه ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك فقرّب ليقتله ، فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليهم ، فتأمّلوه ، فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفّناً متحنّطاً معه نادبته تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلمّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطل تلك السنّة .(١)

حكاية القصّار مع الملك

قال ياقوت الحموي : حدّث هشام بن محمد الكلبي ، قال : حدّثني شرقي ابن

---

(١) الأغاني : ٢٢/٩٤.

القطامي ، قال :

بعثني المنصور إلى بعض الملوك فكنت أحدّثه بحديث العرب وأنسابها فلا أراه يرتاح لذلك ولا يعجبه ، قال : فقال لي رجل من أصحابه يا أبا المثنى أي شيء الغري في كلام العرب ؟. قلت : الغري الحسن ، والعرب تقول : هذا رجل غري ، وإنّما سمّيا الغريّين لحسنهما في ذلك الزمان ، وإنّما بني الغريّان اللذان في الكوفة على مثل غريّين بناهما صاحب مصر وجعل عليهما حرساً فكلّ من لم يصلّ لهما قتل إلاّ أنّه يخيّره خصلتين ليس فيهما النجاة من القتل ولا الملك ويعطيه ما يتمنّى في الحال ثمّ يقتله ، فغبر بذلك دهراً ، قال : فأقبل قصّار من أهل إفريقية ومعه حمار له كذين ، فمرّ بهما فلم يصلّ فأخذه الحرس ، فقال : ما لي ؟. فقالوا : لم تصلّ للغريين ، فقال : لم أعلم ، فذهبوا به إلى الملك فقالوا : هذا لم يصل للغريين ، فقال له : ما منعك أن تصلّي لهما ؟. قال : لم أعلم وأنا رجل غريب من أهل إفريقية أحببت أن أكون في جوارك لأغسل ثيابك وثياب خاصّتك وأصيب من كنفك خيراً ، ولو علمت لصلّيت لهما ألف ركعة ، فقال له : تمن ، فقال : وما أتمنّى ؟ فقال : لا تتمن الملك ولا أن تنجي نفسك من القتل وتمنّ ما شئت ، وقال : فأدبر القصّار وأقبل وخضع وتضرع وأقام عذره لغربته فأبى أن يقبل ، فقال إنّي أسألك عشرة آلاف درهم ، فقال : عليّ بعشرة آلاف درهم ، قال : وبريداً ، فأتى البريد فسلّم إليه ، وقال : إذا أتيت إفريقية فسل عن منزل فلان القصّار فادفع هذه العشرة آلاف درهم إلى أهله ، ثمّ قال له الملك : تمنّ الثانية ، فقال : أضرب كلّ واحد منكم بهذا الكذين ثلاث ضربات واحدة شديدة وأخرى وسطى وأخرى دون ذلك ، قال : فارتاب الملك ومكث طويلاً ، ثمّ قال لجلسائه : ما ترون ؟. قالوا : نرى أن لا تقطع سنّة سنّها آباؤك ، قالوا : فبمن تبدأ ؟ قال : أبدأ بالملك ابن الملك الذي سنّ هذا ، قال : فنزل عن سريره ورفع القصّار الكذين فضرب أصل قفاه فسقط على وجهه ، فقال الملك : ليت شعري أيّ الضربات هذه ، والله لئن كانت الهيّنة ثمّ

جاءت الوسطى والشديدة لأموتن ، فنظر إلى الحرس وقال : أولاد الزنا ، تزعمون أنّه لم يصلّ وأنا والله رأيته حيث صلّى ، خلّوا سبيله واهدموا الغريّين ، قال : فضحك القصّار حتى جعل يفحص برجله من كثرة الضحك .

قال الحموي : فالذي يقع لي ويغلب على ظنّي أنّ المنذر لمّا صنع الغريّين بظاهر الكوفة سنّ تلك السنّة ولم يشرط قضاء الحوائج الثلاث التي كان يشرطها ملك مصر ، والله أعلم .(١)

خالد بن الوليد في أديرة النجف

قال هشام الكلبي : كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه فأعطت بنته هند عهداً لله إن رَدَّه الله إلى مُلكه أن تبني ديراً تسكنه حتى تموت ، فخلّى كسرى عن أبيها النعمان ، فبنت الدير وأقامت به إلى أن ماتت ودفنت فيه ، وهي التي دخل عليها خالد بن الوليد لمّا فتح الحيرة فسلّمت عليه ، فقال لها لمّا عرفها : أسلمي حتى أزوّجك رجلاً شريفاً مسلماً ، فقالت له : أمّا الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي ، وأمّا التزويج فلو كانت فيَّ بقيّة لما رغبت فيه ، فكيف وأنا عجوز هرمة أترقّب المنيّة بين اليوم وغد ! فقال : سليني حاجة ، فقالت : هؤلاء النصارى الذين في ذمّتكم تحفظونهم ، قال : هذا فرض علينا أوصانا به نبينا محمد ﷺ قالت : ما لي حاجة غير هذا ، فإنّي ساكنة في هذا الدير الذي بنيته ملاصقاً لهذه الأعظُم البالية من أهلي حتى ألحق بهم ، قال : فأمر لها بمعونة ومال وكسوة ، قالت : أنا في غنى عنه . لي عبدان يزرعان مزرعة لي أتقوّت بما يخرج منها ويمسك الرمق ، وقد اعتددت بقولك فعلاً وبعرضك نقداً ، فقال لها : أخبريني بشيء أدركت ، قالت : ما طلعت الشمس بين الخورنق والسدير إلاّ على ما هو تحت حُكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا ، ثم أنشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

---

(١) معجم البلدان : ١٩٧/٤ .

فتبّاً لدنياً لا يدوم نعيمها ۞ تقلّب تارات بنا وتصرف

ثم قالت : اسمع منّي دعاءً كنّا ندعو به لأملاكنا : "شَكَرَتْكَ يَدٌ افتقرت بعد غنىً ، ولا مَلَكَتْكَ يَدٌ استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا أزال عن كريم نعمة إلاّ جعلك سبباً لردّها إليه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة" .

قال : فتركها وخرج ، فجاءها النصارى وقالوا : ما صنع بك الأمير ؟. فقالت : صان لي ذمّتي وأكرم وجهي ، إنّما يكرم الكريم الكريم .[(١)]

خالد بن الوليد وابن بُقَيْلَة

أخرج أبو عبد الله الحِمْيَري ، قال :

لمّا أقبل خالد بن الوليد يريد الحيرة نزل بالنجف وبعث إليهم أن ابعثوا إليّ رجل من عقلائكم ، فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن حسّان بن بقيلة الغسّاني ، فأتى عبد المسيح خالداً وله يومئذٍ ثلاثمئة سنة وخمسون سنة ، فتجاهل عبد المسيح وأحبّ أن يريه من نفسه ما يعرف به عنده ، فقال له خالد : من أين أقصى أثرك ؟. قال : من صلب أبي ، قال : فمن أين جئت ؟. قال : من بطن أمّي ، قال : فعلامَ أنت ويحك ؟. قال : على الأرض ، قال : أتعقل ؟. قال : إي والله وأقيد ، قال : ابن كم أنت ؟. قال : ابن رجل واحد ، قال : اللهمّ اخزهم من أهل بلدة فما يزيدوننا إلا عمىً ، أسأله عن شيء فيجيبني عن غيره ، قال : لا والله ، ما أجيبك إلاّ عن سؤالك ، فسل عمّا بدا لك ، قال : أعَرَب أنتم أم نبط[(٢)] ؟. قال : نبط استعربنا وعرب استنبطنا ، قال : بحرب أم سلم ؟. قال : بل سلم . قال : فما هذه الحصون ؟. قال : بنيناها للسفيه تمنعه حتى يأتي الحليم فينهاه ، قال : كم أتت عليك ؟. قال : خمسون وثلاثمئة ، قال : فما أدركت ؟. قال أدركت

---

(١) معجم البلدان : ٥٤١/٢ .

(٢) النبط قوم من جبلة العرب وإن تبرأ العرب منهم وعيّروا بهم وأبعدوا أنفسهم عنهم وعابوا عليهم لهجتهم حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم . (لاحظ موضوع "عروبة النجف" في الفصل الأول من الكتاب)

سفن البحر ترفأ إلينا في هذا النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحت قدمك ، ورأيت المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها فتضعه على رأسها لا تزوّد إلى رغيفاً فلا تزال في قرىً عامرة وعمائر متّصلة وأشجار مثمرة ومياه عذبة حتى ترد الشام ، وتراها اليوم قد أصبحت يباباً ، وكذلك دأب الله تعالى في البلاد والعباد .(١)

إمامَهم الضبّ

أخرج العياشي ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن رجل من الأنصار ، قال :

خرجت أنا والأشعث وجرير البجلي حتّى إذا كنّا بظهر الكوفة بالفرْس(٢) ، مرَّ بنا ضبٌّ فقال الأشعث وجرير : السلام عليك يا أمير المؤمنين - خلافاً على علي بن أبي طالب عليه السلام - فلمّا خرج الأنصاري قال لعلي عليه السلام ، فقال علي : "دعهما فهو إمامهما يوم القيمة ، أما تسمع الله تعالى يقول : ﴿نُوَلِّه مَا تَوَلَّى﴾"(٣) (٤) .

أُهِـلَّ لـغـيـر الله

قال ابن أبي حاتم : حدّثنا أبي ، حدّثنا أحمد بن يونس ، حدّثنا ربعي ، عن عبد الله ، قال : سمعت الجارود بن أبي سبرة ، قال : هو جدّي ، قال :

كان رجل من بني رياح يقال له ابن وائل وكان شاعراً نافر غالباً أبا الفرزدق بماء بظهر الكوفة ، على أن يعقر هذا مئة من إبله وهذا مئة من إبله إذا وردت الماء ، فلمّا وردت الماء قاما إليها بسيفيهما فجعلا يكسفان عراقيبها ، قال : فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم ، قال : وعلي بالكوفة ، قال : فخرج علي على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله البيضاء وهو ينادي : يا أيّها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنّها أهلّ بها لغير الله .(٥)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٢) هو أحد قصور الحيرة الأربعة ، تقدّم في الفصل الخامس عشر .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٤) تفسير العياشي : ٢٧٥/١ .

(٥) تفسير ابن كثير : ٩/٢ .

سعيد بن جبير في النجف

أخرج أبو العرب التميمي ، عن عثمان بن زيد ، قال :

كنت مع سعيد بن جبير نريد النجف ، فقلت : هل لك في أخيك وهب بن منبه هنا ، قال : نعم ، فانحرفنا ومع سعيد بن جبير ابنه عبد الله ، فتحدّثنا ، فقال سعيد بن جبير : إنّي خرجت وأمّه حُبلى فما رأيته حتى بلغ من السن ما ترى ! فقال وهب : إنّي وجدت في كتب الله عزّ وجل المنزلة في ذكر الصالحين ، إنّهم كانوا إذا طالت بهم العافية حزنوا لذلك ووجدوا في أنفسهم ، فإذا أصابهم الشيء من البلاء فرحوا به واستبشروا به وقالوا عاتبكم ربكم .[1]

المغيرة بن شعبة وأعرابي

قال أبو الفرج الأصفهاني : روى علي بن سليمان الأخفش ، قال :

خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ على الكوفة ومعه الهيثم بن التيّهان النخعي غبّ مطر يسير في ظهر الكوفة والنجف ، فلقي ابن لسان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة ، وهو لا يعرف المغيرة ولا يعرفه المغيرة ، فقال له : من أين أقبلت يا أعرابي ؟. قال : من السماوة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟. قال : عريضة أريضة[2] . قال : فكيف كان المطر ؟. قال : عفى الأثر وملأ الحفر . قال : فمن أنت ؟. قال : من بكر بن وائل . قال : كيف علمك بهم ؟. قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم . قال : فما تقول في بني شيبان ؟. قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول في بني ذهل ؟. قال : سادة نوكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟. قال : إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟. قال : رعاء النقد[3] وعراقيب الكلاب . قال : فبني يشكر ؟. قال : صريح

---

(١) المحن : ٥٧/١ .

(٢) الأريضة : المعشبة .

(٣) النقد : صغار الغنم .

تحسبه مولى . قال : فعجل ؟. قال : أحلاس الخيل . قال : فعبد القيس ؟. قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام . قال : فعنزة ؟. قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً . قال : فضبيعة أضجم ؟. قال : جدعاً وعقراً . قال : فأخبرني عن النساء . قال : النساء أربع : ربيع مربع ، وجميع مجمع ، وشيطان سمعمع ، وغلّ لا يخلع . قال : فسِّر . قال : أمّا الربيع المربع ، فالتي إذا نظرت إليها سرّتك وإذا أقسمت عليها برّتك . وأمّا التي هي جميع مجمع ، فالمرأة تتزوجها ولها نسب فيجتمع نسبها إلى نسبك . وأمّا الشيطان السمعمع ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت ، المولولة في أثرك إذا خرجت . وأمّا الغلّ الذي لا يخلع فبنت عمّك السوداء القصيرة الفوهاء الدميمة التي قد نثرت لك بطنها ، إن طلّقتها ضاع ولدك وإن أمسكتها فعلى جدع أنفك ، قال المغيرة : بل أنفك .

قال : فما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة ؟. قال : أعور زان ، فقال : الهيثم بن الأسود : فضّ الله فاك ! ويلك إنّه الأمير المغيرة . قال : إنّها كلمة تُقال ، فانطلق به المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستّون – أو سبعون – أمة ، وقال : ويحك ! هل يزني الحرّ وعنده مثل هؤلاء ؟. ثمّ قال لهن : إرمين إليه بحليّكن ، ففعلن ، فخرج بملء كسائه ذهباً وفضّة .(١)

خالد القسري وأعرابي

أخرج ابن عساكر عن عمر بن الهيثم ، قال :

بينما خالد بن عبد الله القسري بظهر الكوفة متنزّهاً إذ حضره أعرابي ، فقال : يا أعرابي ، أين تريد ؟. قال : هذه القرية – يعني الكوفة – قال : وماذا تحاول بها ؟. قال :

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢/٢٤٠.

قال ابن أبي الحديد ـ بعد إيراده هذا الخبر وخبر آخر تقدّمه : وإنّما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السامع أنّ الخبر بزناه ـ أي المغيرة ـ كان شائعاً مشهوراً مستفيضاً بين الناس ، ولأنّهما يتضمّنان أدباً وكتابنا هذا موضوع للأدب .

قصدت خالد بن عبد الله متعرّضاً لمعروفه . قال : فهل تعرفه ؟. قال : لا . قال : فهل بينك وبينه قرابة ؟. قال : لا ، ولكن لمّا بلغني من بذله المعروف ، وقد قلت فيه شعراً أتقرّب به إليه . قال خالد : فأنشدني ما قلت ، فأنشأ يقول :

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغباً لتجبر منّي ما وهى وتبدّدا

إلى الماجد البهلول ذي الحلم والندى وأكرم خلق الله فرعاً ومحتدا

إذا ما أناس قصّروا بفعالهم نهضت فلم تلق هنالك مقعدا

فيا لك بحراً يغمر الناس موجه إذا يسأل المعروف جاش وأزبدا

بلوت ابن عبد الله في كلّ موطن فألفيت خير الناس نفساً وأمجدا

فلو كان في الدنيا من الناس خالد لجود بمعروف لكنت مخلّدا

فلا تحرمنّي منك ما قد رجوته فيصبح وجهي كالح اللون أربدا

فحفظ خالد الشعر ، وقال له : انطلق صنع الله لك . فلمّا كان من غد دخل الناس إلى خالد واستوى السماطان بين يديه تقدّم الأعرابي وهو يقول : إليك ابن كرز الخير أقبلت راغباً . فأشار إليه خالد بيده أن اسكت ، ثمّ أنشد خالد بقية الشعر وقال له : يا أعرابي قد قيل هذا الشعر قبل قولك ، فتحيّر الأعرابي وورد عليه ما أدهشه ، وقال : تالله ما رأيت كاليوم سبباً لخيبة وحرمان فانصرف . فأتبعه خالد برسول ليسمع ما يقول ، فسمعه الرسول يقول :

ألا في سبيل الله ما كنت أرتجي لديه وما لاقيت من نكد الجهد

دخلت على بحر يجود بماله ويعطي كثير المال في طلب الحمد

فخالفني الجد المشوم لشقوتي وقاربني نحسي وفارقني سعدي

فلو كان لي رزق لديه لنلته ولكنّه أمر من الواحد الفرد

فقال له الرسول : أجب الأمير ، فلمّا انتهى إلى خالد ، قال له : كيف قلت ؟. فأنشده ، ثمّ استعاده فأعاده ثلاثاً إعجابا منه به ، ثمّ أمر له بعشرة آلاف درهم .[1]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٦/١٥٤ .

هشام بن عبد الملك وحُنَيْن الحيري [(١)]

عن المدائني ، قال :

حجّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبي ، فوقف له حُنَيْن بظهر الكوفة ومعه عوده وزامرٍ له وعليه قلنسية طويلة ، فلمّا مرّ به هشام عرض له ، فقال : مَن هذا ؟. فقيل : حُنَيْن ، فأمر به فَحُمِل في مَحمل على جمل ، وعديله زامره ، وسيّر به أمامه وهو يتغنّى :

أمن سلمى بظهر الكو ... فة الآيات والطَّلَل

يلوح كما تلوح على ... جفون الصيقل الخِلَل

قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف ، فأمر له بمئتي دينار وللزامر بمئة .

وحُنَيْن هو القائل يصف النجف ومنزله بها :

أنا حُنَين ومنزلي النجف ... وما نديمي إلاّ الفتى القصف

أقرع بالكأس ثغر باطية ... مترعة تارة وأغترف

من قهوة باكر التجّار بها ... بيت يهود قرارها الخزف

والعيش غضٌ ومنزلي خصب ... لم تعرني شقوة ولا عنف [(٢)]

هارون الرشيد وبهلول

علي بن ربيعة الكندي ، قال :

خرج الرشيد إلى الحج ، فلمّا كان بظاهر الكوفة إذ بصر بهلولاً المجنون على قصبة وخلفه الصبيان ، وهو يعدو ، فقال : من هذا ؟. قالوا : بهلول المجنون . قال : كنت أشتهي أن أراه فأدعوه من غير ترويع ، فقالوا له : أجب أمير المؤمنين . فعدا على

---

(١) حنين بن بلوع الحيري : مختلف في نسبه ، فقيل إنّه من العباديين من تميم ، وقيل : إنّه من بني الحرث بن كعب ، وقيل : إنّه من قوم بقوا من جَديس وطسم فنزلوا في بني الحرث بن كعب فعدّوا فيهم ، ويكنى أبا كعب ، وكان شاعراً مغنّياً فحلاً من فحول المغنّين وله صنعة فاضلة متقدمة . وكان يسكن النجف ويكري الجمال إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانياً .

(٢) الأغاني : ٣٣٤/٢.

قصبته ، فقال الرشيد : السلام عليك يا بهلول ، فقال : وعليك السلام يا أمير المؤمنين ، قال : كنت إليك بالأشواق قال : لكنّي لم أشتق إليك . قال : عظني يا بهلول ، قال : وبم أعظك ؟. هذه قصورهم وهذه قبورهم . قال : زدني فقد أحسنت . قال : يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً ، فعفّ في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار ، فظنّ الرشيد أنّه يريد شيئاً ، فقال : قد أمرنا لك أن يقضى دينك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يقضى الدَّين بدَين ، أردد الحق على أهله ، وأقض دين نفسك من نفسك . قال : فإنّا قد أمرنا أن يجرى عليك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أترى الله يعطيك وينساني ؟. ثمّ ولّى هارباً .

وروي بإسناد آخر أنّه قال للرشيد : يا أمير المؤمنين ، فكيف لو أقامك الله بين يديه ، فسألك عن النقير والفتيل والقطمير ، قال : فخنقته العبرة ، فقال الحاجب : حسبك يا بهلول ، فقد أوجعت أمير المؤمنين ، فقال الرشيد : دعه ، فقال بهلول : إنّما أفسده أنت وأضرابك . فقال الرشيد : أريد أن أصلك بصلة ، فقال بهلول : ردّها على من أخذت منه ، فقال الرشيد : فحاجة ، قال : أن لا تراني ولا أراك . ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ، حدّثنا أيمن بن وائل ، عن قدامة بن عبد الله الكلابي ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة على ناقة له صهباء لاضرب ولا طرد . ثمّ ولّى بقصبته وأنشأ يقول :

فعدك قد ملأت الأرض طراً ... ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت في قبر ويحوي ... تراثك بعد هذا ثمّ ماذا[1]

يحيى بن خالد البرمكي في أديرة النجف

قال أبو الفرج الأصبهاني : حدّثني جعفر بن قدامة ، عن محمد بن عبدالله الخزاعي ، عن أبيه ، قال :

دخلت مع يحيى بن خالد دير هند الأوّل لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الحيرة ، وقد

(١) عقلاء المجانين : ٦٩- ٧٠.

قصدها ليتنزّه بها ويرى آثار المنذر ، فرأى قبر أبيها النعمان وقبرها إلى جانبه . ثمّ خرج إلى دير هند الآخر وهو على طفّ النجف ، فرأى في جانب حائطه كتابة ، فأمر بسلّم فأحضر ، وأمر بعض أصحابه أن يرقى إليها ، فإذا هي :

إنّ بني المنذر حيث انقضوا ... بحيث شاد البيعة الراهب
تنفح بالمسك ذفاريهم ... وعنبر يقطبه القاطب
القزّ والكتّان أثوابهم ... لم يجب الصوف لهم جائب
والعزّ والملك لهم راتب ... وقهوة ناجودها ساكب
أضحوا وما يرجوهم طالب ... خيراً ولا يرهبهم راهب
كأنّهم كانوا بها لعبة ... سار إلى أين بها الراكب

قال : فبكى يحيى لمّا قرىء هذا الشعر ، وقال : هذه سبيل الدنيا وانصرف عن وجهه ذلك.[1]

الواثق العباسي في النجف

أخرج أبو الفرج ، عن إسحاق الموصلي ، قال :

ما وصلني أحد من الخلفاء قط بمثل ما وصلني به الواثق ولقد انحدرت معه إلى النجف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين قد قلت في النجف قصيدة ، فقال هاتها فأنشدته :

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف ... نحيّ داراً لسعدى ثمّ ننصرف

حتى أتيت على قولي :

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل ... أصفى هواء ولا أعذى من النجف
حفّت ببرّ وبحر من جوانبها ... فالبرّ في طرف والبحر في طرف
وما يزال نسيم من يمانية ... يأتيك منها بريا روضة أنف

فقال صدقت يا إسحاق هي كذلك . ثمّ أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه :

---

(١) معجم ما استعجم : ٢/٦٠٧.

لا يحسب الجود يفني ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوي من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها ، فطرب وقال : أحسنت والله يا أبا محمد ، وكنّاني يومئذ وأمر لي بمائة ألف درهم .[(١)]

وأخرج أبو الفرج ، عن إسحاق ، قال :

لمّا خرجت مع الواثق إلى النجف درنا بالحيرة ومررنا بدياراتها ، فرأيت دير مريم بالحيرة فأعجبني موقعه وحسن بنائه ، فقلت :

نعم المحلّ لمن يسعى للذّته ديرٌ لمريم فوق الظهر معمور

ظلٌّ ظليل وماء غير ذي أسن وقاصرات كأمثال الدمى حور

فقال الواثق : لا نصطبح والله غداً إلاّ فيه ، وأمر بأن يُعَدّ فيه ما يصلح من الليل ، وباكرناه فاصطبحنا فيه على هذا الصوت ، وأمر بمال ففرّق على أهل ذلك الدير وأمر لي بجائزة .[(٢)]

وأخرج ابن العديم ، عن إسحاق ، قال :

كنت عند الواثق بالله يوماً وهو بالنجف ، فدخل ابن أبي دؤاد فقعد معنا يتحدّث ولم يكن خرج الواثق بعد ، فقال لي ابن أبي دؤاد : يا إسحق ، قلت : لبّيك ، قال : أعجبني هذان البيتان ، قلت : فأنشدني يا أبا عبد الله ، فما أعجبك من شيء ففيه السرور ، فأنشدني :

ولي نظرة لو كان يحبل ناظر بنظرته أنثى لقد حبلت منّي

فإن ولدت ما بين تسعة أشهر إلى نظري إبنا فإنّ ابنها إبني

قلت : قد أجاد ، ولكنّي أنشدك بيتين أرجو أن يعجباك ، قال : هات ، فأنشدته :

ولمّا رمت بالطرف غيري ظننتها كما آثرت بالطرف تؤثر بالقلب

إنّي بها في كلّ حال لواثق ولكنّ سوء الظن من شدّة الحب

---

(١) الأغاني : ٣٦٧/٥.

(٢) الأغاني : ٤٤٢/٥.

قال : أحسنت يا إسحق . وخرج الواثق ، فقال : فيم أنتم ، فحدّثه ابن أبي دؤاد وأنشده ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأمر لابن أبي دؤاد بثلاثين ألفاً فلمّا رجعت إلى منزلي أصبت في منزلي أربعين ألفاً ، فقلت : ما هذا فقيل وجّه إليك أبو عبد الله بهذا .[١]

رجع بخُفّي حُنين

كان حُنين رجلاً عبادياً من أهل دومة الكوفة والنجف محلّة منها ، وهو الذي يقول :

أنــــا حُنَــــيْن وداري النجـــف ... ومـــا نـــديمي إلاّ الفتـــى القـــصف

وكان من قصّته أن دعاه قوم من أهل الكوفة إلى الصحراء ليغنّيهم ، فمضى معهم ، فلمّا سكر سلبوه ثيابه وتركوه عرياناً في خُفَّيْه ، فلمّا رجع إلى أهله وأبصروه بتلك الحالة ، قالوا : "جاء حنين بخُفَّيْه" ، ثمّ قالوا : "أخيب من حُنين" . فصار مثلاً لكلّ خائب وخاسر . ثمّ قالوا : "أصحب لليائس من خُفَّيْ حُنين" . فصار مثلاً لكلّ يائس وقانط .[٢]

صحيفة المتلمّس

كان المتلمس ينادم عمرو بن هند ، هو وطرفة بن العبد ، فهجواه فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنّه أمر لهما بجائزة ، وكتب إليه يأمره بقتلهما . فخرجا حتى إذا كانا بالنجف إذا بشيخ عن يسار الطريق يحدّث ويأكل من خبز في يده ويتناول القمّل من ثيابه فيقصعه ، فقال المتلمس : ما رأيت كاليوم شيخاً أحمق ، فقال الشيخ : وما رأيت من حمقي ، أُخرج خبيثاً وأُدخل طيباً وأقتل عدوّاً ، أحمق والله منّي من يحمل حتفه بيده ، فاستراب المتلمس بقوله وطلع غلام من الحيرة ، فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام . قال : نعم . ففكّ صحيفته ودفعها إليه ، فإذا فيها : " أمّا بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيّاً" . فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرأها ففيها والله ما في صحيفتي ، فقال طرفة : كلاّ ، لم يكن ليجترىء عليّ . فقذف

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب : ١٤٢٩/٣ .

(٢) مجمع الأمثال : ٢٥٧/١ .

المتلمس صحيفته في نهر الحيرة ، وقال :

قــذفت بهــا بــالثني مــن جنــب كافــر   كذلــك أقنــو[١] كــلّ قــطّ مــضلّل

رضيــت لهــا بالــماء لمّــا رأيتهــا   يجـول بهـا التيّـار فــي كـلّ جــدول

وأخذ نحو الشام ، وأخذ طرفة نحو البحرين ، فضرب المثل بصحيفة المتلمس .[٢]

أدهى من ثعلب

قال مجالد بن سعيد : قلت للشعبي : يقال في المثل : "إنّ شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل" ، فما هذا ؟. فقال لي : ذاك أنّ شريحاً خرج أيّام الطاعون إلى النجف ، فكان إذا قام يصلّي يجيء ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويخيل بين يديه فيشغله عن صلاته ، فلمّا طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كمّيه وجعل قلنسوته وعمامته عليه ، فأقبل الثعلب فوقف على عادته ، فأتاه شريح من خلفه فأخذه بغتة . فلذلك يقال : هو أدهى من الثعلب وأحيل .[٣]

دية كلب العبسي

قال ابن الكلبي : نزل أسماء بن خارجة ظهر الكوفة في روضة معشبة أعجبته وفيها رجل من بني عبس ، فلمّا رأى قباب أسماء قوّض بيته ، فقال له أسماء : ما شأنك ؟. قال : معي كلب هو أحبّ إليّ من ولدي وأخاف أن يؤذيكم فيقتله بعض غلمانك ، فقال له : أقم وأنا ضامن لكلبك ، فقال أسماء لغلمانه : إنّ رأيتم كلبه يلغ في قصاعي وقد وري فلا يهجه أحد منكم . فأقاموا على ذلك ، ثمّ ارتحل أسماء ونزل الروضة رجل من بني أسد ، فجاء الكلب لعادته فنحى له الأسدي بسهم فقتله ، فقدم العبسي على أسماء ، فقال له : ما فعل الكلب ؟. قال : أنت قتلته ، قال : وكيف ؟. قال : عوّدته

---

(١) أقنو : أجزي .

(٢) الأغاني : ٢٣٢/٢٤ .

(٣) تهذيب الكمال : ٤٤٤/١٢ .

عادة ذهب يرومها من غيرك فقُتل ، فأمر له بمائة ناقة ودية الكلب ، قال : هل قلت في هذا شعراً ؟. قال : نعم . فأنشده :

عــوى بعــدما شــال الـسماك بـزورة ... وطــاب عــهداً بعــده قــد تـنـكّرا
وشبّــت لــه نــار مــن الليـل شبّـهـت ... لــه نــار أسـماء بــن حـصـن فكبّـرا
فلاقــى أبــا حيّــان عــارض قومــه ... علــى النّــار لمّــا جاءهــا متنــوّرا
فمــا رامهــا حتــى اكتــسى مــن روائــه ... رداء كلــون الأرجوانــي أحـمــرا
فقــال يلــوم الـنفس مـا خـفت مـا أرى ... وورد المنـايـا مـدرك مـن تأخّـرا[١]

الفرزدق والذئب

نزل الفرزدق بالغريّين فعراه بأعلى ناره ذئب فأبصره مقعياً يصيء ، ومع الفرزدق مسلوخة فرمى إليه بيد فأكلها ، فرمى إليه بما بقي فأكله ، فلمّا شبع ولّى عنه ، فقال :

وليلــة بتنــا بــالغريّين ضــافنا ... علـى الـزاد موشـى الـذراعين أطلـس
تلمّــسنا حتــى أتانــا ولــم يــزل ... لــدن فطمتــه أمّــه يــتلمّس
فلــو أنّــه إذ جاءنــا كــان دانيــاً ... لألبــسته أو أنّــه كــان يلــبس
ولكــن تنحّــا جنبــه بعــد مــا دنــا ... فكـان كقـاب القـوس أو هـو أنفـس
قاســمته نــصفين بينــي وبينــه ... بقيّــة زادي والركائــب نعّــس
وكـان ابـن ليلـى إذ قـرى الـذئب زاده ... علــى طـارق الظلمـاء لا يتعـبّس[٢]

أبو زبيد والأسد

قال شعبة للطرماح بن حكيم : ما شأن أبي زبيد وشأن الأسد ، فقال : إنّه لقيه بالنجف ، فلمّا رآه سلح من فَرَقِه . وقال مرّة أخرى : فَسَلَحَهُ ، فكان بعد ذلك يصفه كما رأيت .[٣]

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٥٦/٩ .

(٢) أمالي الشريف المرتضى : ١٢٠/٤ .

(٣) الأغاني : ١٥٤/١٢ .

عروة بن المغيرة والهواتف

أخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الأسمر العبدي، قال:

خرج رجل في جوف الليل إلى ظهر الكوفة فإذا هو بشيء كهيئة العرش، وإذا حوله جمع قد أحدقوا به، قال: فكمن الرجل ينظر إليهم إذ جاء شيء حتى جلس على ذلك العرش، ثم قال - والرجل يسمع: كيف لي بعروة بن المغيرة ؟. فقام شخص من ذلك الجمع، فقال: أنا لك به، فقال: عليّ به الساعة، قال: فتوجّه نحو المدينة فمكث مليّاً ثمّ جاء حتى وقف بين يديه، فقال: ليس لي بعروة بن المغيرة سبيل، فقال الذي على العرش: ولم، قال: لأنّه يقول كلاماً حين يصبح وحين يمسي فليس لي إليه سبيل، قال: فتفرّق ذلك الجمع وانصرف الرجل إلى منزله، فلمّا أصبح غداً إلى الكناسة فاشترى جملاً ثمّ مضى حتى أتى المدينة ولقى عروة بن المغيرة، فسأله عن الكلام الذي يقوله حين يصبح وحين يمسي وقصّ عليه الرجل القصّة، قال: فإنّي أقول حين أصبح وحين أمسي: "آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم"، ثلاث مرّات.[١]

انتهى بحمد الله تعالى الجزء الأوّل من تاريخ النجف الأشرف، ويليه الجزء الثاني.

---

(١) الهواتف: ١/٩٨.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة